المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
-٧٤-

منهج السَّمين الحلبي في التفسير في كتابه الدُّر المصون

إعداد
الدكتور / عيسى بن ناصر بن علي الدريبي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ح

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدريبي، عيسى بن ناصر بن علي
منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون .
عيسى بن ناصر بن علي الدريبي – الرياض ، ١٤٢٨هـ
٧٨٥ ص؛١٧×٢٤سم . (سلسلة الرسائل الجامعية ؛٧٤)

ردمك: ٩-٧١٩-٠٤-٩٩٦٠

١-القرآن- إعراب ٢-القرآن – تفسير
٣ –اللغة العربية – النحو أ . العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٢٤ ١١٨٩/ ١٤٢٨

رقم الإيداع: ١١٨٩/ ١٤٢٨
ردمك: ٩- ٧١٩ - ٠٤ – ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للجامعة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

تقديم عميد البحث العلمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد نصت المادة الأولى في نظام مجلس التعليم العالي والجامعات على أن الجامعات السعودية مؤسسات علمية، وثقافية، تعمل على هدي الشريعة الإسلامية، وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي، والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي، والقيام بالتأليف، والترجمة، والنشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

وعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في سبيل تحقيق أهدافها المنوطة بها تعنى بنشر البحوث العلمية والرسائل الجامعية، وترجمة ما ترى فيه النفع إلى العديد من اللغات العالمية، وتستكتب في السلاسل الثقافية التي تصدرها العديد من المتخصصين؛ لتقدم المتميز من الأعمال العلمية، والثقافية.

وها هي تضع بين أيدي القراء هذه الرسالة العلمية الموسومة بـ:

منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون
التي أعدها الدكتور / عيسى بن ناصر بن علي الدريبي

وقد قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في الرياض، ونوقشت في ١٤١٨/٦/١٤هـ

وقد وافق المجلس العلمي في الجامعة على نشرها بقراره ذي الرقم (٢٩- ١٤٢٧ / ١٤٢٨ هـ) في جلسته (الرابعة) المعقودة في ١٤٢٧/١٠/١٣هـ

وهي الرسالة الرابعة والسبعون من سلسلة الرسائل الجامعية التي نشرتها الجامعة، وطبعتها في مطابعها.

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

أ.د فهد بن عبد العزيز العسكر
عميد البحث العلمي

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد . . .

فبعد أن أكملت السنة المنهجية في كلية أصول الدين، شرعت في البحث عن موضوع ليكون مجال بحثي في مرحلة الماجستير، وكان توجهي مُنْصباً علىٰ جانب التفسير ودراسة مناهج المفسرين، فنظرت في كتب التفسير المطبوعة فلفت نظري كتاب «الدر المصون» الذي أوشك ـ في ذلك الوقت ـ على اكتمال طبعه محققاً. وبعد مشاورة بعض الأساتذة في قسم القرآن وعلومه عزمت على دراسة منهج السمين في الدر، وكان عنوان البحث: (**منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون**).

ـ أما أسباب اختياري لهذا البحث، فأهمها:

١ـ أهمية الدر المصون ومكانته بين كتب التفسير عموماً، والتفاسير اللغوية

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

خصوصاً، فهو يُعدُّ موسوعة ضخمة في إعراب القرآن. وتتمثل أهميته في الميزات التالية:

أ ـ أنه جمع خلاصة كثير من كتب إعراب القرآن المتقدمة.

ب ـ أنه حوى كثيراً من القراءات القرآنية المتواترة والشاذة ذِكْراً وتوجيهاً.

جـ ـ اهتمام مؤلفه بالمفردات القرآنية، وتحليله الدقيق لها من حيث معناها، وصرفها، واشتقاقها؛ لذا فقد جمع مادة لغوية ضخمة.

د ـ عناية مؤلفه بالبلاغة القرآنية.

هـ ـ جمعه للعلوم الخمسة التي تؤدي إلى فهم القرآن فهماً صحيحاً، وفي وحدة واحدة مترابطة، يخدم بعضها بعضاً، وهي: علم اللغة، والنحو، والصرف، والبيان، والمعاني.

لذا فقد امتدحه العلماء، وأثنوا عليه حتى قال عنه السيوطي في معرض حديثه عن كتب إعراب القرآن: «هو أجلُّها»[1].

٢ـ تمكن السمين الحلبي ـ مؤلف الدر ـ في علوم اللغة، والنحو، والقراءات، والفقه، والتفسير.

وقد صبَّ المؤلف عصارة علومه في الدر المصون فقال عنه: «وهذا التصنيف في الحقيقة نتيجة عمري، وذخيرة دهري»[2].

٣ـ رغبتي في الوقوف على تفسير كامل للقرآن الكريم وإعرابه وقد تحقق هذا ـ ولله الحمد ـ فقد استقرأت الدر كاملاً.

ـ منهج البحث:

١ـ قمت باستقراء الدر المصون كاملاً؛ لاستخراج منهج السمين في التفسير وقد جمعت من خلال ذلك منهجه في التفسير في بطاقات، وكانت هذه هي المرحلة الأولى من البحث، وتمّت في سنة.

٢ـ ركزت في البحث على خدمة الجانب التفسيري في الكتاب وما يتعلق به من لغة

---

(١) الإتقان ١/ ١٧٩.

(٢) الدر المصون ١/ ٦.

إعراب وبلاغة.

٣ـ قمت بدراسة موسّعة لمصادر السمين في الدر، واكتفيت بالكتابة عن المصادر التي ركَّز أو أكثر النقل عنها في التفسير والقراءات، والإعراب، واللغة، فلم أستقصِ الكتابة عن كل مصادره.

٤ـ قارنت بين كثير من نقول السمين بالمصادر التي نقل عنها للتأكد من وجود تلك النقول، ولمعرفة طرق نقل السمين عنها، من حيث النقل بالنص أو بالمعنى.

٥ـ تناولت بالدراسة مصادر السمين من عدة نقاط:

١ـ التعريف بالمؤلف. ٢ـ التعريف بالكتاب ومنهجه.

٣ـ طرق نقل السمين عنها. ٤ المجالات التي نقل فيها.

٥ـ موقف السمين من تلك النقول.

وذلك في أغلب المصادر.

ولم أتناول بالدراسة المناقشات التي بين السمين والعلماء الذين نقل عنهم؛ لأن هذا بحث مستقل ليس مجاله بحثي هذا[١].

٦ـ كانت قضية استقلال السمين عن شيخه من القضايا التي اهتممت بها في البحث، فأثبَتُّ استقلال السمين في الدر في المصادر والمنهج.

أما المصادر فقد اخترت تسعة عشر كتاباً نقل عنها السمين وقارنت كثيراً من نقوله عنها بالبحر المحيط لإثبات استقلاله في مصادره.

وأما المنهج فقد قارنت بين الدر والبحر في بعض المواضع لإثبات تفرُّد وتميّز السمين في منهجه. وأثبتُّ استقلال السمين ـ أيضاً ـ من خلال مناقشاته لشيخه واستدراكاته عليه. ولم يكن من منهجي دراسة تلك المناقشات؛ لأن موطنها ليس هذا البحث، وهي مسألة أخرى مستقلة تناولها بعض الباحثين بالدراسة[٢].

---

(١) فقد سجلت عدة رسائل في المناقشات التي بين السمين وبعض العلماء كالمناقشات التي بين السمين وأبي البقاء، وبين السمين وابن عطية.

(٢) فقد سجلت رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان «اعتراضات السمين الحلبي على أبي حيان في الدر المصون» أعدها الباحث عبدالله بن عبدالعزيز الطريقي في =

٧ـ تعرّضتُ لدراسة منهج السمين في التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي دراسة مفصلة مدّعماً ذلك بالأمثلة والشواهد من الدر.

٨ـ قمتُ بدراسة لبعض كتب التفسير واللغة والنحو التي أفادت من الدر المصون وتأثرت به.

٩ـ عزوت الآيات لسورها.

١٠ـ خرَّجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي به. وما ليس فيهما خرَّجته من بعض مصادر السنة الأصلية.

١١ـ ترجمتُ للأعلام من نحاة، ولغويين، ومفسرين، وقرَّاء، وفقهاء ـ ماعدا المعاصرين الأحياء ـ ترجمة موجزة، من المصادر الأصلية ـ ماعدا الشعراء فقد اكتفيت بترجمتهم من الأعلام للزركلي ـ. وقد رتبت المصادر في التراجم حسب تاريخ الوفاة.

١٢ـ خرَّجتُ الأبيات الشعرية من مظانها الأصلية، وعزوتها إلى قائليها ما أمكنني ذلك، وضبطتها بالشكل، وشرحت غريبها.

١٣ـ وثَّقت النقول والأقوال من مصادرها الأصلية ما أمكنني ذلك. واعتمدت على طبعة واحدة لكل كتاب، إلاَّ كتابي: «الشذرات» فقد اعتمدت على طبعتين؛ طبعة المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الثالثة، وطبعة دار ابن كثير وهي طبعة جديدة، فإذا أطلقت الإحالة فهي لطبعة المكتب التجاري، وإذا أحلت إلى طبعة دار ابن كثير فإني أنصُّ على ذلك. وكتاب «إبراز المعاني» لأبي شامة، اعتمدت على طبعتين. طبعة الحلبي، وإذا أحلت إليها نصصت على ذلك، وطبعة الجامعة الإسلامية بتحقيق محمد جادو، وتنصرف إليها أغلب الإحالات.

١٤ـ عملتُ فهارس فنية تساعد على كشف مضامين الرسالة، وتسهل الإفادة منها.

= اعتراضات السمين على أبي حيان. وسيأتي ذكرها في حديثي عن الدراسات السابقة للدر المصون.

- **خطة البحث :**

يتكون البحث من مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وملاحق تشمل : فهارس الرسالة . وهي كالتالي :

المقدمة : وتشتمل على : سبب اختيار البحث ، وخطته ، وشكر ودعاء .

الباب الأول: عصره وحياته . وفيه فصلان :

الفصل الأول: عصره . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة العلمية .

الفصل الثاني: حياته . وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه ومولده ووفاته . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اسمه وكنيته ونسبه .

المطلب الثاني : مولده ووفاته .

المبحث الثاني : نشأته ووظائفه .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي .

المبحث الخامس : آثاره العلمية .

الباب الثاني: مصادره . وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: مصادره من كتب التفسير والقراءات . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مصادره من كتب التفسير . وهي قسمان :

القسم الأول : المصادر الأساسية .

القسم الثاني : المصادر الثانوية .

المبحث الثاني : مصادره من كتب القراءات . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مصادره من كتب القراءات المتواترة .

المطلب الثاني: مصادره من كتب القراءات الشاذة.

الفصل الثاني: مصادره من كتب إعراب القرآن والغريب. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادره من كتب إعراب القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب الغريب.

الفصل الثالث: مصادره من كتب النحو واللغة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادره من كتب النحو.

المبحث الثاني: مصادره من كتب اللغة.

الباب الثالث: منهجه في التفسير، وقيمته العلمية. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: منهجه في التفسير بالمأثور. وفيه ثمانية مباحث وملحق:

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره بالقرآن لبيان معنىٰ كلمة.

المطلب الثاني: تفسيره بالقرآن لبيان معنىٰ جملة.

المطلب الثالث: تفسيره بالقرآن في مجال الإعراب.

المطلب الرابع: التأكيد علىٰ معنىٰ بلاغي.

المطلب الخامس: تشبيه تركيب بتركيب.

المبحث الثاني: بيان سر خواتيم الآيات.

المبحث الثالث: دفع توهُّم التعارض بين آيات القرآن.

المبحث الرابع: تفسيره القرآن بالسنة.

المبحث الخامس: أسباب النزول.

المبحث السادس: تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث السابع: الإسرائيليات في الدر.

المبحث الثامن: عنايته بالقراءات. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ذكره للقراءات منسوبةً لأصحابها.

المطلب الثاني: اهتمامه بالقراءات المتواترة.

المطلب الثالث : اهتمامه بتوافق معاني القراءات .

المطلب الرابع : اهتمامه بالقراءات الشاذة .

المطلب الخامس : موقفه من الترجيح بين القراءات .

المطلب السادس : استعانته بالقراءات .

ملحق : مميزات منهج السمين في التفسير .

الفصل الثاني:التفسير اللغوي في الدر . وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد : عن التفسير اللغوي .

المبحث الأول : منهجه في تفسير اللفظة القرآنية المفردة . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : عنايته بالتأصيل اللغوي .

المطلب الثاني : عنايته بتفسير المفردات .

المطلب الثالث : عنايته بالفروق اللغوية .

المطلب الرابع : عنايته بحروف المعاني .

المبحث الثاني : منهجه في تفسير تركيب ألفاظ القرآن . وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : الالتزام بالظاهر في الإعراب .

المطلب الثاني : اعتماده السماع .

المطلب الثالث : اعتماده للقياس .

المطلب الرابع : حمل القرآن في الإعراب علىٰ الوجه الشائع .

المطلب الخامس : عدم حمل إعراب القرآن علىٰ الأوجه الضعيفة .

المطلب السادس : التقيّد في الإعراب والترجيح بنظم القرآن .

المطلب السابع : التفريق بين تفسير المعنىٰ وتفسير الإعراب .

المطلب الثامن : عنايته بالترجيح .

المطلب التاسع : اهتمامه بمناقشة المعربين والرد عليهم .

المطلب العاشر : الإعراب والمعنىٰ بين التأثر والتأثير .

المبحث الثالث : منهجه في بيان الأسلوب القرآني . وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: عنايته بعلم البيان.

المطلب الثاني: عنايته بعلم المعاني.

المطلب الثالث: عنايته بعلم البديع.

المطلب الرابع: إبرازه لبلاغة الأسلوب القرآني في الترتيب.

المطلب الخامس: اهتمامه ببيان دقة القرآن في التعبير واختيار الألفاظ والجمل.

المطلب السادس: إبرازه بلاغة المتشابه اللفظي.

الفصل الثالث: التفسير العقدي والفقهي في الدر المصون. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير العقدي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهبه العقدي وتأويله لبعض آيات الصفات.

المطلب الثاني: موقفه من المعتزلة.

المبحث الثاني: التفسير الفقهي.

الفصل الرابع: قيمة الدر العلمية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مكانته بين التفاسير اللغوية، وأثره فيمن بعده. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانته بين التفاسير اللغوية.

المطلب الثاني: أثره فيمن بعده.

المبحث الثاني: المآخذ على الدر المصون.

الخاتمة.

ملاحق تشمل فهارس فنية لكشف مضامين الرسالة. هذه الفهارس هي:

١ ـ فهرس الآيات

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار

٣ ـ فهرس الأعلام

٤ ـ فهرس الأمم والطوائف والقبائل والمذاهب

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

٦ ـ فهرس الأشعار
٧ ـ فهرس المراجع والمصادر
٨ ـ فهرس الموضوعات

وختامًا فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان. والله تعالى أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباب الأول
عصره وحياته

وفيه فصلان:

الفصل الأول: **عصره.**

الفصل الثاني: **حياته.**

الفصل الأول

عصـــره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **الحالة السياسية.**

المبحث الثاني: **الحالة الاجتماعية.**

المبحث الثالث: **الحالة العلمية.**

تمهـيد:

يتأثر الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه، وبالأحداث التي يعاصرها، ويتفاعل مع زمانه ومكانه، فإن كان المجتمع الذي يعيش فيه مهتماً بالعلم والحياة العلمية تأثر بذلك وأثَّر في شخصيته، وإن كان يعيش في مجتمع وزمان يغلب عليه الركود والتخلف والجهل تأثر بذلك أيضاً.

وتتأثر النهضة العلمية والنشاط العلمي بالاستقرار الاجتماعي، والتقدم الحضاري الذي تعيشه الأمة، ومما يساعد على ذلك أيضاً توفر أسباب المعيشة. يقول ابن خلدون[1]: «فصل: في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتعم الحضارة. . . . فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع. . .»[2].

فالإنسان إذاً مرآة صادقة تعكس أحوال العصر الذي يعيش فيه، والسمين الحلبي قد عاش في عصر ازدهرت فيه الحياة العلمية ازدهاراً عظيماً، مما كان له عظيم الأثر في حياته. .

وهذه لمحة عن العصر الذي عاش فيه السمين من الناحية السياسية، والاجتماعية، والعلمية، مما يساعد على فهم شخصية السمين العلمية.

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الإشبيلي، المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» أولها المقدمة، وهي تعد من أصول علم الاجتماع، توفي سنة ٨٠٨هـ. (شذرات الذهب: ٩/ ١١٤، الضوء اللامع: ٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون ص٣٤٤.

المبحث الأول
الحالة السياسية

يُعدُّ القرن الثامن الهجري امتداداً لحكم المماليك البحرية إذ كانت مصر والشام والحجاز تحت نفوذهم.

وقد عاش السمين في مصر في المدة التي كانت تحت حكم أفراد أسرة المنصور قلاوون[١] والتي استمرت من ٦٧٨هـ ـ ٧٩٢هـ. فقد حكم هو وأولاده وأحفاده في تلك الفترة مصر، لم يتخللها سوى خمس سنوات خرج أمر مصر من أيديهم إذ تسلم العادل كتبغا[٢] والمنصور لاجين[٣] والمظفر بيبرس الجاشنكير[٤] وقد قتل ثلاثتهم، حكم الأوليان منهم مدة أربع سنوات ٦٩٤ ـ ٦٩٨هـ. وحكم الثالث ما يقرب من سنة ٧٠٨ ـ ٧٠٩هـ أما أفراد الأسرة فقد حكم المنصور محمد أبوناصر قلاوون إحدى عشر سنة توفي بعدها (٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ)، ورجع الحكم بعده ضعيفاً إذ حكم ابنه الأشرف صلاح الدين خليل[٥] مدة أربع سنوات (٦٨٩هـ ـ ٦٩٣هـ) وقتل بعدها، وجيء بأخيه الناصر محمد[٦]، ولم يطل عهده أكثر من سنة

---

(١) السلطان المنصور سيف الدين أبوالمعالي قلاوون التركي الصالحي من أكبر الأمراء زمن الظاهر، تملك سنة ٦٧٨هـ، وكسر التتار على حمص، وغزا الفرنج غير مرة، وفتح طرابلس وما جاورها. توفي سنة ٦٨٩هـ (الشذرات ٧/ ٧١٥).

(٢) الملك العادل زين الدين كَتْبُغا المُغْلي المنصوري. تسلطن بمصر عامين، وخلع في صفر سنة ٦٩٦هـ فالتجأ إلى صَرْخد، ثم أُعطي حماة فمات بها سنة ٧٠٢هـ (الشذرات ٨/ ١١).

(٣) السلطان المنصور حسان الدين لاجين. قتل سنة ٦٩٨هـ على يد كرجي الأشرفي (الشذرات ٧/ ٧٦٩).

(٤) السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير بويع بالسلطة في سنة ٧٠٩هـ ولقب بالمظفر (الشذرات ٨/ ٣٥).

(٥) الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور ولي السلطة سنة (٦٨٩هـ) وقتل سنة (٦٩٣هـ) (الشذرات (٧/ ٧٣٨).

(٦) الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبدالله الصالحي. ولد سنة ٦٨٤هـ. وتوفي=

حتى خلع، وتسلطن العادل كتبغا مدة سنتين، ثم بعده المنصور لاجين ثم قتل، وأُعيد إلى السلطنة الناصر محمد بن قلاوون، وبقي عشر سنوات (٦٨٩ ـ ٧٠٨هـ) غير أنه اعتزل فتسلم السلطة المظفر بيبرس الجاشنكير، وشعر الناصر محمد بن قلاوون أنه هُضم حقه فاستعاد السلطنة بالاتفاق مع بعض الأمراء. واستمر أمره حتى تُوفي. وقد أحبه الناس، لذا فقد حكم أبناؤه من بعده رغم ضعفهم وصغر سنهم، إذ تسلم السلطة ثمانية من أبنائه[١] في مدة إحدى وعشرين سنة. وهذا يدل على مدى ضعف هؤلاء السلاطين، وتلاعب أمراء المماليك بهم لصغر سنهم والحسد الذي كان بينهم.

وهكذا نلاحظ أن الحكم في هذه الفترة لم يستقر إلا للناصر محمد قلاوون إذ تولى مدة ثلاثة وأربعين عاماً على ثلاث فترات، أما من بعده فكانوا ألعوبة بأيدي كبار الأمراء نظراً لصغر سنهم ولذا فقد كانت فتراتهم فترات ضعف افتقدت معه البلاد الهدوء والاستقرار[٢].

هذا ما يتعلق بشأن الحكم والحكام في ذلك القرن.

وسأتعرض الآن لدور المماليك العظيم وجهادهم مع عدوين هما: المغول، والصليبيين، فقد كان للمماليك معهم صولات وجولات يشهد التاريخ بعظمة صنيعهم فيها.

= سنة ٧٤١هـ. وقد ولي الحكم ثلاث مرات (الشذرات (٨/ ٢٣٣).

(١) كان الأول منهم المنصور سيف الدين أبوبكر وخُلع قبل مرور عام من حكمه. وكان أمر الثاني الأشرف علاء الدين كجك كالأول لم يصل عهده إلى العام، وكذا الناصر أحمد. وحكم بعدهم الصالح إسماعيل ثلاث سنوات (٧٤٣هـ ـ ٧٤٦هـ) ثم توفي ثم جاء بعده الكامل شعبان وقتل، وكذا السادس المظفر أمير حاج، وحكم السابع الناصر حسن أربعة أعوام (٧٤٨ ـ ٧٥٢هـ) وخُلع بعدها وخُلع الثامن الصالح صالح بعد ثلاث سنوات من حكمه (٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ) وأُعيد الناصر حسن فاستمر سبع سنوات (٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ) وقُتل بعدها. (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٧/ ٣٩).

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٧/ ٣٦ـ٣٩، وموسوعة التاريخ الإسلامي د/ أحمد شلبي ٥/ ١٨٣ـ١٩٦.

المماليك والمغول:

كان للمماليك دورٌ بارزٌ في صد الهجمة التترية المغولية التي أفزعت الناس وأدت بهم إلى الهلع والخوف وعدم استقرار الحياة، إذ كان المغول مشهورين بالقتل والسلب والنهب وإحراق كل ما يلاقونه. وتدمير الحياة التي يمرون عليها ولذلك فقد كانت حياة الناس غير مستقرة في تلك الفترة وهذا بدوره يؤثر في الحياة العلمية والاجتماعية وغيرها.

فبعد أن سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ بيد التتار طمعوا في مواصلة سيرهم إلى بلاد الشام ومصر. واستمروا يكتسحون البلاد التي في طريقهم حتى كسرت شوكتهم في عين جالوت في عهد المماليك على يد سيف الدين قطز[١] عام ٦٥٨هـ وأُبطلت مقولة: «المغول لا يهزمون» فهدّأ ذلك من روع الناس وابتهج المسلمون بهذا النصر.

وكان للمماليك جولة ثانية مع المغول في القرن الثامن في معركة مشهورة هي معركة «شقحب» في سنة (٧٠٢هـ) إذ أن المغول عزموا على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، واشتد خوفهم جداً، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية دور هام في هذه المعركة فشجع الناس على القتال ثم خرج إلى مصر وشجّع الأمير ركن الدين بيبرس للخروج لملاقاة المغول لأن الشام تحت ولايتهم فاستجاب له وخرج لملاقاتهم، وانتصر المسلمون فيها نصراً مؤزراً.

وهكذا وقف المماليك للمغول في وقعتين مشهورتين، وآل بهم الأمر إلى أن ذابوا في المجتمع الإسلامي فاعتنقوا الإسلام وأصبحوا من جنده[٢].

---

(١) هو: المظفر سيف الدين قُطُز، أحد مماليك المعز أيبك التركماني، صاحب مصر. كان بطلاً شجاعاً، حازماً، كسر التتار كسرة جَبَر بها الإسلام، يقال إنه ابن أخت خوارزم شاه ملك الهند. قتل سنة ٦٥٨هـ (الشذرات ٧/ ٥٠٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢ـ٢٧. والتاريخ الإسلامي لشاكر ٧/ ١٨ ـ ٣٢.

المماليك والصليبيون:

كما وقف المماليك في وجه التتار وقفوا ـ أيضاً ـ في وجه الصليبيين. وكان أشهر من كانت له صولات وجولات معهم هو: الملك الظاهر بيبرس[1] فقد حرص على تطهير البلاد من الحملات الصليبية ففتح الكرك، ثم حلب، ثم عكا، ثم قيسارية، ثم يافا، ثم أنطاكية، وفي كل ذلك نكّل بالصليبيين وأجلاهم عن المدن السابقة وكانت من أعظم حسناته.

واستمر القتال والنزال مع الصليبيين إلى أن طرد آخر فلولهم السلطان الأشرف خليل بن المنصور قلاوون بعد فتحه عكا عام ٦٩٠هـ.

وبذلك انتهت على يديه آخر الحملات الصليبية إذ إنه بعد فتح «عكا» رَعِب الفرنج في الساحل فأخلوا «صيدا» فخربها السلطان الأشرف وجزيرتها وقلعتها، ثم استولى على بيروت، وصور، وعثليث، وتتبعهم حتى أبادهم وأخرجهم من بلاد الشام إلى غير رجعة[2].

وهكذا رأينا أن عصر المماليك عصر غير مستقر إما حروب بين أبناء السلطة وعمالهم، أو مواجهات مع الأعداء الخارجيين من التتار والصليبيين. وكانت مرحلة الجهاد والمعارك معها أوراق ناصعة في تاريخ المماليك الذين أوقفوا الزحف المغولي إلى أن ذابوا في المجتمع الإسلامي واعتنقوا عقيدة المسلمين وأصبحوا من جنود الإسلام. وطردوا فلول الحملات الصليبية من آخر معقل لهم وهو جزيرة أرواد عام ٧٠٢هـ.

---

(١) هو: السلطان الظاهر ركن الدين أبوالفتح بيبرس التركي البُنْدُقْدَاري ثم الصالحي. وُلد في حدود العشرين وستمائة. شجاع، مقدام. تولى الملك بعد قتله لقُطُز. وكسر التتار دفعات آخرها في أواخر سنة ٦٧٥هـ بحدود بلاد الروم. توفي سنة ٦٧٦هـ (الشذرات ٧/ ٦٠١).

(٢) انظر: خطط الشام محمد كرد علي ٢/ ١١١ ـ ١٢٣، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٩ـ٣٢١، التاريخ الإسلامي محمود شاكر ٧/ ١٩.

المبحث الثاني
الحالـة الاجتماعيـة

يُعدُّ عصر المماليك في مصر من أزهىٰ أيام مصر الإسلامية، إذ أنها ورثت الخلافة عن بغداد، مما جعل العلماء والأدباء من العراق والأندلس يفدون إليها، فقد هرب مَنْ في العراق خوفاً من الهجمة التترية، وأما مَنْ في الأندلس فلأن الأندلس كانت تمر بأيامها الأخيرة.

وأما طبقات المجتمع في ذلك العهد فيمكن تقسيمها خمس طبقات[1] هي:

١ ـ **الطبقة الأولى**: الطبقة الحاكمة، وهم المماليك الذين عاشوا في طبقة منفصلة ممتازة عن سائر أهل البلاد في مصر والشام. وكان لهم في أصلهم ونشأتهم وتربيتهم أسلوبهم الخاص في الحياة وعدم اختلاطهم بأهالي البلاد، مع أنهم ـ أي المماليك ـ لم يكونوا من أصل واحد.

وهؤلاء لهم عيش رغيد وإقطاعات خاصة. وهم طبقة مميزة لها نفوذها وسلطانها مما يجعلهم ـ أحياناً ـ يظلمون الناس بفرضهم الجبايات والضرائب. وكان بعضهم يعاقر الشراب، وإن كان غلب عليهم الصلاح واحترام العلماء وبناء المدارس والجوامع والجهاد في سبيل الله.

٢ ـ **الطبقة الثانية**: المُعَمَّمُون من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب. ويطلق عليهم أيضاً: أهل العمامة تمييزاً لهم عن أرباب السيوف

---

(١) اعتمدت في تقسيم هذا الطبقات على: كتاب العصر المملوكي في مصر والشام د/ سعيد عاشور.
وكتاب: مصر في عصر دولة المماليك البحرية د/ سعيد عاشور ١٥٧ ـ ١٧٨.
وكتاب: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك د/ سعيد عاشور ١٠ ـ ٧٥.
وكتاب: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ـ عصر سلاطين المماليك د/ قاسم عبده.
وكتاب: تاريخ المماليك البحرية ـ د/ علي إبراهيم حسن.

من المماليك.

وقد امتاز المعممون ـ لاسيما جماعة العلماء ـ بمميزات طوال عصر المماليك، منها نفوذهم في الدولة، واحترام السلاطين لهم، ومنها ما عاش فيه هؤلاء المعممون من سعة وبسطة في العيش لما أغدقته عليهم الدولة من رواتب. وقد استأثر هؤلاء بمراتب ووظائف دينية وسياسية عليا، مثل مناصب القضاء، والحسبة، والوزارة وغيرها، وقد حظي العلماء بمكانتهم المرموقة عند السلاطين؛ لأجل قوتهم في الحق وقبول الناس لكلمتهم وتقديمها حتى على كلمة السلطان في بعض الأزمان كما حصل مع العز بن عبدالسلام[1] من بيعه للمماليك. ومن العلماء الذين كانت لهم مكانة عند الناس في القرن الثامن ابن دقيق العيد، وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان له دور كبير في الجهاد ضد التتار وتشهد له بذلك موقعة «شقحب».

الطبقة الثالثة: طبقة التجار، وقد كانت لهم في المجتمع مكانة بحكم ثرائهم وثرواتهم الطائلة، وقد كان بعض الحكام يقربونهم ويصطفون منهم ندماء، وغلب على كثير منهم البذخ والترف والانجراف وراء الشهوات وعدم مراعاة حرمة الدين.

الطبقة الرابعة: الصُنَّاع وأرباب الحرف والعامة. وهذه الطبقة هم سواد المجتمع، ويغلب عليهم توسط الحال المعيشي ومنهم من يعاني من الفقر.. وقد كان هؤلاء يكنون للعلماء مكانة عظيمة ويقدرونهم قدرهم، ويستجيبون لنداءاتهم ـ وبخاصة إذا كان العالم معروفاً بالإخلاص ـ حتى وإن كانت في وجه السلاطين كما حصل مع العز بن عبدالسلام، وكما حصل في خروجهم في جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية رغم أنه مات سجيناً في قلعة دمشق.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالسلام، أبومحمد المعروف بالعز بن عبدالسلام. الإمام العلاَّمة، سلطان العلماء، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة. برع في الفقه، والأصول، والعربية. وبلغ رتبة الاجتهاد. توفي سنة ٦٦٠هـ. (الشذرات ٧/ ٥٢٢).

الطبقة الخامسة: أهل الذمة من اليهود والنصارى. وقد كانوا ينعمون بالأمن في المجتمع الإسلامي على دينهم وأنفسهم وأموالهم، إلا أنهم كانوا في بعض هجمات التتار والصليبيين يناصرونهم مما أثار عليهم عوام المسلمين فخربوا بعض كنائسهم ونهبوا ديارهم. وكان بعض السلاطين يلزمهم بأن يتميزوا في لباسهم ومراكبهم عن المسلمين.

الناحيـة الماديـة:

ومما يميز عصر المماليك أنه عصر إقطاع، إذ تكاثرت فيه الإقطاعات تكاثراً شديداً، حتى لم يستطع أهل البلاد الحقيقيون التصرف في أراضيهم وحرموا من تملُّكِها، وتملَّكها المماليك الأرقاء، وكانوا كثيراً ما يفرضون عليهم الضرائب، على أنَّ تسلط المماليك على الأرض والزراعة جعلهم يعنون بالجسور وبنظام الري وبالثروة الحيوانية والزراعية.

وَدَت الصناعة مزدهرة، فقد كانت أيام المماليك أيام ترفٍ في بناء القصور الباذخة وفي كل شئون الزينة، وكانت للدولة مصانع خاصة للخلع السنية التي يخلعها السلاطين على الأمراء وكبار رجال الدولة، وازدهرت صناعة الملابس والفرش والأثاث والجلود والحلي والمعادن والزجاج الملون، واهتم المماليك ـ أيضاً ـ بصناعة الأسلحة وسفن الأساطيل. وكل ذلك ساعد على ازدهار الصناعات. ومما يدل على ذلك أن نجد لكل فئة من الصُنَّاع نقابة خاصة تنظر في أمورهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفيما بينهم وبين الشعب من جهة والحكومة من جهة ثانية.

وكانت التجارة بالمثل مزدهرة، إذ أن مقر الحكومة في ذلك العهد هو مصر وقد كانت تمسك بزمام التجارة بين الشرق «الهند وشرق آسيا» وبين الغرب «أوروبا». وكانت الدولة تحصل أيضاً على دخل كثير من مكوس التجارة.

تلك المصادر كانت توفر للدولة دخلاً ضخماً وثراءً طائلاً، بالإضافة إلى الأوقاف التي أوقفت على المدارس والمساجد والأعمال الخيرية.

ويضم إلى مصادر الدخل في ذلك الوقت المكوس والضرائب التي كانت تفرض على التجار وبخاصة في أوقات الحروب.

لذا فقد هيأ كل ذلك رغداً وثراءً طائلاً للحياة الاجتماعية في ذلك الوقت، إلا الأوقات التي حصلت فيها بعض المجاعات بسبب نقص مياه النيل.

أما من الناحية الدينية:

فقد كانت المدارس والجوامع ـ التي سيأتي ذكرها ـ تؤدي دورًا هاماً في نشر العلم الصحيح المبني على الكتاب والسنة، وكان لذلك أثراً طيباً في حياة الناس الدينية. إلا أن هناك مظهرًا سلبيًا برز بقوة في عهد المماليك ألا وهو: التصوف المذموم والذي من مبادئه الانقطاع الكامل عن الحياة، وطاعة المريد لشيخه طاعة عمياء حتى فيما لا يصح شرعاً، بل قد يصل إلى الإلحاد.

وانتشرت الطرق الصوفية وقويت وكثرت فروعها وتعددت مشاربها، والسبب في قوة هذا الاتجاه المنحرف الدعم المادي الذي وجده أصحاب الطرق الصوفية من المماليك حيث بنوا لهم الزوايا والرباطات والخوانق، وذكر بعض المؤرخين أن عدد الخوانق بلغ اثنتين وعشرين في مصر وحدها، أهمها الخانقاة البيبرسية والتي بناها ركن الدين بيبرس سنة ٧٠٧هـ. وخانقاة سرياقوس والتي بناها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣هـ. ولكن الله هيأ للسنة في بلاد مصر والشام جندياً ذبَّ عن حماها ووقف للمتصوفة بالمرصاد وفضح أسرارهم وزيَّف معتقداتهم الباطلة.

ذلك العالم هو الإمام ابن تيمية فألَّف الرسائل العظيمة في الردود عليهم وإظهار الحق، وشكا بعضهم إلى الولاة لما يأتونه من خرافات وأعمال شاذة.

وسوف أتكلم هنا عن دور شيخ الإسلام في مواجهة التيارات والمذاهب الفاسدة التي عج بها المجتمع في مصر والشام:

وقف شيخ الإسلام موقفاً شجاعاً في مواجهة آراء أهل العقائد الباطلة من

الصوفية والإسماعيلية الباطنية[١] والمعتزلة[٢] والأشاعرة[٣]. وقد لاقى في سبيل هذا الجهاد صنوف الأذى فأُدخل السجن عدة مرات، منها سنة ٦٩٨هـ إذ وشىٰ به بعض الأشاعرة إلى السلطة ولكن قاضي القضاة قد برأه من تلك التهمة وهي تهمة أنه يرى في الله عزوجل رأي المجسمة أو المشبهة. قال ابن كثير في ذكر محنة شيخ الإسلام: «قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي[٤]..، فلم يحضر فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحموية. فانتصر لها الأمير[٥]، وأرسل بطلب الذين قاموا عنده فاختفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون. فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسَّر قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٦] ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء، وبحثوا في الحموية، وناقشوه في أماكن فيها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير..»[٧].

ومنها في سنة ٧٠٥هـ وقف الشيخ مع طائفة الأحمدية[٨] الصوفية. إذ كانت

---

(١) هم: الذين قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر وهؤلاء هم الغلاة ومن مبادئهم: أن الإمامة انتهت بمحمد بن إسماعيل وهو السابع. وأدوار الإمامة سبعة. وأقاموا دولتهم المسماة بالدولة الفاطمية التي تبنتها أسرة عبدالله بن ميمون القداح. (الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي ص٦٢، ٦٣).

(٢) هم: فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني. تعتمد على العقل وتقدمه على النقل. وأصولهم خمسة هي: العدل والتوحيد والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (التبصرة في أصول الدين وتمييز الفرقة الناجية لأبي المظفر الإسفراييني ص٣٧).

(٣) فرقة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري وهم من أهل الإثبات مع تعطيل في الصفات وإرجاء في الإيمان واضطراب في باب القدرة والنبوة (الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٤).

(٤) هو القاضي جلال الدين الحنفي.

(٥) هو الأمير سيف الدين جاعان. ذكر ذلك ابن كثير (البداية والنهاية ١٤/ ٤١١).

(٦) سورة القلم، الآية: ٤.

(٧) البداية والنهاية ١٤/ ٤١٠ ـ ٤١١ طبعة دار المعرفة.

(٨) هي فرقة صوفية تنتسب إلى أحمد البدوي أكبر أولياء مصر (٥٩٦هـ ـ ٦٣٤هـ) ولد بفاس، حج=

هذه الطائفة يتعاطون أشياء مما يموهون به على الناس من دخولهم في النار وخروجهم منها سالمين وغير ذلك من الكرامات التي يدعونها وفي ذلك يقول ابن كثير: «وفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة. . وحضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فسألوا من نائب السلطة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم، وأن يسلم لهم حالهم، فقال لهم الشيخ: هذا ما يمكن. ولابد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعاتهم، فقال الشيخ: تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان. . ثم اتفق الحال أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، وصنَّف الشيخ جزءاً في الطريقة الأحمدية وبيَّن فيه أحوالهم، ومسالكهم وتخيلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب، وأظهر الله السنة على يديه وأخمد بدعتهم. .»[1].

وفي هذه السنة أيضاً: طُلب إلى القاهرة لمناظرة علمائها واجتمعوا له ـ وخاصة فقهاء الشافعية الأشاعرة ـ وأخذوا يناقشونه في إثبات الصفات على الله حسب ظاهر القرآن، إذ يقول شيخ الإسلام: إن الله استوى فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بصوت وحرف ونحو ذلك وجادلهم في ذلك ابن تيمية. . ثم حكموا عليه بالسجن وظل فيه عاماً وبضعة أشهر[2].

ثم خرج الشيخ في سنة ٧٠٦هـ من السجن. وسرعان ما أوقع به خصومه من

= ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود. وأتباعه منتشرون في جميع أرجاء مصر، ولهم فيها فروع كالبيومية والشناوية وأولاد نوح والشعبية (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٤٨).

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٤٤٥.

(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٤٤٧.

الصوفية في القاهرة فدخل السجن مرة أخرى[1] حتى أخرجه الناصر بن قلاوون حينما تولى الحكم مرة ثالثة في سنة ٧٠٩هـ وأكرمه إكراماً عظيماً.

وسجن مرة أخرى في سنة ٧٢٦هـ بسبب فتواه في الرحلة إلى قبور الأنبياء والصالحين[2] إلى أن توفى بقلعة دمشق عام ٧٢٨هـ.

ولعلنا نتبين من خلال هذه الحوادث أن المجتمع في عهد المماليك قد عَجَّ ببعض الانحرافات التي تمس أهم شيء في حياة الناس ألا وهو عقيدتهم فوجدت الصوفية بطرقها وفروعها المنحرفة، ووجدت طوائف من المعتزلة، والأشاعرة وخاصة أنهم ـ أي الأشاعرة ـ كانوا يمثلون في أزمان كثيرة الفقهاء والقضاة، بل ويتولون منصب قاضي القضاة ـ أحياناً ـ.

إلا أننا في كل ذلك لا نجد للسمين الحلبي ذكراً أو موقفاً، فقد شحت المصادر التي بين أيدينا بذكر أيِّ موقف له من تلك الفرق والطوائف التي عجَّ بها مجتمع مصر والشام وربما أنه لم يكن له موقف واضح بل كان يعتزل كل ذلك. والله تعالى أعلم.

---

(١) المرجع السابق ١٤/ ٤٥٥.

(٢) المرجع السابق ١٤/ ٥٣٩.

المبحث الثالث

الحالـة العلميـة

يُعدُّ القرن الثامن الهجري من القرون التي ازدهرت فيها الحالة العلمية، فبرز كثير من العلماء والفقهاء وبعض المجتهدين، وسُطّرت الموسوعات الضخمة في شتى العلوم والفنون.

واتخذ هذا الازدهار مظهرين أساسيين هما:

١ ـ المراكز العلمية من المدارس والجوامع التي تبث العلم.

٢ ـ بروز كوكبة من العلماء الجهابذة.

وسوف أتحدث عن هذين المظهرين بما يوضح ازدهار الحياة العلمية في ذلك القرن.

١ـ المراكز العلمية من المدارس والجوامع:

أ ـ المدارس:

وهي مدارس أنشأها بعض الأمراء والسلاطين والعلماء، ولها تمويل دائم من السلاطين أو من أوقافٍ مخصصة لها. فبالإضافة إلى المدارس التي أُنشئت في القرن السابع، أنشأ المماليك العديد من المدارس في مصر والشام وهي من الكثرة بمكان، حتى إنه أُلف في مدارس الشام كتاب من مجلدين هو كتاب: «الدارس في تاريخ المدارس» لعبدالقادر النُّعيمي[١]. وقد عدَّ المقريزي[٢] من المدارس التي في مصر نحواً من خمس وأربعين مدرسة ويتولى التدريس في هذه المدارس كبار العلماء والقضاة من فقهاء المذاهب الأربعة وكبار المقرئين وسأذكر هنا بعض

---

(١) عبدالقادر بن محمد بن عمر النُّعيمي الدمشقي الشافعي العلامة مؤرخ دمشق وأحد محدثيها توفي سنة ٩٢٧هـ الشذرات ١٠/ ١٠.

(٢) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي الحنفي عمدة المؤرخين، ولد بعد سنة ٧٦٠هـ، تفقه على مذهب الحنفية ضابط مؤرخ. من تصانيفه: السلوك في معرفة دول الملوك، والمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار. توفي سنة ٨٤٥هـ (الشذرات ٩/ ٣٧٠).

المدارس في الشام ومصر.

من مدارس الشام[1]:

١ ـ المدرسة الأمينية: وهي قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي وممن درَّس فيها الإمام العلامة كمال الدين ابن الزملكاني[2].

٢ ـ المدرسة الركنية الجوانية الشافعية: وقد درس فيها الإمام تقي الدين السُّبكي[3].

٣ ـ المدرسة الصالحية: أنشأها الملك الصالح إسماعيل[4] وممن درَّس فيها شهاب الدين ابن النقيب[5].

٤ ـ المدرسة الناصرية الجوانية: وممن تولى التدريس فيها بدر الدين ابن جماعة. وفيها ألَّف التُّعيمي كتابه «الدارس في تاريخ المدارس».

بالإضافة إلى أن هناك دُوراً خاصة بالقرآن، ودُوراً خاصة بالحديث ودوراً جمعت بين تدريس القرآن والحديث[6].

---

(١) أفدت في ذكر هذه المدارس من: تاريخ المدارس للنعيمي.

(٢) العلامة كمال الدين محمد بن علي بن نبهان الأنصاري الشافعي المعروف بابن الزملكاني ولد سنة ٦٦٧هـ انتهت إليه رئاسة المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرة كان من أذكياء زمانه توفي سنة ٧٢٧هـ (الشذرات ٨/ ١٤٠).

(٣) تقي الدين أبوالفتح محمد بن عبداللطيف الأنصاري السُّبكي الشافعي الفقيه المحدث الأديب. ولد سنة ٧٠٤هـ قرأ النحو على أبي حيان ولازمه سبعة عشر عاماً، درس بالقاهرة وناب في الحكم توفي ٧٤٤هـ (الشذرات ٨/ ٢٤٥).

(٤) عماد الدين أبوالجيش إسماعيل بن العادل. كان ملكاً شهماً. قتل سنة (٦٤٨هـ) (الشذرات (٧/ ٤١٦).

(٥) شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالرحمن البعكبلي المعروف بابن النقيب. كان بارعاً في القراءات والنحو والتصريف. توفي سنة ٧٦٤هـ (الشذرات ٨/ ٣٤٢).

(٦) انظر: أمثلتها في «الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي.

مدارس مصر[1]:

عُني المماليك بمدارس مصر، لأنها حاضرة الإسلام آنذاك ومقر الدولة المملوكية واهتموا بالمدارس القديمة بترميمها، وأنشأوا المدارس الكثيرة وأجروا لها الأوقاف ورواتب المدرسين. . ومن أشهر تلك المدارس:

١ ـ **المدرسة الظاهرية**: وقد أنشأها الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٢هـ. وقد جعلها لتدريس الفقه الشافعي والحنفي، وتدريس القراءات والحديث النبوي، وأجرى الرواتب على أساتذتها وطلابها وألحق بها مساكن لهم، ومكتبة اشتملت على أمهات الكتب في سائر العلوم، وبنىٰ بجانبها مكتباً لتحفيظ أيتام المسلمين القرآن وأجرى لهم المأكل والكسوة. وأوقف عليها عدة أوقاف.

٢ ـ **المدرسة المنصورية**: وقد أنشأها السلطان المنصور قلاوون لأصحاب المذاهب الأربعة في سنة ٦٨٤هـ، وأجرى عليها الأوقاف وبنى بجوارها مكتباً لتحفيظ الأيتام القرآن وتكفل بمأكلهم وكسوتهم. وضم إليها مكتبة ضخمة من كل أنواع العلوم والفنون وقد دُرِّس فيها الطب أيضاً.

٣ ـ **المدرسة الناصرية**: أمر بإنشاءها السلطان العادل كتبغا، وأتمها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ. وأجرى لها الأوقاف وألحق بها خزينة للكتب.

ب ـ **الجوامع**[2]: ومن أشهر الجوامع التي كانت تنشر العلم في ذلك الوقت:

١ ـ **جامع عمرو بن العاص**[3]: وقد أُسس بعد فتح مصر، وقد اهتم به المماليك ففي سنة ٧٠٢هـ أعادوا تعميره، فنشطت فيه الحياة العلمية، وكان لهذا الجامع أوقاف كثيرة تدر على طلبة العلم، وفي «الخطط» أن هذا الجامع كانت فيه بضع

---

(١) انظر في هذه المدارس: خطط المقريزي ٤/ ١٩٣ ـ ٢٢٢.

(٢) أفدت في ذكر هذه الجوامع من كتاب «الخطط» للمقريزي ٤/ ٤ ـ ٧٥.

(٣) ويعرف هذا الجامع بالجامع العتيق.

وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح[١].

٢ ـ **جامع ابن طولون**: وقد نشطت الحياة العلمية فيه في عهد الأشرف خليل فجعل فيه درساً للفقه على المذاهب الأربعة، ودرساً للتفسير، وللحديث، ودرساً للطب، وأنشأ بجانبه مكتباً لإقراء أيتام المسلمين.

وقد أقرأ السمين الحلبي النحو والقراءات في هذا الجامع[٢].

٣ ـ **الجامع الأزهر**: وقد بُني سنة ٣٦١هـ ثم تعرض للخراب وقد أعاد الحياة إليه السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ.

٤ ـ **جامع الحاكم**: وقد بُني سنة ٣٩٣هـ. وفي سنة ٧٠٣هـ أصلحه الأمير بيبرس الجاشنكير ورتب فيه دروساً في الفقه على المذاهب الأربعة، ودرساً للحديث، ودرساً للنحو وتولاه أبوحيان، ودرساً في القراءات[٣].

٢ـ بروز مجموعة من كبار العلماء[٤]:

ومن مظاهر ازدهار الحياة العلمية في القرن الثامن، بروز كوكبة من مشاهير العلماء.. وعلى رأسهم:

١ ـ **شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الحنبلي**، بل المجتهد المطلق برز في كل فنٍ على أبناء جنسه، برع في التفسير والحديث والفقه، وكان مجاهداً داعية. له مؤلفات عظيمة. توفي سجيناً في القلعة بدمشق سنة ٧٢٨هـ[٥].

---

(١) خطط المقريزي ٤/ ٤ ـ ٥.

(٢) انظر: طبقات الأسنوي ٢/ ٥٣١.

(٣) وهذان الجامعان «الأزهر والحاكم» أُنشئا في الأصل لخدمة المذهب الشيعي للدولة الفاطمية. ثم تحول أمرهما إلى خدمة أهل السنة على أيدي المماليك.

(٤) اعتمدت في سير هؤلاء الأعلام الذين سطعوا في القرن الثامن على «شذرات الذهب» طبعة دار ابن كثير بتحقيق محمود الأرناؤوط وإشراف وتخريج أبيه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط. وهي طبعة علمية محققة. احتوى مجلدها الثامن على سيل كبير من علماء ذلك القرن.

(٥) الشذرات ٨/ ١٤٢.

٢ ـ **شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة** وهو محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الشافعي ولد سنة ٦٣٩هـ بحماة. ولي قضاء القدس، ثم قضاء الديار المصرية، محدث، فقيه، حكم الإقليمين ـ أي في القضاء ـ مصر والشام. ودرَّس في ثلاث عشرة مدرسة توفي سنة ٧٣٣هـ[١].

٣ ـ **الحافظ الكبير جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن المِزِّي**، شيخ المحدثين، برع في فنون الحديث، قيل: إن مشيخته بلغت نحو الألف، وحدَّث نحو خمسين سنة، وولى دار الحديث الأشرفية ثلاثاً وعشرين سنة ونصفاً. من تصانيفه: تهذيب الكمال، وتحفة الأطراف وغيرهما. توفي سنة ٧٤٢هـ[٢].

٤ ـ **الإمام أثير الدين أبوحيان محمد بن يوسف الغرناطي**، ـ ستأتي ترجمته ـ توفي سنة ٧٤٥هـ[٣].

٥ ـ **الإمام الذهبي الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي** قال عنه السبكي[٤]: «شيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمع الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها. له تصانيف عظيمة منها: تاريخ الإسلام الكبير ومختصره «سير أعلام النبلاء» وميزان الاعتدال وغيرها الكثير. توفي سنة ٧٤٨هـ[٥].

٦ ـ **العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي**، بل المجتهد المطلق، المفسر، النحوي، الأصولي، الشهير بابن القيم الجوزية، له تصانيف كثيرة جداً منها: إعلام الموقعين، وبدائع الفوائد وزاد المعاد،

---

(١) المرجع السابق ٨/ ١٨٤.
(٢) المرجع السابق ٨/ ٢٣٦.
(٣) انظر ص (٤٦) من هذه الرسالة.
(٤) طبقات الشافعية ٩/ ١٠٠ ـ ١٢٣.
(٥) شذرات الذهب ٨/ ٢٦٤.

توفي سنة ٧٥١هـ[١].

٧ ـ **العلاَّمة النحوي عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري**. قال عنه ابن خلدون: «ومازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام، أنحى من سيبويه، وكان كثير المخالفة لأبي حيان، صنف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وشرح التسهيل، والمسائل السفرية وغيرها. توفي سنة ٧٦١هـ[٢].

هذا غيض من فيض هذا القرن المبارك الذي سطع في سمائه نجوم من جهابذة علماء الأمة الإسلامية، ويكفي أن تطلع على المجلد الثامن[٣] من شذرات الذهب لتقف على قوة الوهج العلمي في هذا القرن الذي أفاد منه السمين الحلبي وأثَّر في شخصيته العلمية.

إلا أن هذه الحياة العلمية المزدهرة لم تخل من عيوب أظهرها:

١ ـ اهتمام بعض علماء ذلك العصر بالمباحث الكلامية والمجادلات العقلية وإدخالها في دراسة العقيدة، وقد لاقت هذه الأفكار رواجاً في بعض أزمنة ذلك العصر، فانبرى لها علماء أهل السنة كشيخ الإسلام يردون على أهل البدع بدعهم، ويقررون مذهب أهل السنة الحق.

٢ ـ ومن المظاهر السلبية في هذا القرن كثرة الخلافات الفقهية، وقوة العصبية المذهبية للمذاهب الأربعة في الفقه.

---

(١) الشذرات ٨/ ٢٧٨.

(٢) الشذرات ٨/ ٣٢٩.

(٣) طبعة دار ابن كثير.

الفصل الثاني
حيـاتـه

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : **اسمه وكنيته ونسبه ومولده ووفاته.**
المبحث الثانـي : **نشأته ووظائفه.**
المبحث الثالـث: **شيوخه وتلاميذه.**
المبحث الـرابـع: **عقيدته ومذهبه الفقهي.**
المبحث الخامس: **آثاره العلمية.**

المبحث الأول

اسمه وكنيته ونسبه ومولده ووفاته

وفيه مطلبـــان:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ووفاته.

المطلب الأول

اسمه وكنيته ونسبه[1]

هو: شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود المعروف بالسمين الحلبي. وهناك خلاف في جده هل هو محمد أو عبدالدائم. فقد ذكر ابن حجر[2] وتبعه السيوطي[3] أنه «عبدالدائم» ولكن كما يقال: «قطعت جهيزة قول كل خطيب» فقد ذكر السمين بخطه أن جده هو: محمد، وذلك في مخطوطة الدر المصون، وقد أثْبَتَ ذلك الدكتور أحمد الخراط «محقق الدر»[4].

---

(١) ترجمة السمين في كتب التراجم موجزة جداً، فأغلب من كتب عنه نقل عن أقرب مؤرخ له وهو الأسنوي في «طبقات الشافعية» والأسنوي لم يكتب عنه سوى نصف صفحة تقريباً (انظر ٢/ ٥١٣) وممن ترجم له: ابن حجر في الدرر الكامنة ١/ ٣٦٠، وابن الجزري في غاية النهاية ١/ ١٥٢، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ٣/ ١٨ وفي طبقات النحاة واللغويين (مخطوط الورقة رقم ١٠٩)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ٤٠٢، وفي حسن المحاضرة ١/ ٥٣٦، والداوودي في طبقات المفسرين ١/ ١٠٠ وابن القاضي في درة الحجال ١/ ٤٦، وحاجي خليفة في كشف الظنون في ١/ ١٢٢، ٧٣٢، ٢/ ١١٦٦، ١٣٦٦، وابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ١٧٩، والطباخ الحلبي في إعلام النبلاء ٥/ ٢٦، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢/ ١١١، وذيله ٢/ ١٣٨، وكحالة في معجم المؤلفين ٢/ ٢١١، والزركلي في الأعلام ١/ ٢٦٠.

(٢) انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٦٠.
وابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر الحافظ الكبير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة. ولد سنة (٧٧٣هـ) وتوفي سنة (٨٥٢هـ) له مصنفات منها: فتح الباري، ولسان الميزان، وغيرهما الكثير (ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ص٣٢٦، والبدر الطالع ١/ ٨٧ وشذرات الذهب ٧/ ٢٧٠).

(٣) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، قرأ على جماعة من العلماء، ولما بلغ الأربعين اعتزل للتأليف، فألّف في معظم الفنون حتى بلغت مؤلفاته نحواً من ٦٠٠ كتاب، منها: الدر المنثور، والمزهر، وهمع اللوامع وغيرها توفي سنة (٩١١هـ) (البدر الطالع ١/ ٣٢٨، وشذرات الذهب ٨/ ٥١).

(٤) انظر: مقدمته في تحقيق الكتاب ص١٣.

وأما تسميته بـ«السمين» فلم يذكر المترجمون له علَّة صريحة لذلك[1].

وقد أضاف بعض المترجمين[2] له كلمة «ابن» وهذا وَهْمٌ وقعوا فيه بسبب التشابه مع شخص آخر اسمه: ابن السمين أحمد بن علي البغدادي صاحب كتاب «مفردات القرآن» المتوفى سنة ٥٩٦هـ.

---

(١) ذكر د/ التونجي في مقدمة تحقيقه لكتاب السمين «عمدة الحفاظ» ص(٢٣ أنه ربما سُمّي به لأنه كان أكولاً أو ضخماً.

(٢) ممن قال ذلك: ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ في كتابه طبقات الشافعية. مع أنه نفسه لم يذكر كلمة «ابن» حينما ترجم له في كتابه الآخر: طبقات النحاة واللغويين (مخطوط الورقة رقم ١٠٩).

ومن قال ذلك أيضاً: ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (٦/ ١٧٩)، وذكر الدكتور محمد التونجي أن رياضي زادة صاحب «أسماء الكتب» قال ذلك أيضاً (مقدمة تحقيق العمدة ١/ ٢٣).

المطلب الثاني
مولده ووفاته

لم يشر أحد ممن ترجم للسمين إلى سنة ولادته ـ فيما اطلعت عليه ـ أما وفاته فقد أجمعوا على تحديد السنة واختلفوا في الشهر، فأما سنة وفاته فهي ٧٥٦هـ. وأما الشهر فمن قائل: في جمادى الأولى[١]، ومن قائل: في جمادى الآخرة[٢]، ومن قائل في شعبان[٣]، ولعلنا نرجح أنه شهر جمادى الآخرة، لأنه قول أقرب مؤرخ له وهو: الأسنوي[٤].

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٥٣٦. مع أنه ـ أي السيوطي ـ حينما ترجم للسمين في «بغية الوعاة» ذكر أن وفاته في جمادى الآخرة (١/ ٤٠٢).

(٢) وهذا قول أغلب من ترجم له. انظر: (طبقات الأسنوي ٢/ ٥١٣، والدرر الكامنة ١/ ٣٦٠).

(٣) طبقات القراء ١/ ١٥٢.

(٤) عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي أبومحمد جمال الدين الآمدي. نبغ في علوم الفقه والعربية، من تصانيفه الكوكب الدري في النحو والفقه، وطبقات الشافعية وغيرهما. توفي سنة ٧٧٢هـ (الدرر الكامنة ٢/ ٤٦٤).

المبحث الثاني
نشأته ووظائفه

للسمين حياتان، الأولى: في حلب. والثانية: في مصر.

أما الأولى وهي التي في حلب، وتمثل النشأة الأولى في تعليمه وطلبه للعلم، فلم يذكر المؤرخون عنها شيئاً.

وأما الثانية: وهي التي في مصر وهي تمثل فترة النضوج العلمي له فقد أفاد منها في طلبه للعلم على علماء القاهرة التي كانت حاضرة الإسلام في عصر المماليك.

وقد حظي بمكانة علمية مرموقة في القاهرة وتولى عدة مناصب:

١ ـ تولى تدريس القراءات والنحو في جامع ابن طولون.

٢ ـ تولى التدريس والإعادة في جامع الشافعي.

وكان للتدريس في هذين الجامعين مكانة هامة، إذ لا يتولى التدريس فيهما إلا كبار العلماء، ولذا توافد عليه الطلاب ينهلون من علمه الغزير في مجالي القراءات والنحو.

٣ ـ ناب عن الحكم ـ أي القضاء ـ في القاهرة.

٤ ـ وتولى أيضاً نظر الأوقاف بها إلى أن مات.

وهذان المنصبان الأخيران يدلان على قوة السمين في الناحية الفقهية فقد تولى القضاء بالنيابة في عاصمة الدولة الإسلامية في وقته، ويؤيد ذلك أن الأسنوي قد مدحه بأنه كان «فقيهاً»[1] ويؤكد ذلك أيضاً كتابه «أحكام القرآن» وهو تفسير خاص تناول فيه الحديث عن آيات الأحكام على المذهب الشافعي.

---

(١) انظر: طبقات الأسنوي ٢/ ٥١٣.

كما أننا نتلمَّس من ولايته لهذين المنصبين أنه قد حظي بمكانة عند الحكام.

أما العلوم التي برز فيها[1] فهي:

١ ـ **القراءات**: ويشهد له بذلك توليه تدريسها في جامع ابن طولون.

كما أن له شرحاً للشاطبية امتدحه العلماء، وكتاب «الدر» ـ موضوع بحثنا ـ شاهد له بقوة علمه في القراءات فهو مليء بالقراءات وتخريجاتها.

٢ ـ **النحـــو**: ويشهد له ـ أيضاً ـ توليه تدريسه في جامع ابن طولون، ويؤكد سعة علمه فيه كتابه الدر المصون، وشرحه للتسهيل.

٣ ـ **التفسير**: ويشهد له بذلك كتابه الذي يسميه: التفسير الكبير، وكذلك الدر المصون فيه إشارات تفسيرية هامة.

٤ ـ **اللغـة**: ويشهد له بذلك كتابه: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.

٥ ـ **الفقـه**: وكتابه في أحكام القرآن شاهد على ذلك، وكذلك توليه القضاء نيابة عن القاضي في القاهرة.

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٥١٣) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ١٨ والدرر الكامنة لابن حجر ١/ ٣٦٠.

المبحث الثالث

شيوخه

لم تذكر لنا كتب التراجم شيوخ السمين الذين تلقى عنهم في حلب، إذ أن هذه الفترة من حياته مجهولة ـ كما أسلفت ـ.

وقد ذُكر لنا شيوخه الذين تلقى عنهم في مصر وهم:

١ ـ **أبوحيان**: أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي، وقد أخذ السمين عنه علم النحو، وتأثر به في الدر كثيراً.

٢ ـ **تقي الدين الصائغ**: هو محمد بن أحمد بن عبدالخالق تقي الدين أبوعبدالله الصائغ المصري الشافعي. وُلد سنة ٦٣٦هـ. وقرأ القراءات على كمال الدين بن فارس[١]، وابن شجاع الضرير[٢] وابن ناشرة[٣]، تصدر للإقراء وازدحم عليه الطلاب لعلو سنده وكثرة مروياته وأقرأ بمدرسته الطيبرسية بمصر والجامع العتيق.. قرأ عليه خلق كثير. توفي بمصر في الثامن عشر من شهر صفر سنة ٧٢٥هـ[٤]. وقد قرأ السمين عليه القراءات.

٣ ـ **العشّاب**: أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي المعروف بالعشاب

---

(١) إبراهيم بن أحمد بن فارس أبوإسحاق التميمي الأسكندري الأصل ثم الدمشقي ولد سنة ٥٩٦هـ. قرأ على الكندي، وقرأ عليه خلق كثير منهم ابن القصاع وابن الصائغ وغيرهما. توفي سنة ٦٧٦هـ (طبقات القراء ١/ ٦).

(٢) علي بن شجاع كمال الدين أبوالحسن الهاشمي العباسي الضرير الشافعي صهر الإمام الكبير الشاطبي. ولد سنة ٥٧٢هـ. قرأ على الشاطبي. وانتهت إليه رئاسة الإقراء. توفي سنة ٦٦١هـ. (طبقات القراء ١/ ٥٤٤).

(٣) عبدالرحمن بن مرهف بن ناشرة تقي الدين أبوالقاسم الناشري الشافعي، مقرىء حاذق، عارف، متقن ولد سنة ٥٨٠هـ. وأخذ القراءات عن أبي الجود. وتصدر بالجامع العتيق. توفي سنة ٦٦١هـ. (طبقات القراء ١/ ٣٧٩).

(٤) انظر: طبقات القراء ٢/ ٦٥.

إمام، مقرىء، ثقة. روى القراءات عن عبدالله بن يوسف الشبارتي[1]، وروى عنه ابن اللبان[2] وعبدالوهاب القروي[3]، ألّف كتاباً صغيراً في التفسير وكتاباً في المعاني والبيان. توفي سنة ٧٣٦هـ[4]. وقد رحل السمين إليه في الإسكندرية وأخذ عنه القراءات.

٤ ـ **يونس الدَّبُّوْسِي**: المُسْنِد أي ـ المحدث بالإسناد ـ أبوالنون يونس بن إبراهيم بن عبدالقوي بن قاسم الكناني العسقلاني[5]. وقد أخذ السمين عنه علم الحديث.

أما تلاميذه: فلم يذكر المترجمون عنهم شيئاً، مع أنه قد تصدر لتدريس القراءات والنحو في جامع بن طولون، ولا شك أن جموع الطلاب قد توافدت عليه.

---

(١) عبدالله بن يوسف المعافري المعروف بالشُبارتي مقرىء مشهور، أخذ القراءات عن الحصار. وقرأ عليه العشاب وغيره. توفي بعد الستين وستمائة (طبقات القراء ١/ ٤٤٦).

(٢) محمد بن أحمد بن جامع أبوالمعالي ابن اللبان. أستاذ، محرر، ضابط. ولد سنة ٧١٥هـ قرأ على أحمد بن نحلة وأبي حيان. ولي مشيخة الإقراء بالدار الشرفية وغيرها. توفي سنة ٧٧٦هـ (طبقات القراء ٢/ ٧٢).

(٣) عبدالوهاب بن محمد بن أسد أبومحمد القروي الإسكندري. مقرىء، صالح، ثقة. ولد سنة ٧٠٢هـ. وتوفي سنة ٧٨٨هـ. (طبقات القراء ١/ ٤٨٢).

(٤) انظر: طبقات القراء (١/ ١٠٠).

(٥) انظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لشمس الدين محمد القيسي ٤/ ٢١.

المبحث الرابع

عقيدته ومذهبه الفقهي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدته:

من خلال استقرائي للدر المصون وقفت على تأويل السمين لبعض آيات الصفات على مذهب الأشاعرة.

فقد أوَّل صفة الغضب: بأنه إرادة الانتقام[1]، وأوَّل صفة المجيء والإتيان[2] لله عزوجل بأن المراد بها إتيان أمره أو عقابه أو قدرته. وأوَّل صفة الساق[3] ونفى صفة العجب عن[4] الله. ونفى صفة العلو[5]...

وهو بتأويله لتلك الصفات قد وافق مذهب الأشاعرة في الاعتقاد. وسيأتي تفصيل ذلك في حديثي عن موقفه من آيات العقائد. فعقيدة السمين في باب الأسماء والصفات عقيدة أشعرية.

---

(١) انظر: الدر المصون ١/ ٧٦.
(٢) انظر: الدر المصون ٢/ ٣٦٣.
(٣) انظر: الدر المصون ١٠/ ٤١٦.
(٤) انظر: الدر المصون ٢/ ٢٤٤.
(٥) انظر: الدر المصون ١٠/ ٣٨٩.

المطلب الثاني

مذهبه الفقهي

السمين شافعي المذهب، فقد ترجم له الأسنوي[1] في طبقات الشافعية. وكذلك ابن قاضي شهبة[2] في «طبقات الشافعية».

وقد وردت إشارة عند السمين في الدر المصون تدل على انتمائه للمذهب الشافعي وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾[3] فقد ذكر أن الشافعي فسرها بمعنى: يكثر عيالكم، ثم ذكر أن هناك من ردّ عليه ذلك التفسير، وقد تعقب السمين أولئك في ردهم على الشافعي ودافع عنه»[4].

---

(١) وقد شرط الأسنوي في كتابه ألا يُترجم إلا لمن علم تقليده للمذهب الشافعي فقال في مقدمة كتابه: «إلا أني لا أذكر غالباً إلا من علم تقليده للشافعي...» ١/ ٧.

(٢) أبوبكر أحمد الأسدي الدمشقي. فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها. اشتهر بابن قاضي شهبة. توفي سنة ٨٥١هـ. (شذرات الذهب ٧/ ٢٦٩).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

(٤) الدر المصون ٣/ ٥٦٨ ـ ٥٧٠.

المبحث الخامس
آثاره العلمية

لقد خلَّف السمين تَرِكةً عظيمة من المؤلفات في فنون: التفسير، والقراءات، والنحو، واللغة. تدل على سعة علمه وعمقه وشموله.

أ ـ مؤلفاته في تفسير القرآن وإعرابه:

١ ـ التفسير الكبير: وهو تفسير مطول في عشرين مجلداً. ويسميه السمين في أكثر من موضع من الدر المصون بـ: التفسير الكبير. وقد اطلع على هذا التفسير الإمام ابن حجر فقال في ترجمة السمين: «وله تفسير القرآن في عشرين مجلداً رأيته بخطه»[(١)].

أما وقت تأليفه: فقد وردت إشارات في «الدر المصون» تُومىء إلى أنه ألّفه قبل الدر، بدليل أنه يحيل إليه في بعض المسائل. فقد أحال إليه عند حديثه عن تفسير قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[(٢)] وذلك في مناقشة المعتزلة في قولهم أن «جعل» هنا بمعنى: خلق.. فقال: «وللبحث فيه موضع غير هذا تعرضت له في التفسير الكبير»[(٣)].

وعند حديثه عن كيفية الطعام المراد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾[(٤)] قال: «وكيفيته مذكورة في «التفسير الكبير»[(٥)]».

٢ ـ البحر الزاخر في التفسير:

وقد ذكره السمين في «عمدة الحفاظ» فقال: «وقد ذكرت توجيه القراءات

---

(١) انظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٦١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٣) الدر المصون ٤/ ٣٢٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٥) الدر المصون ٤/ ٤٥٠.

في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1] وما ترجح به كل قراءة في الدر المصون، والبحر الزاخر في التفسير»[2].

٣ ـ القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز.

ويختصر المترجمون اسم هذا الكتاب فيطلقون عليه: «أحكام القرآن»، ويبدو أنه ألّفه قبل كتابه «العمدة» حيث إنه أشار إليه عند مادة «السحر»[3].

يقول الدكتور الخرّاط: «ويقع هذا الكتاب في عشرة مجلدات، منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٢٦١ تفسير. وهو غير تفسيره المطول الذي في عشرين مجلداً، لأجل التفاوت في كمية الكتابين ولأن المترجمين للسمين نصوا على الكتابين كلٌ باسمه».

ويضيف الخراط قائلاً: «يبدو أن الثاني ـ أي أحكام القرآن ـ مختصر للأول»[4]. وكان السمين يحيل على هذا الكتاب في المسائل الفقهية[5].

٤ ـ الدر المصون[6]:

وهذا الكتاب الذي أقوم بدراسة منهج السمين في التفسير من خلاله. وسأفرده ـ فيما بعد ـ بحديث خاص.

ب ـ مؤلفاته في القراءات:

للسمين شرح للشاطبية «حرز الأماني» سمّاه: العقد النضيد في شرح

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ١٢٧.

(٣) انظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٢٠٣.

(٤) انظر: مقدمة التحقيق ص١٨.

(٥) انظر ذلك في: الدر المصون ١٠/ ٢٢٦.

(٦) الكتاب حققه الأستاذ الدكتور/ أحمد الخراط تحقيقاً علمياً رصيناً خرج في أحد عشر مجلداً ضخماً، وقرر الخراط أن تحقيقه هذا قد سُرِق من قبل علي معوض وزملائه ونشروه في ستة مجلدات، ذكر ذلك في مقال له بعنوان: «سلام على التراث» وألحق هذا المقال في المجلد الحادي عشر من الدر المصون.

القصيد. ولهذا الشرح قيمة علمية عالية إذ أثنى عليه العلماء وعلى رأسهم الإمام ابن الجزري حيث قال عنه: «لم يُسبق إلى مثله»[1] وقال عنه حاجي خليفة: «إنه أحسن ما وضع في هذا الفن»[2].

والكتاب لايزال مخطوطاً[3]، منه نسخة بدار الكتب المصرية، مصورة على ميكروفيلم برقم (٧٣٥٤) وقد اطلعت على الجزء الأول منه، وهو يتكون من (٢١٠) صفحة، كل صفحة من وجهين[4]. وأوله: «الحمد لله الذي تفضل على عباده في المبدأ والمعاد...».

وذكر السمين أن الدافع لتأليفه أنه رأى في أفضل شرحين[5] للشاطبية ـ كما يقول ـ نقصاً فأحب أن يشرحهما شرحاً وافياً.

وقد ذكر في المقدمة منهجه فقال: «فرأيت أن أشرح الكتاب بما يوفى المقصود واجتهدت في فك الرموز، وبيان إعراب الأبيات، وتوجيه المشكل من القراءات، وتفسير غريب اللغات، وبيان معاني الألفاظ، وما تضمنه من بديع وبيان..»[6].

أما زمن تأليفه: فقد نص في المقدمة أنه ألّفه بعد «الدر المصون»[7].

جـ ـ مؤلفاته في غريب القرآن:

ألّف السمين في غريب القرآن كتاباً شاملاً أوسع من مفردات الراغب هو:

---

(١) انظر: طبقات القراء ١/ ١٥٢.

(٢) انظر: كشف الظنون ١/ ٦٤٨.

(٣) كان الكتاب كما ذكرت في وقت كتابة هذا البحث مخطوطا، وقد حقق في رسائل علمية في جامعة أم القرى، ونشر بعض أجزائه، فقد نشر د. أيمن سويد عام ١٤٢٢هـ الجزء الذي حققه إلى نهاية باب الإمالة.

(٤) وهذا الجزء اطلعت عليه عند الدكتور الخراط.

(٥) وهما: شرح أبي عبدالله الفاسي، وشرح أبي شامة.

(٦) المخطوطة، الورقة رقم (١).

(٧) المرجع السابق.

«عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ».

وقد رتبه بحسب تسلسل الأحرف الهجائية للحرف الأول فالثاني فالثالث. فكان يتناول اللفظة القرآنية ويشرح معانيها كما وردت في القرآن، ثم يُتبع ذلك بتقلبات اللفظة واشتقاقاتها. واستعمالاتها ويستشهد على ذلك بالشواهد الشعرية والنثرية ثم يذكر معاني الكلمة في الحديث. وقد حقق الكتاب الدكتور/ محمد التونجي وخرج في أربعة مجلدات.

د ـ مؤلفاته في النحو:

١ ـ إيضاح السبيل إلى شرح التسهيل:

وقد أشار إليه السمين في الدر المصون. وذلك عند حديثه عن أحد المسائل النحوية إذ قال: «وقد اتقنا هذا كله في «إيضاح السبيل إلى شرح التسهيل»[١]. وهذا الكتاب لايزال مخطوطاً[٢].

٢ ـ شرح التسهيل:

وقد أشار إليه السمين في الدر وسماه بـ«الشرح الكبير للتسهيل»[٣]، ويبدو من إشاراته هذه أنه ألّفه قبله.

يقول د/ الخرّاط: «يبدو أن له شرحين على التسهيل أحدهما كبير، والثاني مختصر وهو الذي أشار إليه الداوودي[٤] ووصفه بأنه اقتبسه من شرح أبي حيان. وهذان الشرحان لم يصل إلينا منهما شيء»[٥].

---

(١) انظر: الدر المصون ٨/ ١٤٢.

(٢) ذكر د/ محمد التونجي أن لديه منه (٢٣٨) ورقة.

(٣) انظر: الدر ٣/ ٥٠٧، ٤/ ٢٨، ٣٩، ٣٦١، ٣٧٤، ٤٥١، ٧/ ٢٤٠، ٢٤٣، ٨/ ٥٦٧، ١٠/ ٧٧٩.

(٤) انظر: طبقات المفسرين ١/ ١٠٠. وقبله ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين (مخطوط، ورقة ١٠٩).

(٥) انظر: مقدمة د/ الخراط ص١٨.

هـ ـ مؤلفاته في الأدب:

للسمين شرح لمعلقة النابعة «يادارميّة» وقد ذكرها في كتابه «العمدة» فقال: «وقد حققنا هذا في شرح هذه القصيدة المذكورة في مصنف مفردٍ كثير الفوائد»[1].

وهناك كتاب للسمين لم أستطع تصنيفه لأنه مبهم الموضوع. واسم هذا الكتاب: المعرب. وقد ذكره بروكلمان. وذكر أن له نسخة في مكتبة داماد زاده باستانبول برقم ٣١٠[2].

---

(١) ذكره د/ محمد التونجي في مقدمته لتحقيق العمدة ١/ ٢٥.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي ٢/ ١١١.

الـدر المصـون

اسمه: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، وذلك كما أثبته الدكتور/ الخراط عن نسخة المؤلف التي بخطه[1]. ويسميه كُتّاب التراجم: إعراب القرآن نظراً لغلبة الإعراب عليه.

زمن تأليفه: ألّفه السمين في حياة شيخه «أبي حيان»، وانتهى من تأليفه سنة ٧٣٤هـ.

موضوعه: دراسة القرآن الكريم من حيث إعرابه، وتوجيه قراءاته المتواترة والشاذة، وتفسيره.

الهدف من تأليفه: أبان السمين عن هدفه من تأليفه للدر المصون، فبعد أن ذكر أن القرآن الكريم لم ينزل ليُتلى فقط «وليس المراد حفظه وسرده من غير تأمل لمعناه ولا تفهم لمقاصده»[2].

بين السمين هدفه والذي هو: خدمة القرآن الكريم وبيان معانيه من خلال العلوم الخمسة التي تساعد على فهمه ومعرفة معانيه وتفهم مقاصده وهي: الإعراب والتصريف واللغة والمعاني والبيان، وذلك ببحث هذه العلوم الخمسة متصلة؛ لما بينها من اتصال شديد وترابط قوي، إذ أن بحثها مجتمعة يخدم فهم القرآن بصورة متكاملة وواضحة.

---

(١) انظر: مقدمة الخراط في تحقيق الكتاب ص١٧.

(٢) الدر المصون ١/ ٣.

منهجــه: تحدث السمين عن المنهج الذي سيسلكه في الدر المصون في مقدمة كتابه فمن خلال هذه المقدمة ومن خلال استقرائي للدر يمكن أن نلخص منهجه في النقاط التالية:

١ ـ جمع أطراف العلوم الخمسة ـ التي ذكرها ـ وهي: الإعراب، والتصريف، واللغة، والمعاني، والبيان، من كتب القوم.

وهذه إشارة واضحة إلى أن طبيعة الجمع للأقوال ستسيطر على كتابه، وهذا واضح لمن يقرأ في الدر.

٢ ـ اهتم بنسبة الأقوال التي يذكرها لأصحابها في غالب أمره.

٣ ـ إذا تعرض لمسألة فإنه لا يخرج منها إلا وقد وفّاها حقها من البحث والدراسة.

٤ ـ مناقشة الأقوال والآراء التي يذكرها مناقشة علمية منضبطة.

٥ ـ اهتم بالترجيح وذلك بعد مناقشة الآراء فهو يخلص بمذهب يرتضيه بناءً على المختار عند أهل الصناعة.

٦ ـ إذا تعرض لمسألة نحوية أو صرفية فإنه يفيض في شرحها، وقد يحيل إلى بعض كتبه المتخصصة في الموضوع المراد بحثه كشرح التسهيل، أو شرحه للشاطبية أو تفسيره الكبير.

٧ ـ اهتم اهتماماً واضحاً بالقراءات المشهورة والشاذة منسوبة لأصحابها واعتنى بتوجيهها، والدفاع عنها ضد الطاعنين فيها.

٨ ـ قد يذكر بعض الأقوال الضعيفة أو الغريبة للتنبيه عليها.

٩ ـ اعتنى بالإشارات البلاغية وأبرز بلاغة الأسلوب القرآني في كثير من الإشارات والوقفات البلاغية.

١٠ ـ اعتنى بمناقشة كثير من العلماء، وعلى رأسهم شيخه أبي حيان فقد ناقشه مناقشات مطولة واستدرك عليه في تعقبه لبعض العلماء وخاصة الزمخشري. وناقش أيضاً: ابن عطية، والزمخشري، والمهدوي، ومكي، والنحاس.

وتتبع أكثر أقوال العكبري التي في كتابه «التبيان» وردّ كثيراً منها.

١١ ـ تميز في كل ذلك بحسن الترتيب والدقة في التنظيم وكانت طريقته في كتابه هذا متميزة جداً. إذ كان يتناول القرآن آية آية، فيتحدث عن كل آية على حدة من حيث اللغة والصرف والاشتقاق والقراءات والإعراب والمعنى.

١٢ ـ اهتم بمعالجة كل آية ـ تقريباً ـ في السور الأوائل كالبقرة وآل عمران ـ بخاصة ـ والنساء والمائدة والأنعام إلى أن وصل إلى نصف القرآن. واستغرق ذلك نحو سبعة مجلدات وقد أخذ النصف الآخر من القرآن أربعة مجلدات تقريباً.

الدراسات السابقة عند الدر المصون:

حظي الدر المصون باهتمام العلماء والباحثين بالدرس والمناقشة ومن تلك الدراسات:

١ ـ ألّف بدر الدين الغزي[١] كتاباً أسماه: «الدر الثمين في بعض ما ذكره أبوحيان وعارضه فيه السمين» وقد انتصر فيه لأبي حيان وردَّ على اعتراضات السمين عليه.

٢ ـ ذكرت الدكتورة/ خديجة الحديثي أن في الخزانة التيمورية رسالة عنوانها: «ردّ على اعتراضات أبي حيان للسمين» وهي رسالة تتعلق بأجوبة السمين الحلبي عن اعتراضات أبي حيان على مواضع من الكشاف. ألّفها العلامة علي جلبي قنالي زادة المعروف بابن الحنائي[٢] المتوفي سنة ٩٧٩هـ. وهي برقم ٣٨٥[٣].

٣ ـ وقد قام د/ أحمد الخراط بكتابة دراسة عن الدر المصون وهي دراسة علمية رصينة قدّم بها لتحقيقه للكتاب.

٤ ـ سُجِّل الدر المصون في رسائل علمية في جامعة الإمام في تخصصات مختلفة:

أ ـ فقد سجلت فيه أربع رسائل في كلية اللغة العربية، اثنتان في قسم النحو والصرف واثنتان في قسم البلاغة. أما التي في قسم النحو والصرف فهما:

١ ـ اعتراضات السمين النحوية والتصريفية للزمخشري في «الدر المصون» جمعاً ودراسة وتقويماً. للباحث/ عبدالله بن عيسى الجعفري. بإشراف د/ عبدالرحمن العمار.

---

(١) بدر الدين الغزي الشافعي. تولى عدة مناصب مع التدريس والإفتاء. من تآليفه: التيسير في التفسير وشرح شواهد التلخيص للقزويني وغيرهما. توفي سنة ٩٤٨هـ (البدر الطالع ٢/ ٢٥٢).

(٢) هو علي جلبي بن أمر الله بن الحنائي. حنفي. تولى القضاء بالشام توفي سنة ٩٧٩هـ (المستدرك على معجم المؤلفين ٤٧٤).

(٣) انظر: أبوحيان النحوي، د/ خديجة الحديثي ص٥٢٥.

٢ ـ اختيارات السمين الحلبي النحوية في كتابه «الدر المصون» جمعاً ودراسة وتقويماً للباحث محمد عبدالصمد خبير الدين. بإشراف د/ عوض الجهاوي.

وأما التي في قسم البلاغة فهما:

١ ـ مسائل البيان في كتاب «الدر المصون» في علوم الكتاب المكنون» للسمين الحلبي دراسة وتقويماً. للباحث/ هارون المهدي ميغا.

٢ ـ مسائل علم المعاني في كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي دراسة وتقويماً. للباحث/ صالح بن أحمد العليوي. وكلتا الرسالتين بإشراف د/ صالح الزهراني.

وسجلت رسالة في الجامعة الإسلامية بعنوان: المناقشات التي جرت بين السمين وأبي حيان للباحث عبدالله الطريقي.

٥ـ وتعرض بعض الباحثين في رسائلهم ومقالاتهم للحديث عن بعض الجوانب في الدر المصون. فقد تعرض الباحث/ أحمد جبريل في رسالته «اتجاهات المفسرين في توجيه القراءات» لتوجيه القراءات عند السمين. وهذه الرسالة نال بها درجة الدكتوارة في قسم القرآن بجامعة الإمام عام ١٤١٢هـ، بإشراف د/ عبدالعزيز إسماعيل.

وتعرض الباحث/ إحسان مصطفى الطاهر في مقالته «علم إعراب القرآن» للدر المصون[١].

(١) مقالة نشرت في مجلة رابطة العالم الإسلامي عدد (٣٥٧) ص٣٩.

البـــاب الثـــاني

مصـــادره

وفيـــه ثلاثـــة فصـــول:

الفصل الأول : **مصادره من كتب التفسير والقراءات.**

الفصل الثاني : **مصادره من كتب إعراب القرآن والغريب.**

الفصل الثالث: **مصادره من كتب النحو واللغة.**

الفصـــل الأول

مصادره من كتب التفسير والقراءات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : **مصادره من كتب التفسير.**

المبحث الثاني : **مصادره من كتب القراءات.**

المبحث الأول
مصادره من كتب التفسير

وهي قســـمان:

القسم الأول: **المصادر الأساسية. وهي:**

١ ـ **البحر المحيط** ـ لأبي حيـــان.

٢ ـ **الكشاف** ـ للزمخشـــري.

٣ ـ **المحرر الوجيز** ـ لابن عطـــية.

١ـ البحـر المحيـط
لأبي حيـان

أولاً: التعريف بالكتاب ومؤلفه:

التعريـف بالمؤلـف:

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبوحيان الأندلسي نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. وُلد سنة ٦٥٤هـ. أقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وأفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً، كان ثبتاً قيّماً عارفاً باللغة، وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وله اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم، ولاسيما المغاربة، وأقرأ الناس قديماً وحديثاً، وألحق الصغار بالكبار، وصار تلامذته أئمة وأشياخاً في حياته. . . » اهـ.

من تصانيفه: البحر المحيط، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ومطول الارتشاف ومختصره، وغيرها كثير. توفي سنة ٧٤٥هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعَدُّ البحر المحيط المرجع الأول لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، لأن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث. ومع غلبة الصناعة النحوية عليه إلا أن أبا حيان تعرض للمعاني اللغوية للمفردات، وذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، واهتم بذكر القراءات المتواترة والشاذة، مع توجيهها، كما أنه لم يغفل النواحي البلاغية في القرآن. ولم يهمل الأحكام الفقهية

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ٧٠ وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠.

عند حديثه عن آيات الأحكام.

وقد أبان أبوحيان عن خطته ومنهجه في مقدمة كتابه ببيان شافٍ. وقد اعتمد أبوحيان في كتابه هذا على الزمخشري وابن عطية وناقشهما كثيراً، وعلى كتاب شيخه ابن النقيب: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير[1].

ثانياً: إفادة السمين من أبي حيان:

السمين تلميذ أبي حيان، ومن عادة التلميذ أن يفيد من شيخه الذي تعلم على يديه، وكذا كان السمين فقد أفاد من شيخه أبي حيان في الدّر كثيراً. ونقل عنه في كثير من المواضع، حتى قال بعضهم: «إن الدّر نسخة من البحر»، وإن كان في هذه المقولة شيء من المبالغة والتَّزيُّد إلا أنها تشير إلى تأثير السمين بشيخه في كتابه.

وكأنني أتصور أن السمين وهو يؤلف كتابه «الدر» كانت بين يديه نسخة كاملة من كتاب شيخه «البحر» فكان يطالع فيها وينقل عن شيخه فيغوص في البحر ويستخرج منه الدّرر وينثرها على صفحات كتابه الذي يؤلفه في إعراب القرآن.

وقد أفاد منه في عدة مجالات:

١ ـ في القـــراءات:

فقد نقل السمين عن شيخه كثيراً من القراءات المتواترة والشاذة، ونقل عنه أيضاً تخريجها، فكان البحر من المصادر الهامة للسمين في القراءات ذِكْراً وتخريجاً.

٢ ـ في الإعـــراب:

حيث نقل عنه كثيراً من أقواله في إعراب الآيات.

٣ ـ في اللغـــة:

نقل عنه في الجانب اللغوي في بيان المعاني اللغوية، وإن كان السمين تفوق

---

(١) التفسير والمفسرون د/ الذهبي ١/ ٣١٨.

على شيخه في هذا الجانب، وفي الاشتقاق والصرف، وفي ذكر لغات القبائل. ونقل عنه أيضاً كثيراً من الشواهد الشعرية. وإن كان السمين قد ذكر شواهد لم يذكرها شيخه، كما سيأتي توضيحه.

ثالثاً: طرق نقله عنه:

تنوعت طرق السمين في نقله عن شيخه، فكان يصرح بالنقل عنه أحياناً، ويُبهم أحياناً. وفي الغالب أنه ينقل عنه ولا يشير إليه، فلا يلتزم الأمانة العلمية مع شيخه. ولعل عذره في ذلك كثرة النقول التي ينقلها عنه. فكانت طرق نقله عنه ثلاثاً هي:

١ ـ النقل مع التصريح بالنقل عنه.

فيقول: قال الشيخ[١]. وأمثلة هذا النوع كثيرة.

٢ ـ النقل مع الإبهام:

فيقول: «قال بعضهم»، أو: «قيل». أو: «قال قوم». ومن أمثلة هذا:

عند التفريق بين «كسب واكتسب» في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٢]، قال السمين ـ بعد أن ذكر أن هناك من فرّق بينهما ـ: «وقال بعضهم[٣]: لا فرق، وقد جاء القرآن بالكسب والاكتساب في مورد واحد. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[٧]، فقد استعمل الكسب والاكتساب في

---

(١) انظر مثال ذلك في [٢/ ١٤٣].

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٣) وهو أبوحيان، انظر: البحر المحيط [٢/ ٣٨١].

(٤) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨١.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

الشر»[1].

٣ ـ النقل دون إشارة إلى شيخه:

وهذه الطريقة ـ كما أسلفت ـ من أكثر الطرق التي سلكها السمين في التعامل مع كتاب شيخه. فتجده ينقل عن شيخه حتى طريقة عرضه لأقوال العلماء وذكر أسمائهم، وهذا منهج لم ينفرد به السمين فكثير من كتب التفسير بهذه الطريقة، تجد المتأخر ينقل عن المتقدم ولا يشير إلى ذلك.

٤ ـ الزيادة على ما ينقله عنه:

قد ينقل السمين عن أبي حيان ويضيف إلى كلامه إما شرحاً لمجمل أو توضيحاً لمبهم.

ومن أمثلة شرح السمين وتفصيله لما أجمله شيخه، عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[2]. فقد نقل عن شيخه قوله: «وحذف خبر كان» لا يجيزه أصحابنا لا اختصاراً ولا اقتصاراً لِعلّةٍ ذكرها في النحو[3].

قال السمين: «والعلة التي أشار إليها الشيخ هي: أن الخبر تأكد طلبه من وجهين: أحدهما: كونه خبراً عن مخبر عنه. والثاني: كونه معمولاً للفعل قبله فلما تأكدت مطلوبيته امتنع»[4].

ـ وقد ينقل عن شيخه مضمون كلامه ثم يرتبه ويضيف إليه تقعيداً وتأصيلاً. ومثال ذلك: عند ردّه لإعراب مَنْ قال: إن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ نَزَّلَهُمْ﴾ جواباً

---

(١) الدر المصون [٢/ ٦٩٩ـ٧٠٠]. لمزيد من الأمثلة انظر: الدر [١/ ١٢٤، ١٣٧، ١٥٤، ١٦٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٨، ٢٩٢، ٣٠٠][٢/ ٥٥، ١١٧].
ومن أمثلة إبهامه بلفظ «قيل» ما أورده في ١/ ٢٠٧.
ومن أمثلة إبهامه بلفظ «قال قوم» ما أورده في ٢/ ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٣٥٤.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٤٤.

للشرط في قوله ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾[1]، حيث قال السمين: «ولا جائز أن يكون ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ للشرط لوجهين؛ أحدهما من جهة المعنى، والثاني من جهة الصناعة، أما الأول: فلأن فعل التنزيل متحقق المعنى، والجزاء لا يكون إلا مستقبلاً، ولقائل أن يقول: هذا محمول على التبيين، والمعنى فقد تبين أنه نزله، كما قالوا في قوله: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾[2] ونحوه.

وأما الثاني: فلأنه لابد في جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط، فلا يجوز «يقم فزيد منطلق»، ولا ضمير في قوله: ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ يعود على «مَنْ» فلا يكون جواباً للشرط، وقد جاءت مواضع كثيرة من ذلك، ولكنهم أوّلوها على حذف العائد..»[3].

وهذا الرد الذي ذكره السمين هنا ذكره شيخه[4]، ولكن السمين أضاف إلى ذلك ترتيب كلامه وتأصيله، وجعله من وجهين، أحدهما من جهة المعنى، والآخر من جهة الصناعة.

رابعاً: هل الدر المصون نسخة من البحر المحيط؟

هذا السؤال يتردد كثيراً على ألسنة المطالعين للبحر والدّر، وبنظرةٍ عجلى قد يحكم البعض بأن الدر المصون نسخة من البحر المحيط، ولكن هذا الحكم حكمٌ غيرُ علميٍّ، فيه نظر. لذا كان لزاماً عليَّ أن أبين هذه الحقيقة إحقاقاً للحق، وإنصافاً للسمين.

فأقول: إنه ما من شكٍ أن التلميذ يتأثر بشيخه وتظهر لمساته على تآليفه ومنهجه بل وسلوكه ـ أحياناً ـ، وهذا ما حدث بين السمين وشيخه أبي حيان فقد أفاد منه كثيراً واصطبغ بصبغته ونقل عنه كثيراً في الدر. ويبين الدكتور أحمد محمد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٦.
(٣) الدر المصون ٢/ ١٧.
(٤) البحر المحيط ١/ ٤٨٨.

الخرّاط سبب هذا التأثر فيقول: «أما عن أسباب هذا التأثر فنراها في النقاط التالية:
١ ـ تلمذة السمين الطويلة على أبي حيان فقد عاصره وأفاد منه.
٢ ـ اتخاذ السمين لموقف الالتزام الذي كان أبوحيان على رأسه.
٣ ـ وحدة طبيعة العمل الذي قام به التلميذ وأستاذه، فالاثنان يدرسان القرآن الكريم، ومادته، ومن الطبيعي أن يفيد الخلف من السلف في ذلك[١].

ومع كل ذلك التأثر فقد ظهرت شخصية السمين جليّة في كتابه «الدّر» من خلال استقلاله في مصادره ومنهجه ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ، ومن خلال مناقشته لشيخه واستدراكاته عليه. وقد أشاد العلماء منذ القدم بقيمة هذه المناقشات العلمية وصحتها في كثير من المواضع فقال ابن حجر في معرض حديثه عن كتاب السمين «الدر»: «. . . صنّفه في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة غالبها جيدة»[٢].

وقد ظهر استقلال السمين عن شيخه ـ أيضاً ـ من خلال تتبعه لاستدراكات شيخه على بعض العلماء والمعربين والمفسرين وتعقبه في ذلك. ومن خلال استقرائي للدر ومقارنته بالبحر ظهر لي ذلك واضحاً جلياً كوضوح الشمس في رابعة النهار بما لا يقبل الجدل والشك.

وقد قمت بتقسيم هذه المسألة إلى عدة فقرات قارنت فيها بين الدر والبحر، وأثبتُّ استقلال السمين عن شيخه في عدة أمور أذكرها إجمالاً ثم أتعرض لدراستها بالتفصيل مُدعِّماً كل ذلك بالأمثلة والبراهين.

وهذه الأمور التي ظهر من خلالها استقلال السمين هي:

أولاً: الاختلاف في طريقة العرض.

---

(١) الدر المصون ـ مقدمة المحقق ١/ ٨٠.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ١٣٦، وقد أكد ذلك أيضاً ابن قاضي شهبة في (طبقات الشافعية ٣/ ١٨)، وفي (طبقات النحاة ـ مخطوط ـ الورقة ١٠٩) حيث يقول: «ومادته ـ أي الدّر ـ من تفسير شيخه أبي حيان إلا أنه زاد عليه وناقشه في مواضع مناقشة حسنة».

ثانياً: استقلاله في مصادره.

ثالثاً: استقلاله في منهجه: وقد ظهر ذلك جلياً في الجوانب التالية:

١ ـ الدلالة اللغوية.

٢ ـ التأصيل اللغوي.

٣ ـ الفروق اللغوية.

٤ ـ اللهجات العربية.

٥ ـ الشـــواهد.

٦ ـ الإعـــراب.

٧ ـ البلاغـــة.

٨ ـ القـــراءات.

رابعاً: استقلاله في ترجيحاته واختياراته ومناقشاته.

خامساً: تفرده ببعض المباحث المطولة.

سادساً: توسعه في طرح بعض المسائل.

سابعاً: مناقشته لشيخه واستدراكاته عليه في الجوانب التالية:

١ ـ النقل.

٢ ـ الاشتقاق والصرف.

٣ ـ اللغة وبيان المعاني اللغوية.

٤ ـ النحو والإعراب.

٥ ـ البلاغـــة.

٦ ـ القـــراءات.

٧ ـ التفســـير.

٨ ـ ذكر بعض الأقوال الضعيفة.

٩ ـ التناقض في بعض الأقوال.

١٠ ـ إطلاق بعض الألفاظ.

ثامناً: تعقبه لاستدراكات شيخه على بعض العلماء من نحاة ومفسرين.

أولاً: الاختلاف في طريقة العرض:

يختلف عرض السمين للمسائل وتناوله للآيات وتفسيرها عن طريقة شيخه. **وطريقة السمين** هي: أنه يبدأ بذكر ألفاظ الآية. فيذكر اللفظة القرآنية ثم يعالجها من جانب التأصيل اللغوي، ثم يبين معناها في اللغة ويستشهد على كل ذلك بالقرآن والحديث وما ورد من أشعار العرب. ثم يذكر القراءات الواردة فيها ذكراً مجملاً، ثم يشرع في تفصيل تلك القراءات وتخريجها وإعرابها. ولا ينتقل من تلك الآية حتى يشبعها بحثاً بحيث لا يعود إليها مرة أخرى، وهذه الطريقة التي سلكها السمين طريقة علمية، وترتيبها ترتيب منطقي.

بينما طريقة شيخه تقسيم السورة إلى مقاطع، ثم يذكر المقطع ويبدأ بشرحه ببيان الاشتقاق والصرف واللغة. ثم بعد ذلك يشرع في ذكر الإعراب والقراءات والفقه وأسباب النزول. وقد تجده في أثناء ذلك يتحدث عن معنى الكلمة من ناحية اللغة ويذكر اللغات الواردة فيها، أو يتذكر شيئاً في صرف الكلمة لم يذكره سابقاً فيبسطه في هذا الموضع. وبالتالي فطريقة السمين أكثر دقة وأفضل ترتيباً وتنظيماً من طريقة شيخه.

*** تميُّز السمين بحسن الترتيب والتنظيم في طرح المسائل ومناقشة الموضوعات حيث إنه لا ينتقل من مسألة حتى يفرغ منها تماماً ولا يعود إليها:**

ومثال ذلك: تناوله المسائل التي في البسملة من تعريفات وخلافات واشتقاق... بترتيب وموضوعية كما يلي:

١ ـ تحدَّثَ أولاً عن هذا المصدر «بسمل». وبين معنى الباء واستطرد في بيان معاني الباء.

٢ ـ ثم عرَّف الاسم لغة واصطلاحاً.

٣ ـ ثم ذكر الخلاف في مسألة: الاسم هل هو عين المسمى أو غيره؟ وما يلحق بهذه المسألة.

٤ ـ ثم ذكر خلاف النحويين في اشتقاق كلمة «اسم»، وأدلة كل فريق، ومايترتب على هذه المسألة.

٥ ـ وتعرض بعد ذلك لذكر اللغات في لفظ «الاسم» وحكم همزته.

٦ ـ ثم بين خلاف النحويين في متعلق «بسم».

٧ ـ ثم تحدث عن الخلاف في اشتقاق لفظ الجلالة «الله».

٨ ـ وذكر بعد ذلك الآراء الغريبة في لفظ الجلالة «الله» وردَّ عليها.

٩ ـ ثم انتقل إلى اسمي «الرحمن والرحيم» فذكر اشتقاقهما، وإعرابهما، ومعنى الرحمة.

١٠ ـ وذكر بعد ذلك الخلاف في هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أم مختلفين، وما يترتب على القول باختلافهما وأيهما أبلغ؟

١١ ـ ثم ختم حديثه بذكر حكم وصل الرحيم بالحمد. . وآراء العلماء في ذلك.[1]

هذا الترتيب والتنظيم في تناول تلك المسائل ـ بالحديث عن كل لفظة واستكمال ما يتعلق بها من مسائل بحيث لا ينتقل إلى غيرها إلا وقد أتم الكلام عنها ـ لا نجده عند أبي حيان.

---

(١) انظر: الدر المصون ١/ ١٣ـ٣٥.

ثانياً: استقلالُه في جانب المصادر:

تظهر شخصية المؤلف في أمرين أساسيين هما: مصادره، ومنهجه وقد ظهرت شخصية السمين في مصادره بوضوح، واستقل في كثير من نقوله وقد تبين لي ذلك من خلال المقارنة التي قمت بها، فقد قارنت بين نقل السمين عن بعض المصادر وبين البحر لإثبات استقلال السمين في نقله، وقد تتبعت تسعة عشر مصدراً نقل عنها السمين في كثير من المواضع ولم أتتبع بقية المصادر، لأن القضية التي قمت بتلك المقارنة من أجلها قد ثبتت واستقرت بتتبع تلك المصادر التسعة عشر.

وهذه المصادر التي تتبعت نقل السمين عنها وقارنته بالبحر هي:

أ ـ من كتب التفسير:

١ ـ البسيط للواحدي.

٢ ـ التحصيل للمهدوي.

٣ ـ التفسير الكبير للرازي.

٤ ـ اللُّباب للكرماني.

٥ ـ جامع التأويل لابن بحر.

ب ـ ومن كتب القراءات:

٦ ـ الكشف لمكي.

٧ ـ إبراز المعاني لأبي شامة.

٨ ـ الحجة لأبي علي الفارسي.

٩ ـ المحتسب لابن جني.

١٠ ـ الشواذ لابن خالويه.

جـ ـ ومن كتب إعراب القرآن:

١١ ـ المشكل لمكي.

١٢ ـ إعراب القرآن للنحاس.

١٣ ـ التبيان للعكبري .

د ـ ومن كتب المفردات واللغة :

١٤ ـ المفردات للراغب .

١٥ ـ تهذيب اللغة للأزهري .

١٦ ـ الصحاح للجوهري .

هـ ـ ومن كتب غريب الحديث :

١٧ ـ غريب الحديث لأبي عبيد .

و ـ ومن كتب النحو :

١٨ ـ الكتاب لسيبويه .

١٩ ـ المقتضب للمبرد .

ثم تتبعت بعض المصادر التي لم ينقل عنها السمين إلا في مواضع محدودة جداً وقارنت نقوله عنها بالبحر المحيط ، وتبين لي من خلال تلك المقارنة عدم نقل أبي حيان منها في المواضع التي نقل فيها السمين .

فيظهر تميز السمين عن شيخه في مجال المصادر من عدة نواحٍ هي :

أ ـ تميّزه بالنقل عن مصادر لم ينقل عنها شيخه . ومنها :

١ ـ كتاب العجائب والغرائب للكرماني :

ومثال ذلك : عند بيان السمين لسبب نصب كلمة «نفسه» في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾[1] . ذكر في ذلك سبعة أوجه . السابع منها : أنه توكيد لـ : «من سفه» لأنه في محل نصب على الاستثناء في أحد القولين . وهو تخريج غريب نقله صاحب «العجائب والغرائب»[2] .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٣٠ .

(٢) الدر المصون ٢/ ١٢٢ . والسمين هنا أشار لهذا الكتاب باسمه المختصر واسمه الكامل : غرائب التفسير وعجائب التأويل .

٢ ـ كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد[١]:

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن الترجيح بين القراءتين «مالك وملك»، فقد نقل عن ثعلب[٢] قوله: «إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أُفضّل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجتُ إلى الكلام ـ كلام الناس ـ فضلتُ الأقوى» ثم قال: «نقله أبوعمر الزاهد في اليواقيت»[٣].

٣ ـ كتاب: الوقف والابتداء للهذلي:

ومثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] قال السمين: «ورُوي الوقف على قوله: ﴿أم لم تنذرهم﴾ والابتداء بقوله: ﴿لا يؤمنون﴾ على أنها جملة من مبتدأ وخبر، وهذا ينبغي أن يردّ ولا يلتفت إليه، وإن كان قد نقله الهذلي في الوقف والابتداء له»[٥].

٤ ـ المُغْرِب. لأبي الفتح المطَرِّزي[٦]:

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن كلمة «آمين» ذكر أن من العلماء من يقول إنها اسم من أسماء الله، ثم قال: «... ووجّه الفارسي قول من جعله اسماً من

---

(١) محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم أبوعمر اللغوي الزاهد المعروف بغلام ثعلب ولد سنة ٢٦١هـ. قال أبي القاسم: لم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد له كتاب اليواقيت، وغريب الحديث، توفي سنة ٣٤٥هـ (إنباه الرواة ٣/ ١٧١) (السير ١٥/ ٥٠٨).

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد أبوالعباس النحوي الشيباني المعروف بثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة وُلد سنة ٢٠٠هـ كان ثقة حجة صالحاً، مشهوراً بالحفظ، وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم. له كتاب (معاني القرآن) و(اختلاف النحويين) توفي سنة ٢٩١هـ (إنباه الرواة ١/ ١٧٣) و(السير ١٤/ ٥)، و(غاية النهاية ١/ ١٤٨).

(٣) الدر المصون ١/ ٤٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٥) الدر المصون ١/ ١٠٩.

(٦) أبوالفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزي النحوي الخوارزمي. كانت له معرفة بالنحو واللغة والعربية والشعر، وأنواع الأدب، وصنف مصنفات في العربية. ولد سنة ٥٣٨هـ، وتوفي سنة ٦١٠هـ (إنباه الرواة ٣/ ٣٣٩).

أسماء الله تعالى على معنى أن فيه ضميراً يعود على الله تعالى لأنه اسم فعل، وهو توجيه حسن نقله صاحب «المُغْرِب»[1].

ب ـ تميّزه في المصادر التي اشترك مع شيخه في النقل عنها من خلال:

١ ـ تفرده بنقول لم يذكرها شيخه. وأمثلة هذا كثيرة جداً. ومن ذلك نقله عن:

١ ـ الكشاف للزمخشري:

عند قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]. قال السمين: «قال الزمخشري: «فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المدّ في العُمْر والإملاء والإمهال؟ قلت: كفاك دليلاً على ذلك قراءة ابن كثير[3] وابن محيصن[4] «ويُمِدُّهم» وقراءة نافع[5] «وإخوانهم يمدونهم» على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو «مدّ له» باللام كأملى له»[6].

٢ ـ جامع البيان للطبري:

عند توجيه قراءة النصب في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7]، قال السمين: «وقال الطبري: إن في ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله... إلخ»[8].

---

(١) الدر المصون ١/ ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥.

(٣) عبدالله بن كثير بن المطلب المكي، إمام المكيين في القراءة، أحد القرّاء السبعة، قال ابن سعد: كان ابن كثير المقرىء ثقة، له أحاديث صالحة. توفي سنة ١٢٠هـ (غاية النهاية ١/ ٤٤٣).

(٤) محمد بن عبدالرحمن محيصن السهمي المكي مقريء أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، قال عنه ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية مخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته توفي سنة ١٢٣هـ. (غاية النهاية ٢/ ١٦٧).

(٥) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نُعيم المدني، إمام أهل المدينة في الإقراء. قرأ على سبعين من التابعين، توفي سنة ١٦٩هـ (معرفة القراء ١/ ١٠٧).

(٦) الدر المصون ١/ ١٤٩.

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٨) الدر المصون ١/ ٤٠.

٣ ـ إبراز المعاني لأبي شامة :

عند تخريج قراءة حمزة[١] «تحسبن» بالتاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾[٢] ذكر في ذلك ستة أوجه، أحدها : أن يكون «أنما نملي لهم» بدلاً من «الذين كفروا» بدل الاشتمال أي : إملاءنا، و«خير» بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي : هو خير لأنفسهم، والجملة هي المفعول الثاني . نقل ذلك الشيخ شهاب الدين أبوشامة عن بعضهم . .»[٣] .

٤ ـ المحتسب لابن جني :

عند تخريج قراءة ﴿ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾[٤] بسكون الهمزة، قال السمين : «فيها تخريجان أحدهما : أن يكون قد استثقل توالي الحركات، والهمزة حرف يشبه حرف العلة فتستثقل عليها الحركة فسكّنت لذلك . . . ثم قال السمين : قد نصّ ابن جني على أن هذا الوجه لا يجوز فقال : «ولا يجوز أن يكون سكّن الهمزة لأن المفتوح لا يُسكّن لخفة الحركة»[٥] .

٥ ـ التبيان لأبي البقاء العكبري :

عند حديث السمين عن مسألة : هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ قال : «اختلف الناس فيها قديماً وحديثاً واستشكلوا على كونه هو المسمى إضافته إليه، فإنه يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه، وأجاب أبوالبقاء عن ذلك بثلاثة أجوبة، أجودها : أن الاسم هنا بمعنى التسمية، والتسمية غير الاسم، لأن التسمية هي اللفظ بالاسم، والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا . الثاني : أن في

---

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠هـ وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماماً، حجة، ثقة، قيماً بكتاب الله بصيراً بالفرائض . توفي سنة ١٥٦هـ (معرفة القراء ١/ ١١١) (غاية النهاية ١/ ٢٦١) .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٧٨ .

(٣) الدر المصون ٣/ ٤٩٩ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٨٢، وقد نسبها في الشواذ إلى مَتّ بن عبدالرحمن ص١٧ .

(٥) الدر المصون ٢/ ٦٥٧ .

الكلام حذف مضاف تقديره: باسم مسمى الله. الثالث: أن لفظ اسم زائد. .»[1].

٦ ـ إعراب القرآن للنحاس:

عند إعراب «ولا المشركين» في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] قال السمين: «وزعم بعضهم أنه مخفوض على الجوار وأن الأصل: ولا المشركون، عطفاً على الذين، وإنما خفض للمجاورة، نحو «برؤوسكم وأرجلِكم» في قراءة الجر، وليس بواضح، وقال النحاس: «ويجوز: ولا المشركون بعطفه على «الذين». .»[3].

٧ ـ المفردات للراغب الأصفهاني:

وقد تميز السمين بنقول كثيرة عن هذا الكتاب لم ترد عند أبي حيان. ومن أمثلة ذلك: عند التفريق بين الحمد والشكر عند قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال السمين: «قال الراغب: الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح، وأعم من الشكر، يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبما يكون منه وفيه التسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يُمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل شكر حمدٌ وليس كل حمدٍ شكراً، وكل حمدٍ مدحٌ وليس كل مدحٍ حمداً، ويقال: فلان محمود إذا حُمِد ومحمد وُجد محموداً، ومحمد كثرت خصاله المحمودة، وأحمدُ أي: إنه يفوق غيره في الحمد»[4].

---

(١) الدر المصون ١/ ١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٣) الدر المصون ٢/ ٥٣.
(٤) الدر المصون ١/ ٣٧.

٨ ـ المقتضب للمبرد:

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب ﴿أنهم آمنوا﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾[1]. قال: «... «وأنهم آمنوا» مؤول بمصدر، وهو في محل رفع، واختلف في ذلك على قولين، ثانيهما: ـ وهو قول المبرّدُ ـ أنه في محل رفع بالفاعلية، رافعه محذوف تقديره: ولو ثبت إيمانهم؛ لأنها لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً..»[2].

ونظراً لكثرة المواضع التي انفرد بها السمين عن شيخه فسأذكر هنا بياناً بالإحالة إلى بعضها.

١ ـ التحصيل لما في التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ـ للمهدوي.

[١/ ٢٥٥، ٣٣٢، ٣٣٩] [٢/ ١٠٦، ٦١٣، ٥٩٩] [٣/ ٢٣٩، ٥٠٠] [٦/ ٣٥٤][٧/ ٤٣٦][١٠/ ٥٤٧، ٥٤٨].

٢ ـ البسيط للواحدي:

[١/ ٥٠٣] [٢/ ٦١٦، ٦١٧، ٦٤٥، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٩٥، ٧٠٠].[٣/ ١٦، ٢٢، ٤٠، ٥٥، ٨٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٢، ٢١٠، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٩، ٢٨١، ٣٠٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٦٧٣][٤/ ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٧، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٨٢، ٦٦٠].

وقد قمت بالمقارنة في هذا المصدر بين نقل السمين عنه ونقل أبي حيان إلى نهاية المجلد الرابع من الدرّ المصون واكتفيت بذلك لوضوح استقلال السمين في هذا المصدر.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.

(٢) الدر المصون ٢/ ٤٩.

٣ ـ الحجة لأبي علي الفارسي.
[١/ ٤٠٧][٢/ ٥٧٥][٣/ ٥٢٩].

٤ ـ الكشف لمكي بن أبي طالب:
[١/ ٣٥٢، ٣٥٣، ٤١٨][٢/ ٦٤٠][٣/ ٤٢، ٢٣٩][٤/ ٣١٧][٥/ ٣٥، ١٨٩].

٥ ـ إبراز المعاني لأبي شامة.
[١/ ٤٩] [٣/ ٥٢، ٢٣٩، ٤٤٩] [٤/ ٢٧٨] [٥/ ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ٢٣٩، ٤٠٤، ٤١١][٧/ ٢١٠، ٤٣٥].

٦ ـ المحتسب لابن جني.
[٤/ ٤٧٠][٥/ ١٦٥][٦/ ٤١٤][٨/ ١٦].

٧ ـ الشواذ لابن خالويه.
[١١/ ١٠١].

٨ ـ المشكل ـ لمكي بن أبي طالب.
[١/ ٢٢، ٢٩٠] [٢/ ١٨١، ٣٠١، ٣٣٩، ٥٤٨، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٧٣، ٥٨٥، ٥٨٩، ٦١٥، ٦٤٥، ٦٧٣][٣/ ٦، ١٠، ١٣، ١٥، ٦٥، ١١٥، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٦١].

٩ ـ إعراب القرآن للنحاس.
[١/ ٣٧٤] [٤/ ٣٠٣، ٣٣٨] [٥/ ١٢١] [٦/ ١١٩] [٨/ ٥٤٥، ٦٧٦] [٩/ ٣٠].

١٠ ـ معاني القرآن للنحاس.
[١/ ١٣٤][٥/ ١٠٥].

١١ ـ المفـــردات للراغـب.

[١/ ١٢، ٣٧، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٦٣، ٢٥٩، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٢١، ٤٣٣] [٢/ ٩، ١٨، ١٥١، ١٦٢، ١٩٩، ٢٠٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٣١، ٤٥١، ٥٢٥، ٥٩٥، ٦١٧، ٦٧١] [٣/ ٥٧، ٦٠، ٧٠، ٨٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٠، ١٩٨، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٧، ٤٠٥، ٤٦٣، ٥١٦، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٩٥].

وقد قمت بالمقارنة بين نقل السمين عن هذا المصدر وبين البحر إلى نهاية المجلد الثالث من الدرّ المصون واكتفيت به لوضوح استقلال السمين في النقل عن هذا الكتاب وذلك يدل على تميز السمين في علم المفردات.

١٢ ـ تهذيب اللغة للأزهري.

[٣/ ٣٣٨، ٤٣٢] [٤/ ٤٣١، ٥٤٦، ٦٩٤] [٥/ ٣١٦، ٤٩٥] [٦/ ٢٢، ٢٤٧] [٧/ ٤٥٥] [١٠/ ٤١٤].

١٣ ـ الصحاح للجوهري.

[١/ ٧٨، ٢٥٥، ٢٨٥، ٣٤٤] [٨/ ١٦٠، ٤٧٤، ٦٧٧] [٩/ ٥٨١].

١٤ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد.

[٥/ ٧٣، ٢٩٣، ٣٦٩، ٤٧٠] [٦/ ٢٠، ٢٢] [٧/ ٢٥١، ٣١٤].

١٥ ـ الكتاب ـ لسيبويه.

[١/ ٤٦، ٨٣، ١٤١] [٤/ ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٤] [٥/ ١٦، ١٠١، ١٠٣، ٢٠٣] [٦/ ٧٧، ١٠٤، ١٨٣، ٢٠٤] [٧/ ١٨٩، ٣١٨].

١٦ ـ المقتضب ـ للمبرد.

[٢/ ٥٤٩] [٤/ ٢٠٨] [٥/ ٣٨١].

٢ ـ ويظهر استقلال السمين في جانب المصادر حتى في المواضع التي يشترك مع شيخه في النقل عنها من خلال :

أ ـ وجود زيادة في النقل :

فقد ينقل السمين عن مصدر نقل عنه شيخه ويتميز السمين بزيادة في النقل لم يذكرها شيخه . **ومن أمثلة ذلك** : زيادة السمين عن شيخه في النقل عن مفاتيح الغيب للرازي عند بيان بلاغة الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾[١] فقد نقل أبوحيان والسمين قول الرازي في بيان ذلك . حيث قال الرازي : «وهو اعتراض في غاية الحسن لأن من أحب إنساناً فرح لفرحه وحزن لحزنه ، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة ، فحكى تعالى سرور المنافق عند نكبة المسلمين ، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب فواته الغنيمة ، فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى قوله «كأن لم تكن» والمراد التعجب ، كأنه يقول : انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ولا مخالطة أصلاً»اهـ . واكتفى أبوحيان[٢] بهذا النقل وزاد السمين في نقله عن الرازي قوله : «والذي حسّن الاعتراض بهذه الجملة ـ وإن كان محلها التأخير ـ كون ما بعدها فاصلة وليست بفاصلة»[٣] .

ب ـ النقل بلفظ آخر :

ومثال ذلك : عند إعراب قوله تعالى : ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾[٤] .

قال السمين : «وقد تقدم أن كون الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً مجزوماً لا يختص مجيئه بـ «كان» خلافاً لأبي الحكم مصنف «كتاب الإعراب» فإنه

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٣ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٥٠٣ .

(٣) الدر المصون ٤/ ٣٣ .

(٤) سورة الشورى ، الآية : ٢٠ .

قال: «لا يجوز ذلك إلا في ضرورة شعر»[1].

وقد ذكر أبوحيان مضمون كلام أبي الحكم السابق فقال: «ولا نعلم خلافاً في جواز الجزم فإنه فصيح مختار إلا ما ذكره صاحب كتاب «الإعراب» ـ وهو أبوالحكم بن عذرة ـ عن بعض النحويين أنه لا يجيء في الكلام الفصيح، وإنما يجيء مع كان؛ لأنها أصل الأفعال، ولا يجيء مع غيرها من الأفعال. . . »[2].

٣ ـ نسبته القول لصاحبه:

ومثال ذلك: عند الحديث عن الفرق بين الكسب والاكتساب. ذكر السمين قول الواحدي في ذلك ونسبه إليه، بينما لم ينسب أبوحيان[3] قول الواحدي إليه. قال السمين: «وقال الواحدي: الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد لا فرق بينهما. . . »[4].

---

(١) الدر المصون ٩/ ٥٤٧.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٤٩٢.

(٣) انظر: البحر المحيط ٢/ ٣٨١.

(٤) الدر المصون ٢/ ٧٠٠.

وانظر: أمثلة أخرى نسب السمين القول فيها لأصحابها:

١ ـ نسب قول ابن جني إليه في موضعين لم ينسب أبوحيان القول فيهما إليه؛ وهما [٣/ ٦٩٢، ٦/ ٤٧٨].

٢ ـ نسب قول المبرد إليه في موضع لم ينسب أبوحيان القول فيه [٤/ ٢٥٨].

ثالثاً: استقلال السمين في جانب المنهج:

عند المقارنة بين كتابي السمين وشيخه يظهر استقلال السمين ـ أيضاً ـ في جانب المنهج والمسائل التي يعالجها في تفسيره، فتجده يفيض في شرح بعض المسائل أكثر من شيخه، ويزيد في مسائل أكثر مما يذكره شيخه، أو يذكر مباحث لم ترد عند شيخه.

وسأبين هنا تميز السمين عن شيخه في بعض المسائل:

١ ـ في الدلالة اللغوية:

اهتم السمين في كتابه ببيان المفردات اللغوية وتوضيح غريب القرآن فعالج كثيراً من المفردات والكلمات وتميز على شيخه في هذا الجانب وقد ظهر تميزه فيما يلي:

أ ـ توسعه بإيراد أقوال لأئمة اللغة في بيان معاني الكلمة.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند بيان معنى كلمة «رفرف» في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾[1].

قال السمين: «الرفرف جمع رفرفة فهو اسم جنس. وقيل: بل هو اسم جمع، نقلهما معاً مكي، وهي ما تدلَّى من الأَسِرَّة من عالي الثياب. وقال الجوهري: «ثياب خضر يُتخذ منها المجالس، الواحدة رفرفة» واشتقاقه من رفّ الطائر: أي: ارتفع في الهواء. ورفرف بجناحيه: إذا نشرهما للطيران ورفرف السحاب هبُوبُه ويدل عليه كونه جمعاً وصفه بالجمع. وقال الراغب: «ورفيف الشجر: انتشار أغصانه، ورَفّ الطائر: نشر جناحه يَرِفّ بالكسر. ورَفَّ فرخه يرُفُّه بالضم تفقَّده، ثم استعير للتفقد. ومنه ماله حافٌّ ولا رافٌّ»، أي: ماله من يحفه ويتفقده. والرفرف: المنتشر من الأوراق. وقوله: «على رفرف خضر»: ضرب من الثياب مُشَبّه بالرياض. وقيل: الرفرف طرف الفسطاط والخباء الواقع على الأرض دون الأطناب والأوتاد. وذكر الحسن

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٦.

أنه المخادُّ. انتهى . . . »[1].

وقد تميز السمين على شيخه[2] بنقله لقول الراغب في بيان معنى هذه الكلمة.

٢ ـ عند بيان معنى كلمة «عوج» في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[3].

فقد قال أبوحيان في بيان معناها: «العِوَج: الميل، قال أبوعبيد[4]: في الدين والكلام والعمل، وبالفتح في الحائط والجزع. وقال الزجاج بمعناه. قال: فيما لا نرى له شخصاً، وبالفتح فيما له شخص، وقال ابن فارس: بالفتح في كل منتصب كالحائط، والعوج ما كان في بساط أو دين أو أرض أو معاش»[5].

واكتفى أبوحيان بنقل أقوال أبي عبيدة والزجاج وابن فارس دون التعليق عليها أو مناقشتها. بينما تميز السمين عن شيخه فزاد قولاً رابعاً للراغب، وناقش أقوال الأئمة السابقين.

قال: «العِوَج ـ بالكسر ـ والعَوَج ـ بالفتح ـ الميل، ولكنّ العرب فرقوا بينهما، فخصوا المكسور بالمعاني والمفتوح بالأعيان، تقول: في دينه وكلامه عِوَج ـ بالكسر ـ، وفي الجدار عَوَج ـ بالفتح ـ.

وقال أبوعبيدة: «العِوَج ـ بالكسر ـ الميلُ في الدين والكلام والعمل، وبالفتح في الحائط والجزع». وقال أبوإسحاق: «بالكسر فيما لا ترى له شخصاً، وبالفتح فيما له شخصٌ». وقال صاحب المجمل ـ يعني ابن فارس ـ: «بالفتح

---

(١) الدر المصون ١٠/ ١٨٦.

(٢) انظر: البحر المحيط ٨/ ١٨٥٠، فقد ذكر قول الجوهري ولم يذكر قول الراغب.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٤) هكذا ورد في مطبوعة البحر ولعلّه خطأ من المحققين أو من الطابع إذ هو أبوعبيدة صاحب «مجاز القرآن» وليس أباعبيد. (انظر: مجاز القرآن ١/ ٩٨).

(٥) البحر المحيط ٢٢/ ٥٤٦.

في كل منتصب كالحائط، والعِوج ـ يعني بالكسر ـ ما كان في بساط أو دين أو أرض أو معاش».

ويعلق السمين على قول ابن فارس بقوله: فقد جعل الفرق بينهما بغير ما تقدم.

وقال الراغب: «العِوَج: العطف عن حال الانتصاب، يقال: عُجْتُ البعير بزمامه، وفلان ما يعوج عن شيء يَهُمُّ به أي يرجع، والعَوَج ـ يعني بالفتح ـ يقال فيما يُدرك بالبصر كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوَج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة، كما يكون في أرض بسيطة عِوَج فيُعرف تفاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش» اهـ.

ثم قال ـ أي السمين ـ: «وهذا قريب من قول ابن فارس[1] لأنه كثيراً ما يأخذ منه».

وقد سأل الزمخشري في سورة طه عند قوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[2] سؤالاً حاصله يرجع إلى أنه كيف قيل: عِوَج ـ بالكسر ـ في الأعيان، وإنما يقال في المعاني؟ وأجاب هناك بجواب حسن سيأتي بيانه ـ إن شاء الله ـ، والسؤال إنما يجيء على قول أبي عبيدة والزجاج المتقدم، وأما على قول ابن فارس والراغب فلا يرد.

ثم ذكر السمين شواهد من الشعر على مجيء العوج بمعنى الميل، فقال: «ومن مجيء العوج بمعنى الميل من حيث الجملة قوله[3]:

تَمُرُّونَ الديارَ ولم تَعُوجوا كلامُكُمُ عليَّ إذاً حرامُ

---

(١) أحمد بن فارس اللغوي، له: معجم مقاييس اللغة والمجمل والصاحبي. توفي سنة ٣٩٥هـ. (إنباه الرواة ١/ ٩٢، وبغية الوعاة ١/ ٣٥٢).

(٢) سورة طه، الآية: ١٠٧.

(٣) البيت لجرير وهو في ديوانه (ص٥١٢).

ويقول امرؤ القيس[1]:

عُـوجـا علـى الطَّلـلِ المُحيـل لأننـا
نبكي الديار كما بكى ابنُ حِذَامِ

أي: ولم تميلوا، ومِيلا»[2].

ب ـ تميز السمين بإيراد الشواهد لبيان معنى الكلمة اللغوي.

فقد يبين أبوحيان المعنى اللغوي للكلمة ويكتفي به، بينما نجد أن السمين يستشهد على ذلك المعنى اللغوي بشاهد من الشعر.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى كلمة «الكفر»[3] في اللغة ذكر أبوحيان معناه دون استشهاد بالشعر[4] أماالسمين فقد بين معناه اللغوي وهو: الستر. ثم استشهد على ذلك بثلاثة شواهد فقال: «والكفر: الستر، ومنه سُمّي الليل كافراً، قال[5]:

فَوَرَدتْ قبل انبلاج الفجر وابـن ذُكاءٍ كامِنٌ في كَفْـرِ

وقال آخر:

. . . . . ألقت ذُكاءُيمينها في كافر[6]

وقال آخر[7]:

---

(١) امرؤ القيس بن عانس بن المنذر. شاعر مخضرم من أهل حضرموت. أسلم في حياة النبي ﷺ، وتوفي نحو سنة ٢٥هـ. (الأعلام: ٢/ ١٢) والبيت في ديوانه ١١٤.

(٢) الدر المصون ٣/ ٣٢٦ـ٣٢٨.

(٣) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ البقرة آية: ٦.

(٤) انظر: البحر المحيط ١/ ١٧٠.

(٥) البيت لحميد الأرقط [وهو في ملحق ديوان العجاج ٢/ ٢٨٥، واللسان مادة: كفر].

(٦) البيت لثعلبة بن صُعير المازني وصدره: فتذكرا ثَقَلاً رَثِيداً بعدما. وهو في المفضليات ص١٣٠. وذُكاء: اسم للشمس، وكافر: أي الليل.

(٧) البيت للبيد وصدره: يعلو طريقة مَتْنِها متواترٌ. وهو في ديوانه (ص٣٠٩).

. . . . . في ليلةٍ كفرَ النجومَ غمامُها[1]

* وقد يورد أبوحيان شاهداً على معنى لغوي لكلمة ويزيد السمين عليه فيذكر عدة شواهد على ذلك المعنى.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان المعنى اللغوي لكلمة «الفلاح».

قال أبوحيان: «الفلاح: الفوز والظفر بإدراك البغية أو البقاء. قيل: وأصله الشق والقطع:

«إن الحديد بالحديد يفلح[2]»[3].

ويقول السمين: «الفلاح: أصله الشق، ومنه قوله: «إن الحديد بالحديد يفلح».

ومنه قول بكر بن النطاح[4]:

لا تبعثن إلى ربيعة غيرها إن الحديد بغيره لا يفلح

ويُعبّر به عن الفوز والظفر بالبغية وهو مقصود الآية، ويراد به البقاء، قال[5]:

لو أن حياً مُدْرِكُ الفلاحِ أدركـه مُلاعِبُ الرِّماحِ

وقال آخـر[6]:

نَحـلُّ بـلاداً كلُّـها حُـلّ قَبْلَنا ونرجو الفلاحَ بعد عادٍ وحميرِ

---

(١) الدر المصون ١/ ١٠٦-١٠٧.

(٢) هذا عجز بيت من الشعر (ورد في اللسان مادة فلح). وهو أيضاً مثل عربي (انظر: مجمع الأمثال للميداني ١/ ٨).

(٣) البحر المحيط ١/ ١٦٨.

(٤) بكر بن النطاح الحنفي، شاعر غزل، من فرسان بني حنيفة، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقاً سلطانياً. توفي سنة ١٩٢هـ. (الأعلام: ٢/ ٧١) والبيت لم أقف عليه.

(٥) البيت للبيد وهو في ديوانه (ص٣٣٣).

(٦) البيت للبيد وهو في ديوانه (ص٥٧).

وقـال[1]:

لكـل هـمٍّ مـن الهمـوم سَعَـهْ والمُسْـيءُ والصبـحُ لافـلاح مَعَـهْ

وقال آخـر[2]:

أفلـح ما شئـت فقـد يُبْلغُ بالـ ـضعفِ وقديُخدعُ الأريب»[3]

جـ ـ تعقب السمين لبعض أقوال أئمة اللغة.

ويتميز السمين بتعقب أقوال أئمة اللغة ممن لم يتعقبهم شيخه.

ومن أمثلة ذلك: عن بيان معنى «زخرف» في قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[4]. فقد نقل أبوحيان قول أبي عبيدة في بيان معنى «زخرف» ولم يتعقبه فقال: قال أبوعبيدة: «كل ما حسنته وزينته وهو باطل فهو زخرف»[5]. أما السمين فقد تعقب كلام أبي عبيدة السابق فقال: «وهذا لا يلزم إذ قد يُطلق على ما هو زينة حق، وبيت مزخرف أي: مُزَيَّن بالنقش، ومنه الحديث: «إن رسول الله ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنُحيّ»[6] يعني أنهم كانوا يزينون الكعبة بنقوش وتصاوير مموهة بالذهب فأُمرنا بإخراجها»[7].

٢ ـ في التأصيل اللغوي:

وقد ظهر تميز السمين عن شيخه في التأصيل اللغوي من حيث:

---

(١) البيت للأضبط بن قريع. وهو في ابن عطية (١/ ١٥٠).

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص. وهو في ديوانه ص٢٦.

(٣) الدر المصون ١/ ١٠٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٥) البحر المحيط ٤/ ٢٠٧.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) الدر المصون ٥/ ١١٦ـ١١٧.

أ ـ الاشـــتقاق :

فقد بحث السمين اشتقاق بعض الكلمات مما لم يبحثه شيخه .

ومن أمثلة ذلك : حديثه عن اشتقاق «الشعور» عند قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1] . قال السمين : الشعور : إدراك الشيء من وجهٍ يدق ويخفى ، مشتق مِنْ الشَّعر لدقته ، وقيل : هو الإدراك بالحاسة مشتق مِنْ الشِّعار ، وهو ثوب يلي الجسد ومنه مشاعر الإنسان أي : حواسه الخمس التي يشعر بها»[2] . ولم يتعرض أبوحيان لاشتقاق هذه الكلمة .

وتميز السمين عن شيخه حتى في الكلمات التي اشتركا في بحث اشتقاقها فترى السمين يتوسع ويفصل أكثر من شيخه .

ب ـ في الصـــرف :

وقد ظهر استقلال السمين عن شيخه في الصرف من خلال :

١ ـ تفرده بإيراد بعض المباحث الصرفية التي لم ترد عند شيخه .

ومن أمثلة ذلك : حديثه عن الإعلال والإبدال الحاصل في كلمة «يؤمنون» . قال : «وأصل «يؤمنون» يُؤَأْمِنُون بهمزتين ، الأولى : همزة أفعل ، والثانية : فاء الكلمة ، حذفت الأولى لقاعدة تصريفية ، وهو أن همزة أفْعل تحذف بعد حرف المضارعة واسم فاعله ومفعوله نحو : أُكْرِمُ وتُكْرم ويُكْرم ونُكْرم وأنت مُكْرِم ومُكْرَم ، وإنما حذفت لأنه في بعض المواضع تجتمع همزتان وذلك إذا كان حرف المضارعة همزة نحو : أنا أُكرم . الأصل : أُأَكْرِمُ بهمزتين ، الأولى : للمضارعة ، والثانية : همزة أفْعل ، فحذفت الثانية لأن بها حصل الثقل ، ولأن حرف المضارعة أولى بالمحافظة عليه ، ثم حمل باقي الباب على ذلك طرداً للباب ، ولا يجوز ثبوت همزة أفعل في شيء من ذلك ، إلا في ضرورة . . »[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢ .

(٢) الدر المصون ١/ ١٢٩ .

(٣) الدر المصون ١/ ٩٢ . وانظر مثالاً آخر في حديثه عن كلمة «يقيمون» ١/ ٩٣ .

٢ ـ توسعه في الحديث عن بعض المباحث الصرفية .

ومثال ذلك : توسعه في حديثه عن وزن كلمة «أشياء» . فقد ذكر أبوحيان[١] وزن هذه الكلمة على الإيجاز ، وذكر أن تفصيل ذلك في كتب التصريف . بينما السمين فصل في ذلك وذكر خمسة أقوال ، وناقشها ، وذكر أقوال العلماء في مناقشتها في ست صفحات .

قال : «واختلف النحويين في «أشياء» على خمسة مذاهب»[٢] ، ثم ذكر تلك المذاهب واعتراض العلماء على بعضها ومناقشتها ، ولولا خوف الإطالة لذكرت ذلك .

٣ ـ في الفروق اللغوية :

ومن الأمثلة التي تبين استقلال السمين عن شيخه في هذا المجال :

مسألة الفرق بين الحمد والشكر .

أشار أبوحيان إلى هذه المسألة فقال : «والحمد والشكر بمعنى واحد ، أو الحمد أعم؟ والشكر ثناء على الله تعالى بأفعاله والحمد ثناء بأوصافه . ثلاثة أقوال أصحُها أنه أعمّ ، فالحامد قسمان : شاكر ومُثنٍ بالصفات»[٣] .

بينما ذكر السمين هذه المسألة بتفصيل ، فعرّف الحمد ثم عرّف الشكر ، ثم ذكر الأقوال في مسألة التفريق بينهما . وردّ القول الذي اختاره شيخه ـ وهو قول ثعلب ـ كما ذكر السمين .

قال السمين : «الحمد : الثناء على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا ، يقال : حمدت الرجل على ما أنعم به عليّ وحمدته على شجاعته ، ويكون باللسان وحده دون عمل الجوارح ، إذ لا يقال : حمدت زيداً أي عملت له بيدي عملاً حسناً ، بخلاف الشكر فإنه لا يكون إلا نعمة مُسداة إلى الغير ، يقال : شكرته على ما أعطاني ، ولا يقال شكرته على شجاعته ، ويكون بالقلب

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٣٢ .

(٢) انظر ذلك في الدر ٤/ ٤٣٤ـ٤٤٠ .

(٣) البحر المحيط ١/ ١٣٠ .

واللسان والجوارح قال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾[1].

وقال الشاعر[2]:

أفادتكمُ النَّعماءُ مني ثلاثةٌ يدي ولساني والضمير المُحجّبا

فيكون بين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه. وقيل: الحمد هو الشكر بدليل قولهم: الحمد لله شكراً. وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق والحمد أعم من الشكر وقيل: الحمد الثناء عليه تعالى بأوصافه، والشكر الثناء عليه بأفعاله، فالحمد قسمان: شاكر ومُثنٍ بالصفات الجميلة.

وقيل: الحمد مقلوب من المدح، وليس بسديد وإن كان منقولاً عن ثعلب؛ لأن المقلوب أقل استعمالاً من المقلوب منه، وهذا مستويان في الاستعمال، فليس ادعاء قلب أحدهما من الآخر أولى من العكس، فكانا مادتين مستقلتين. وأيضاً: فإنه يمتنع إطلاق المدح حيث يجوز إطلاق الحمد، فإنه يقال: «حمدت الله» ولا يقال مدحته، ولو كان مقلوباً لما امتنع ذلك، ولقائل أن يقول: منع من ذلك مانع، وهو عدم الإذن في ذلك.

ثم نقل بعد ذلك قول الراغب في تعريف الحمد، والتفريق بينه وبين الشكر[3].

٤ ـ اللهجات العربية:

ويتوسع السمين في ذكر اللغات في بعض الكلمات أكثر من شيخه.

ومن أمثلة ذلك: اللغات في «اسم».

فقد ذكر أبوحيان باقتضاب ثلاث لغات فيها فقال: «ويقال: اسم بكسر همزة الوصل وضمها وسُمى كهدىٰ»[4].

في حين أن السمين قد فصل القول في اللغات الواردة في تلك الكلمة

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) لم أهتد إلى قائله. وهو في الكشاف ١/ ٧.

(٣) الدر المصون ١/ ٣٦ـ٣٧.

(٤) البحر المحيط ١/ ١٢٣.

واستشهد على ذلك بشواهد من الشعر مدعماً ذلك بأقوال أهل اللغة.

قال: «وفي الاسم خمس لغات: «اسم» بضم الهمزة وكسرها، و«سِم» بكسر السين وضمها. وقال أحمد بن يحيى[1]: «سُمٌ بضم السين أخذه من سَمَوْتُ أسْمُو، ومن قاله بالكسر أخذه من سَمَيْتُ أسْمي، وعلى اللغتين قوله[2]:

وعـامُـنا أعجـبنا مُقـدَّمُـه يُدعى أبا السَّمح وقِرْضابٌ سُمُهْ

ينشد بالوجهين ـ أي بالكسر والضم ـ.

فعلى هذا يكون في لام «اسم» وجهان، أحدهما: أنها واو، والثاني: أنها ياء وهو غريب، ولكن أحمد بن يحيى جليل القدر ثقة فيما ينقل. و«سُمَىً» مثل «هُدَىً» واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:[3]

والله أسماك سُمَىً مباركاً آثـرك اللهُ بـه إيـثاركـا

ولا دليل في ذلك لجواز أن يكون من لغة من يجعله منقوصاً مضموم السين وجاء به منصوباً، وإنما كان ينتهض دليلاً لو قيل: سُمَىً حالة رفعٍ أو جَرٍ[4].

٥ ـ الشـواهد:

على الرغم من أن كثيراً من الشواهد أفادها السمين من شيخه، إلا أنه قد تميز في هذا المجال ـ أيضاً ـ فذكر شواهد ليست عند شيخه. وقد قارنت بين الدر والبحر في المجلد الأول منهما، وليس كل المجلد كاملاً وإنما في جزء يسير منهما وقد وجدت أن السمين قد ذكر مائة وستين شاهداً لم يذكرها شيخه في البحر. مع أنني لم أقارن إلا في سورة الفاتحة وسبع عشرة آية من سورة البقرة.

---

(١) هو ثعلب. وقد سبق ترجمته.

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو في أمالي ابن الشجري ٢/ ٦٦، واللسان مادة: لحم. وقرضب الرجل: إذا أكل يابساً.

(٣) البيت لأبي خالد القناني. انظر: أسرار العربية ص٩، والعيني ١/ ١٥٤.

(٤) الدر المصون ١/ ٢٠ـ٢١. انظر: مثالاً آخر:
عند ذكر اللغات في «قيل» (البحر المحيط ١/ ١٩١) (الدر ١/ ١٣٤ـ١٣٥).

وأكتفي هنا بذكر أرقام الشواهد التي تفرد بها السمين حسب ترقيم المحقق د/ أحمد الخراط :

[٦، ٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، . . . إلخ].

٦ ـ في مجال الإعراب :

وقد ظهر تميز السمين عن شيخه في مجال الإعراب من خلال :

١ ـ توسعه في إعراب بعض الآيات .

٢ ـ وجود مناقشات إعرابية ليست في البحر .

١ ـ توسعه في إعراب بعض الآيات :

ومن أمثلة ذلك :

ـ عند إعراب «والصابئون» في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[1] .

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٩ .

ذكر أبوحيان أربعة أوجه فقط[1]، بينما ذكر السمين تسعة أوجه، وناقشها وردّ على بعضها وأدلى برأيه فيها.

وسأورد هنا الأوجه الخمسة التي تفرد بها السمين عن شيخه.

قال السمين: «قال الواحدي: «وفي الآية قول رابع لهشام بن معاوية[2]: وهو أن تضمر خبر «إنَّ» وتبتديء «والصابئون» والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون، على قول من يقول إنهم مسلمون. ويعذبون على قول من يقول إنهم كفار، فيحذف الخبر إذا عرف موضعه، كما حذف من قوله: «إن الذين كفروا بالذكر» أي «يعاقبون» ثم قال الواحدي: «وهذا القول قريب من قول البصريين، غير أنهم يضمرون خبر الابتداء، ويجعلون «من آمن» خبر «إن» وهذا على العكس من ذلك؛ لأنه جعل «من آمن» خبر الابتداء وحذف خبر إنّ». قلت: هو كما قال، وقد نبهت على ذلك من قولي أولاً: إن منهم من يُقدر الحذف من الأول، ومنهم من يعكس.

السادس: أن «الصابئون» مرفوع بالابتداء وخبره محذوف كمذهب سيبويه والخليل، إلا أنه لا يُنْوى بهذا المبتدأ التأخير، فالفرق بينه وبين مذهب سيبويه نية التأخير وعدمها. قال أبوالبقاء: «وهو ضعيف أيضاً، لما فيه من لزوم الحذف والفصل» أي: لما يلزم من الجمع بين الحذف والفصل، ولا يعني بذلك أن المكان من مواضع الحذف اللازم، لأن القرآن يلزم أن يتلى على ما أُنزل، وإن كان ذلك المكان في غيره يجوز فيه الذكر والحذف.

السابع: أن «الصابئون» منصوب، وإنما جاء على لغة بني الحارث وغيرهم الذين يجعلون المثنى بالألف في كل حال نحو: «رأيت الزيدان ومررت بالزيدان» نقل ذلك مكي بن أبي طالب وأبوالبقاء، وكان شبهة هذا القائل على

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٥٤١.

(٢) هشام بن معاوية الضرير، أبوعبدالله النحوي الكوفي. أحد أعيان أصحاب الكسائي. صنف: مختصر النحو، والحدود وغيرهما. توفي سنة ٢٠٩هـ. (بغية الوعاة ٢/ ٣٢٨).

ضعفها أنه رأى الألف علامة رفع المثنى، وقد جعلت في هذه اللغة نائبة رفعاً ونصباً وجراً، وكذا الواو وهي علامة رفع المجموع سلامة، فيبقى في حالة النصب والجر كما بقيت الألف، وهذا ضعيف بل فاسد.

الثامن: أن علامة النصب في «الصابئون» فتحة النون، والنون حرف الإعراب كهي في «الزيتون» و«عربون». قال أبوالبقاء: «فإن قيل: إنما أجاز أبوعلي ذلك مع الياء لا مع الواو. قيل: أجازه غيره، والقياس لا يدفعه» قلت: يشير إلى مسألة وهو: أن الفارسي أجاز في بعض جموع السلامة وهي ما جرت مجرى المكسر كبنين وسنين أن يُحلَّ الإعرابُ نونها، بشرط أن يكون ذلك مع الياء خاصة دون الواو فيقال: جاء البنين...

التاسع: قال مكي: «وإنما رفع «الصابئون» لأن «إن» لم يظهر لها عمل في «الذين» فبقي المعطوف على رفعه الأصلي قبل دخول و«إن» على الجملة».
قلت: هذا هو بعينه مذهب الفراء، أعني أنه يجيز العطف على محل اسم «إنَّ» إذا لم يظهر فيه إعراب، إلا أن عبارة مكي لا توافق هذا ظاهراً[1].

وهذا مثال آخر: يتبين من خلاله استقلال السمين في الإعراب فعند بيان متعلق اللام في «للفقراء» في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2] ذكر أبوحيان ذلك باختصار فقال: «وللفقراء» في موضع الخبر لمبتدأ محذوف، وكأنه جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: لمن هذه الصدقات المحثوث على فعلها، فقيل: للفقراء، أي: هي للفقراء، فبيَّن مصرف النفقة، وقيل: تتعلق اللام بفعل محذوف تقديره: اعجبوا للفقراء، أو اعمدوا للفقراء، واجعلوا ما تنفقون للفقراء، وأبْعَد القفال[3] في تقدير إن تبدوا

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣٥٩ـ٣٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٣) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الفقيه الشافعي، فقيه، محدث، أصولي، لغوي، شاعر، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء. له كتاب في أصول الفقه، وله شرح الرسالة، توفي في آخر سنة ٣٦٥هـ (وفيات الأعيان: ٤/ ٢٠٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٣/ ٢٠٠).

الصدقات للفقراء، وكذلك من علقه بقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ وكذلك من جعل ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدلاً من قوله ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لكثرة الفواصل المانعة من ذلك»[1].

هذا ما ذكره أبوحيان في إعراب «اللام وبيان متعلقها.

بينما ذكر السمين ذلك بتفصيل أوسع ومناقشة للأقوال المرجوحة ونسب الأقوال لأصحابها.

فقال: «في تعلق هذا الجار خمسة أوجهٍ، أحدها، ـ وهو الظاهر ـ أنه متعلق بفعلٍ مقدرٍ يدل عليه سياق الكلام، واختلفت عبارات المعربين فيه، فقال مكي ـ ولم يذكر غيره ـ: «أعطوا للفقراء» وفي هذا نظر؛ لأنه يلزم زيادة اللام في أحد مفعولي أعطىٰ، ولا تزاد اللام إلا لضعف إما بتقدم معموله كقوله تعالى: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[2] وإما لكونه فرعاً نحو قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3] ويبعدُ أن يقال: لما أُضمر العامل ضعف فقوي باللام، على أن بعضهم يجيز ذلك وإن لم يضعف العامل وجعل منه «ردف لكم» وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله. وقدّره أبوالبقاء: «اعجبوا للفقراء» وفيه نظر؛ لأنه لا دلالة من سياق الكلام على العجب، وقدره الزمخشري: «اعمدوا أو اجعلوا ما تنفقون» والأحسن من ذلك ما قدره مكي، لكن فيه ما تقدم.

الثاني: أن هذا الجار خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الصدقات أو النفقات التي تنفقونها للفقراء، وهو في المعنى جواب لسؤال مقدر، كأنهم لما حُثُّوا على الصدقات قالوا: فلمن هي؟ فأُحِثّوا بأنها لهؤلاء، وفيها فائدة بيان مصرف الصدقات. وهذا اختيار ابن الأنباري قال: «كما تقول: عاقل لبيب» وقد تقدم وصف رجل، أي: الموصوف عاقل، وتكتبون على الأكياس: «ألفان ومئتان»، أي: الذي في الكيس ألفان...

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٣٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة البروج، الآية: ١٦.

الثالث: أن اللام تتعلق بقوله: «إن تبدوا الصدقات» وهو مذهب القفّال، فاستبعده الناس لكثرة الفواصل.

الرابع: أنه متعلق بقوله: «وما تنفقوا من خير» وفي هذا نظر من حيث إنه يلزم الفصل بين فعل الشرط ومعموله بجملة الجواب، فيصير نظير قولك: من يُكْرِمْ أُحْسِنْ إليه زيداً. وقد صرح بالمنع من ذلك ـ مُعلِّلاً بما ذكرته ـ الواحدي فقال: «ولا يجوز أن يكون العامل في هذه اللام «تنفقوا» الأخير في الآية المتقدمة، لأنه لا يفصل بين العامل والمعمول بما ليس منه كما لا يجوز «كانت زيداً الحمى تأخُذُ».

الخامس: أن «للفقراء» بدل من قوله: «فلأنفسكم» وهذا مردود قال الواحدي وغيره: «لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا والمعنى مشتمل عليه، وليس كذلك ذكر النفس ههنا، لأن الإنفاق من حيث هو عائد عليها، وللفقراء من حيث هو واصل إليهم، وليس من باب ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة».

قلت: يعني أن الفقراء ليست هي الأنفس ولا جزءاً منها ولا مشتملة عليها، وكأن القائل بذلك توهم أنه من باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[2] في أحد التأويلين.»[3].

ويتبين من هذا المثال: تميز السمين على شيخه في الإعراب فقد ذكر أبوحيان الأوجه الخمسة في بيان متعلق اللام في «للفقراء» باختصار وناقشها على عجل. بينما أفاض السمين في ذكر الآراء الخمسة من حيث القائلون بها وتفصيل الردود على الأقوال ومناقشتها. وظهرت شخصيته ـ أيضاً ـ من حيث اختياره لأحد تلك الأقوال.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) الدر المصون ٢/ ٦١٥ـ٦١٧.

٢ ـ مناقشة إعراب لم يتعرض شيخه له.

وينفرد السمين ببعض المناقشات التي ليست عند شيخه، ومن أمثلة ذلك: مناقشته لقول الطبري في إعراب ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[١].

ذكر السمين خمسة أوجه منها قول الطبري: أنه منصوب به «يحق» أي: يحق الحق وقت استغاثتكم. ثم تعقب هذا القول فقال: «وهو غلط، لأن «ليحق» مستقبل لأنه منصوب بإضمار «أَنْ»، وإذ ظرف لما مضى، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟»[٢].

وقد ذكر أبوحيان قول الطبري السابق ولم يناقشه أو يرد عليه[٣].

وقد ينفرد بذكر قولٍ ومناقشته.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة حمزة «تحسبن» بتاء الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾[٤] ذكر السمين عدة أقوال، منها قول أبي القاسم الكرماني، فقال: «الثالث ـ أي من الأقوال ـ وهو أغربها ـ أن يكون «الذين» فاعلاً بـ «تحسبن» على تأويل أن تكون التاء في الفعل للتأنيث كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[٥] أي: «ولا تحسبن القوم الذين كفروا» و«الذين» وصفُ «القوم»، كقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا﴾[٦] فعلى هذا تتحد هذه القراءة مع قراءة الغيبة، وتخريجها كتخريجها[٧]، ذكر ذلك أبوالقاسم الكرماني في تفسيره المسمى: بـ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٢) الدر المصون ٥/ ٥٦٥.
(٣) البحر المحيط ٤/ ٤٥٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٧) انظر: تخريجها في الدر ٣/ ٤٩٦.

«اللّباب». وفيه نظرٌ من حيث إن «الذين» جارٍ مجرىٰ جمع المذكر السالم، والجمع المذكر السالم لا يجوز تأنيث فعله عند البصريين، لا يجوز: قامت الزيدون، ولا: تقوم الزيدون، وأما اعتذاره عن ذلك بأن «الذين» صفة للقوم الجائز تأنيث فعلهم وإنما حُذِف فلا ينفعه؛ لأن الاعتبار إنما هو بالملفوظ به لا بالمقدّر، لا يجيز أحد من البصريين: «قامت المسلمون» على إرادة «القوم المسلمون» البتة»[1].

٣ـ التوسع في مناقشة بعض الأعاريب.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «الرحمن» في «بسم الله الرحمن الرحيم» ذكر السمين وأبوحيان أن الأعلم الشنتمري[2] ذهب إلى أنه بدل من اسم الله لا نعتٌ له، واستدل على ذلك بأنه قد جاء غيرَ تابع لموصوف. وذكرا أن هذا القول مردود، وردّا عليه بردّ السهيلي[3] وهو: أنه لو كان بدلاً لكان مبنياً لما قبله، وما قبله ـ وهو لفظ الجلالة ـ لا يفتقر إلى تبيين لأنها أعرف الأعلام. ألا تراهم قالوا: «وما الرحمن» ولم يقولوا: وما الله. انتهى كلام السهيلي[4].

واكتفى أبوحيان بهذا الردّ. بينما ذكر السمين رداً آخر فقال: «أما قوله ـ أي الأعلم ـ «جاء على غير تابع» فذلك لا يمنع كونه صفة، لأنه إذا علم الموصوف جاز حذفه وبقاء صفته، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ

---

(١) الدر المصون ٣/ ٤٩٨ـ٤٩٩.

(٢) يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ولد عام ٤١٠هـ كان عالماً باللغة والعربية، ومعاني الأشعار، حافظاً بجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، صنف عدة تصانيف منها: شرح الجمل للزجاجي، وشرح أبياته. توفي ٤٧٦هـ (إنباه الرواة ٤/ ٦٧).

(٣) عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي. كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات نحوياً متقدماً، أديباً، عالماً بالتفسير وصناعة الحديث، عارفاً بعلم الكلام والأصول حافظاً للتاريخ. صنف عدة تصانيف منها: الروض الأُنف، والتعريف والأعلام وغيرها توفي سنة ٥٨١هـ (البغية ٢/ ٨١) (الإنباه ٢/ ١٦٢).

(٤) البحر المحيط ١/ ١٢٨.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾[1] أي نوع مختلف، وكقول الشاعر[2]:

كـناطحٍ صخرةً يومـاً لِيُوهِنَـها فلم يَضْرِها وأوْهَى قَرْنَه الوَعِلُ

أي كوعلٍ ناطح، وهو كثير»[3].

٧ـ في البلاغــة:

وقد ظهر تميز السمين عن شيخه في البلاغة، فذكر إشارات لم ترد عند شيخه، وخاصة في علم المعاني إذ اهتمام السمين به أكثر من شيخه ومن الإشارات البلاغية التي انفرد بها السمين:

أ ـ في علم المعاني:

١ ـ إقامة الظاهر موقع المضمر.

وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[4] قال: «قوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من إيقاع الظاهر موقع المضمر فيهما، تنبيهاً على عداوة الكافر للمؤمن، إذ الأصل: فأيدناهم عليهم...»[5].

ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[6] قال: وقوله «المفسدين» من وقوع الظاهر موقع ضمير المخاطب إذ الأصل: لا يصلح عملكم، فأبرزهم في هذه الصفة الذميمة شهادة عليهم بها»[7].

٢ ـ الحــذف:

ومن أمثلة ذلك: حديثه عن الحذف في قوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٢) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص٩٧.
(٣) الدر المصون ١/ ٣٠.
(٤) سورة الصف، الآية: ١٤.
(٥) الدر المصون ١٠/ ٣٢٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٨١.
(٧) الدر المصون ٦/ ٢٥٤.

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[1]. قال: «الجمهور على «أُجبتم» مبيناً للمفعول، وفي حذف الفاعل هنا ما لا يبلغ كنهه من الفصاحة حيث اقتصر على خطاب رسله غير مذكور معهم غيرهم، رفعاً من شأنهم وتشريفاً واختصاصاً»[2].

وحديثه عن فائدة حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[3] قال: «وفي قوله «قالا ربنا»: فائدة حذف حرف النداء هنا تعظيم المنادىٰ وتنزيهه. قال مكي: «ونداء الرب قد كثر حذف يا» منه في القرآن، وعلّة ذلك أن في حذف «يا» من نداء الرب معنى التعظيم والتنزيه، وذلك أن النداء فيه طرفٌ من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يازيد فمعناه: تعال يازيد، أدعوك يازيد، فحذفت «يا» من نداء الرب ليزول معنى الأمر وينقص لأن «يا» تؤكده وتُظهر معناه فكان في حذف «يا» الإجلال والتعظيم والتنزيه»[4].

ب ـ في علم البيان:

ومن الإشارات البلاغية التي انفرد بها السمين عن شيخه. بيانه للاستعارة التي في «ينكثون» عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[5] قال: «والنكث: النقض، وأصله من نكث الصوف المغزول ليغزل ثانياً وذلك المنكوث نِكْث كذِبْح ورِعْي والجمع أنكاث، فاستعير لنقض العهد بعد إحكامه وإبرامه، كما في خيوط الأكسية إذا نكث بعدما أُبرمت. وهذا من أحسن الاستعارات»[6]

ويتميز السمين عن شيخه في الجوانب البلاغية باهتمامه بشرح النوع أو الفن البلاغي الذي في الآية ويبين حقيقته عند علماء البلاغة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.
(٢) الدر المصون ٥/ ٤٨٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٤) الدر المصون ٥/ ٢٨٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣٥.
(٦) الدر المصون ٥/ ٤٣٧.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[1] فقد ذكر أبوحيان سبب مجيء كلمة «مرسلون» مؤكدة واكتفى بذلك.[2]

بينما ذكر السمين ذلك وزاد عليه بيان أضرب الخبر. فقال: «قوله: إنا إليكم مرسلون» جرد خبر «إن» هذه من لام التوكيد، وأدخلها في خبر الثانية، لأنهم في الأولى استعملوا مجرد الإنكار فقابلتهم الرسل بتوكيد واحد وهو الإتيان بـ «إن» وفي الثانية بالمبالغة في الإنكار فقابلتهم بزيادة التوكيد فأتوا بـ «إن وباللام».

قال أهل البيان: الأخبار ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري، فالأول يُقال لمن يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زيد عارف، والثاني: لمن هو متردد في ذلك، طالب له منكر له بعض إنكار، فيقال له: إن زيداً عارف، والثالث لمن يبالغ في إنكاره، فيقال له: إن زيداً لعارف. ومن أحسن ما يُحكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكندي فقال: إني أجد في كلام العرب حشواً قال: وما ذاك؟ قال: يقولون: زيد قائم، وإن زيداً قائم، وإن زيداً لقائم فقال: كلا بل المعاني مختلفة، فزيد قائم إخبار بقيامه، وإن زيداً قائم جواب لسؤال سائل، وإن زيداً لقائم جواب عن إنكار منكر»[3].

ومثال آخر: عند الحديث عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾[4] ذكر أبوحيان والسمين قول الزمخشري في توضيح هذا التشبيه فقالا: قال الزمخشري: «هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه، وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرته ورفيفه».

---

(١) سورة يس، الآية: ١٤.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣١٣. وقد استدرك السمين على شيخه مخالفة قوله لقواعد علم البيان، وسيأتي ذكر ذلك ـ إن شاء الله ـ في استدراكات السمين على شيخه في الجوانب البلاغية.

(٣) الدر المصون ٩/ ٢٥١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٤.

واكتفى أبوحيان بهذا النقل في حديثه عن هذا التشبيه[1]، وزاد السمين عليه فبين حقيقة هذا التشبيه عند البلاغيين، وذكر أنواعه فقال: «التشبيه المركب في اصطلاح البيانيين: إما أن يكون طرفاه مركبين، أي تشبيه مركب بمركب كقول بشار بن برد[2]:

كأن مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وذلك أنه يشبه الهيئة الحاصلة من هَويّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار في جوانب شيء مظلم بليل سقطت كواكبه. وإما أن يكون طرفاه مختلفين بالإفراد والتركيب وتقسيماته في غير هذا الموضوع»[3].

تفرده عن شيخه بمناقشات بلاغية.

وينفرد السمين ببعض المناقشات لعلماء البلاغة مما لم يرد عند شيخه ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[4] قال: «قوله ﴿وسبحه﴾ فيه دليل على عدم ما قال بعض أهل علم المعاني والبيان: إن الجمع بين الحاء والهاء مثلاً يُخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول الشاعر[5]:

كريمٌ متى أمْدَحْه أمْدَحه والورىٰ معي إذا ما لُمْتُه لُمْتُه وَحْدي

البيت لأبي تمام. ويمكن أن يُفَرّق بين ما أنشدوه وبين الآية الكريمة بأن التكرار في البيت هو المُخْرِج له عن الفصاحة بخلاف الآية الكريمة فإنه لا

---

(١) البحر المحيط ٥/ ١٤٤.

(٢) بشار بن برد العُقيلي. أشهر الشعراء المولدين. أدرك الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة ١٦٧هـ. (الأعلام ٢/ ٥٢).
والبيت في ديوانه ص١٤٦.

(٣) الدر المصون ٦/ ١٧٦ـ١٧٧.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢٦.

(٥) ديوان أبي تمام ٢/ ١١٦. وأبوتمام هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. في شعره قوة وجزالة. له تصانيف منها: فحول الشعراء، وديوان الحماسة.. وغيرهما. توفي سنة ٢٣١هـ. (الأعلام ٢/ ١٦٥).

تكرار فيها»[1].

٨ ـ في مجال القراءات:

استقى السمين كثيراً من القراءات من شيخه أبي حيان ـ كما أسلفت ـ إلا أنه مع ذلك ظهر تميزه عن شيخه في هذا من حيث:

١ ـ ذكره لبعض القراءات الشاذة التي لم ترد عند شيخه.

٢ ـ توسعه في مجال توجيه القراءات وخاصة في مجال الدفاع عنها.

١ ـ تفرده ببعض القراءات الشاذة.

تفرد السمين بذكر بعض القراءات الشاذة التي لم ترد عند شيخه ومن أمثلة ذلك:

١ ـ قراءة ابن بريدة[2] «عابدَ الطاغوت» في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾[3]

قال السمين: «وقرأ ابن بُريدة: «عابد» بنصب الدال كضارب زيدٍ، وهو أيضاً مفرد يراد به الجنس»[4].

٢ ـ قراءة «تَسْأَلُ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[5]. قال: وقُرِيء شاذاً: «تَسْأَل» مبنياً للفاعل مرفوعاً..»[6].

٣ ـ قراءة: رفع «يعقوب» ونصب «الموت» في قوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٦٢٥.

(٢) عبدالله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي أبوسهل المروزي. تابعي روى عن أبيه وعدد من الصحابة. (تهذيب التهذيب ٥/ ١٥٧).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٤) الدر المصون ٤/ ٣٣٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٦) الدر المصون ٢/ ٩٢.

ٱلْمَوْتُ ﴾[1]. قال: «المشهور نصب «يعقوب» ورفع «الموت».. وقرأ بعضهم بالعكس ـ أي برفع «يعقوب» ونصب «الموت»»[2].

٤ ـ قراءة «ولكن البارّ» في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[3] الآية. قال: «وقريء: ولكنّ البارّ» بالألف[4].

٥ ـ قراءة النخعي ومروان به الحكم[5] «بما آتوا» في قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾[6] الآية. قال: «وقرأ النخعي ومروان بن الحكم «بما آتوا» ممدوداً أي: أعطوا»[7].

٢ ـ تميّز السمين في مجال الدفاع عن القراءات.

للسمين منهج واضح ومحافظ في الدفاع عن القراءات وخاصة المتواترة، وهذا المنهج أفاده من موقف شيخه الملتزم في هذا الجانب ـ في أغلب الأحيان ـ إلا أنه ـ أي السمين ـ قد أولى هذا الأمر اهتماماً كبيراً، وشغل حيزاً كبيراً في كتابه ـ كما سيأتي تفصيله ـ فزاد على شيخه في هذا المجال زيادات كثيرة ومن أمثلة ذلك:

عند الدفاع عن قراءة ابن عامر ببناء «زين» للمفعول، ورفع «قتل»، ونصب «أولادهم» وخفض «شركائهم» في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[8]

إذ تجرأ بعض العلماء على هذه القراءة السبعية المتواترة فضعفوها ولحنوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) الدر المصون ٢/ ١٢٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤) الدر المصون ٢/ ٢٤٧.

(٥) مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي. مولده بمكة من كبار التابعين. استولى على الشام ومصر تسعة أشهر، ومات خنقاً أول رمضان سنة ٦٥هـ. (السِّير ٣/ ٤٧٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٧) الدر المصون ٣/ ٥٣٠.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

قارئها. وسأبين الآن جهد أبي حيان والسمين في الدفاع عنها للمقارنة بينهما في هذا المجال.

ذكر أبو حيان بعض من انتقد هذه القراءة، فذكر ابن عطية والزمخشري وأباعلي الفارسي.. ثم ردّ عليهم بإثبات صحة وسلامة هذه القراءة في اللسان العربي.

وذكر السمين ما ذكره شيخه وتميز عليه بما يلي:

١ ـ توسعه في الحديث عن علوّ إسناد ابن عامر ومكانته.

٢ ـ أنه ذكر أناساً آخرين انتقدوا القراءة وهم: النحاس، وأبوعبيد، وابن جني، ومكي. وذكر أقوالهم مفصلة.

٣ ـ ذكر العلماء الذين انتصروا للقراءة وهم: ابن الأنباري، والكسائي، والكرماني، وابن خرّوف[١]. وذكر أقوالهم في الانتصار للقراءة وبيان سلامتها في اللسان العربي.

وقد استغرق دفاع السمين عن هذه القراءة سبع صفحات[٢]، بينما لم يكتب عنها أبو حيان سوى صفحة ونصف صفحة تقريباً[٣].

٣ـ توجيه السمين لقراءة لم يوجهها شيخه:

ومثال ذلك: توجيه قراءة ﴿أَفَعَيِّينَا﴾[٤] وهي قراءة ابن أبي عبلة[٥]، وقد ذكر السمين أن في قوله ﴿أَفَعَيِينَا﴾ قراءتين شاذتين خرّج إحداهما الشيخ ولم

---

(١) علي بن محمد الأشبيلي ابن خروف الأندلسي. كان إماماً في العربية. محققاً مدققاً، صنف شرح سيبويه وشرح الجمل. توفي ٦٠٩هـ أشبيليه (بغية الوعاة ٢/ ٢٠٣).

(٢) انظر: الدر المصون ٥/ ١٦٢ ـ ١٧٥.

(٣) انظر: البحر المحيط ٤/ ٢٣٢ـ٢٣٣.

(٤) سورة ق، الآية: ١٥.

(٥) إبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن المرتحل الشامي الدمشقي، تابعي ثقة كبير، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة في صحة إسنادها إليه نظر. توفي سنة ١٥٢هـ (السير ٦/ ٣٢٣) (طبقات القراء ١/ ١٩).

يخرج الأخرى ـ وهي القراءة المذكورة هنا ـ. فقال: «ولم يذكر ـ أي أبوحيان ـ توجيه القراءة الأخرىٰ. وتوجيهها: أنها من عيَّا يُعيِّي كحلّى يُحلِّي»[1].

(١) الدر المصون ١٠/ ٢٣.

رابعاً: استقلاله في ترجيحاته واختياراته ومناقشاته.

ومن المظاهر التي برز من خلالها استقلال السمين وظهور شخصيته: استقلاله في ترجيحاته واختياراته ومناقشاته.

أ ـ استقلاله في ترجيحاته.

وقد برز استقلال السمين هنا من وجهين هما:

١ ـ ترجيحه في مواطن لم يرجح فيها شيخه.

ومثال ذلك: عند بيان المخاطب بقوله: «ارجعون» في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[١]. قال: «في قوله: «ارجعون» بخطاب الجمع ثلاثة أوجهٍ، أجودها: أنه على سبيل التعظيم..

الثاني: أنه نادى ربه، ثم خاطب ملائكة ربه بقوله: «ارجعون» ويجوز على هذا الوجه أن يكون على حذف مضاف أي: يامِلائكة ربي...

الثالث: أن ذلك يدل على تكرير الفعل، كأنه قال: «ارجعون ارجعون ارجعون»[٢].

فالسمين هنا اختار القول الأول وجوّده. بينما شيخه ذكر قولين[٣] ولم يرجح.

٢ ـ اختلاف ترجيحه عن ترجيح شيخه.

فقد لا يرتضي السمين ما اختاره شيخه، ويختار ويرجح قولاً آخر.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان المراد بـ«اللسان» في قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[٤].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.
(٢) الدر المصون ٨/ ٣٦٦.
(٣) انظر: البحر المحيط: ٦/ ٣٨٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

قال السمين: «. . . وقوله: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى﴾ المراد باللسان الجارحة لا اللغة، كذا قال الشيخ[1]، يعني أن الناطق بلعن هؤلاء لسان هذين النبيين.

ثم قال: وفي النفس من كون المراد باللسان الجارحة شيء، ويؤيد ذلك ما قاله الزمخشري فإنه قال: «نزّل الله لعنهم في الزبور على لسان داود، وفي الإنجيل على لسان عيسى» وقوة هذا تأبى كونه الجارحة، ثم إني رأيت الواحدي ذكر عن المفسرين قولين، ورجّح ما قلته قال ـ رحمه الله ـ: «وقال ابن عباس: يريد في الزبور لسان داود والإنجيل لسان عيسى». فهذا نص في أن المراد باللسان غيرُ الجارحة.

ثم قال: وقال الزجاج: «وجائز أن يكون داود وعيسى عَلِما أن محمداً نبي مبعوث، وأنهما لعنا من يكفر به» والقول هو الأول، فتجويز الزجاج لذلك ظاهر أنه يُراد باللسان الجارحة ولكن ليس قولاً للمفسرين»[2].

ب ـ استقلال السمين في آرائه ومناقشاته.

قد يضعف أبوحيان قولاً، ولا يرى السمين تضعيفه سليماً.

ومثال ذلك: عند إعراب «ولا ينفعهم» في قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[3]. قال أبوحيان: «وجوز بعضهم ـ يعني أبوالبقاء[4] ـ أن يكون «لا ينفعهم» على إضمار هو أي: وهو لا ينفعهم فيكون في موضع رفع وتكون الواو للحال فتكون جملة حالية، وهذا ضعيف[5]».

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٥٤٨.

(٢) الدر المصون ٤/ ٣٨٢ـ٣٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) التبيان لأبي البقاء ١/ ٥٥.

(٥) البحر المحيط ١/ ٥٠٢. وقد ذكر أبوحيان هذا القول مبهماً بقوله «بعضهم» ولم ينسبه.

بينما ذكر السمين هذا القول ولم يضعفه[1].

ويدخل في هذه المسألة المسائل الكثيرة التي تعقب فيها السمين أباحيان في مناقشاته لكثير من العلماء من نحاة ولغويين ومفسرين وسيأتي تفصيل ذلك في: استدراكات السمين على شيخه[2].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٤.

(٢) انظر: ص (١٠٣) من هذه الكتاب.

خامساً: تفرد السمين ببعض المباحث المطوّلة:

تفرد السمين عن شيخه بذكره لبعض المباحث ومن أمثلة ذلك: مبحث «الاستعاذة» فقد ذكره السمين في بداية كتابه وتحدث عن ذلك في ست صفحات[1]، ولم يتحدث أبوحيان عن ذلك البتة. وسأذكر ـ باختصار ـ العناصر التي تعرض لها في بحثه للاستعاذة.

١ ـ ذكر أولاً سبب تعرضه لذلك.
٢ ـ ثم تعرض لكلمة «أعوذ» وبين معناها، وصرفها، وإعرابها.
٣ ـ واستطرد في الحديث عن مواضع استتار الفاعل وجوباً عندما بين أن الفاعل مستتر وجوباً في «أعوذ».
٤ ـ ثم بين معنى «الباء» في «بالله» والأقوال فيها.
٥ ـ ثم انتقل لكلمة «الشيطان» وتحدث عنها من حيث معناها، واشتقاقها.
٦ ـ ثم بيّن إعراب كلمة «الرجيم» واستطرد بعد ذلك في الحديث عن بعض أحكام النعت وختم ببيان اشتقاق تلك الكلمة.

---

(١) انظر: الدر المصون ١/ ٧ـ١٢.

سادساً: توسع السمين في بعض المسائل:

ومما يثبت استقلال السمين عن شيخه توسعه في بحث بعض المسائل أكثر من شيخه.

ومن ذلك: اهتمام السمين بالآيات المشكلة التي كثرت الأقاويل في إعرابها وتخريج قراءاتها[1].

---

(١) لمزيد من الأمثلة انظر:

١ ـ عند قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ آية ٧٣. قال: «اعلم أن في هذه الآية كلاماً كثيراً لابد من إيراده عن قائليه ليتضح ذلك» ثم تحدث عنها في ثمان صفحات ٣/ ٢٥٢ـ٢٦٠.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ سورة المائدة، الآية: ١٠٦. حيث قال: «ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكعّون عنها..» ثم ذكر أقوال العلماء في استشكالها وصعوبتها ثم قال: «وأنا استعين الله تعالى في توجيه إعرابها واشتقاق مفرداتها وتصديق كلماتها وقراءاتها ومعرفة تأليفها مما يختص بهذا الموضوع..» ثم تحدث عنها في ست عشرة صفحة ٤/ ٤٥٤ـ٤٧٠.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ سورة النساء، الآية: ١٢. قال: «هذه الآية مما ينبغي أن يطول فيها القول لإشكالها واضطراب أقوال الناس فيها». ثم تحدث عنها في سبع صفحات ٣/ ٦٠٦ـ٦١٣.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ سورة هود، الآية: ٨١. قال: «وفي هذه الآية الكريمة كلام كثير لابد من استيفائه». ثم تحدث عنها في أربع صفحات ونصف تقريباً ٦/ ٣٦٥ـ٣٦٩.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ...﴾ سورة هود، الآية: ١١١. قال: «هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وعسر علىٰ أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً، وقد سهّل الله تعالى، فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها». وسطّر في ذلك عشرين صفحة ٦/ ٣٩٧ـ٤١٦.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ سورة النجم، الآية: ٥٠. قال: «اعلم أن هذه الآية الكريمة من أشكل الآيات نقلاً وتوجيهاً، وقد يسر الله تعالى تحرير ذلك كله بحوله وقوته..» ثم تكلم عنها في ست صفحات ١٠/ ١٠٧ـ١١٣.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ سورة المزمل، الآيتان ٣، ٤. قال: قوله: ﴿إلا قليلاً نصفه﴾ للناس في هذا كلام كثير، واستدلال على جواز استثناء الأكثر والنصف، =

ومن أمثلة ذلك:

١ـ حديثه عن قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ﴾[١] قال: «الكلام على هذه الآية فيه صعوبة وإشكال فيحتاج من أجل ذلك إلى بسط في العبارة، ولنبدأ أولاً بضبط قراءاتها وتفسير معناها، فإن الإعراب متوقف على ذلك»[٢].

ثم تحدث عن هذه الآية في سبع صفحات، بينما تحدث عنها أبوحيان بِنَفَسٍ أقل من نَفَسِ السمين في صفحة ونصف تقريباً.

٢ـ حديثه عن «كأين» عند قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[٣]، وقد صرح السمين بتوسعه في حديثه عن المسائل التي فيها أكثر من شيخه فقال: «واختار الشيخ[٤] أن «كأين» كلمة بسيطة غير مركبة وأن آخرها نون هي من نفس الكلمة لا تنوين، لأن هذه الدعاوي المتقدمة لا يقوم عليها دليل، والشيخ قد سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم، مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد وتشحيذ الذهن وتمرينه. هذا ما يتعلق بـ«كأين» من حيث الإفراد».

فقد تحدث عنها من حيث الإفراد في خمس صفحات تقريباً[٥]. ومن حيث التركيب في أربع صفحات[٦].

= واعتراضات وأجوبة عنها. وها أنا أذكر ذلك مُحرَّراً له بعون الله تعالى» وتحدث عنها في ست صفحات ١٠/ ٥١٠ـ٥١٦.

(١) سورة آل عمران: الآية: ٦٦.

(٢) الدر المصون ٣/ ٢٣٥ـ٢٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) انظر: البحر المحيط ٣/ ٧١.

(٥) ٣/ ٤٢١ـ٤٢٦.

(٦) الدر ٣/ ٤٢٦ـ٤٢٩.

سابعاً: استدراكات السمين على شيخه:

ومما يثبت استقلال السمين عن شيخه تعقبه له في كثير من المواطن وقد أشاد بعض العلماء بهذه المناقشات وقيمتها العلمية. فقال ابن حجر في معرض حديثه عن مؤلفات السمين: وله ـ أي كتابٌ ـ في الإعراب سماه الدر المصون في ثلاثة أسفار بخطه صنفه في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة غالبها جيد. .»[1].

وقد قمت بتقسيم هذه المناقشات إلى عدة عناصر هي:

١ ـ استدراكه عليه في النقل عن المصادر.

٢ ـ استدراكه عليه في الاشتقاق والصرف.

٣ ـ استدراكه عليه في اللغة وبيان معاني الكلمات.

٤ ـ استدراكه عليه في النحو والإعراب.

٥ ـ استدراكه عليه في البلاغة.

٦ ـ استدراكه عليه في القراءات.

٧ ـ استدراكه عليه في التفسير.

٨ ـ تعقبه في ذكره للأقوال الضعيفة.

٩ ـ اتهامه لشيخه بالتناقض في كلامه.

١٠ ـ انتقاده لشيخه إطلاق بعض الألفاظ التي لا تجوز.

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٣٦١.

١ـ استدراكه عليه في النقل عن المصادر:

تعقب السمين شيخه في بعض نقوله من حيث:

١ ـ عدم فهمه لبعضها.

٢ ـ عدم صحة نقله ـ أحياناً ـ.

٣ ـ عدم نسبة بعض النقول لأصحابها.

١ ـ عدم فهمه لبعض النقول:

ومن أمثلة ذلك: عند بيان أيهما أكثر دلالة على الكثرة الجنس أو الجمع أي قرآءتي «كتبه، أو كتابه» في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾[١].

نقل السمين أن شيخه قال: «قال الفارسي: «هذا الإفراد ليس كإفراد المصادر وإن أُريد بها الكثير كقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[٢] ولكنه كما تفرد الأسماء التي يراد بها الكثرة نحو: كثُر الدينار والدرهم، ومجيئها بالألف واللام أكثر من مجيئها مضافة. ومن الإضافة «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها». وفي الحديث «ومنعت العراق درهمها وقفيزها[٣]» يراد به الكثير، كما يراد بما فيه لام التعريف».

قال الشيخ: انتهى ملخصاً، ومعناه: أن المفرد المحلي بالألف واللام يَعمّ أكثر من المفرد المضاف».

قال السمين مستدركاً على شيخه في فهمه السابق لكلام الفارسي: وليس في كلامه ما يدل على ذلك البتة، إنما فيه أن مجيئها في الكلام معرفة بأل أكثر من مجيئها بالإضافة، وليس فيه تعرض لكثرة عموم ولا قلته»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم (٢٨٩٦)

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٩٣.

وانظر أمثلة أخرى في: ٢/ ١٦٥ فقد اتهم السمين شيخه بعد فهم كلام المهدوي وابن عطية وتحميل لكلامهما ما لا يحتمل.

٢ ـ اتهامه لشيخه بعدم صحة نقله ـ أحياناً ـ:

قد يتتبع السمين نقل شيخه عن أحد العلماء ليبين أن هذا النقل غير صحيح ويؤكد السمين تعقبه هذا فيأتي بطرف ثالث يؤكد ما ذهب إليه. ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «كذلك زين» في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[١].

فقد نقل السمين أن شيخه ـ أبا حيان ـ نقل قول ابن الأنباري في إعراب هذه الآية. ولكن السمين استدرك على شيخه في هذا النقل وشكك في صحته وأيّد ذلك بقول الواحدي.

قال السمين: قال الشيخ: «قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون «كذلك» مستأنفاً غير مشار به إلى ما قبله فيكون المعنى: وهكذا زيّن». قال السمين: والمنقول عن ابن الأنباري أنه مشار به إلى ما قبله، نقل الواحدي عنه أنه قال: «ذلك» إشارة إلى مانعاه الله عليهم مِنْ قسمهم ما قسموا بالجهل فكأنه قيل: ومثل ذلك الذي أتوه في القَسْم جهلاً وخطأً زيّن لكثير من المشركين فشبّه تزيين الشركاء بخطابهم في القسم، وهذا معنى قول الزجاج»[٢].

٣ ـ عدم نسبة الأقوال.

ويتهم السمين شيخه بعدم نسبة بعض الأقوال والنقول لأصحابها.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان المراد بالاشتراء في قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾[٣]. قال السمين: والاشتراء هل هو باقٍ على حقيقته أو يراد به البيع؟ قولان، أظهرهما الأول... قال الفارسي: «وتقديره لا نشتري به ذا ثمن، ألا ترى أن الثمن لا يُشترى، وإنما يُشترى ذو الثمن قال: وليس الاشتراء هنا بمعنى البيع وإن جاء لغة، لأن البيع إبعاد عن البائع، وليس

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

(٢) الدر المصون ٥/ ١٦١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

المعنى عليه، إنما معناه التمسك به والإيثار له على الحق». قال السمين: وقد نقل الشيخ[1] هذا الكلام بعينه ولم يعزه لأبي علي»[2].

ويتهم السمين شيخه بالتعمية في النقل:

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة ﴿وعَبْدَ الطاغوتَ﴾ بفتح العين والدال وسكون الباء ونصب التاء وهي قراءة الحسن البصري في رواية عبّاد[3]. في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[4].

قال السمين: وقد خرجها ابن عطية على وجهين أحدهما: أنه أراد «وَعبْداً الطاغوت» فحذف التنوين من «عبداً» لالتقاء الساكنين... والثاني: أنه أراد «وعبَد» بفتح الباء على أنه فعل ماضٍ كقراءة الجماعة إلا أنه سكّن العين...

ثم قال السمين: وقال الشيخ ـ بعد أن حكى التخريج الأول عن ابن عطية ـ: «وهذا التخريجُ لا يصح لأن عَبْداً لا يمكن أن ينصب الطاغوت، إذ ليس بمصدر ولا اسم فاعل، فالتخريج الصحيح أن يكون تخفيفاً من «عَبَد» كـ «سَلْف» في «سَلَف».

ويُعلّق السمين على كلامه شيخه فيقول: «لو ذكر التخريجين عن ابن عطيه، ثم استشكل الأول لكان إنصافاً لئلا يُتوهّم أن التخريج الثاني له[5].

٢ ـ استدراك السمين على شيخه في الاشتقاق والصرف.

أ ـ تعقب السمين شيخه في مجال الاشتقاق.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان اشتقاق كلمة «تلهّىٰ» في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٤٨.

(٢) الدر المصون ٤/ ٤٦٧. وانظر أمثلة أخرى في: (٤/ ٣٥٢، ٦/ ٦).

(٣) عبّاد بن ميسرة البصري، روى عن الحسن وابن المنكدر وروى عنه الغساني. (تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٧).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٥) انظر: الدر المصون ٤/ ٣٣٠ـ٣٣١. أقول: وقد عاب السمين على شيخه هنا ما وقع فيه هو كما سيأتي تفصيله في مبحث: المآخذ ص(٦٨٩).

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[1]. قال السمين: «أصله تتلهّى من لَهِىَ يلهى بكذا، أي: اشتغل، وليس هو من اللهو في شيء. وقال الشيخ: «ويمكن أن يكون منه، لأن ما يُبنى على فَعِل من ذوات الواو تنقلب واوه ياءً لانكسار ما قبلها نحو: شقي يشقى. فإن كان مصدره جاء بالياء فيكون من مادةٍ غير مادة اللهو». ويتعقب السمين كلام شيخه السابق فيقول: الناس إنما لم يجعلوه من اللهو لأجل أنه مسند إلى ضمير النبي ﷺ، ولا يليق بمنصبه الكريم أنه ينسب الله تعالى إليه التفعُّل من اللهو بخلاف الاشتغال، فإنه يجوز أن يصدر منه في بعض الأحيان، ولا ينبغي أن يعتقد غير هذا، وإنما سقط الشيخ»[2].

ب ـ ومثال تعقب السمين لشيخه في التصريف:

عند حديثه عن قراءة «تترى» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[3].

قال: «واختُلف فيها: هل هي مصدرٌ كدعوىٰ وذكرىٰ، أو اسم جمع كأسرىٰ وشتى، كذا قالهما الشيخ[4]. وفيه نظر؛ إذ المشهور أن أَسْرى وشتّىٰ جمعًا تكسير لا اسما جمع. وفاؤه في الأصل واوٌ؛ لأنها من المواترة والوِتر، فقلبت تاءً كما قلبت تاءً في توارة وتولج وتيقور وتُخمة وتراث وتُجاه، فإنها من الوَرْي والوُلوج والوقار والوخامة والوِراثة والوَجْه»[5].

٣ـ استدراك السمين على شيخه في اللغة.

مثال ذلك: عند بيان معنى «اتقيتنّ» في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[6].

قال السمين: قوله: «إن اتقيتنّ» في جوابه وجهان. أحدهما: أن جوابه قوله «فلا

---

(١) سورة عبس، الآيات ٨، ٩، ١٠.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٦٨٨. وانظر أمثلة أخرى في: (٣/ ١٧٤، ١٧٥) و(٥/ ١٤٤).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٦٤.

(٥) الدر المصون ٨/ ٣٤٥.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

تخضعن»، والتقوى على بابها. وجوّز الشيخ على هذا أن يكون «اتقى» بمعنى استقبل أي: استقبلتن أحداً فلا تلنّ له القول. واتقى بمعنى استقبل معروف في اللغة وأنشد[1]:

سَقَطَ النصيفُ ولَمْ تُرِدْ إِسْقاطَه فتنـاولَـتْه واتَّقتـنا باليـدِ

أي: واستقبلتنا اليد. قال: ـ أي أبوحيان ـ ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهن إذ لم يُعلّق فضيلتهنّ على التقوى ولا على نهيه عن الخضوع بها، إذ هنّ متقيات الله تعالى في أنفسهن. والتعليق يقتضي ظاهره أنهنّ لَسْنَ متحليات بالتقوى»[2].

قال السمين مستدركاً على شيخه كلامه السابق: «هذا خروج عن الظاهر من غير ضرورة. وأما البيت فالاتقاء أيضاً على بابه أي صانت وجهها بيدها عنّا»[3].

٤ ـ استدراك السمين على شيخه في الإعراب والنحو:

مع تمكن أبي حيان وشهرته في النحو إلا أن السمين قد استدرك عليه في كثير من المواضع بعض أعاريبه.

أ ـ قد يردّ السمين إعراب شيخه لمخالفته للصناعة والمعنى ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب «من النبيين» في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4]. ذكر السمين أن في ذلك أربعة أوجه فقال: أظهرها: أنه بيان للذين أنعم الله عليهم. والثاني: أنه حال من الضمير المجرور في «عليهم»، والثالث: أنه حال من الموصول وهو في المعنى كالأول. وعلى هذين الوجهين فيتعلق بمحذوف أي: كائنين من النبيين. والرابع: أن يتعلق بـ «يطع». قال الراغب: أي: ومن يطع الله والرسول من النبيين ومن بعدهم، ويكون قوله: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» إشارة إلى الملأ الأعلى، ثم قال: «وحسن أولئك رفيقاً» ويبين ذلك قوله عليه السلام ـ عند الموت: «**اللهم ألحقني بالرفيق**

---

(١) البيت للنابغة وهو في ديوانه (٩٣).

(٢) البحر المحيط ٧/ ٢٢٢.

(٣) الدر المصون ٩/ ١١٩ـ١٢٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الأعلى»[1] وهذا ظاهر» انتهى.

وقد أفسده الشيخ من جهة المعنى ومن جهة الصناعة. أما من جهة المعنى فلأن الرسول هنا هو محمد ﷺ، وقد أخبر تعالى أنه من يطع الله ورسوله فهو مع من ذُكر، ولو جُعل «من النبيين» متعلقاً بـ «يُطع» لكان «من النبيين» تفسيراً لـ «مَنْ» الشرطية فيلزم أن يكون في زمانه عليه السلام أو بعده أنبياء يطيعونه، وهذا غير ممكن لقوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ وقوله عليه السلام: «**ولا نبي بعدي**»[2].

وأما من جهة الصناعة فلأن ما قبل الفاء الواقعة جواباً للشرط لا يعمل فيما بعدها، لو قلت: إن تضرب يقم عمروٌ زيداً لم يجز[3].

ب ـ وقد يردّ السمين على شيخه إعرابه لمخالفته للصناعة النحوية.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «ألا تعبدوا» في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[4] قال السمين: «يجوز في «أنْ» ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة النهيية بعدها خبر، كذا أعربه الشيخ. وفيه نظر من وجهين، أحدهما: أنّ المخففة لا تقع بعد فعل إلا من أفعال اليقين. الثاني: أن الخبر في باب «إن» وأخواتها لا يكون طلباً، فإن وَرَدَ منه شيء أُوّل[5].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في مواضع منها: في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً (الصحيح مع الفتح ٧/ ٢٠). وفي كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (الصحيح مع الفتح ١٠/ ١٢٧). ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢١٩١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (الصحيح مع الفتح ٨/ ١١٢).

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٤.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٤.

(٥) الدر المصون ٩/ ٥١٥. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣١٥)(٢/ ٥٠، ٥٩٤)(٣/ ٢٧٦، ٤٢٧، ٥٩٧) (٤/ ٣٠٨) (٦/ ١٣٤) (٧/ ٣٧٩، ٤٢٧) (٨/ ٤٨٦) (٩/ ٢٣٦، ٢٧٧) (١٠/ ١٤، ٥٥١).

جـ وقد يردّ السمين إعراب شيخه لمخالفته للمعنى، ومن أمثلة ذلك:

عن بيان نوع الاستثناء في قوله «إلا من شاء» في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[1].

قال السمين: «فيه وجهان، أحدهما: أنه منقطع أي: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل. والثاني: أنه متصل على حذف مضافٍ يعني: إلا أجر مَنْ، أي: الأجر الحاصل على دعائه إلى الإيمان وقبوله؛ لأنه تعالى يأجرني على ذلك. كذا حكاه الشيخ، وفيه نظر؛ لأنه لم يسند السؤال المنفي في الظاهر إلى الله تعالى، إنما أسنده إلى المخاطبين. فكيف يصح هذا التقدير؟»[2].

ويتهم السمين شيخه بالتكلف المُخْرج للآية عن معناها في بعض أعاريبه. فعند بيان نوع «إذا» وإعراب ما بعدها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[3].

قال السمين: «و«إذا» هذه يجوز أن تكون شرطية، وهو الظاهر... وأن تكون لمجرد الظرفية. قال الشيخ: «ونصّوا على أنه يليها في النفي - يعني «إلا» - المضارع بلا شرط نحو: مازيد إلا يفعل، وما رأيت زيداً إلا يفعل والماضي بشرط تقدم فعل نحو: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟﴾[4] أو مصاحبة قد نحو «ما زيدٌ إلا قد فعل». وما جاء بعد «إلا» في الآية جملة شرطية، ولم يليها ماضٍ مصحوب بـ «قد» ولا عارٍ منها. فإن صح ما نصّوا عليه يُؤَوّل على أن «إذا» جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين «إلا» والفعل الذي هو «ألقى» وهو فصل جائز، فتكون «إلا» قد وليها ماض في التقدير وُجِد شرطه: وهو تقدم فعل قبل «إلا» وهو «وما أرسلنا».

قال السمين: «ولا حاجة إلى هذا التكلف المخرج للآية عن معناها بل هي

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

(٢) الدر المصون ٨/ ٤٩٢ وانظر أمثلة أخرى في: (٢/ ٢٥٢) و(٥/ ١٣٨) و(٨/ ١١٢) و(١٠/ ٣٨١).

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٤) سورة يس، الآية: ٣٠.

جملة شرطية: إما حال، أو صفة، أو استثناء، كقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ﴾[1] وكيف يُدّعى الفصل بها أو بالفعل بعدها بين «إلا» وبين «ألقى» من غير ضرورة تدعو إليه ومع عدم صحة المعنى؟»[2].

ويتعقب السمين تضعيف شيخه لإعراب واردٍ عن تابعي.

عند إعراب «فلا أقسم» في قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[3] قال: «فيها وجهان: أحدهما: أنها حرف نفي، وأن المنفي بها محذوف، وهو كلام الكافر الجاحد تقديره: فلا حجة لما يقول الكافر، ثم ابتدأ قسماً بما ذكر، وإليه ذهب جماعة من المفسرين والنحويين. وضُعّف هذا: بأن فيه حذف اسم «لا» وخبرها. قال الشيخ: ولا يجوز. قال السمين متعقباً لتضعيف شيخه: «ولا ينبغي، فإن القائل بذلك مثل سعيد بن جبير[4] تلميذ حبر القرآن وبحره عبدالله بن عباس، ويبعد أن يقوله سعيد إلا بتوقيف»[5].

٥ ـ استدراك السمين على شيخه في مجال البلاغة:

يفوق السمين شيخه في اهتمامه بعلم البلاغة، وقد مضى شيء من ذلك ولكني اذكر هنا أن السمين تعقب شيخه في حديثه عن بعض الإشارات البلاغية. وكان ـ أحياناً ـ يُعرّض بقلة بضاعة شيخه في علم البيان.

ومن أمثلة استدراكه عليه: عند قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾[6]. ذكر السمين سبب مجيء هذه الآية مؤكَّدة بأكثر من مؤكِّد «إنا، واللام في

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢٣.

(٢) الدر المصون ٨/ ٢٩٣.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

(٤) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، كوفي أحد أعلام التابعين. قتله الحجاج بن يوسف، قال عنه الإمام أحمد: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. (وفيات الأعيان ٢/ ٣٧١).

(٥) الدر المصون ١٠/ ٢٢٠ـ٢٢١.

(٦) سورة يس، الآية: ١٦.

لمرسلون» فقال: عند قوله: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1] جرد خبر «إن» هذه من لام التوكيد، وأدخلها في خبر الثانية، لأنهم في الأولى استعملوا مجرد الإنكار فقابلتهم الرسل بتوكيد واحد وهو الإتيان بـ«إن»، وفي الثانية بالمبالغة في الإنكار فقابلتهم بزيادة التوكيد فأتوا بـ«إن واللام».

ثم ذكر أضرب الخبر كما يقرره علماء البيان. ثم قال: «وقال الشيخ: وجاء أولاً «مرسلون» بغير لام، لأنه ابتداء إخبار فلا يحتاج إلى توكيد، وبعد المحاورة «لمرسلون» بلام التوكيد؛ لأنه جواب عن إنكار» ويتعقب السمين شيخه فيقول: «وهذا قصور عن فهم ما قاله أهل البيان» فإنه جعل المقام الثاني وهو الطلبي مكان المقام الأول وهو الابتدائي»[2].

ويتعقب السمين شيخه في كثير من إشارات الالتفات.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3].

قال: «قوله: ذلك بأنهم»: مبتدأ وخبر، والإشارة إلى الأمر بضربهم، والخطاب يجوز أن يكون للرسل، ويجوز أن يكون للكفار، وعلى هذا فيكون التفاتاً. كذا قال الشيخ. وفيه نظر لوجهين: أحدهما: أنه يلزم من ذلك خطاب الجمع بخطاب الواحد وهو ممتنع أو قليل، وقد حُكيت لُغيّة.

والثاني: أن بعده «بأنهم شاقوا» فيكون التفت من الغيبة إلى الخطاب في كلمة واحدة، ثم رجع إلى الغيبة في الحال وهو بعيد»[4].

وقد يُعرّض بقلّة بضاعة شيخه في علم البيان.

ومثال ذلك:

---

(١) سورة يس، الآية: ١٤.

(٢) الدر المصون ٩/ ٢٥١ـ٢٥٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٤) الدر المصون ٥/ ٥٨٠ وانظر أيضاً: (٣/ ٢١٨ و٤٦٤) (٤/ ٤٦٤).

عند بيان سبب تكرير «هم» وفائدته في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[1]. نقل أن الزمخشري قال: للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأن غيرهم مؤمنون بها». ثم قال الشيخ: «وليست «هم» عندنا تدل على الخصوص» قلت: لم يقل الزمخشري إن «هم» تدل على الخصوص، وإنما قال: تكرير «هم» للدلالة فالتكرير هو الذي أفاد الخصوص، وهو معنى حَسنٌ فهمه أهل البيان»[2].

٦ ـ استدراكه عليه في القراءات:

تعقب السمين شيخه في مجال علم القراءات. وقد قمت بتقسيم الأمثلة التي وجدتها في هذا المجال إلى:

١ ـ تعقبه في ردّه لبعض القراءات:

على الرغم من التزام أبي حيان في جانب القراءات إلا أنه قد وقعت منه بعض الهفوات في تضعيف بعضها فتعقبه السمين في ذلك. ومن أمثلته:

أـ عند قوله تعالى: ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾[3] قال السمين: «وقرىء بإسكان هاء «هو» قال الشيخ: وهذا أشذ من قراءة من قرأ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4] فقد حكم أبوحيان على قراءة ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهي قراءة متواترة بالشذوذ، فيقول السمين متعقباً له: «. . وليس بجيد، فإنها قراءة متواترة قرأ بها نافع ابن أبي نعيم قارىء أهل المدينة فيما رواه عنه قالون[5]، وهو أضبط رواته لحرفه وقرأ بها الكسائي أيضاً وهو رئيس النحاة»[6].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٧.

(٢) الدر المصون ٦/ ٤٩٧. وقد أغلظ على شيخه في هذا المثال ونسب إليه بطريق التعريض الجهل بعلم البلاغة. وانظر مثالاً آخر في (٩/ ٤٥٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٦١.

(٥) عيسى بن مينا المري الملقب قالون. قارىء المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته. توفي سنة ٢٢٠هـ. (طبقات القراء ١/ ٦١٥).

(٦) الدر المصون ٢/ ٦٥٥.

ب ـ عند ذكر القراءات في «منشّرة» في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾[1] قال السمين: «العامة على التشديد من نشّره بالتضعيف. وابن جبير[2] «منْشرة» بالتخفيف. والعامة أيضاً على ضم الحاء من «صحف». وابن جبير على تسكينها.

قال الشيخ: «والمحفوظ في الصحيفة والثوب نَشَر مخففاً ثلاثياً». قلت: «وهذا مردود بالقرآن المتواتر»[3].

٢ ـ تعقبه في نسبته الخطأ وعدم الضبط لبعض القرّاء الثقات.

مثال ذلك: عند ذكر القراءات في قوله: «إن يردني» في قوله تعالى: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾[4]. قال: قوله: «إن يُردْني». . فتح طلحة السلماني[5] ـ وقيل: طلحة بن مصرف[6] ـ ياء المتكلم. قال الزمخشري: «وقُرىء ﴿إن يُرِدْني الرحمنُ بضّرٍ﴾ بمعنى: إن يوردني ضراء، أي يجعله مورداً للضرر». قال الشيخ: «وهذا ـ والله أعلم ـ رأى في كتب القراءات بفتح الياء فتوهم أنها ياء المضارعة فجعل الفعل متعدياً بالياء المعدية كالهمزة، فلذلك أدخل همزة التعدية فنصب به اثنين، والذي في كتب القراءات الشواذ أنها ياء الإضافة المحذوفة خطّاً ونطقاً لالتقاء الساكنين».

قال السمين متعقباً لشيخه: «وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراءة فتقبل

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٥٢.

(٢) أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر الكوفي أبوجعفر. كان من أئمة القراء توفي سنة (٢٥٨هـ). (معرفة القراء ١/ ٢٠٧) (طبقات القراء ١/ ٤٣).

(٣) الدر المصون ١٠/ ٥٥٩.

(٤) سورة يس، الآية: ٢٣.

(٥) طلحة بن سليمان السمان مُقرىء مُصدَّر، أخذ القراءة عرضاً عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف وله شواذ تروى عنه. (غاية النهاية ١/ ٣٤١).

(٦) في الشواذ طلحة بن مصرف (الشواذ ص ١٢٥). وفي البحر (٧/ ٣١٥) والمحرر (١٣/ ١٩٦) طلحة السمان.

منه»[1].

٣ ـ وقد يلتبس الأمر على أبي حيان فيذكر القراءات في حرف، وليس الأمر كما ذكر بل هي في سورة أخرى غير التي ذكر.

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في «الأيكة» في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾[2] قال السمين: وقال الشيخ: وقرأ أبوجعفر[3] وشيبة[4] وطلحة[5] ونافع: «الأيكة» بلام التعريف، والجمهور «لَيْكة».

قال السمين: «وهذا الذي نقله غفلة منه، بل الخلاف المشهور إنما هو في سورة الشعراء وص كما حققته ثمة، وأما هنا فالجمهور على لام التعريف»[6].

٤ ـ وينتقده السمين في نسبته ضبط بعض القراءات إلى مصاحف الصحابة. عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ﴾[7] قال: وقرأ يحيى بن يعمر[8]: «وخَلْقهم» بسكون اللام. قال الشيخ: وكذا في مصحف عبدالله.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٢٥٥.

(٢) سورة ق، الآية: ١٤.

(٣) يزيد بن القعقاع أبوجعفر القاريء. أحد القراء العشرة تابعي مشهور. قال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القاريء بذلك. وكان ثقة. توفي سنة ١٢٧هـ وقيل غير ذلك. (معرفة القراء ١/ ٢٧٢) (طبقات القراء ٢/ ٣٨٢).

(٤) شيبة بن نصاح بن سرجس. إمام ثقة مقريء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها. وهو أول من ألّف الوقوف. توفي سنة ١٠٣هـ، وقيل: ١٣٨هـ. (طبقات القراء ١/ ٣٢٩).

(٥) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الهمداني الكوفي أبومحمد. تابعي كبير. قال عبدالله بن إدريس: كانوا يسمونه سيد القرّاء. توفي سنة ١١٢هـ، (طبقات القراء ١/ ٣٤٣).

(٦) الدر المصون ١٠/ ٢٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٨) يحيى بن يعمر أبوسليمان العدواني البصري، قاضي مرو، قيل: إنه أول من نقط المصاحف كان ذا السن وفصاحة. أخذ ذلك عن أبي الأسود الدؤلي. توفي قبل التسعين. (السير ٤/ ٤٤١) (معرفة القراء ١/ ٦٧) (طبقات القراء ٢/ ٣٨١).

قال السمين متعقباً: قوله: «كذا في مصحف عبدالله» فيه نظر حيث إن الشكل الاصطلاحي أعني ما يدل على الحركات الثلاث وما يدل على السكون كالجزء منه، كانت مصاحف السلف منها مجردة، والضبط الموجود بين أيدينا اليوم أمر حادث يقال إن أول من أحدثه يحيى بن يعمر، فكيف ينسب ذلك لمصحف عبدالله بن مسعود؟[1].

٧ـ استدراكه عليه في التفسير:

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[2]. قال السمين: «قال الشيخ: «من نصب «ذا عسرة» أو قرأ «معسراً» فقيل: يختص بأهل الربا ومن رفع فهو عام في جميع من عليه دين، قال: وليس بلازم؛ لأن الآية إنما سيقت في أهل الربا وفيهم نزلت» قال السمين: وهذا الجواب لا يجدي، لأنه وإن كان السباق كذا فالحكم ليس خاصاً بهم والعُسْرة بمعنى العسر»[3].

٨ـ استدراكه على شيخه ذكر الأقوال الضعيفة أو الخاطئة من غير تعقبها.

ويتعجب السمين من ذكر شيخه لبعض الأعاريب والأقوال الخاطئة من غير تعقبها. ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب كلمة «هارون» في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي﴾[4] قال السمين: «وجوّز أبوالبقاء أن يكون «هارون» عطف بيانٍ لـ «وزيراً». ولم يذكر الزمخشري غيره. ولما حكى الشيخ هذا لم يعقبه بنكير، وهو عجيب منه؛ فإن عطف البيان يشترط فيه التوافق تعريفاً وتنكيراً، وقد عرفت أن «وزيراً» و«هارون» معرفة»[5].

---

(١) الدر المصون ٥/ ٨٦، وانظر مثالاً آخر في ٥/ ٦٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٣) الدر المصون ٢/ ٦٤٥.
(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٩، ٣٠.
(٥) الدر المصون ٨/ ٣٠ـ٣١.

ومثال آخر: عند تخريج قراءة «سال» بدون همزة، في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾[1] قال السمين: والباء تتعلق بـ «سال» من السيلان تعلقها بـ «سال الماء بزيد» وجعل بعضهم الباء متعلقة بمصدر دلّ عليه فعل السؤال، كأنه قيل: ما سؤالهم؟ فقيل: سؤالهم بعذاب. كذا حكاه الشيخ عن الإمام فخر الدين، ولم يعترضه. وهذا عجب! فإن قوله أولاً: إنه متعلق بمصدر دل عليه فعل السؤال» ينافي تقديره بقوله: سؤالهم بعذاب؛ لأن الباء في هذا التركيب المقدّر تتعلق بمحذوف لأنها خبر المبتدأ لا بالسؤال[2].

٩ ـ اتهامه لشيخه بالتناقض.

ويتهم السمين شيخه بالتناقض ـ أحياناً ـ فما قرره في موضع فإنه قد يرده في موضع آخر.

مثال ذلك: عند إعراب قوله: «الجنَّ» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ﴾[3] ذكر السمين أن الزمخشري وابن عطية والحوفي[4] وأباالبقاء ومكي أجازوا أن يكون «شركاء» مفعولاً أول، ولفظ الجلالة «لله» متعلق بمحذوف. . ، و«الجنّ» بدل من شركاء.

وذكر أن الشيخ ردّ هذا فقال: وما أجازوه لا يجوز؛ لأنه يصح للبدل أن يحلّ محلّ المبدل منه فيكون الكلام منتظماً، لو قلت: وجعلوا لله الجن لم يصح، وشرط البدل أن يكون على نية تكرار العامل على أشهر القولين أو معمولاً للعامل في المبدل منه على قول، وهذا لا يصح هنا البتة لما ذكرنا.

وقد ردّ عليه السمين بردود، منها ـ هذا ـ الردّ الذي اتهمه فيه بالتناقض في

---

(١) سورة المعارج، الآية: ١.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٤٤٧ وانظر أيضاً: (٨/ ٣٨٨ـ٣٨٩) و(٨/ ٦٧٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٤) علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي المعرب. كان نحوياً قارئاً، صنف: البرهان في تفسير القرآن، والموضح في النحو. توفى سنة ٤٣٠هـ. (بغية الوعاة ١/ ١٤٠).

كلامه. فقال: . . وأيضاً فقد ردّ هو على الزمخشري عند قوله: ﴿**إلا ما أمرتني به أن اعبدوا**﴾ فإنه لا يلزم في كل بدل أن يحل محل المبدل منه، قال ـ أي أبوحيان ـ: «ألا ترى إلى تجويز النحويين زيد مررت به أبي عبدالله، ولو قلت: زيد مررت بأبي عبدالله لم يجز إلا على رأي الأخفش». وقد سبق هذا في المائدة، فقد قرر هو أنه لا يلزم حلول البدل محل المبدل منه فكيف يردّ به هنا؟»[1].

١٠ ـ استدراكه على شيخه إطلاق بعض الألفاظ التي لا تجوز.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[2] قال السمين: هذا إضراب ثانٍ. قال الزمخشري: إضراب أُتبع الاضراب قبله للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم، وهو التكذيب بالحق» وقال الشيخ: «وكأن هذا الاضراب بدلُ بَداءٍ من الأول» قال السمين: وإطلاق مثل هذا في كتاب الله لا يجوز البتة»[3].

---

(١) الدر المصون ٥/ ٨٤.

(٢) سورة ق، الآية: ٥.

(٣) الدر المصون ١٠/ ١٨، ١٩.

ثامناً: تعقب السمين لشيخه في استدراكاته على بعض العلماء المعربين.

من الأمور التي تثبت استقلال السمين عن شيخه تعقبه له في كثير من استدراكاته ومناقشاته للمعربين والنحاة.

وقد قمت بتقسيم هذا إلى:

١ ـ استدراكات السمين على مناقشات شيخه للزمخشري.

٢ ـ استدراكات السمين على مناقشات شيخه لعلماء ومعربين آخرين.

١ ـ استدراكات السمين على شيخه في مناقشته للزمخشري:

وقد أفردت تعقب السمين لشيخه في مناقشاته للزمخشري لكثرتها، فقد شغلت حيزاً كبيراً من المناقشات. وليس المقام هنا مقام دراسة هذه المناقشات، فهذا ليس مجال بحثي هنا وإنما أردت من ذكر هذه المناقشات إثبات استقلال السمين عن شيخه وقد اتخذت مناقشته لشيخه طريقين:

١ ـ التتبع والرد بالتفصيل.

وهذا هو الغالب على طريقة تعقب السمين لردود شيخه على الزمخشري.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان متعلق قوله «من المس» في قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1]. نقل السمين أن الزمخشري ذكر وجهين أحدهما: «أنه «لا يقومون» أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع.

قال أبوحيان متعقباً لكلام الزمخشري: «وكان قدّم في شرح المس أنه الجنون، وهذا الذي ذهب إليه في تعلق «من المَسّ» بقوله «لا يقومون» ضعيف لوجهين، أحدهما: أنه قد شرح المس بالجنون، وكان قد شرح أن قيامهم لا يكون إلا في الآخرة وهناك ليس بهم جنون ولا مس، ويبعد أن يكني بالمس الذي هو الجنون عن أكل الربا في الدنيا، فيكون المعنى: لا يقومون يوم القيامة أو من قبورهم من أجل أكل الربا إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، إذ لو أريد هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

المعنى لكان التصريح به أولى من الكناية عنه بلفظ المَسّ، إذ التصريح به أبلغ في الزجر والردع، والوجه الثاني: أن ما بعد «إلا» لا يتعلق بما قبلها إلا إن كان في حيز الاستثناء، وهذا ليس في حيز الاستثناء، ولذلك منعوا أن يتعلق «بالبينات والزبر» بقوله: وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً» وأن التقدير: وما أرسلنا بالبينات والزبر إلا رجالاً.

وقد تعقب السمين شيخه فرد على الوجهين اللذين ذكرهما شيخه فقال: «وأما تضعيفه المعنى فليس بجيد، بل الكناية في لسانهم أبلغ وهذا مما لا يُختلف فيه. أما الوجه الثاني فإنه يُغتفر في الجار والظرف ما لا يُغتفر في غيره، وشواهده كثيرة. والمس قد عُبّر به عن الجنون في لسانهم، قالوا: مُسّ فهو ممسوس: مثل: جُنّ فهو مجنون. ثم ذكر بعض الشواهد على ذلك[1].

٢ ـ الاكتفاء بالرد المجمل:

فقد يستدرك السمين على شيخه تعقبه للزمخشري ولا يبين السبب. ومثال ذلك: عند الحديث عن القراءتين اللتين في قوله: «أحل» في قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[2] وهما: «أحل» مبنياً للمفعول وهي قراءة الأخوان وحفص عن عاصم، و«أحل» بالبناء للفاعل.

قال السمين: «وادعى الزمخشري أن قراءة «أُحل» مبنياً للمفعول عطف على «حُرمت» ليُعطف فعل مبني للمفعول على مثله، وأما على قراءة بنائه للفاعل فجعله معطوفاً على الفعل المقدر الناصب لـ «كتاب» كأنه قيل: كتب الله عليكم تحريم

---

(١) انظر: الدر المصون ٢/ ٦٣١ـ٦٣٢.
ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣٢١، ٤٧٦) (٢/ ٤٢، ٣٣٥، ٤٤٥، ٤٥٥، ٥٥١، ٦١٣، ٦٣١) (٣/ ٧٥، ٤٧١، ٤٧٤) (٤/ ١٨٥، ٢٦٤، ٣١٤) (٦/ ٥٨، ١٠٠) (٧/ ٣٤٥، ٤٨٨، ٤٩٢، ٦٢٥) (٨/ ١٣٠، ١٨٢، ٢٨٩، ٣٥٤، ٤٧٣، ٥٠٥، ٥٨٦ـ٥٥٨) (٩/ ٢٩٧، ٤٥٤، ٤٨٩، ٥١٧، ٥٢٨، ٥٥٦، ٥٩٢، ٥٩٨، ٦٤١، ٦٦٤) (١٠/ ٩٩، ١٢١، ١٥٧، ١٨١، ١٨٩، ٢٠٢، ٢١٩، ٣٢٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم. قال الشيخ: وما اختاره ـ يعني من التفرقة بين القراءتين ـ غير مُختار؛ لأن الناصب لـ «كتاب الله» جملة مؤكدة لمضمون الجملة من قوله «وحُرمت» إلى آخره، وقوله: «وأُحل لكم» جملة تأسيسية فلا يناسب أن تعطف إلا على تأسيسية مثلها لا على جملة مؤكدة، والجملتان هنا متقابلتان، إذ إحداهما للتحريم والأخرى للتحليل فالمناسب أن تعطف إحداهما على الأخرىٰ لا على جملة أخرى غير الأولى، وقد فعل هو مثل ذلك في قراءة البناء للمفعول فليكن هذا مثله».

قال السمين: «وفي هذا الرد نظر»[1].

وقد يكتفي السمين ـ أحياناً ـ بالتنبيه على خطأ شيخه في تعقب الزمخشري، لأنه يراه من الوضوح بحيث لا يحتاج تفصيل الردّ.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب قوله «تنزيلاً» في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[2] ذكر السمين في نصبه عدة أوجهٍ نقلها عن الزمخشري وهي:

الأول: أن يكون بدلاً من «تذكرة» إذا جُعِل حالاً لا إذا كان مفعولاً له لأن الشيء لا يُعلّل بنفسه. قلت: لأنه يصير التقدير: ما أنزلنا القرآن إلا للتنزيل. الثاني: أن ينتصب بـ «نزّل» مضمراً. الثالث: أن ينتصب بـ «أنزلنا» لأن معنى ما أنزلناه إلاَّ تذكرة: أنزلناه تذكرة. الرابع: أن ينتصب على المدح والاختصاص. الخامس: أن ينتصب بـ «يخشى» مفعولاً به أي: أنزله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسنٌ وإعراب بيِّن» اهـ كلام الزمخشري.

قال الشيخ ـ ولم ينصفه ـ: «والأحسن ما قدمناه أولاً من أنه منصوب بـ «نزل»

---

(١) الدر المصون ٣/ ٦٥٠.
قال المحقق في حاشية رقم (٣): «كان أولى بالمؤلف أن يبين وجهة النظر هذه، لأن كلام أبي حيان ظاهره منطقي سليم، وقد يكون هذا النظر موضوع الجملة التأسيسية وجواز عطف الجملة المؤكدة عليها».

(٢) سورة طه، الآية: ٤.

مضمرة. وما ذكره الزمخشري من نصبه على غيره فمتكلف: أما الأول ففيه جعل تذكرة وتنزيلاً حالين. وهما مصدران. وجعل المصدر حالاً لاينقاس وأيضاً فمدلول «تذكرة» ليس مدلول «تنزيل» ولا «تنزيلاً» بعض التذكرة فإن كان بدلاً فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل على الأول. لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها. وأما قوله: «لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة» فليس كذلك لأن معنى الحصر يفوت في قوله أنزلناه تذكرة. وأما نصبه على المدح فبعيد وأما نصبه بـ «يخشى» ففيه غاية البعد لأن «يخشى» رأس آية وفاصل، فلا يناسب أن يكون «تنزيلاً» منصوباً بـ «يخشى» وقوله فيه: وهو معنى حسن وإعراب بين عُجمة وبعد عن إدراك الفصاحة.

قال السمين معلقاً على رد شيخه: ويكفيه ردّه الشيء الواضح من غير دليل، ونسبة هذا الرجل إلى عدم الفصاحة ووجود العجمة[1].

ـ اتهامه لشيخه بالتحامل على الزمخشري:

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾[2] قال السمين: «الألف في «كانتا» فيها أقوال أحدها: أنها تعود على الأختين يدل على ذلك قوله: «وله أخت» أي: فإن كانت الأختان اثنتين. وقد جرت عادة النحويين أن يسألوا هنا سؤالاً وهو أن الخبر لابد أن يفيد ما لا يفيده المبتدأ، وإلا لم يكن كلاماً، ولذلك منعوا «سيدُ الجارية مالكها» لأن الخبر لم يزد على ما أفاده المبتدأ، والخبر هنا دلّ على عدد ذلك العدد مستفاد من الألف في «كانتا». وقد أجابوا عن ذلك بأجوبة منها: ما ذكره مكي عن الأخفش، وتبعه الزمخشري وغيره. وهو: الحمل على معنى «مَنْ» وتقريره ما ذكره الزمخشري قال رحمه الله: «فإن قلت: إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله: «فإن كانتا اثنتين» وإن كانوا إخوة؟ قلت: أصله: فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين، وإن كان من يرث

---

(١) الدر المصون ٨/ ١٠ـ١١. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٨٨) (٤/ ١٩٤) (٣/ ١١٤، ١١٥) (٧/ ٥٨١).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

بالأخوة ذكوراً وإناثاً، وإنما قيل: «فإن كانتا، وإن كانوا» كما قيل من كانت أمّك فكما أنث ضمير «مَنْ» لمكان تأنيث الخبر كذلك ثّني وجمع ضمير من يرث في «كانتا» و«كانوا» لمكان تثنية الخبر وجمعه» قال السمين: جواب حسنٌ.

إلا أن الشيخ اعترضه فقال: «هذا تخريج لا يصح، وليس نظير «مَنْ كانت أمك» لأنه قد صرح بـ «من» ولها لفظ ومعنى، فمن أنّث راعى المعنى، لأن التقدير: أية أُمٍّ كانت أمك، ومدلول الخبر في هذا مخالف لمدلول الاسم، بخلاف الآية فإن المدلولين واحد، ولم يؤنث في «من كانت أمك» لتأنيث الخبر، إنما أنث لمعنى «من» إذا أراد بها مؤنثاً ألا ترى أنك تقول: مَنْ قامت فتؤنث مراعاة للمعنى إذا أردت السؤال عن مؤنث، ولا خبر هنا فيؤنث قامت لأجله» انتهى. قال السمين: وهو تحامل منه على عادته، والزمخشري وغيره لم ينكروا أنه لم يصرح في الآية بلفظ «من» حتى يُفرّق لهم بهذا الفرق الغامض..»[1].

ويرى السمين أن سبب تحامل شيخه على الزمخشري هو الحسد وقد أشار إلى ذلك عند إعراب «إذ تدعون» في قوله تعالى: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾[2]. قال السمين: «وجوّز الزمخشري أن يكون منصوباً بالمقت الأول. وردّ عليه الشيخ: بأنه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو الخبر. وقال: «هذا من ظواهر النحو التي لا تكاد تخفى على المبتديء فضلاً عمن يدّعي من العجم أنه شيخ العرب والعجم».

قال السمين: مثل هذا لا يخفى على أبي القاسم، وإنما أراد أنه دال على ناصبه، وعلى تقدير ذلك فهو مذهب كوفي قال به، أو لأن الظرف يُتسع فيه ما لا يتسع في غيره. وأيّ غموض في هذا حتى ينحي عليه هذا الإنحاء؟ ولله القائل[3]:

---

(١) الدر المصون ٤/ ١٧٤ـ١٧٥، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٣/ ٤٨٠ـ٤٨١) و(٣/ ٦٥١) و(٦/ ٥٤٠) و(٦/ ٥٤٠) و(٧/ ٤٢٦) و(٨/ ٣٨).

(٢) سورة غافر، الآية: ١٠.

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي وهو في ديوانه (ص١٢٩).

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناس له أعداء وخصوم

كضرائرِ الحسناء قُلْنَ لوجْهِها كـذبـاً وزوراً إنـهُ لـدميـمُ

وهذا الرد سبقه إليه أبوالبقاء. . . فمن ثم أخذه الشيخ»[1].

ـ اتهامه لشيخه بتقصد تتبع الزمخشري حتى في الأشياء اليسيرة.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾[2] قال: قوله: «حلوا» عطف على «ويطوف». . . وقال الزمخشري بعد سؤال وجواب من حيث المعنى: «وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب وسوار من فضة». فناقشه الشيخ في قوله «بالمعصم» فقال: وقوله «بالمعصم» إما أن يكون مفعول «أحسن» وأن يكون بدلاً منه، وإما «أن يكون» مفعول أحسن وقد فُصِل بينهما بالجار والمجرور، فإن كان الأول فلا يجوز؛ لأنه لم تُعهد زيادة الباء في مفعول أفعل التعجب. لا تقول: ما أحسن بزيد تريد: ما أحسن زيداً. وإن كان الثاني[3] ففي مثل هذا الفصل خلاف، والمنقول عن بعضهم لا يجوز، والمولّد منا ينبغي إذا تكلم أن يتحرز في كلامه مما فيه خلاف».

قال السمين: «وأيّ غرض له في تتبع كلام هذا الرجل، حتى في هذا الشيء اليسير؛ على أن الصحيح جوازه، وهو المسموع من العرب نثراً. قال عمرو بن معديكرب[4]: «لله درّ بني فلان ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأثبت في المكرمات بقاءها، وأحسن في اللّزبات[5] عطاءها». والتشاغل بغير هذا أولىٰ»[6].

---

(١) الدر المصون ٩/ ٤٦١.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

(٣) أي: إن «أن يكون فيه» هو المفعول وفُصِل بين أحسن ومفعولها بالجار والمجرور.

(٤) عمرو بن معدي كرب الشاعر الفارس المشهور. أسلم في عهد النبي ثم ارتد بعد وفاته ثم أسلم مرة أخرى في عهد أبي بكر. وله الوقائع المذكورة في الجاهلية وله في القادسية بلاء حسن (الإصابة لابن حجر ٥/ ١٨).

(٥) اللزبة: الشدة.

(٦) الدر المصون ١٠/ ٦٢٣.

ـ اتهامه لشيخه بأنه مغرىٰ بمخالفة الزمخشري:

ويتهم السمين شيخه ـ لكثرة اعتراضاته على الزمخشري ـ بأنه مُغرى بمخالفته. ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ﴾[1] قال السمين: قال الزمخشري: «فإن قلت: لِمَ جاء الشرط بلفظ الفعل، والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: «لئن بسطت، ما أنا بباسط»؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكّده بالباء المفيدة لتأكيد النفي» وناقشه الشيخ في قوله: «وإن ما أنا بباسط جزاء للشرط» قال: لأن هذا جواب للقسم لا للشرط»، قال: «لأنه لو كان جواباً للشرط لزمته الفاء لكونه منفياً بـ «ما» والأداة جازمة. وللَزِم أيضاً خرم تلك القاعدة، وهو كونه لم يُجب الأسبق منهما».

وأنكر السمين على شيخه هذا الاستدراك فقال: «وهذا ليس بشيء؛ لأن أبا القاسم سماه جزاء للشرط لما كان دالاً على جزاء الشرط، ولا نكير في ذلك، ولكنه مُغرىٰ بأن يقال[2]: قد اعترض على الزمخشري...»[3].

ـ استدراكه على شيخه في نقله عن الزمخشري:

ويتعقب السمين شيخه في استدراكه على الزمخشري ويبين أن من أسباب ذلك فهمه الخاطىء لكلام الزمخشري.

عند بيان مرجع الضمير في قوله «ووصى بها»[4] قال السمين فيه أقوال: أحدهما: أنه يعود على الملّة في قوله: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ قال الشيخ: وبه ابتدأ الزمخشري».

قال السمين: والزمخشري لم يذكر هذا، وإنما ذكر عوده على قوله أسلمت»

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

(٢) قال فضيلة الدكتور المحقق: هذه قسوة على أبي حيان، والمسألة تتعلق بالتشدد في القضايا الصناعية والاهتمام بالظاهر.

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٤٠ـ٢٤١.

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

لتأويله بالكلمة.

ثم جاء بنص كلام الزمخشري ليدلل على خطأ فهم الشيخ لكلام الزمخشري: فقال: «وقال الزمخشري: «والضمير في «بها» لقوله ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ على تأويل الكلمة والجملة، ونحوه رجوع الضمير في قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾ إلى قوله: ﴿إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ وقوله: ﴿كلمة باقية﴾ دليل على أن التأنيث على معنى الكلمة»[1].

ـ اتهامه لشيخه بسوء فهم كلام الزمخشري:

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب قوله «أخي» في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي﴾[2] قال السمين: «قال الزمخشري: «. . . وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحَسُن. قال الشيخ: ويبعد فيه عطف البيان، لأن عطف البيان الأكثر فيه أن يكون الأول دونه في الشهرة وهذا بالعكس.

ويتعقب السمين شيخه في فهمه لكلام الزمخشري فيقول: لم يُرد الزمخشري أن «أخي» عطف بيان لـ «هارون» حتى يقول الشيخ إن الأول وهو هارون أشهر من الثاني وهو «أخي»، إنما عنى الزمخشري أنه عطف بيان أيضاً لـ «وزيراً» ولذلك قال: «آخر». ولابد من الإتيان بلفظه ليُعرف أنه لم يرد إلا ما ذكرته. قال: ـ أي الزمخشري ـ: «وزيراً» و«هارون» مفعولا قوله «اجعل» أو «لي وزيراً» مفعولاه. وهارون عطف بيان للوزير، و«أخي» في الوجهين بدل من «هارون» وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن. فقوله «آخر» تعين أن يكون عطف بيان لما جعل عنه عطف بيان قبل ذلك»[3].

---

(١) الدر المصون ٢/ ١٢٤.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٣) الدر المصون ٨/ ٣٢ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٤/ ١٧٢) و(٦/ ٥٠٨) و(٨/ ٩ و٦٦٥) و(١٠/ ٤٤٩ و٤٥٠).

اتهامه لشيخه بقصور باعه في البلاغة بجانب الزمخشري:

ومن أمثلة ذلك: عند تخريج قراءة «علامَّ الغيوب» بالنصب في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1] قال السمين: وقرىء بنصبه وفيه أوجه ذكرها أبوالقاسم وهي: الاختصاص والنداء وصفة لاسم «إن» قال: وقرىء بالنصب على أن الكلام قد تمّ عند قوله «إنك أنت» أي: إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره، ثم انتصب «علامَّ الغيوب» على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم «إن» قال الشيخ: «وهو على حذف الخبر لفهم المعنى، فتم الكلام بالمقدر في قوله: «إنك أنت» أي: إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره». ثم قال الزمخشري: ثم انتصب فذكره إلى آخره...».

فزعم أن الزمخشري قدّر لـ«إنك» خبراً محذوفاً، والزمخشري لا يريد ذلك البتة ولا يرتضيه، وإنما يريد أن هذا الضمير بكونه لله تعالى هو الدال على تلك الصفات المذكورة لا انفكاك لها عنه، وهذا المعنى هو الذي تقتضيه البلاغة والذي غاص عليه أبوالقاسم لا ما قدره الشيخ موهماً أنه أتى به من عنده و«يعني» بالاختصاص النصب على المدح لا الاختصاص الذي هو شبيه بالنداء...»[2].

ويُرْجع السمين خطأ شيخه في تعقباته للزمخشري إلى عدم اعترافه ـ أي أبي حيان ـ بعلوم البلاغة.

ودليل ذلك عند تخريج قراءة الكسائي ﴿أن الدين عند الله الإسلام﴾[3] بفتح الهمزة ذكر السمين أن فيها أوجهاً خمسة[4] منها قول أبي علي الفارسي، وتبعه الزمخشري فيه. وقول الفراء. ثم ذكر السمين أن أباحيان تعقب هؤلاء فاستدرك عليه ذلك وقال:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

(٢) الدر المصون ٤/ ٤٨٩، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٣/ ٧١) و(٦/ ٣٣٥) و(١٠/ ٤٣٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤) انظر تفصيل هذه الردود والأقوال في ٣/ ٨٣ـ٨٩.

«ونسبته كلام أعلام الأمة إلى العجمة وعدم معرفتهم بكلام العرب وحملهم كلام الله على ما لا يجوز، وأن هذا الوجه الذي ذكره هو تخريج سهل غير[1] مقبولة ولا مسلمة، بل المتبادر إلى الذهن ما نقله الناس، وتلك الاعتراضات بين أثناء كلمات الآية الكريمة موجود نظيرها في كلام العرب، وكيف يجهل الفارسي والزمخشري والفرّاء وأضرابهم ذلك، وكيف يتبجح باطلاعه على ما لم يطّلع عليه مثل هؤلاء، وكيف يُظن بالزمخشري أنه لا يعرف مواقع النظم وهو المسلَّم له في علم المعاني والبيان والبديع، ولا يشك أحد أنه لابد لمن يتعرض إلى علم التفسير أن يعرف جملة صالحة من هذه العلوم، وانظر إلى ما حكى صاحب الكشاف في «خطبته» من الجاحظ[2] وما ذكره في حق الجاهل بهذه العلوم، ولكن الشيخ ينكر ذلك ويدّعي أنه لا يُحتاج إلى هذه العلوم البتة، فمن ثمّ صدر ما ذكرته عنه».

ويتهم السمين شيخه بالإفادة من كلام الزمخشري مع جحده لذلك.

ومثال ذلك عند قوله ﴿مُكِبًّا﴾[3] قال: «وأكبّ» مطاوع كبّه يقال: كببته فأَكبَّ. قال الزمخشري: «هو من الغرائب والشواذ ونحوه: قشعت الريح السحاب فأقشع، ولا شيء في بناء أفعل مطاوعاً، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه، وإنما أكبّ، من باب أنْفَضَ وأَلام، ومعناه: دخل في الكبّ وصار ذا كبّ، وكذلك أقشع السحاب: دخل في القشع، ومطاوع كبّ وقشع انكبّ وانقشع» قال الشيخ: ««مكبًّا» حال من «أكبّ» وهو لا يتعدى، وكبّ متعدٍ قال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾[4] والهمزة للدخول في الشيء أو للصيرورة ومطاوع كبّ: انكبّ. تقول: كببته فانكبّ. قال الزمخشري: «ولا شيء من بناء أفعل» إلى قوله: «كتاب سيبويه»

---

(١) قوله «غير» خبر عن قوله «نسبته».

(٢) أبوعثمان عمرو بن بحر الكناني المعروف بالجاحظ، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنسب فرقة الجاحظية من المعتزلة، من تصانيفه: الحيوان، والبيان والتبيين. أصيب في آخر حياته بالفالج. وتوفي سنة ٢٦٥هـ (وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٠).

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٤) سورة النمل، الآية: ٩٠.

انتهى. وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه، حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز[1] صنف كتاباً، يذكر فيه ما غلظ الزمخشري فيه وما جهله من كتاب سيبويه» انتهى ما قاله الشيخ.

قال السمين: «وانظر إلى هذا الرجل: كيف أخذ كلامه الذي أسلفته عنه، طرّز به عبارته حرفاً بحرف، ثم أخذ ينحي عنه بإساءة الأدب، جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائعة وجعله يقول: إن مطاوع كبَّ انكبَّ لا أكبَّ وإن الهمزة للصيرورة، أو للدخول في الشيء، وبالله لو بقي دهره غير ملقن إياها لما قالها أبداً، ثم أخذ يذكر عن إنسان مع أبي القاسم كالسُّها مع القمر أنه غلّطه في نصوص كتاب سيبويه الله أعلم بصحتها. قال الشاعر[2]:

وكم مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتُـه مـن الفهـمِ السقيـم

وعلى تقدير التسليم فالفاضل من عُدّت سقطاته[3].

---

(١) يوسف بن معزوز القيسي أبوالحجاج، الأستاذ الأديب النحوي. من تآليفه: شرح الإيضاح للفاسي، والرد على الزمخشري في مفصله. توفي سنة ٦٢٥هـ (بغية الوعاة ٢/ ٣٦٢).

(٢) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه (٢/ ٣٥٧).

(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٩٢ـ٣٩٣.

٢ ـ استدراكات السمين على شيخه في مناقشته لبعض المعربين والنحاة.

وناقش السمين شيخه في كثير من تعقباته لأقوال بعض المعربين والنحاة ومنهم:

١ ـ ابن عطيــة:

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب قوله تعالى: «جعل لكم النجوم» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[١] قال السمين: «الظاهر أن «جعل» بمعنى «خلق» فتكون متعدية لواحد، و«لكم» متعلق بـ «جعل» وكذا «لتهتدوا». فإن قيل: كيف يتعلق حرفا جرٍ متحدان في اللفظ والمعنى؟ ثم ذكر جواباً عن ذلك. ثم قال: وقال ابن عطية: «وقد يمكن أن يكون بمعنى «صيّر» ويقدّر المفعول الثاني من لتهتدوا، أي: «جعل لكم النجوم هداية».

قال الشيخ: «وهو ضعيف لندور حذف أحد مفعولي ظن وأخواتها».

واستدرك السمين على شيخه قوله هذا فقال: «لم يدّع ابن عطية حذف المفعول الثاني حتى يجعله ضعيفاً إنما قال: إنه مِنْ «لتهتدوا» أي: فيُقدّر متعلق الجار الذي وقع مفعولاً ثانياً كما يُقدّر في نظائره والتقدير: جعل لكم النجوم مستقرة أو كائنة لاهتدائكم. وأما قوله: «أي جعل لكم النجوم هداية» فلإيضاح المعنى وبيانه»[٢].

٢ ـ أبوعليّ الفارسي:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[٣] ذكر السمين أن في «عقدتم»: عاقدتم، وعقدتم. وذكر أن الفارسي قال في تخريج قراءة «عاقدتم» أنها تحتمل أمرين، أحدهما: أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(٢) الدر المصون ٥/ ٦٥. ولمزيد من الأمثلة انظر (١/ ١٠٩، ٣٠٠، ٤٨٧) (٢/ ٣٦٧، ٤١١) (٤/ ١١٢، ١١٣، ٢٤٧) (٥/ ٦٢٧) (٦/ ١٦٧ـ١٦٨، ١٩٠ـ١٩١).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

يكون بمعنى «فَعَل»، كطارقت النعل وعاقبت اللّص . .

ثم قال ـ أي السمين ـ: وقد تعقب الشيخ علي أبي علي كلامه فقال: «قوله: إنه مثل طارقت النعل وعاقبت اللص ليس مثله، لأنك لا تقول: طرقت ولا عقبت، وتقول: عاقدت اليمين وعقدتها».

قال السمين متعقباً شيخه: «وهذا غير لازم لأبي عليّ لأن مراده أنه مثله من حيث إن المفاعلة بمعنى أن المشاركة من اثنين منتفية عنه كانتفائها من عاقبت وطارقت. أما كونه يقال فيه أيضاً كذا فلا يضره ذلك في التشبيه . . .»[1]

(١) الدر المصون، ٤/ ٤٠٤ـ٤٠٥ وانظر مثالاً آخر في (١/ ١١٣).
وانظر: أيضاً مناقشة السمين لشيخه في تعقبه للمهدوي (٢/ ١٨).
وانظر: أيضاً مناقشة السمين لشيخه في تعقبه لأبي البقاء (٢/ ٢٨٣).
وانظر: أيضاً مناقشة السمين لشيخه في تعقبه للجرجاني (٩/ ٣٥٦).
وانظر: أيضاً مناقشة السمين لشيخه في تعقبه لأبي الفضل الرازي (٩/ ٣١٣).

وبعـــد:

فإن منطق العدل والإنصاف يقتضي أن نقول: إن السمين أفاد من شيخه كثيراً في الدرّ المصون ولم ينسب كل ما نقله عنه إليه كعادة المؤلفين في عصره وفي عصر السابقين له. ولكنه تميز عن شيخه تميزاً واضحاً في طريقة عرضه، واستقل في نقوله وبعض مصادره وفي منهجه وفي اختياراته وترجيحاته، وناقش شيخه في كثير من المواطن وتتبع استدراكاته مما يثبت أن الدرّ المصون كتاب مستقل عن البحر المحيط وليس نسخة منه. وكل من طالع الكتابين وقارن بينهما يلمس ذلك دون تكلف أو عناء.

وإنما أفضت في تلك المسألة للحاجة إليها ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـ مع أني لم أُدوِّن هنا كل ما جمعته في هذه المسألة، وإنما اكتفيت بما يحتاج إليه لإيضاح هذا الإشكال وإزالة الادعاء المذكور.

٢ـ الكشاف
للزمخشري

التعريف بالمؤلف:

أبوالقاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي المعتزلي. الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان. وُلد بزمخشر سنة ٤٦٧هـ كان غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً، داعية إليه. لقي الكبار، وصنف التصانيف المفيدة. ما دخل بلداً إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له. وكان إمام الأدب، ونسّابة العرب. له: «الكشاف»، و«الفائق في غريب الحديث»، و«أساس البلاغة، و«المفصّل في النحو»، وغيرها. توفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ[١].

التعريف بالكتاب:

يُعدّ الكشاف من أهم تفاسير المعتزلة وأشهرها، وقد ألّفه الزمخشري إجابة لطلب كثير من علماء المعتزلة في عصره، الذي أُيّد بطلب أمير مكة في ذلك الوقت[٢]. وهذا التفسير ذو قيمة عالية ـ إذا أغفلنا القضايا الاعتزالية ـ لما تضمنه من كشفٍ لأوجه الإعجاز وإظهار لجمال النظم القرآني وبلاغته، مما جعل هذا التفسير مناراً في هذا الباب، ولا غرو في ذلك فقد برع مؤلفه في فنون اللغة والبلاغة والأدب[٣].

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨، والسير ٢٠/ ١٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٩، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣١٤).

(٢) وهو ابن وهّاس. (انظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨).

(٣) انظر: ١ ـ التفسير والمفسرون للذهبي.
٢ ـ تاريخ التفسير لقاسم القيسي ١٢٧ـ١٣٠.
٣ ـ التفسير ورجاله ـ محمد الفاضل بن عاشور ٧٩ـ٨٦.
٤ ـ دراسات في التفسير ورجاله ـ لعطية الجبوري ٩٦ـ١٠٣.
٥ ـ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ـ مصطفى الجويني.

قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور[1]: «وقد أتى في تفسيره ـ حقاً ـ من مظاهر البراعة وآيات العلم الواسع، والذوق الراسخ، والعلم المتمرس ما زاده إعجاباً به بعد انتهائه. . . فأصبح كتابه عمدة الناس على اختلافهم بين مشايع له ومخالف، وعلى وفرة مخالفيه، وانقطاع مشايعيه، يرجعون إليه على أنه نسيج وحده في طريقته البلاغية الإعجازية، وفي غوصه على دقائق المعاني وحسّن إبرازها على طريقة علمية سائغة، بتحليل التركيب، وإبراز خصائصه واعتباراته. .»[2].

إلا أن الزمخشري قد دنّس كشافه بأمورٍ انتقدها عليه العلماء[3].

ومن أبرز تلك الانتقادات: «أنه كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعد هواه، ومدلولها لا يطاع مشتهاه صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة وتعسفات جامدة. وصَرْفُ الآية بلا نكتة من غير ضرورة عن الظاهر تحريفٌ لكلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليته يكتفي بقدر الضرورة، بل يبالغ في الإطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير فتراه مشحوناً بالاعتزاليات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام. والخفية التي لا تتسارق إليها الأوهام. . . ومنها ـ آي الانتقادات ـ أنه يذكر أهل السنة والجماعة ـ وهم الفرقة الناجية ـ بعبارات فاحشة. . .»[4].

---

(١) هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، أديب خطيب، ولد سنة ١٣٢٧هـ وتوفي سنة ١٣٩٠هـ بتونس شغل منصب عميد المعهد الزيتوني، وخطة القضاء ثم منصب مفتي الجمهورية. من مؤلفاته: التفسير ورجاله، وأعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي. (الأعلام ٦/ ٣٢٥).

(٢) التفسير ورجاله ٨٤ـ٨٥.

(٣) من أمثال: ابن تيمية ـ انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥٨ـ٣٥٩.
وتاج الدين السبكي ـ انظر: معيد النعم ومبيد النقم ص( ).
وأبي حيان. انظر: ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ سورة النمل، الآية: ٤٩. وغيرهم.

(٤) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٤٨٣ والكلام للشيخ حيدر الهروي أحد الذين علّقوا على الكشاف.

ومع ذلك فقد اثار الكشاف نشاطاً فكرياً، فقد تناوله بعض العلماء بالانتقاد، فكتب عدد منهم حواشي عليه لكشف اعتزالياته[١]، وأفرده آخرون بكتب مستقلة في النقد[٢]، وتناول آخرون المناقشات التي بينه وبين أبي حيان[٣].

وأعجب به طائفة فاختصروه[٤]، وتوافر آخرون على تخريج أحاديثه[٥]. كما صار الكشاف مرجعاً للمفسرين عامة ولمن يكتب في البلاغة القرآنية بخاصة.

---

(١) مثل ابن المنير الاسكندراني في حاشيته «الانتصاف».

(٢) كتاج الدين السبكي في كتابه «سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف».

(٣) كصنع السمين في «الدر المصون».

(٤) كعمل علي الطوسي في كتابه «جمع الجوامع»، و«أنوار التنزيل» للبيضاوي.

(٥) كصنيع جمال الدين عبدالله الزيلعي الحنفي، وقد لخص ابن حجر كتاب الزيلعي في كتاب سماه بـ«الكافِ الشافِ في تحرير أحاديث الكشاف».

المجالات التي ينقل عنه فيها:

لقد احتل الكشاف منزلة عظيمة عند السمين فأكثر من النقل عنه، وأفاد منه في جوانب عديدة في الإشارات البلاغية، والنحو والإعراب، وبيان معاني الكلمات والحروف وبحكم تميّز الكشاف في الجوانب البلاغية فقد أفاد منه السمين في الدّر كثيراً ونقل عنه ما يبين بلاغة الأسلوب القرآني، وما يبرز إعجازه وفصاحته.

ويمكن إجمال هذه المجالات في هذه الجوانب:

١ ـ **مجال البلاغة**: أفاد السمين من الزمخشري في البلاغة بأنواعها الثلاثة: البيان، والمعاني والبديع.

ومن أمثلة نقله عنه في علم البيان:

١ ـ عند بيان الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[١].

قال السمين: «قوله ﴿مناكبها﴾ استعارة حسنة جداً، ثم نقل قول الزمخشري في بيان بلاغة هذه الاستعارة فقال: قال الزمخشري[٢]: مثلٌ لفرط التذليل ومجاوزته الغاية؛ لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك»[٣].

٢ ـ مثال آخر:

عند بيان بلاغة التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[٤].

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٣.

(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٨٨.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣١.

قال السمين: «قال الزمخشري[1]: ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق. فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك: بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مِزَعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرّقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المتخطفة، والشيطان الذي يُطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

ويعلق السمين على كلام الزمخشري مبيناً إعجابه به قائلاً: «وهذه العبارة من أبي القاسم مما ينشط إلى تعلم علم البيان فإنها في غاية البلاغة»[2].

ومن أمثلة نقله عنه في علم البديع.

عند بيان بلاغة تجنيس التصريف في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾[3]. ذكر السمين أن هذا النوع من أنواع البديع ثم نقل عن الزمخشري ما يبين بلاغته فقال: «قال الزمخشري[4]: «وقوله ﴿من سبأ بنبأ﴾ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون بالبديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعاً، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسواده، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة فحسُن وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وُضع مكان «بنبأ» «بخبر» لكان المعنى صحيحاً، وهو كما جاء «أصح، لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال»[5].

* وأفاد السمين من الزمخشري في بيان دقة القرآن في اختيار بعض الصيغ

---

(١) الكشاف (٣/ ٣١، ٣٢).
(٢) الدر المصون ٨/ ٢٧١.
(٣) سورة النمل، الآية: ٢٢.
(٤) الكشاف ٣/ ١٣٩.
(٥) الدر المصون ٨/ ٥٩٥.

والتعبيرات.

ومن أمثلة ذلك:

عند بيان سر التعبير بصيغة النفي دون صيغة الإثبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[1].

قال السمين: «وذكر الزمخشري هنا معنى حسناً في كونه تعالى ذكر هذه الأشياء بلفظ النفي دون أن يذكر أضدادها بلفظ الاثبات. فيقول: إن لك الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل. فقال ـ أي الزمخشري ـ: «وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها»[2].

هذه الأمثلة غيض من فيض مما نقله السمين عن الزمخشري في هذا الجانب[3].

٢ ـ وينقل السمين عن الزمخشري في مجال الإعراب:

ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب «الكاف» في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾[4].

قال السمين: «وقال الزمخشري[5]: «الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورثنا قوماً آخرين ليسوا منهم»[6].

---

(١) سورة طه، الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٢) الدر المصون ٨/ ١١٤.

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٢٢، ٨٩ و٤٣٧) (٢/ ٥٢٧ و٦٣٣ و٦٤٢) (٤/ ٣٦٤ و٣٦٥) (٥/ ٤٢٨ و٤٧١) (٦/ ١٧٦ و٣٠٦ و٤٩٧ و٥٤٥) (٧/ ٢٨٢ و٣٠٧ و٣٢٠) (٨/ ٢٦٣ و٢٦٧ و٣٦١ و٦٤٤) (٩/ ٢١١ و٥٦٥) (١٠/ ٢٩٢ و٣٩١).

(٤) سورة الدخان، الآية: ٢٨.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٣٢.

(٦) الدر المصون ٩/ ٦٢٤. لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٣٦، ١٦١، ١٧٥، ١٩٦، ٢١٧، ٢٢٥، ٤١٤، ٤٣٥، ٤٧٥).

٣ ـ وينقل عنه في مجال اللغة .

١ ـ في بيان معاني الكلمات .

٢ ـ في الفروق اللغوية .

٣ ـ في بيان معاني الحروف .

١ ـ مثال نقله عنه في بيان معاني الكلمات اللغوية :

عند بيان معنى ﴿الريب﴾ في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١] .

قال: وحقيقته على ما قال الزمخشري[٢]: قلق النفس واضطرابها ومنه الحديث[٣]: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[٤] .

٢ ـ مثال نقله عنه في مجال الفروق اللغوية :

عند بيان الفرق بين «جعل وخلق» في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٥] .

قال السمين: «جعل هنا تتعدى لمفعول واحد؛ لأنها بمعنى خلق، هكذا عبارة النحويين، ظاهرها أنهما مترادفان، إلا أن الزمخشري فرق بينهما فقال[٦]: «والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التصيير كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيءٍ شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٧] «وجعل الظلمات والنور»؛ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار»[٨] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢ .

(٢) الكشاف ١/ ١٩ .

(٣) سيأتي تخريجه ص (٤٩٦) .

(٤) الدر المصون ١/ ٨٦ . لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٩٥، ٢٥٩، ٣٤٥، ٣٦٩، ٤١٤) .

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١ .

(٦) الكشاف ٢/ ٢ .

(٧) سورة النساء، الآية: ١ .

(٨) الدر المصون ٤/ ٥٢٣ .

وينقل عنه ـ بقلّة ـ في بيان معاني الحروف.

ومثال ذلك: عند بيان معنى «أل» في كلمة «الحمد» في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] قال: «وقيل: لتعريف الجنس. واختاره الزمخشري[2]»[3].

وينقل السمين عن الزمخشري في مجالات أخرىٰ ـ بقلّة ـ. ومن ذلك:

مجال توجيه القراءات.

ومن أمثلته: عند توجيه قراءة الرفع في «أشد» في قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[4].

قال السمين: قال الزمخشري[5] موجهاً للرفع: «وأشد معطوف على الكاف: إما على معنى: أو مثلُ أشدّ فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، وتعضده قراءة الأعمش[6] بنصب الدال عطفاً على الحجارة»[7].

طرق نقل السمين عن الزمخشري:

تنوعت طريقة السمين في النقل عن الزمخشري تبعاً لحاجة الموطن الذي ينقل فيه. فتارة ينقل بالنص، وأخرى بالمعنى، وثالثة يشير إلى رأيه واختياره... وعلى كثرة نقله عنه إلا أنه كان أميناً في نسبة أقواله إليه.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) الكشاف ١/ ٧.
(٣) الدر المصون ١/ ٣٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٥) الكشاف ١/ ٧٦.
(٦) سليمان بن مهران أبومحمد الأسدي الكاهلي. أخذ القراءة عن زر بن حبيش وعاصم ومجاهد. كان حسن الصوت مجيداً في القراءة. قال هشام: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله عزوجل من الأعمش. مات سنة (١٤٨هـ) (غاية النهاية ١/ ١٣٦).
(٧) الدر المصون ١/ ٤٣٧.

فطرق نقل السمين عن الزمخشري هي :

١ ـ النقل بالنص :

وهذا كثير جداً في الدّر . ومن أمثلته :

عند إعراب «إذاً» في قوله تعالى : ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١] قال السمين : «قال الزمخشري[٢] : «وإذن جواب لسؤالٍ مقدر كأنه قيل : وماذا يكون لهم بعد التثبيت أيضاً ، فقيل : لو ثبتوا لأتيناهم ؛ لأن «إذن» جواب وجزاء»[٣] .

وقد يشرح السمين قولاً ثم يشير إلى عبارة الزمخشري الموجزة الدالة عليه .

ومثال ذلك : عند بيان مرجع الضمير في قوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾[٤] ذكر عدة أقوال ، منها : أن يكون كناية عن التعمير ، ولا يعود على شيء قبله ، ويكون «أن يعمّر» بدلاً منه مفسراً له . ثم قال السمين : وهذا ما عنى الزمخشري بقوله[٥] : «يجوز أن يكون «هو» مبهماً ، و«أن يعمر» موضحه»[٦] .

٢ ـ النقل بالمعنى :

وقد ينقل السمين معنى كلام الزمخشري أو مضمونه .

ومن أمثلة ذلك : عند بيان علة تكرير الأمر بالتقوى في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[٧] .

قال السمين : «وقوله : «واتقوا الله» تأكيد ، وقيل : كُرّر لتغاير متعلّق التقويين فمتعلق الأولىٰ أداء الفرائض لاقترانه بالعمل ، والثانية ترك المعاصي لاقترانه

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٧ .
(٢) الكشاف ١/ ٢٧٩ .
(٣) الدر المصون ٤/ ٢٣ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٩٦ .
(٥) الكشاف ١/ ٨٣ .
(٦) الدر المصون ٢/ ١٥ .
(٧) سورة الحشر ، الآية : ١٩ .

بالتهديد والوعيد. قال معناه الزمخشري[1]»[2].

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

وقد يشير السمين إلى رأي الزمخشري واختياره.

وقد عبّر عن ذلك بعدة تعبيرات هي: «واختاره الزمخشري» «وإليه مال الزمخشري» «ورجحه الزمخشري» «وبه قال الزمخشري» «وإليه ذهب الزمخشري».

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند بيان أيهما أبلغ الرحمن، أو الرحيم؟ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] قال السمين: «فمنهم من قال: الرحمن أبلغ، ولذلك لا يطلق على غير الباري تعالىٰ واختاره الزمخشري[4] وجعله من باب غضبان وسكران للممتليء غضباً وسُكْراً ولذلك يقال: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فقط»[5].

٢ ـ عند الحديث عن الأحرف المقطّعة هل هي معربة أم مبنية؟ عند قوله ﴿الٓمٓ﴾ في سورة البقرة[6] ذكر السمين فيها ثلاثة أقوال، الثاني منها: أنها معربة بمعنى أنها صالحة للإعراب وإنما فات شرط وهو التركيب. وإليه مال الزمخشري[7]»[8].

٣ ـ عند بيان نوع كلمة «المحيض» في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٤.
(٢) الدر المصون ١٠/ ٢٩٢.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٤) الكشاف ١/ ٦.
(٥) الدرالمصون ١/ ٣٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١.
(٧) الكشاف ١/ ١٣.
(٨) الدر المصون ١/ ٧٩.

﴿ٱلْمَحِيضِ﴾[1]. قال: «والظاهر أن المحيض في هذه الآية يُراد به المصدر، وإليه ذهب الزمخشري[2]»[3].

٤ ـ عند بيان نوع «مِنْ» في قوله تعالى: «من أهل الكتاب» عند قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] ذكر السمين أن فيها قولين، أحدهما: أنها لبيان الجنس. وبه قال الزمخشري[5]»[6].

وقد ينقل السمين الرأي أو القول ثم يشير إلى أن الزمخشري اختاره، ثم يأتي بنص كلامه ليؤكد ذلك.

ومن أمثلته: عند توجيه قراءة الجمهور بالنصب في قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[7]. ذكر السمين أربعة أوجهٍ، أحدها: أن انتصابها انتصاب المصدر المؤكِّد وهذا اختاره الزمخشري، وقال[8]: «هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام»[9] انتهى قوله»[10].

وقد ينقل فكرة في مسألة «ما» عن الزمخشري ثم يشرحها ثم يأتي بنص كلامه. ومثال ذلك: عند إعراب قوله تعالى: ﴿أو هم قائلون﴾ في قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) الكشاف ١/ ١٣٤.
(٣) الدر المصون ٢/ ٤٢٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٥) الكشاف ١/ ٨٧.
(٦) الدر المصون ٢/ ٥٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.
(٨) الكشاف ١/ ٩٨.
(٩) يضرب هذا المثل في تصديق الرجل أخاه عند إخباره. وحذام هي بنت الريان. وقد خوفت زوجها بيات العدو فكذبها ثم بيّتوها فنجا منهم فقال ذلك. (المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ١/ ٣٤٠).
(١٠) الدر المصون ٢/ ١٤٣.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾[1].

قال: «ولابد من حذف مضاف في الكلام لقوله تعالى: «أو هم قائلون» فاضطررنا إلى تقدير محذوف، ثم منهم من قدره قبل «قرية» أي: كم من أهل قرية، ومنهم من قدره قبل «ها» في «أهلكناها» أي: أهلكنا أهلها، وهذا ليس بشيء؛ لأن التقادير إنما تكون لأجل الحاجة، والحاجة لا تدعو إلى تقدير هذا المضاف في هذين الموضعين المذكورين، لأن إهلاك القرية يمكن أن يقع عليها نفسها، فإن القرى تهلك بالخسف والهدم والحريق والغرق ونحوه، وإنما يحتاج إلى ذلك عند قوله «فجاءها» لأجل عود الضمير من قوله: «هم قائلون» عليه، فيقدر: وكم من قرية أهلكناها فجاء أهلها بأسنا. قال الزمخشري[2]: «فإن قلت: هل تقدر المضاف الذي هو الأهل قبل «قرية» أو قبل الضمير في «أهلكناها»؟ قلت: إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة، فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها، وإنما قدرناه قبل الضمير في «فجاءها» لقوله «أو هم قائلون»[3].

موقفه مما ينقله عنه:

لقد وقف السمين مما ينقله عنه الزمخشري موقفاً يدل على استقلالية شخصيته فتراه تارة يعجب به ويشيد، ويعظم دقة فهمه. وتراه أحياناً يناقشه ويستدرك عليه وينتقده.

ولذا فقد قمت بتقسيم مواقف السمين مما ينقله عن الزمخشري إلى عدة فقرات:

أولاً: الاستحسان والإعجاب:

وقد اتخذ هذا الاستحسان أشكالاً عديدة هي:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٢.

(٣) الدر المصون ٥/ ٢٤٨.

١ ـ الإشادة بدقة فهم الزمخشري:

فترى السمين يشيد بجمال تعبيرات الزمخشري ودقة فهمه، ويستحسن ما ينقله عنه ويعجب بتقريراته.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[١].

قال السمين: «وقال الزمخشري[٢]: «من قولك حمل فلان على قرنه فما كذب، أي: فما جَبُن ولا تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه وأنشد لزهير[٣].

ليثٌ بَعثَّر يصطادُ الرجال إذا ما الليثُ كذَّب عن أقرانهِ صَدقا

أي: إذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد.

قال السمين مستحسناً هذا البيان من الزمخشري: وهو كلام حسن جداً»[٤].

وهذا مثال آخر يُبين إعجاب السمين بفهم الزمخشري وجمال تعبيراته. فعند قوله تعالى: «أإذا» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٥]. قال: «والعامل في «إذا» محذوف يدل عليه «لمخرجون» تقديره: نُبعث ونُخْرج، ولا يجوز أن يعمل فيها «مخرجون» لثلاثة موانع: الاستفهام، و«إنْ»، ولام الابتداء. وفي لام الابتداء في خبر «إن» خلاف. وتكايس الزمخشري هنا فعبّر بعبارة حلوة فقال: «لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً وهي: همزة

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٦.

(٣) زهير بن أبي سلمى المزني. حكيم الشعراء في الجاهلية، كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة فتسمى قصائده بالحوليات. (الأعلام ٣/ ٥٢).
والبيت في ديوانه ص٥٤. وفي رواية الأعلم الشنتمري: ما كذب الليث عن أقرانه صدقا. انظر ديوان زهير برواية الأعلم ص٦٧.

(٤) الدر المصون ١٠/ ١٩٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ٦٧.

الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن؟»[1].

بل يذهب السمين مذهباً بعيداً في الإعجاب بكلام الزمخشري، حتى إنه ـ كما يقول ـ لو عُرض على ابن عباس وغيره لأعجبه!.

مثال ذلك: عند إعراب ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[2]. قال السمين: في ذلك ثلاثة أوجه، الثالث منها: أنه مجرور على «حور عين». قال الزمخشري: «والذين آمنوا» معطوف على «حور عين» أي: قرنّاهم بالحور وبالذين آمنوا أي: بالرفقاء والجلساء منهم، كقوله: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ﴾[3] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمؤانسة الإخوان». ثم قال الزمخشري: «ثم قال تعالى: «بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم» أي: بسبب إيمانٍ عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجتهم ذريتهم، وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم»[4].

قال الشيخ: «ولا يتخيل أحد أنّ «والذين آمنوا» معطوف على «بحور عين» غيرُ هذا الرجل، وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القُحّ ابن عباس وغيره». قلت: «أما ما ذكره أبوالقاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته، وليس في كلام العربي القُحّ ما يدفعه، بل لو عرض على ابن عباس وغيره لأعجبهم، وأيّ مانع معنوي أو صناعي يمنعه؟»[5].

٢ ـ الاكتفاء بذكر كلام الزمخشري دون التعليق عليه أو الزيادة.

ففي بعض الآيات نجد السمين ينقل كلام الزمخشري فيها ويكتفي به فلا يزيد عليه ولا يعلق، ليُدلّل ـ حسب فهمي لموقفه هذا ـ على أنه لم يجد أفضل من كلامه لبيان تلك الآية.

---

(١) الدر المصون ٨/ ٦٣٨ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٦/ ٣٨٠، ٩/ ٦١٥، ١٠/ ٣٩٧).
(٢) سورة الطور، الآية: ٢١.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٧.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٥) الدر المصون ١٠/ ٧١.

قال السمين: قوله تعالى: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾[1]: قال الزمخشري[2]: فإن قلت: كيف حقيقة هذا الكلام؟ قلت: أصلُه: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات؛ لأن العذاب عذابان، عذاب في الممات وهو عذاب القبر، وعذاب في حياة الآخرة وهوعذاب النار، والضِّعْف يوصف به، نحو قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[3] يعني عذاباً مضاعفاً، فكأن أصل الكلام: لأذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات، ثم حذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أُضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة، وضعف الممات، كما لو قيل: أليم الحياة، وأليم الممات»[4].

٣ـ تفضيل أقواله على أقوال أبي حيان.

وقد يفضل السمين قولاً للزمخشري على قول أبي حيان في مسألة من المسائل لما فيه من معنى جزل، أو معنى بلاغي.

وإليك أمثلة لذلك:

أ ـ عند قوله تعالى: «من ذا الذي» في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى﴾[5]

قال السمين: «قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة، ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت: معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر الكلام وأُجري مُجرى قوله[6]:

متقلداً سيفاً ورمحاً

أو حُمل الثاني على الأولى، لما في العصمة من معنى المنع».

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

(٤) الدر المصون ٧/ ٣٩٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ١٧.

(٦) هذا عجز بيت وهو لعبدالله بن الزبعري وهو في ديوانه ص٣٢، والكامل للمبرد ١/ ٤٣٢. وصدر البيت: ياليت زوجك قد غدا.

قال الشيخ: وأما الوجه الأول ففيه حذف حملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها، والثاني هو الوجه، لاسيما إذا قُدّر مضاف محذوف أي: يمنعكم من مراد الله».

قلت: وأين الثاني من الأول ولو كان معه حذف جُمل؟»[1].

ب ـ عند قوله تعالى: ﴿فَزَلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ . . .﴾[2] قال السمين: «ونكرت «قدم»: قال الزمخشري: «فإن قلت: لم وحدت القدم ونكرت؟ قال: لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة؟».

قال الشيخ: «الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع، وتارة يلحظ فيه كل فرد فرد. فإذا لوحظ فيه المجموع كان الإسنادُ معتبراً فيه الجمعية، وإذا لوحظ فيه كل فرد فرد كان الإسناد مطابقاً للفظ الجمع كثيراً، فيجمع ما أسند إليه، ومطابقاً لكل فرد فرد فيفرد، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ﴾[3] لما كان لوحظ في قوله «لهن» معنى لكل واحدة، ولو جاء مراداً به الجمعية أو الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكأ، وعلى هذا المعنى يحمل قول الشاعر[4]:

فـإنِّـي وَجَـدْتُ الضَّـامِـريْـنَ متـاعُهـمْ يَمُوتُ ويَفْنَى فَارْضِخِي من وعائيا

أي: رأيت كل ضامر؛ ولذلك أفرد الضمير في «يموت ويفنى» ولما كان المعنى: لا يتخذ كل واحد منكم جاء «فتزل قدم»، مراعاة لهذا المعنى، ثم قال: وتذوقوا، مراعاة للمجموع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير إذا قلنا: إن الإسناد لكل فردٍ فرد، فتكون الآية قد تعرضت للنهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً باعتبار المجموع، وباعتبار كل فرد فرد، ودل على ذلك بإفراد «قدم» وبجمع الضمير في «وتذوقوا».

---

(١) الدر المصون ٩/ ١٠٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٩٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٤) لم أهتد إلى قائله وهو في البحر ٥/ ٥١٦. ومعنى ارضخي: أي أعطي.

قلت: وبهذا التقدير الذي ذكره الشيخ يفوت المعنى الجزل الذي اقتنصه أبوالقاسم من تنكير «قدم» وإفرادها. وأما البيت المذكور فإن النحويين خرجوه على أن المعنى: يموت من ثَمَّ، ومن ذكر، فأفرد الضمير لذلك لما لا لما ذكر»[1].

المناقشة والرد:

لم يكن السمين يقف موقف المسلم بكل ما ينقله عن الزمخشري، بل كان يناقشه في بعض أقواله، ويستدرك بعض آرائه ويرد عليه وينتقده. في النحو واللغة وفي موقفه من بعض القراءات.

ويمكن حصر المجالات التي انتقده فيها فيما يلي:

١ ـ في النحو والإعراب.

٢ ـ في اللغة.

٣ ـ في التفسير.

٤ ـ في رده لبعض القراءات.

٥ ـ في بعض آرائه الفاسدة.

٦ ـ في إطلاقه بعض العبارات والأقوال.

٧ ـ في مجال العقيدة.

وإليك أمثلة ذلك:

١ ـ استدراكه عليه في النحو والإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب «أن تقوموا» في قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[2].

ذكر فيها عدة أوجه، منها ما قاله الزمخشري[3]: أنها عطفت بيان لـ«واحدة» وقد ردّ السمين هذا الإعراب فقال عنه: «وهو مردود؛ لتخالفهما تعريفاً

---

(١) الدر المصون ٧/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٣.

وتنكيراً»[1].

٢ ـ استدراكه عليه في اللغة:

مثال ذلك: عند بيان اشتقاق كلمة «سوّل» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾[2]. قال السمين: وقال الزمخشري[3] هنا: «وقد اشتقه من السُّؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً».

قال السمين: كأنه يشير إلى ما قاله ابن بحر: من أن المعنى: أعطاهم سُؤلهم. ووجه الغلط فيه أن مادة السؤل من السؤال بالهمز، ومادة هذا بالواو فافترقا، فلو كان على ما قيل لقيل: سأَّل بتشديد الهمزة لا بالواو. وفيما قاله الزمخشري نظر؛ لأن السؤال له مادتان: سأل بالهمز، وسال بالألف المنقلبة من واو، وعليه قراءة «سال سايل» وقوله[4]:

سالتْ هُذيلٌ رسولَ اللهِ فاحشةً ضَلَّتْ هُذيلٌ بماسالتْ ولم تُصِبِ[5]

٣ ـ استدراكه عليه في التفسير:

عند الحديث عن سؤال الحواريين في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[6] ما نوعه؟

ذكر السمين أن المفسرين والعلماء يقولون: إن سؤالهم لم يكن عن شك، بل كانوا مؤمنين.

---

(١) الدر المصون ٩/ ١٩٩. لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٢٦، ١٤٣، ١٥٧، ١٨١، ١٩٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٦٣، ١٠/ ٧، ١٥٩، ٥٥١).

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٥٨.

(٤) البيت لحسان وهو في ديوانه ص١٢٣. ورواية الديوان «جاءت» بدل «سالت» التي في الشطر الثاني.

(٥) الدر المصون ٩/ ٧٠٢، وانظر مثالاً آخر في (١٠/ ٣٣٧).

(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

ثم قال: وبهذا يظهر أن قول الزمخشري[1] أنهم ليسوا مؤمنين ليس بجيد، وكأنه خارق للإجماع. قال ابن عطية: ولا خلاف أحفظ أنهم كانوا مؤمنين»[2].

٤ ـ تعقبه في ردّه لبعض القراءات:

لقد تجرأ الزمخشري وردّ بعض القراءات المتواترة والشاذة بسبب نحوي أو لغوي ولقد وقف السمين له ولغيره بالمرصاد فردّ ذلك الانتقاد.

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

١ ـ عند بيان القراءات الواردة في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[3] قال السمين: «ورُوى عن ورش[4] إبدال الثانية ألفاً محضة، ونسب الزمخشري هذه القراءة للّحن قال[5]: لأنه يؤدي إلى الجمع بين ساكنين على غير حدهما، ولأنه تخفيف مثل هذه الهمزة إنما هو بين بين».

وقد رد السمين هذا الانتقاد فقال: «وهذا منه ليس بصواب لثبوت هذه القراءة تواتراً»[6][7].

---

(١) الكشاف ١/ ٣٧٢.

(٢) الدر المصون ٤/ ٥٠٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٤) عثمان بن سعيد القرشي مولاهم القبطي المصري. شيخ القراء المحققين. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. سمي ورشاً لبياضه. ولد سنة ١١٠هـ بمصر وتوفي بها سنة ١٩٧هـ (طبقات القراء ١/ ٥٠٣).

(٥) الكشاف ١/ ٢٦.

(٦) الدر المصون ١/ ١١٠.

(٧) لمزيد من الأمثلة انظر في الدر المصون:
١ ـ تعقبه لرده قراءة أبي عمرو بإدغام الراء في اللام في قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ في سورة البقرة، الآية: ٢٨٤. (٢/ ٦٩٠).
٢ ـ تعقبه لرده قراءة الدروي اختلاس الكسر في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ سورة البقرة، الآية: ١٢٨ (٢/ ١١٨).
٣ ـ تعقبه لرده قراءة حمزة ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بياء الغيبة في الأنفال، الآية: ٥٩ (٥/ ٦٢٤).
٤ ـ تعقبه لرده قراءة أبي عمرو إسكان الميم في قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ في سورة هود، الآية: ٢٨ =

٥ ـ انتقاده في إطلاق بعض العبارات والألفاظ:

قد يطلق الزمخشري بعض العبارات والألفاظ التي لا تتناسب مع جلال الله وعظمته أو لا تتناسب مع قدسية كلامه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، أو فيها شيء من التنقيص من شأن بعض العلماء مما لا يليق ومكانتهم العلمية. فترى السمين ينتقده في ذلك ويشنع عليه. مع أن الزمخشري قد يطلق بعض العبارات مثل عبارة «التناقض والتنافر» على القرآن على سبيل الفرض، ولكن السمين لا يرتضي هذه العبارات حتى وإن كان الأمر افتراضياً. ويتمنى لو استبدل بها غيرها.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى قوله: «إلا هي أكبر من أختها» في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[1].

ذكر السمين ثلاثة أوجه، ثالثها: قول الزمخشري[2]: «فإن قلت: هو كلام متناقض؛ لأن معناه: ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها، فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالةٍ واحدة. قلت: الغرض بهذا الكلام وصفهن بالكبر لا يكون يتفاوتن فيه...».

قال السمين مستنكراً قول الزمخشري: «وأوله فظيع جداً ـ يعني قوله: هو كلام متناقض ـ كأن العبارات ضاقت عليه حتى قال ما قال وإن كان جوابه حسناً فسؤاله فظيع!»[3].

* وقد يستنكر السمين بعض عبارات الزمخشري فيقول عنها: «إنها فظيعة

= (٦/ ٣١٦ـ٣١٧).

٥ ـ تعقبه لرده قراءة أبي عمرو إدغام الضاد في الشين في قوله ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ في سورة النور، الآية: ٦٢ (٨/ ٤٤٥).

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢١.

(٣) الدر المصون ٩/ ٥٩٦.

يقف منها الشَّعر». بل إنه لا يستطيع ذكرها ويحجم عن إيرادها في كتابه[1].

ومثال انتقاده للزمخشري إطلاق بعض العبارات التي لا تتناسب مع جلال الله وعظمته. عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ﴾[2] نقل السمين أن الزمخشري قال[3]: «فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار...».

ثم قال السمين: «وفي عبارته بقوله: «كان حق العبارة كذا» سوء أدب»[4].

ومثال انتقاده للزمخشري إطلاق بعض الألفاظ التي لا تتناسب مع العلماء وما يجب لهم من احترام وتوقير.

ما ذكره عند حديثه عن الوقف في قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا﴾[5] أن الزمخشري قال[6]: «ومن نوكى القُصّاص من يقف على قوله «ولها عرض» ثم يبتدئ «عظيم وجدتها» يريد: أمر عظيم أن وجدتها، فرّ من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله» انتهى كلام الزمخشري.

ويستنكر السمين إطلاق الزمخشري لفظ «نوكى» على من قال بالوقف السابق فيقول: النوكى: الحمقى جمع أنوك، وهذا الذي ذكره من أمر الوقف نقله الداني عن نافع وقرره، وأبوبكر بن الأنباري، ورفعه إلى بعض أهل العلم فلا ينبغي أن يقال: نوكى القصاص»[7].

---

(١) انظر مثال ذلك في ٧/ ٢٠٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٨١.
(٤) الدر المصون ٧/ ٢٥.
(٥) سورة النمل، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٦) الكشاف ٣/ ١٤٠.
(٧) الدر المصون ٨/ ٥٩٧ـ٥٩٨.

٦ـ انتقاده في مجال العقيدة:

لقد ملأ الزمخشري كشافه باعتزالياته، وكان ينحو بكثير من آرائه في الإعراب والبلاغة لتأييد مذهبه الاعتزالي الفاسد، ولقد كان السمين على وعي بذلك فرد عليه اعتزالياته الخفية منها والجلية.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[١].

نقل السمين أن الزمخشري قال: «ومثل ذلك الفَتْن العظيم فُتِن بعض الناس ببعض».

ثم علق على كلامه هذا فقال: «... وانظر كيف لم يتلفظ بإسناد الفتنة إلى الله تعالى في كلامه، وإن كان الباري قد أسندها، بل قال: «فتن بعض الناس» فبناه للمفعول على قاعدة المعتزلة»[٢].

٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾[٣].

ذكر السمين أن الواو في قوله: «وإن يأتيهم عرض» فيها وجهان: الثاني منهما: أنها للحال ـ وهو قول الزمخشري ـ حيث قال: «الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى فعلهم غير تائبين، وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمصر لا غفران له» انتهى كلام الزمخشري».

قال السمين: «وإنما جعل الواو للحال لهذا الغرض الذي ذكره من أن الغفران شرط التوبة، وهو رأي المعتزلة، وأما أهل السنة فيجوز مع عدم التوبة لأن الفاعل مختار»[٤].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

(٢) الدر المصون ٤/ ٦٤٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

(٤) الدر المصون ٥/ ٥٠٤. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٤/ ٤٨٥، ٦٢٦) و(٥/ ٢٣٤ـ٢٣٥ و٤٤٩)=

وقد يشير إلى انتقاده للزمخشري في اعتزالياته ويحيل في تفصيل ذلك إلى تفسيره الكبير[1].

ويتضح بعد هذا أن استحسان السمين لأقوال الزمخشري في الجوانب البلاغية لم يمنعه من انتقاده في مجال العقيدة.

ويرى السمين أن أخطاء الزمخشري العقدية لا تمنع من الإفادة من علمه، وقد قرر ذلك عند ردّه على شيخه في تعقب الزمخشري، وذلك عند إعراب قوله: «التي في الصدور» في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2]. قال السمين: «وهل هو توكيد؛ لأن القلوب لا تكون في غير الصدور، أولها معنى زائد؟ كما قال الزمخشري: «الذي قد تُعُورف واعتقد أن العمى في الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة ومثلٌ. فلما أُريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة، ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك. فقولك: الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت؛ لأن محل المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة مني ولا سهواً، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمداً» انتهى كلام الزمخشري. قال السمين: وقد ردّ الشيخ على أبي القاسم قوله «تعمدت به إياه» وجعل هذه العبارة عُجْمة من حيث إنه فصل الضمير، وليس من مواضع فصله، وكان صوابه أن يقول: تعمدته به كما تقول: السيف ضربتك به لا ضربت به إياك.

قال السمين: وقد تقدم لك نظير هذا الرد والجواب عنه بما أجيب عن قوله

= و(٨/ ٢٣٢) و(٩/ ٥٧١) و(١٠/ ٥٤٩، ٥٧٦).

(١) انظر مثال ذلك في (٢/ ٤٨).

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

تعالى: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[2] وهو أنه ـ مع قصد تقديم غير الضمير عليه لغرض ـ يمتنع اتصاله، وأيُّ خطأ في مثل هذا حتى يدعي العجمة على فصيح شهد له بذلك أعداؤه، وإن كان مخطئاً في بعض الاعتقادات مما لا تعلق له فيما نحن بصدده؟»[3].

وبذلك يتضح إنصاف السمين للزمخشري في الإفادة من علمه مما لا يتعارض مع العقيدة، ومخالفته لشيخه «أبي حيان» في هذه المسألة.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣١ وانظر: الدر المصون ٤/ ١١١.

(٣) الدر المصون ٨/ ٢٨٩ـ٢٩٠.

٣ـ المحرر الوجيز
لابن عطية

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلاّمة أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي القاضي. مولده سنة ٤٨٠هـ. كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية، ذكياً فطناً مدركاً، وكان له يد في الإنشاء والنظم والنثر. ولي قضاء المدينة. ألّف كتابه المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» فأحسن فيه وأبدع، وطار لحسن نيته كل مطار. توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤١هـ[١].

التعريف بالكتاب:

يُعدّ المحرر الوجيز من أوسع التفاسير وأدقها، عنى فيه مؤلفه بذكر التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فهو جامع بين الأثر والنظر، قارنٌ بينهما. يذكر التفسير بالمأثور ثم يعقبه بالتفسير بالرأي المنضبط بالاجتهاد المبني على قواعد العلم، واحتمال الدلالة، والتوفيق بين الآراء المتقاربة. اعتنى فيه بمعاني الألفاظ ووجوه الإعراب، وذِكْر القراءات وتوجيهها.

ولذا كان لهذا التفسير القيمة العالية بين كتب التفسير[٢]، فأثنى عليه العلماء يقول ابن خلدون عنه: «وهو تفسير مُخْتصِر للتفاسير بالمنقول مُلخِص لها، مع العناية الفائقة في التحقيق والتمحيص والتحري بما هو أقرب للصحة والصواب، حسن المنحى»[٣] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتفسير ابن عطية خير من تفسير

---

(١) انظر: (السير ١٩/ ٥٨٧، وبغية الوعاة ٢/ ٧٣، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٢٤٥، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٦٥).

(٢) التفسير والمفسرون ـ للذهبي ١/ ٢٤٠.

(٣) مقدمة ابن خلدون (٤٤).

الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير»[1].

ووصف أبوحيان ابن عطية بأنه أجلّ من ألّف في علم التفسير، وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير. وقارن بين تفسيره وتفسير الزمخشري فقال: «كتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص»[2].

ويؤكد محمد الفاضل بن عاشور على مقولة أبي حيان السابقة فيقول: «... أما بالنسبة إلى تفسير الزمخشري فابن عطية أطرد نفساً، وأكثر جمعاً وتفنناً، فهو وجيز باعتبار طريقة عرضه للمباحث لا باعتبار مقدار جملته فالزمخشري أقل جمعاً، وإن كان أعمق غوصاً في تحليل الكلام...»[3].

ولكن يؤخذ على تفسير ابن عطية تأويل آيات الصفات على مذهب الأشاعرة، فإن ابن عطية أشعري العقيدة وآراؤه في تفسيره تتفق مع مذهب الأشاعرة.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٨٨.

(٢) تفسير البحر المحيط (مقدمة الكتاب ١/ ١١٢-١١٣).

(٣) التفسير ورجاله ص٩٣.

المجالات التي نقل عنه فيها

لقد اعتمد السمين في كتابه «الدر المصون» على تفسير ابن عطية اعتماداً كبيراً، فهو يحتل الدرجة الثالثة بعد كتابي أبي حيان والزمخشري في المصادر التي نقل عنها. ولا غرابة في ذلك فعامة المفسرين بعد ابن عطية قد اعتمدوا على كتابه لما تميز به من تحرير للأقوال، وقد كان السمين في نقله عنه يناقشه كثيراً وقد ذكر ذلك في مقدمته فقال: «وذكرت كثيراً من المناقشات الواردة على أبي القاسم الزمخشري وأبي محمد بن عطية...»[1].

وقد أفاد السمين منه في مجالات عدة، أبرزها:

١ ـ مجال النحو والإعراب.

٢ ـ مجال اللغة.

٣ ـ مجال التفسير.

أما مجال النحو والإعراب فلأن السمين كان معنياً بذلك في كتابه، ولذا فقد كان المجال الغالب الذي ينقل عنه فيه... ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب «بحمدك» في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[2] قال: قال ابن عطية: «ويحتمل أن يكون قولهم: «بحمدك» اعتراضاً بين الكلامين، كأنهم قالوا: ونحن نسبح ونقدس، ثم اعترضوا على جهة التسليم، أي: وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك»[3].

٢ـ ينقل عن ابن عطية في بيان المعاني اللغوية لبعض الكلمات: مثل معنى

---

(١) مقدمة السمين ١/ ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) الدر المصون ١/ ٢٥٦ـ٢٥٧. لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٥٤، ١٨٩، ٢٥٤، ٢٨٨، ٣٤٨، ٣٧١، ٤٥٤) و(٢/ ٨٧، ١٤٦، ٤٤٥)، و(٣/ ٣٨، ١٣٢، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٦، ٣٥٠، ٤/ ١١٧).

«العفو» عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[1].

قال السمين: «قال ابن عطية[2]: «العفو تغطية الأثر وإذهاب الحال الأول من الذنب أو غيره ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب»[3].

٣ـ ومن أمثلة ما أفاده السمين من ابن عطية في التفسير:

عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٥﴾[4].

قال السمين: قال ابن عطية[5]: «وتحتمل الآية أن يكون المعنى: فما آلت دعاويهم التي كانت في حال كفرهم إلا إلى الاعتراف كقول الشاعر[6]:

وقد شَهِدتْ قيسٌ فما كان نَصْرُها ... قُتيبةَ إلا عضَّها بالأباهمِ[7]

وينقل السمين عن ابن عطية في البلاغة[8]، وفي القراءات[9].

طريقته في النقل عنه:

تميز السمين في النقل عن ابن عطية بالأمانة العلمية، فكان ينسب إليه أقواله، وغالب نقله عنه بطريقتين:

١ ـ الأولى: النقل بالنص:

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى الفاء في قوله «فقد سألوا» في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ﴾[10] ذكر السمين فيها قولين: أحدهما: أنها عاطفة على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٢.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢١٩.
(٣) الدر المصون ١/ ٣٥٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥
(٥) المحرر الوجيز ٧/ ١٠.
(٦) البيت للفرزدق وهو في ديوانه (٦١٤).
(٧) الدر المصون ٥/ ٢٥٤.
(٨) انظر أمثلة ذلك: ٣/ ٣٥٨، ٣٥٩، ٦/ ١٧١.
(٩) انظر أمثلة ذلك: ٤/ ٩٣، ٦/ ١٧٨، ٢٢٥.
(١٠) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

جملة محذوفة. قال ابن عطية[1]: «وتقديره: فلا تبال يامحمد بسؤالهم وتشطيطهم فإنها عادتهم، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك»[2].

وقد ينقل السمين نص كلام ابن عطية، ثم يرى أنه يحتاج إلى توضيح فيشرحه. ومثال ذلك:

عند إعراب قوله: «فلن يخلف الله عهده» في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[3].

قال: «قال ابن عطية[4]: «فلن يخلف الله عهده» اعتراض بين أثناء الكلام».

قال السمين: «كأنه يعني بذلك أن قوله: «أم تقولون» معادل لقوله: «أتخذتم» فوقعت هذه الجملة بين المتعادلين معترضة، والتقدير: أي هذين واقع؟ اتخاذكم العهد أم قولكم بغير علم، فعلى هذا لا محل لها من الإعراب...»[5].

٢ ـ الثانية: الإشارة إلى رأيه:

فقد يكتفي السمين بالإشارة إلى قول من الأقوال بأنه رأى ابن عطية ومذهبه ويُعبر عن ذلك بتعبيرات هي: «وهذا اختيار ابن عطية» «وإليه ذهب ابن عطية» «وإليه نحا ابن عطية».

مثال ذلك: عند بيان نوع كلمة «صدوداً» في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[6]. قال: فيه وجهان، أحدهما: أنه اسم مصدر، والمصدر إنما هو المصدر، وهذا اختيار ابن عطية[7]»[8].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٧.
(٢) الدر المصون ٤/ ١٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٠.
(٤) المحرر الوجيز ١/ ٣٣٤.
(٥) الدر المصون ١/ ٤٥٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ٦١.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣.
(٨) الدر المصون ٤/ ١٥. وانظر أيضاً: ٣/ ٣٦١، ٤/ ٦٤، ٥/ ٧١.

موقفه مما ينقله:

تميز السمين في نقله عن ابن عطية ـ كتميزه في نقله عن الزمخشري ـ بأنه لم يكن مقلداً ومسلماً بكل ما ينقل، بل كان له موقفان فيما ينقله عنه:

الموقف الأول: موقف القبول.

وهذا كثير في الدرّ، وذلك لما تميز به تفسير ابن عطية من تحرير وترجيح.

الموقف الثاني: موقف المناقشة والرد.

فكان السمين يرفض بعض أقوال ابن عطية وآراءه في عدة مجالات.

١ ـ المجال الأول: النحو والإعراب.

ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب: «انظر كيف يفترون» في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[١] رد السمين إعراب ابن عطية لمخالفته للصناعة النحوية.

قال: وجوّز ابن عطية[٢] أن تكون «كيف» مبتدأ، والجملة من قوله «يفترون» الخبر. قال السمين: «وهذا فاسد؛ لأن «كيف» لا تُرفع بالابتداء، وعلى تقدير ذلك فأين الرابط بينها وبين الجملة الواقعة خبراً عنها؟ ولم تكن نفس المبتدأ حتى تستغني عن رابط[٣].

وقد يرد قوله: لمخالفته لجمهور النحاة[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٨.

(٣) الدر المصون ٤/ ٥. لمزيد من الأمثلة انظر: ١/ ١٢١، ٢٧١، ٢٩٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٣، ٤٧٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٤، ٤٢٩، ٢/ ٢٥٥، ٥٩٠، ٣/ ٢٩٠، ٦٦٢، ٤/ ٥٣، ١٤٧، ٦/ ١٩٠، ٧/ ٣٠٦، ٨/ ٦٨٢، ١٠/ ٢٨، ٣٣٢، ٥٧٥.

(٤) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٥٨، ٤٧١، ٤٦١.

٢ـ انتقاده في مجال القراءات: من وجهين:

أولهما: رده لبعض القراءات.

لقد وقع ابن عطية في ردِّ بعض القراءات المتواترة والشاذة لسبب نحوي أو لغوي ـ كما يراه ـ وقد كان السمين الحارس الأمين للقراءات فانتقده.

وسأذكر أمثلة على ذلك، أما تفصيل هذا فسيأتي في مكان آخر من هذا البحث.

ذكر السمين أن ابن كثير قرأ ـ في رواية أهل مكة ـ بتخفيف الدال في «تعتدونها» وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[١].

ثم قال: وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال: «غلط ابن أبي بزّة عنه»[٢]. قال السمين: وليس كما قال»[٣].

ومثال لرده لقراءة شاذة وتعقب السمين له:

قراءة طلحة بن مصرف «أَفْلَحُ» بفتح الهمزة واللام وضم الحاء عند قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤]. قال عنها ابن عطية[٥]: وهي قراءة مردودة.

فرد السمين قائلاً: ولا أدري كيف يردونها مع ثبوت مثلها في القرآن بإجماع وهما الآيتان المتقدمان؟..»[٦].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

(٢) أحمد بن محمد بن القاسم بن نافع بن أبي بزة. الإمام أبو الحسن البزي المكي مقريء مكة ومؤذن المسجد الحرام. ولد سنة (١٧٠) أستاذ محقق ضابط متقن. توفي سنة (٢٠٥هـ) (طبقات القرّاء ١/ ١١٩).

(٣) الدر المصون ٩/ ١٣٢.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٥) المحرر الوجيز ١١/ ٢٢٢.

(٦) الدر ٨/ ٣١٤. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٢٧٣، ٢٧٨، ٥/ ١٦٥، ٦/ ٥٦٧، ٨/ ٢٧٤).

وثانيهما: انتقاده في جهله لبعض القراءات التي قُرِيء بها.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾[1].

قال السمين: وقرأ أبورجاء[2] وأبومجلز[3] وأبوالجوزاء[4] «مُقامي» بضم الميم.. ثم نقل أن ابن عطية[5] قال: «ولم يُقرأ هنا بضم الميم».

قال السمين: كأنه لم يطلع على قراءة هؤلاء الآباء»[6].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٢) هو عمران بن تميم ويقال ابن ملحان العطاردي أبورجاء البصري التابعي الكبير، كان مخضرماً. أسلم في حياة النبي ولم يره ولقي أبابكر وحدث عن عمر وغيره. كان أبورجاء عابداً كثير الصلاة والتلاوة. توفي سنة ١٠٥هـ (السير ٤/ ٢٥٣).

(٣) هو لاحق بن حميد السدوسي. سمع من ابن عمر وابن عباس وأنساً وغيرهم. قال ابن المبارك: كان أبومجلز يقوم بهم ـ يعني أهل خراسان ـ في رمضان يختم في كل أسبوع. توفي سنة ١٠١هـ. (طبقات القراء ٢/ ٣٦٢).

(٤) هو أوس بن عبدالله الربعي البصري. من كبار العلماء، حدث عن عائشة وابن عباس وابن عمرو. وكان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج. (صفة الصفوة لابن الجوزي ٣/ ٢٥٨، السير: ٤/ ٣٧١).

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٧.

(٦) الدر المصون ٦/ ٢٣٩. وانظر أيضاً مثالاً آخر في: ٦/ ٤٨٩.

القسم الثاني:
المصادر الثانوية

وهي:

١ ـ **جامع البيان** ـ للطبري.
٢ ـ **البسيط** ـ للواحدي.
٣ ـ **التحصيل** ـ للمهدوي.
٤ ـ **مفاتيح الغيب** ـ للرازي.
٥ ـ **جامع التأويل** ـ لابن بحر الأصبهاني.
٦ ـ **النكت والعيون** ـ للماوردي.
٧ ـ **اللُّباب** ـ للكرماني.

القسم الثاني
من مصادره من كتب التفسير
المصادر الثانوية

وأقصد بالمصادر الثانوية هنا: المصادر التي نقل السمين منها على نحوٍ أقلّ من سابقتها.

وسبب عدم تركيزه على النقل من هذه المصادر واضح؛ إذ أن هدف السمين في كتابه هو التركيز على خدمة النص القرآني من حيث علوم العربية من نحو وإعراب ولغة وصرف واشتقاق وبلاغة.. إلا أنه مع ذلك لم يغفل النقل من كتب التفسير إذا وجد بغيته.

وقد ركزت هنا على أهم المصادر التي نقل عنها، وقمت بترتيبها حسب كثرة اعتماد السمين عليها.

١ ـ جامع البيان: للطبري.
٢ ـ البسيط: للواحدي.
٣ ـ التحصيل: للمهدوي.
٤ ـ مفاتيح الغيب: للرازي.
٥ ـ جامع التأويل: لابن بحر الأصبهاني.
٦ ـ النكت والعيون: للماوردي.
٧ ـ اللّباب: للكرماني.

١ـ جامع البيان للطبري:

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة. ولد سنة ٢٢٤هـ. طلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال.

له مصنفات في فنون عديدة منها «التفسير» المسمى «جامع البيان في تأويل آي القرآن» وله في التاريخ «تاريخ الأمم والملوك» وأُخرى في الحديث والفقه وغير ذلك. كان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً، وكان ثقة في نقله. توفي في السادس والعشرين من شوال سنة ٣١٠هـ ببغداد[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

جامع البيان من أعظم التفاسير وأفضلها، لسبقه ولما تميز به من ميزات قلّ أن تجتمع في تفسير واحد. وقد اعتمده أغلب المفسرين بعده فصدروا من مورده العذب، وأصبح العمدة لديهم، فمن أراد التفسير بالمأثور والروايات العديدة عن الصحابة والتابعين وأئمة الدين رجع إليه فوجد بغيته، ومن أراد التفسير بالرأي من الاهتمام بالترجيح ودقة الاستنباط رجع إليه وكذا طالب اللغة والإعراب والمهتم بالأحكام الفقهية... فالكتاب يُعدّ موسوعة علمية عظيمة أشاد بها العلماء قديماً وحديثاً، نشير إلى بعض أقوالهم في ذلك على سبيل الإيجاز.

فهذا الإمام النووي[٢] ينقل إجماع الأمة على أهميته فيقول: «أجمعت الأمة على أنه لم يُصنف مثل تفسير الطبري»[٣].

---

(١) انظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ٤/ ١٩١) و(سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧) و(طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١١٠) و(شذرات الذهب ٢/ ٢٦٠) و(الأعلام ٦/ ٦٩).

(٢) محي الدين أبوزكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي. العالم الزاهد. له مؤلفات كثيرة منها: المجموع، وشرح صحيح مسلم وغيرها. توفي ٦٧٠هـ (طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٤٧٦).

(٣) الإتقان للسيوطي ٢/ ١٩٠.

وقال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن كتب التفسير: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين..»[1].

ولعل هذا الإعجاب مصدره تميز هذا السِّفر العظيم بمزايا أهمها:

١ ـ اعتماده على ما أُثر عن الرسول والصحابة والتابعين في التفسير.

٢ ـ اهتمامه بالأسانيد في الروايات. وموقفه الحازم من الروايات الضعيفة والإسرائيليات.

٣ ـ اهتمامه بالترجيح بين الأقوال.

٤ ـ علمه الواسع بالعربية، لغةً ونحواً.

٥ ـ دقته في استنباط الأحكام.

٦ ـ التزامه بمذهب أهل السنة والجماعة في النواحي العقدية ودفاعه عنها.

طريقة السمين في النقل عن الطبري:

١ ـ نقل نص كلامه:

عند ذكر أقوال المفسرين في الترجيح بين القراءتين اللتين في قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2] وهما قراءة حمزة «فآذنوا» بألف بعد الهمزة، وقراءة الجمهور بدون ألف، مع تسكين الهمزة. قال: وقال الطبري[3]: وقراءة القصر أرجح؛ لأنها تختص بهم، وإنما أُمروا على قراءة المدّ بإعلام غيرهم»[4].

٢ ـ النقل بالمعنى:

فقد يذكر السمين معنى ومضمون كلام الطبري، ومثال ذلك: عند توجيه

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٨٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٩.

(٣) جامع البيان، ٣/ ١٠٧.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٤١.

قراءة النصب في «الحمد» في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] قال السمين: قال الطبري: إن في ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله»[2]. ولو رجعنا إلى جامع البيان لوجدنا أن مضمون هذا النقل وارد فيه[3].

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

فقد يكتفي السمين بالإشارة إلى إلى رأي الطبري في مسألة من المسائل وعباراته في ذلك هي: «واختاره ابن جرير[4]»، «وإليه ذهب[5]»، «وهو قول ابن جرير[6]»، «ورجحه الطبري[7]».

ومثال ذلك:

١ ـ عند بيان مرجع الضمير في «ملأهم» في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾[8]. قال: فيه أوجه، أحدها: أنه عائد على الذرية، وهذا قول أبي الحسن[9] واختيار ابن جرير[10]. »[11]

٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[12] قال: في هذه المسألة أربعة

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) الدر المصون ١/ ٤٠.
(٣) جامع البيان ١/ ٦١.
(٤) انظر مثال ذلك: ٥/ ٥٩٨.
(٥) انظر مثال ذلك: ٦/ ٩١.
(٦) انظر مثال ذلك: ٧/ ٧٩.
(٧) انظر مثال ذلك: ٨/ ٣٥٦.
(٨) سورة يونس، الآية: ٨٣.
(٩) وهو الأخفش في معانيه ٢/ ٥٧٣.
(١٠) جامع البيان ٧/ ١٥٠.
(١١) الدر المصون ٦/ ٢٥٥.
(١٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

أقوال، أحدها: ـ وهو قول ابن جرير ـ[1] أن «لا» الأولى رد لكلام تقدمها، تقديره: فلا تعقلون، أو: ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أُنزل إليك، ثم استأنف قسماً بعد ذلك[2]».

وقد ينقل عن الطبري بواسطة ابن عطية ـ أحياناً ـ.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان المستثنى منه في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] ذكر أن في ذلك عشرة أوجه، منها: أن المراد بالقلة العدم، يريد: لاتبعتم الشيطان كلكم وعدم تخلف أحد منكم، قال: «نقله ابن عطية عن جماعة وعن الطبري[4]»[5].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

١ ـ النحو والإعراب:

مثال ذلك: عند إعراب «والذين ينفقون» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[6] قال: فيه ثلاثة أوجه، . . . الثاني: أنه مجرور عطفاً على «الكافرين» أي: اعتدنا للكافرين وللذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، قاله ابن جرير[7]»[8].

٢ ـ اللغة:

أفاد السمين من ابن جرير في مجال اللغة، في عدة جوانب منها، في بيان معاني الكلمات لغوياً وفي بيان معاني الحروف، وفي اللهجات الواردة في بعض

---

(١) جامع البيان ٥/ ١٥٨.
(٢) الدر المصون ٤/ ١٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(٤) جامع البيان ٥/ ١٨٤.
(٥) الدر المصون ٤/ ٥٣. وانظر لمزيد من الأمثلة: ٣/ ٦٩٨ و٤/ ٣٣١ و٧/ ٢٦.
(٦) سورة النساء، الآية: ٣٨.
(٧) جامع البيان ٥/ ٨٧.
(٨) الدر المصون ٣/ ٦٧٨.

الكلمات. وسأقتصر على ذكر مثال في: بيان معاني الكلمات.

عند بيان معنى: ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[1]. قال: قال الزجاج والطبري[2]: تطلبون لها اعوجاجاً تقول العرب: ابغني كذا بوصل الألف، أي: اطلبه لي، و«أبغني كذا» بقطع الألف أي: أعنّي على طلبه»[3].

٣ـ القراءات:

أفاد السمين من الطبري في مجال القراءات من حيث ذكرها وتوجيهها وإليك مثال ذلك:

عند ذكر القراءات في «كلاّ» في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[4].

قال: وحكى ابن جرير[5] أن أبا نهيك[6] قرأ «كُلٌّ» بضم الكاف ورفع اللام منونة على أنه مبتدأ. . .»[7].

ففي هذا المثال نقل السمين عن الطبري ذكره لقراءة أبي نهيك.

ومثال نقله عنه في تخريج القراءات: عند توجيه قراءة «صبغة الله» بالرفع في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[8] قال: «وقال الطبري[9]: «من قرأ ملةُ إبراهيم بالرفع قرأ صبغةُ بالرفع»[10].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.
(٢) جامع البيان ٤/ ٢٢.
(٣) الدر المصون ٣/ ٣٢٥ـ٣٢٦.
(٤) سورة مريم، الآيتان: ٨١، ٨٢.
(٥) جامع البيان ١٦/ ١٢٥.
(٦) علباء بن أحمر أبو نهيك اليشكري الخراساني، له حروف من الشواذ تنسب إليه. وقد وثقوه وخرج مسلم حديثه. عرض على شهر وعكرمة مولى ابن عباس (طبقات القراء ١/ ٥١٥).
(٧) الدر المصون ٧/ ٦٣٩.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.
(٩) جامع البيان ١/ ٥٧٠.
(١٠) الدر المصون ٢/ ١٤٢.

٤ ـ في التفسير:

عند بيان المراد بالمخاطب في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾[١]. قال السمين: فيه قولان، . . . الثاني منهما: أنه للمؤمنين. قال ابن عطية[٢]: «ومشى المفسرون في هذه الآية على أن الذين أُمر أن يقول لهم: هل أنبئكم هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزواً ولعباً قال ذلك الطبري[٣]»[٤].

وينقل السمين عن الطبري أقوال التابعين في التفسير.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان اشتقاق كلمة ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾[٥] قال: «فيه أربعة أقوال، منها: مِنْ يَسَر لي بكذا، أي: وجب. حكاه الطبري[٦] عن مجاهد[٧]»[٨].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين مما ينقله عن الطبري موقفين:

الأول: موقف القبول، وفيما سبق أمثلة لذلك[٩].

الثاني: موقف المناقشة والرد.

وقد استدرك السمين على الطبري بعض آرائه في الإعراب، وانتقده أيضاً في رده لبعض القراءات.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠.

(٣) جامع البيان ٦/ ٢٩٢.

(٤) الدر المصون ٤/ ٣٢٣.

(٥) في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ البقرة: ٢١٩.

(٦) جامع البيان ٢/ ٣٥٧.

(٧) مجاهد بن جبر المخزومي المكي المقرىء المفسر. قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. قال ابن سعد: مجاهد ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث. رويت عنه بعض الغرائب في التفسير. (السير ٤/ ٤٤٩) (طبقات القراء ١/ ٦٦).

(٨) الدر المصون ٢/ ٤٠٥.

(٩) وانظر أيضاً (٣/ ١٣٠، ٦٧٨).

أ ـ مثال استدراكه عليه في مجال الإعراب.

عند إعراب «إذ تستغيثون» في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[1] ذكر السمين أن في ذلك خمسة أوجه، منها قول الطبري[2]: أنه منصوب بـ «يحق» أي: يحق الحق وقت استغاثتكم. قال السمين متعقباً له: وهو غلط؛ لأن «ليحق» مستقبل لأنه منصوب بإضمار «أَنْ»، و«إِذْ» ظرف لما مضى، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟»[3].

ب ـ في مجال القراءات:

انتقد السمين موقف الطبري في ردّه بعض القراءات.

ومن أمثلة ذلك: عند الحديث عن القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾[4].

قال: «وقرأ بعضهم: «ولكلِّ وجهةٍ» بالإضافة، ويُعزى لابن عامر[5]، واختلفوا فيها على ثلاثة أقوالٍ، أحدها: ـ وهو قول الطبري ـ[6]: أنها خطأ. قال السمين: وهذا ليس بشيء، إذ الإقدام على تخطئة ما ثبت عن الأئمة لا يَسْهُل»[7].

موقف السمين من المناقشات الواردة على الطبري:

وقد ينقل السمين بعض المناقشات الواردة على كلام الطبري من ابن عطية أو أبي حيان وله في ذلك موقفان:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) جامع البيان ٩/ ١٨٩.

(٣) الدر المصون ٥/ ٥٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٥) عبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي. إمام أهل الشام في القراءة، وثقه النسائي وغيره. أعلى القراء السبعة سنداً، سمع من جماعة من الصحابة كمعاويه والنعمان بن بشير وواثلة. توفي سنة ١١٨هـ. (السير ٤/ ٢٩٢، وطبقات القراء ١/ ٤٢٣).

(٦) جامع البيان ٢/ ٢٩.

(٧) الدر المصون ٢/ ١٧٤.

١ ـ موقف التسليم بالإيرادات على كلام الطبري.

عند إعراب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[١] على قراءة الكسائي بفتح الهمزة في «إنّ». ذكر أن في ذلك أوجهاً، منها: أن يكون «أن الدين» معطوفاً على «أنه لا إله إلا هو»، حذف منه حرف العطف قاله ابن جرير[٢]، وضعّفه ابن عطية[٣]، ولم يبين وجه ضعفه. ثم ذكر أن أباحيان بين وجه الضعف في قول الطبري.

فقال: «قال الشيخ[٤]: «وجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع إضمار حرف العطف، فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع وبجملتي الاعتراض، وصار في التركيب نظير قولك: «أكل زيد خبزاً وعمرو سمكاً» يعني ففصلت بين «زيد» وبين «عمر» بـ «خبزاً»، وفصلت بين «خبزاً» وبين «سمكاً» بعمرو، إذ الأصل قبل الفصل: «أكل زيد وعمر وخبزاً وسمكاً»[٥].

فنلحظ هنا أن السمين قد أقرَّ بتضعيف ابن عطية لإعراب الطبري، ثم نقل عن شيخه ما يبين سبب ذلك الضعف.

٢ ـ موقف المدافعة عن الطبري:

يقف السمين موقف المدافع عن الطبري فيرد الانتقادات الموجهة إليه ـ أحياناً ـ.

انظر: تعقبه لردّ ابن عطية وأبي حيان على الطبري إعرابه لقوله تعالى: «ولا يأمرَكم» على قراءة النصب في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) جامع البيان (٣/ ٢١٢).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١.
(٤) البحر المحيط ٢/ ٤٢٥.
(٥) الدر المصون ٣/ ٨٥.

أَرْبَابًا﴾[1]. فقد ذكر السمين إعراب الطبري[2] وهو قوله: أن يكون معطوفاً على «يقول» في قراءة العامة.

ثم ذكر أن ابن عطية تعقب هذا الإعراب ولم يبين سببه، ثم ذكر عن شيخه (أبي حيان) ما يبين وجه الخطأ في إعراب الطبري.

ثم أردف ذلك بكلام للزمخشري تابع فيه الطبري.

وختم ذلك بقوله: وهذا الذي أورده الزمخشري كلام صحيح ومعنى واضح على كلا تقديري كون «لا» لتأسيس النفي أو تأكيده، فكيف يجعل الشيخ كلام الطبري فاسداً على أحد التقديرين وهو كونها لتأسيس النفي؟

فقد ظهر والحمد لله صحة كلام الطبري بكلام أبي القاسم الزمخشري وظهر أن ردّ ابن عطية عليه مردود. . .»[3].

وختاماً فإني أقول إن إفادة السمين من الطبري كانت إفادة واعية فكان يقبل ما ينقله عنه إذا كان صحيحاً، ويرد كلامه إذا كان مخالفاً للصواب سواء في اللغة أو النحو أو القراءات.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٢) جامع البيان ٣/ ٣٢٩.

(٣) الدر المصون ٣/ ٢٨٠ـ٢٨١.

٢ـ البسيط للواحدي:

التعريف بالمؤلف:

الإمام المصنف، المفسر النحوي. علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي. أنفق شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة لازم مجالس الثعالبي في تحصيل التفسير، وقعد للتدريس والإفادة سنين، وتخرج به أئمة.

صنف: البسيط، والوسيط، والوجيز في التفسير، وأسباب النزول، وشرح ديوان المتنبي وغيرها. توفي سنة ٤٦٨هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يعد هذا التفسير من الموسوعات في علم التفسير، وهو أكبر تفاسير الواحدي[٢]. ويغلب عليه الدراية والتفسير بالرأي.

وطريقته كالتالي: يبدأ الآية: بتحليل ألفاظها وبيان أصولها اللغوية واشتقاقاتها وما يتعلق بها من قضايا نحوية ويطيل نفسه في ذلك. ثم يذكر ما قيل في الآية من التفسير ويبدأ ذلك بقوله: «أما التفسير» ويقدم قول ابن عباس في ذلك غالباً، ويحاول أن يجمع بين أقوال السلف في تفسير الآية. ويتعرض أيضاً لما في الآية من الأحكام، وقد يذكر مسائل في الوقف والابتداء والربط بين الآيات ويتعرض أيضاً لأسباب النزول. ويذكر أيضاً بعض مسائل في علوم القرآن كالنسخ وغيره واهتم بالقراءات السبع من غير تسمية لأصحابها في الغالب، ، وكان يركز على توجيه القراءات ويتوسع في ذلك. وكان ذلك بعد تحليله لألفاظ الآية وما فيها من مسائل لغوية ونحوية وقبل أن يشرع في ذكر أقوال السلف في الآية.

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣ والسير ١٨/ ٣٣٩، وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥٣٨، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٩٤).

(٢) سُجّل الكتاب في سلسلة رسائل دكتوراه في قسم القرآن بجامعة الإمام، وكان أول من بدأ في التحقيق الدكتور/ محمد بن صالح الفوزان في عام ١٤٠٩هـ بإشراف الشيخ محمد الراوي.

طرق النقل عنه:

ينقل السمين عن الواحدي بالنص، وبالمعنى، وقد يكتفى أحياناً بالإشارة إلى رأيه.

١ ـ النقل بالنص ومثاله:

عند إعراب «رأي العين» في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[١] قال السمين: «في انتصابه ثلاثة أوجه، الثالث منها: أنه منصوب على ظرف المكان. قال الواحدي[٢]: «كما تقول: ترونهم أمامكم، ومثله: هو مني مزجر الكلب، ومناط العيوق»[٣]...»[٤].

٢ ـ النقل بالمعنى. ومثاله:

عند بيان معنى كلمة «دَأْب» في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٥] قال: «قال الواحدي[٦]: الدَأَبُ: الاجهاد والتعب، يقال: سار فلان يومه كله يدأب فيه فهو دائب، أي: أُجهد في سيره، هذا أصله في اللغة، ثم يصير الدأب عبارة عن الحال والشأن والعادة، لاشتمال العمل والجهد على هذا كلّه»[٧].

٣ ـ الإشارة إلى رأيه:

وهذه الطريقة قليلة جداً عند السمين. ومن أمثلتها:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٢) تفسير البسيط، تحقيق أحمد محمد الحمادي، رسالة دكتوراة بإشراف الأستاذ الدكتور/ السيد الدسوقي في عام ١٤١٥هـ ص٢٣٠.

(٣) والعيوق: كوكب يطلع مع الثريا.

(٤) الدر المصون ٣/ ٥٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٦) تفسير البسيط ص٢١٣، ٢١٤. من رسالة أحمد الحمادي.

(٧) الدر المصون ٣/ ٤٠.

عند إعراب ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[1] على قراءة رفع «لباس» ذكر أن في ذلك خمسة أوجه، منها: أن يكون «لباس» مبتدأ، و«ذلك» بدل منه أو عطف بيان له أو نعت و«خير» خبره.

ثم ذكر أن الحوفي قد أنكر أن يكون أحد قال بهذا القول وردّ عليه السمين بأن هذا القول قد قال به جماعة من المعربين وذكر منهم الواحدي»[2].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

نقل السمين عن الواحدي في ثلاثة مجالات هي: ١ ـ الإعراب، ٢ ـ اللغة، ٣ ـ القراءات. ٤ ـ التفسير. وهذه هي المجالات التي بسط الكلام فيها الواحدي في تفسيره.

١ ـ في مجال الإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب «غير الحق» في قوله تعالى: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[3]. قال السمين: وذكر الواحدي فيه الحال والاستثناء فقال: وانتصاب «غير الحق» من وجهين، أحدهما: الحال والقطع من الدين كأنه قيل: لا تغلوا في دينكم مخالفين للحق، لأنهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالإصرار عليه.

والثاني: أن يكون منصوباً على الاستثناء فيكون «الحق» مستثنى من المنهي عن الغلو فيه، بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه والثبات عليه»[4].

وقد ينقل السمين قوله في التعليق على أحد الأعاريب.

ومثال ذلك: عند إعراب «أعلم» في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٢) الدر المصون ٥/ ٢٨٨ـ٢٨٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
(٤) الدر المصون ٤/ ٣٨١.

سَبِيلِهِۦ﴾[1]، قال السمين: في «أعلم» قولان، أحدهما: أنها ليست للتفضيل بل بمعنى اسم فاعل في قوته كأنه قيل: إن ربك هو يعلم. ثم نقل رد الواحدي لهذا القول فقال: وقال الواحدي: «ولا يجوز ذلك لأنه لا يطابق «وهو أعلم بالمهتدين»[2].

٢ ـ مجال اللغـــة:

وأكثر ما ينقل عنه في مجال اللغة في بيان معاني الكلمات.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى كلمة، «دأب» في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[3].

قال السمين: «وقال الواحدي: الدَأَبُ: الاجهاد والتعب، يقال: سار فلان يومه كلّه يدأب فيه فهو دائب، أي: أُجهد في سيره، هذا أصله في اللغة، ثم يصير الدأب عبارة عن الحال والشأن والعادة، لاشتمال العمل والجهد على هذا كلّه»[4].

وقد ينقل عنه في بيان الفروق اللغوية:

ومثال ذلك: عند الحديث عن الفرق بين الكسب والاكتساب[5].

قال السمين: وقال الواحدي: «الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد لا فرق بينهما...»[6][7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٧.

(٢) الدر المصون ٥/ ١٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٤) الدر المصون ٣/ ٤٠ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٣/ ١٦٧، ١٦٩، ٢١٠، ٤٠٧، ٤٠٨) (٤/ ٥٥٦) (٥/ ١١٢، ٥٠٠).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ في سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٦) الدر المصون ٢/ ٧٠٠.

(٧) ذكر هذا أبوحيان في البحر ولم ينسبه إلى الواحديّ!! (البحر ٢/ ٣٨١).

٣ ـ في مجال القراءات:

وينقل السمين عن الواحدي بعض أقواله في تخريج القراءات ومثال ذلك: عند توجيه قراءة أبي عمرو والكسائي بخفض «والكفار» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾[١].

قال السمين: «... فقراءة الخفض عطف على الموصول المجرور بـ «من»... قال الواحدي: «وحجة هذه القراءة من التنزيل قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] اتفقوا على جر «المشركين» عطفاً على «أهل الكتاب» ولم يُعطف على العامل الرافع»[٣].

٤ ـ في مجال التفسير:

عند ترجيح السمين لبيان المراد «باللسان» في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[٤].

قال: «ثم إني رأيت الواحدي ذكر عن المفسرين قولين، ورجّح ما قلته قال ـ رحمه الله ـ: «وقال ابن عباس: يريد في الزبور وفي الإنجيل، ومعنى هذا أن الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل وكذلك في الإنجيل، وقيل: على لسان داود وعيسى، لأن الزبور لسان داود والإنجيل لسان عيسى»[٥].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين في نقله عن الواحدي موقفين:

١ ـ القبول. وفيما سبق أمثلة على ذلك.

٢ ـ التعقب والاستدراك.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٣) الدر المصون ٤/ ٣١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

(٥) الدر المصون ٤/ ٣٨٣.

١ ـ الاستدراك عليه في النحو:

قد يستدرك على الواحدي إعراباً لأجل مخالفته للصناعة والمعنى.

ومثال ذلك: عند إعراب «رأي العين» في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[١]. قال السمين: في انتصابه ثلاثة أوجه، الثالث منها: أنه منصوب على ظرف المكان قال الواحدي: «كما تقول: ترونهم أمامكم، ومثله: هو مني مزجر الكلب ومناط العيوق».

قال السمين: وهذا إخراج للفظ عن موضوعه مع عدم المساعد معنى وصناعة»[٢].

وقد يَرُدّ أحد أعاريب الواحدي لمخالفته للصناعة. ومثال ذلك: عند إعراب «ولأحل لكم» في قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٣] قال السمين[٤]: فيه أوجه، أحدها: أنه معطوف على معنى «مصدقاً» إذ المعنى: جئتكم لأصدق ما بين يديّ ولأُحل لكم، ومثله من الكلام: جئته معتذراً إليه ولأجتلب رضاه، أي: جئت لاعتذر ولأجتلب، كذا قال الواحدي وفيه نظر: لأن المعطوف عليه حال، وهذا تعليل»[٥].

* وقد يردّ إعراب الواحدي لأجل المعنى.

ومثال ذلك: عند إعراب «الكاف» في قوله تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[٦] قال: في موضع هذه الكاف ثلاثة أوجه، الثالث: أنها نعت لمصدر محذوف قاله الواحدي نقلاً عن أبي علي بعد كلام طويل، قال: وتكون الكاف في موضع نصب على أنه صفة للمصدر المراد، تقديره: أني أخلق لكم من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.
(٢) الدر المصون ٣/ ٥٥ وانظر مثالاً آخر في (٤/ ٤٩٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٤) الدر المصون ٣/ ٢٠٢.
(٥) لمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٦٦٠) (٣/ ٣٠٣، ٦٧٣) (٤/ ٤٩٢) (٥/ ٣٦، ٣٨).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

الطين خلقاً مثل هيئة الطير». قال السمين: وفيما قاله نظر من حيث المعنى، لأن التحدي إنما يقع في أثر الخلق، وهو ما ينشأ عنه من المخلوقات لا في نفس الخلق»[1].

* وقد يذهب السمين يتتبع الواحدي في استدراكاته على بعض المعربين.

ومثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير في «فأنفخ فيه» في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ﴾[2] ذكر السمين أن في ذلك ستة أوجه، السادس منها: أنه عائد على الطين قاله أبوالبقاء. قال السمين: وعلى هذا الوجه قد أفسده الواحدي فإنه قال: «ولا يجوز أن تعود الكناية ـ أي الضمير ـ على الطين، لأن النفخ إنما يكون في طين مخصوص وهو ما كان مهيأ منه، والطين المتقدم ذكره عام فلا تعود إليه الكناية، ألا ترى أنه لا ينفخ جمع الطين» اهـ كلام الواحدي.

قال السمين: وفي هذا الردّ نظر، إذ لقائل أن يقول: لا نسلّم عموم الطين المتقدم، بل المراد بعضه، ولذلك أدخل عليه «مِنْ» الي تقتضي التبعيض، وإذا صار المعنى: أني أخلق بعض الطين، عاد الضمير عليه من غير إشكال، ولكنّ الواحدي جعل «مِنْ» في «من الطين» لابتداء الغاية وهو الظاهر»[3].

وقد يتهم السمين الواحدي بمخالفته للجمهور في أحد أقواله، ويكتفي بهذا الرد خوفاً من الإطالة[4].

٢ ـ استدراكه عليه في اللغة:

عند الحديث عن اللغات في كلمة ﴿بَرَآءَةٌ﴾[5] قال السمين: «ويقال: بَرِئْتُ وبَرَأت من الدين بالكسر والفتح. وقال الواحدي: وليس فيه إلا لغة واحدة: كسر

---

(١) الدر المصون ٣/ ١٩٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٣) الدر المصون ٣/ ١٩٤.
(٤) انظر مثال ذلك في (٥/ ٣١٠ـ٣١١).
(٥) سورة التوبة، الآية: ١.

العين في الماضي، وفتحها في المستقبل، وقد تعقب السمين هذا القول من الواحدي فقال: وليس كذلك، بل نقلهما أهل اللغة»[1].

٣ ـ انتقاده في ردّ بعض القراءات:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾[2]. قال السمين: قرأ أهل الكوفة: «فجزاءٌ مثلُ» بتنوين جزاء ورفعه ورفع «مثل». وباقي السبعة برفعه مضافاً إلى «مثل». ثم قال: وأما قراءة باقي السبعة فاستبعدها جماعة، قال الواحدي: «ولا ينبغي إضافة الجزاء إلى المِثْل لأن عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنه لا جزاء عليه لما لم يقتله».

قال السمين: ولا التفات إلى هذا الاستبعاد فإن أكثر القرّاء عليها وقد أجاب الناس عن ذلك بأجوبة سديدة، لما خفيت على أولئك طعنوا في المتواتر... «ثم ذكر بعض تلك الأجوبة»[3].

---

(١) الدر المصون ٦/ ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٣) الدر المصون ٤/ ٤١٨.

٣ـ التحصيل لما في التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدوي:

التعريف بالمؤلف:

هو أحمد بن عمّار بن أبي العباس المهدوي التميمي المقرىء النحوي المفسر، نسبه إلى المهدية بالمغرب. صنف كتباً مفيدة منها التفسير المسمى «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» واختصره وسمّاه «التحصيل في مختصر التفصيل» وفي القراءات له كتاب «الهداية في القراءات السبع».

كان رأساً في القراءات والعربية. توفي بعد الثلاثين والأربعمائة[1].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

هذا التفسير هو مختصر لتفسيره الكبير المسمى بـ «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» وقد أبان المؤلف نفسه عن منهجه في كتابه هذا فقال في مقدمته: «وأنا مبتدئ ـ إن شاء الله ـ في نظم هذا المختصر الصغير، ومجتهد أن أجمع فيه أغراض الجامع الكبير من الأحكام المجملة والآيات المنسوخة وأحكامها المهملة، والقراءات المعهودة المستعملة والتفسير والغريب والمشكل والإعراب والمواعظ والأمثال والآداب وما تعلق بذلك من سائر علوم التنزيل المحتملة للتأويل ويكون المحذوف من الأصل ما أنا ذاكره في هذا الفصل فأحذف من الأحكام التي هي أصول الحلال والحرام أكثر تفريع المسائل المنثورة مما ليس بمنصوص في السورة، واقتصر من ذكر الاختلاف على الأقوال المشهورة، وأذكر الناسخ والمنسوخ بكماله وأورده مختصراً على أتم أحواله، وأذكر القراءات السبع في الروايات التي اقتصر عليها الأمصار سوى من لم يبلغ مبلغهم من الاشتهار، إلا ما اختلف فيه بين السبعة القرّاء فإني أذكره منسوباً إلى بعض من روى عنه القراء، ليعرف من هذا الاختصار ما هو من القراءات المروية مما لم يقرأ به قاريء وإن كان جائزاً في العربية وأذكر من مسائل الإعراب الخفية ما يحتاج إليه مما اختلف القراء

---

(١) انظر: (معرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٣٩٩) و(بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٣٥١) و(طبقات المفسرين للداودي ١/ ٥٦) و(الأعلام للزركلي ١/ ١٨٥).

فيه أو كان جائزاً في المقاييس العقلية . . . »[1] .

أما طريقته فهي كالتالي :

يُقسّم السورة إلى مقاطع كل مقطع في حدود عشرين آية ، ثم يبدأ فيتحدث عن التفسير في ذلك المقطع ، ثم القراءات ، ثم الإعراب ، وفي آخر كل سورة يذكر موضع نزولها ، وعدد آياتها .

طرق النقل عنه:

١ ـ النقل بالنص :

ومثال ذلك : عند بيان معنى كلمة «السفك» في قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2] قال السمين : «وقال المهدوي[3] : «ولا يستعمل السفك إلا في الدم ، وقد يستعمل في نثر الكلام ، يقال : سفك الكلام أي نثره»[4] .

---

(١) التحصيل (١/ ٤ـ٥) .
الكتاب حقق بعض الباحثين قسماً منه . منهم : علي محمد هرموش فقد قام بتحقيق سورتي الفاتحة والبقرة في أطروحته لرسالة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٦هـ . وقام محمد يوسف شربجي في الجامعة الأردنية بعمان بتحقيق جزء منه لنيل درجة الماجستير . وحققت سناء فضل عباس سورتي آل عمران والنساء في الجامعة الأردنية لنيل درجة الماجستير ، وسجلت رسالة الدكتوراة في السودان مواصلة التحقيق فيه .
ودرسه مجموعة منهم : الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، وعبدالسلام أحمد الكنوني في المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية» ، ووسيلة بَلْعيد في رسالتها : التفسير واتجاهاته بأفريقية من النشأة إلى القرن الثامن الهجري لنيل (دكتوراة الدولة) في العلوم الإسلامية من جامعة تونس . (نقلاً عن د/ حازم حيدر في تحقيقه لكتاب شرح الهداية للمهدوي ١/ ٩٢ـ٩٣) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٣) انظر : «التحصيل» للمهدوي (١/ ٩٨) تحقيق علي محمد هرموش ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه بإشراف أ . د/ محمد صالح مصطفى عام ١٤٠٦هـ (سورتي الفاتحة والبقرة) .

(٤) الدر المصون ١/ ٢٥٥ .

٢ ـ النقل بالمعنى:

ومثال ذلك: عند إعراب «يكفر» على قراءة النصب في قوله: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾[١]

قال السمين: «قال المهدوي[٢]: «هو مشبّه بالنصب في جواب الاستفهام، إذ الجزاء يجب به الشيء لوجوب غيره كالاستفهام»[٣].

٣ ـ الإشارة إلى رأيه:

ومثال ذلك: عند بيان معنى الهاء في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٤].

قال السمين: «وقال آخرون: إنه يجوز أن تكون «ها» في قراءة الجميع مبدله من همزة، وأن تكون التي للتنبيه دخلت على «أنتم». ذكر ذلك أبوعلي الفارسي والمهدوي ومكي»[٥].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

ينقل السمين عن المهدوي في ثلاث مجالات هي:

١ ـ الإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾[٦].

ذكر السمين أن في ذلك اربعة أوجه، منها: أنها عطف على «اذكروا» إذا قيل بأن الخطاب هنا لبني إسرائيل، أي: اذكروا نعمتي واتخذوا، والثاني: أنها عطف على الأمر الذي تضمنه قوله: «مثابة» كأنه قال: ثوبوا واتخذوا، ذكر هذين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.
(٢) التحصيل للمهدوي (٢/ ٧٨٦).
(٣) الدر المصون ٢/ ٦١٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.
(٥) الدر المصون ٣/ ٢٣٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

الوجهين المهدوي[1].

٢ـ اللغة:

ينقل عنه في بيان معاني الكلمات. ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى كلمة «إعصار» في قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾[2]. قال السمين: «وقيل: هي الريح السموم، سميت بذلك لأنها تَلُفّ كما يلف الثوب المعصور، حكاه المهدوي»[3].

٣ـ القراءات:

أفاد السمين من المهدوي في مجال القراءات من حيث نقل بعض القراءات الشاذة. وتوجيهها. ومثال ذلك:

١ـ عند ذكر بعض القراءات الشاذة في قوله ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[4]. قال السمين: ونقل المهدوي أنه قُرِيء: «تسعةُ وعَشَرْ» قال: «فجاء به على الأصل قبل التركيب وعطف «عشراً على تسعة» وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وسكن الراء من عشر على نية الوقف»[5].

٢ـ عند توجيه قراءة أنس وابن عباس «تسعةُ» بضم التاء، «عَشَرَ» بالفتح. قال السمين: «وعن المهدوي: «من قرأ «تسعةُ عشرَ» فكأنه من التداخل كأنه أراد العطف فترك التركيب ورفع هاء التأنيث، ثم راجع البناء وأسكن»[6].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين حيال ما ينقله عن المهدوي موقفين:

---

(١) الدر المصون ٢/ ١٠٥ـ١٠٦. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٨٩، ٢٣٦، ٢٦٠، ٤٨٥) (٢/ ٨، ٤٢٦) (٣٣، ٤٧٨، ٥٠٠) (٤/ ٥٦٦) (٦/ ١١٩، ٢٧٠) (٧/ ٦٢٣) (١٠/ ٣٥٠).

(٢) سورة البقرة، الاية: ٢٦٦.

(٣) الدر المصون ٢/ ٥٩٩.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٣٠.

(٥) الدر المصون (١٠/ ٥٤٨)، وانظر أيضاً: (٤/ ٦٨، ٧/ ١٢٥).

(٦) الدر المصون ١٠/ ٥٤٧.

١ ـ موقف القبول والاستحسان.

وفيما سبق أمثلة ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً: عند بيان مرجع الضمير في «نبرأها» في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[١]. قال السمين: «الظاهر عوده على المصيبة، وقيل: على الأنفس. وقيل: على الأرض. أو على جميع ذلك، قاله المهدوي وهو حسن»[٢].

٢ ـ موقف النقد والاستدراك.

استدرك السمين على المهدوي وتعقبه في عدة مجالات هي:

١ ـ الإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب «ولا مولود» في قوله تعالى: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٣] قال السمين: جوّزوا فيه وجهين، أحدهما: أنه مبتدأ، وما بعده الخبر... وقد منع المهدوي أن يكون مبتدأ قال: «لأن الجملة بعده صفة له فيبقى بلا خبر، ولا مسوغ غير الوصف».

قال السمين: وهو سهو؛ لأن النكرة متى اعتمدت على نفي ساغ الابتداء بها. وهذا من أشهر مسوغاته»[٤].

٢ ـ اللغة:

ومثال ذلك: عند بيان معنى الباء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[٥]. قال: الباء للسببية، أي: ذلك مستحق بسبب كفرهم، وقال المهدوي: «الباء بمعنى اللام أي: لأنهم». قال السمين: «ولا حاجة إلى هذا، فإن

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.
(٢) الدر المصون ١٠/ ٢٥١.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٣.
(٤) الدر المصون ٩/ ٧٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٦١.

باء السببية تفيد التعليل بنفسها»[1].

٣ـ القراءات:

انتقد السمين المهدوي تضعيفه لبعض القراءات المتواترة والشاذة.

ومن أمثلة ذلك: عند حديث السمين عن قراءة الأخوين وحفص[2] ﴿سُعِدُواْ﴾[3] بضم السين. قال: وقد ضعّف جماعة قراءة الأخوين. وذكر منهم المهدوي.

قال المهدوي: «من قرأ «سُعِدوا» فهو محمول على مسعود، وهو شاذ قليل لأنه لا يقال: سَعَده الله، إنما يقال: أسعده الله»[4].

ومثال تعقب السمين للمهدوي في ردّه لقراءة شاذة:

عند الحديث عن قراءة الحسن وابن السميفع[5] والأعمش «الشياطون»[6].

قال السمين: «وهذه القراءة ردها جمع كثير من النحويين. قال المهدوي: «هو غير جائز في العربية».

قال السمين متعقباً هذا الردّ من المهدوي وغيره: «وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم، ودفعوا عنها الغلط، فإن القارىء بها من العلم بمكان مكين، وقد أجابوا عنها بأجوبة صالحة...»[7].

---

(١) الدر المصون ١/ ٣٩٩.

(٢) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي أبوعمر، المقرىء الإمام صاحب عاصم وأعلم القراء بقراءته قال الذهبي عنه: أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها، بخلاف حاله في الحديث (طبقات القراء ١/ ٢٥٤).

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٥.

(٤) الدر المصون ٦/ ٣٨٩.

(٥) محمد بن عبدالرحمن بن السَّميفع ـ بفتح السين ـ أبوعبدالله اليماني. له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، قال ابن الجزري: قرأ على ابن كثير ولكنه ضعيف. (طبقات القراء ٢/ ١٦١).

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢١٠.

(٧) الدر المصون ٨/ ٥٦٢.

٤ـ مفاتيح الغيب للرازي

التعريف بالمؤلف:

هو أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين التيمي القرشي البكري الطبرستاني الشافعي فخر الدين الرازي. ولد سنة ٥٤٤هـ. الإمام المفسر إمام وقته في العلوم الشرعية اتقن علوماً كثيرة وبرز فيها، وصنف في فنون كثيرة، وكان له مجلس كبير للوعظ يحضره الخاص والعام كان من المتكلمين الكبار، ثم إنه ندم في آخر حياته وترك الكلام. من تصانيفه: التفسير الكبير وهو: «مفاتيح الغيب» لكنه لم يكمله، والمحصول، وتأسيس التقديس. وشرح أسماء الله الحسنى، والملل والنحل وغيرها. توفي بهراة سنة ٦٠٦هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

هذا التفسير من أوسع كتب التفسير، فقد حوى كثيراً من العلوم والفنون العلمية وإنه «ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفيّاضة الواسعة، في نواحٍ شتى من العلم»[٢] حتى قال فيه بعض العلماء «إنه جمع كل غريب وغريبة»[٣].

ويتلخص منهجه في النقاط التالية:

١ ـ اهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره.

٢ ـ اهتم بالعلوم الرياضية والفلسفية واستطرد في ذلك.

٣ ـ اعتنى بعلوم الفقه ومذاهب الفقهاء والأصول. واعتنى باللغة والنحو. وكان الرازي مهتماً في تفسيره هذا بمناقشة المعتزلة والرد على آرائهم الفاسدة، وإن كان أُخذ عليه قوة إيراده لحجج المعتزلة وضعفه في الرد عليهم، فقال ابن

---

(١) انظر: (السّير ٢١/ ٥٠٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٨١، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٢١٥، والشذرات ٥/ ٢١).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٢٩٣.

(٣) قال ذلك ابن خلكان انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٩).

حجر: «وكان يُعاب بإيراد الشبهة الشديدة، ويقصر في حلها...»[1].

ويعدُّ هذا الكتاب من أهم مصادر الأشاعرة ومؤولي الصفات، وكان يسمى ذلك «مذهب أهل السنة».

طريقته في النقل عنه:

١ ـ الإتيان بنص كلامه:

مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2]. قال: وقال الإمام فخر الدين[3]: «وفيه عندي وجه آخر: وهو أن القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾. وعند قوم أن محل الذكر هو الدماغ، فالله تعالى بين أن محل ذلك هو الصدر»[4].

٢ ـ وقد يختصر السمين كلام الرازي ويتصرف فيه بتقديم وتأخير.

مثال ذلك: عند الحديث عن قراءة الرفع في قوله: «ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[5].

قال: «وقال الإمام فخر الدين الرازي[6] «وقد أجاب بعض المحققين من وجهين، أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والآخر: أن العزوب عبارة عن مطلق البعد، والمخلوقات قسمان، وقسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد، وهذا يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود

---

(١) لسان الميزان ٤/ ٤٢٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) تفسير الفخر الرازي ١٣/ ٤٠.
(٤) الدر المصون ٨/ ٢٩٠.
(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٦) تفسير الرازي ٩/ ١٠٠.

واجب الوجود، فالمعنى: لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا هو في كتاب مبين، كتبه الله وأثبت فيه صور تلك المعلومات»[1].

المجالات التي ينقل عنه:

على الرغم من قلة نقل السمين عن الرازي بالنسبة لغيره من المفسرين الذين نقل عنهم إلا أن نقله عنه جاء متنوعاً في عدة مجالات:

١ـ في الإعراب:

غلب على المواضع التي نقل فيها السمين عن الرازي في الإعراب تعقبه فيها. فلأجل تمسكه بالصناعة النحوية، فإنه يرد على الرازي إذا خالفها. مثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير «ما فعلوه» في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[2].

قال: الهاء يحتمل أن تكون ضمير مصدر «اقتلوا» أو «اخرجوا» أي: ما فعلوا القتل أو ما فعلوا الخروج. وقد أبعد فخر الدين الرازي حيث زعم أنها تعود إليهما معاً، لنبوّ الصناعة عنه»[3].

وقد يرد السمين على الرازي بعض آرائه الفقهية المترتبة على إعراب. مثال ذلك:

عند إعراب قوله «وإنه لفسق» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[4] ذكر ثلاثة أوجه، منها: أن الجملة حالية، أي: لا تأكلوه والحال أنه فسق. وقد تبجح الإمام الرازي بهذا الوجه على الحنفية حيث قلب دليلهم عليهم بهذا الوجه، وذلك أنهم يمنعون من أكل متروك التسمية، والشافعية لا يمنعون منه، استدل عليهم الحنفية بظاهر هذه الآية فقال الرازي: «هذه الجملة

---

(١) الدر المصون ٦/ ٢٣١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٢. وانظر مثالاً آخر في: (٨/ ٤٠٢).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢١).

حالية، ولا يجوز أن تكون معطوفة لتخالفهما طلباً وخبراً فتعين أن تكون حالية، وإذا كانت حالية كان المعنى: لا تأكلوه حال كونه فسقاً، ثم هذا الفسق مجمل قد فسره الله تعالى في موضع آخر فقال: «أوفسقاً أُهلّ لغير الله به» يعني أنه إذا ذُكر على الذبيحة غير اسم الله فإنه لا يجوز أكلها لأنه فسق» ونحن نقول به، ولا يلزم من ذلك أنه إذا لم يذكر اسم الله ولا اسم غيره أن تكون حراماً لأنه ليس بالتفسير الذي ذكرناه.

وللنزاع فيه مجال من وجوه منها: أنها لا نسلّم امتناع عطف الخبر على الطلب والعكس كما قدمته عن سيبويه، وإن سُلّم فالواو للاستئناف كما تقدم وما بعدها مستأنف، وإن سُلّم أيضاً فلا نسلّم أن «فسقاً» في الآية الأخرى مبين للفسق في هذه الآية، فإن هذا ليس من باب المجمل والمبين لأن له شروطاً ليست موجودة هنا»[1].

بل إن السمين يتتبع الرازي في تعقبه لبعض المعربين.

عند الحديث عن قراءتي الرفع والنصب في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[2] وهما: قراءة الجمهور بالرفع «والسارقُ».

وقراءة عيسى بن عمر وابن أبي عبلة بالنصب «والسارقَ».

فقد نقل السمين أن سيبويه قال في هذه الآية: «الوجه في كلام العرب النصب، كما تقول: زيداً فاضربه ولكن أبت العامة إلا الرفع» ثم ذكر أن هناك من فهم من كلام سيبويه السابق أنه ـ أي سيبويه ـ يُفضّل قراءة عيسى بن عمر على قراءة العامة، وذكر منهم الرازي حيث تعقب سيبويه بالرد من خمسة أوجه وقد تعقبه السمين في ذلك فردّ على الأوجه الخمسة التي تعقب بها كلام سيبويه وجهاً وجهاً»[3].

وانظر أيضاً مثالاً آخر: عند إعراب ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ في

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٣١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٣) راجع الأوجه الخمسة التي ذكرها الفخر وردود السمين عليها في ٤/ ٢٥٩ـ٢٦٢.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[1].

قال: في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها معطوفة على قوله: ﴿**وينجي الله الذين اتقوا**﴾ أي ينجي المتقين بمفازتهم، والكافرون هم الخاسرون. واعْتُرِض بينهما فإنه خالق الأشياء كلها ومهيمن عليها. قاله الزمخشري. واعترض عليه فخر الدين الرازي: بأنه عطف اسمية على فعلية، وهو لا يجوز. قال السمين: وهذا الاعتراض معترض عليه إذ لا مانع من ذلك»[2].

٢ ـ النقل عنه في مجال البلاغة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا ﴾[3].

قال: متعلق بـ «حرمنا» وهو يفيد الاختصاص عند بعضهم كالزمخشري والرازي، وقد صرح به الرازي هنا ـ أعني تقديم المعمول على عامله[4].

ومثال آخر: عند بيان بلاغة الاعتراض في قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾[5] قال: «وقال الرازي: «هو اعتراض في غاية الحسن لأن من أحب إنساناً فرح لفرحه وحزن لحزنه، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة، فحكى تعالى سرور المنافق عند نكبة المسلمين، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب فواته الغنيمة، فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى قوله: «كأن لم تكن» والمراد التعجب، كأنه يقول: انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ولا مخالطة أصلاً، والذي حسّن الاعتراض بهذه الجملة ـ وإن كان محلها التأخير ـ كون ما بعدها فاصلة، وليست بفاصلة»[6].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٣.
(٢) الدر المصون ٩/ ٤٣٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.
(٤) الدر المصون ٥/ ٢٠٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧٣.
(٦) الدر المصون ٤/ ٣٣.

٣ ـ النقل عنه في مجال التفسير :

عند بيان السر في جمع «الأفئدة» جمع قلة في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾[١] قال السمين : «قال الرازي : «إنما جُمع جمعَ قلة ، لأن أكثر الناس مشغولون بأفعال بهيمية فكأنهم لا فؤاد لهم»[٢] .

ومثال آخر : عند بيان علة ذكر الإمداد في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾[٣] .

قال السمين : «قال الرازي : «في ذكر الإمداد مطلوبان ، أحدهما : إدخال السرور في قلوبهم وهو المراد بقوله : «إلا بشرى» . والثاني : حصول الطمأنينة بالنصر فلا يجبُنوا ، وهذا هو المقصود الأصلي ففرّق بين هاتين العبارتين تنبيهاً على حصول التفاوت بين الأمرين ، فعطف الفعل على الاسم ، ولما كان الأقوى حصول الطمأنينة أدخل حرف التعليل»[٤] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٨٧ .

(٢) الدر المصون ٧/ ٢٧٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآيات : ١٢٤ـ١٢٦ .

(٤) الدر المصون ٣/ ٣٨٩ .

تنبيه :

قد ينقل السمين عن الرازي ويسميه مرة : بابن الخطيب ، ومرة بابن خطيب الري . ومن أمثلة ذلك :

١ ـ عند بيان نوع «ما» في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ . قال السمين : وجوز ـ بعض الناس ـ وعزاه الشيخ لابن خطيب الري ـ أن «ما» استفهامية للتعجب تقدره : «فبأي رحمة لنت لهم» الدر المصون ٣/ ٤٦١ .

٢ ـ وعند قوله تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة آل عمران ، الآية : ١٦٣ . قال : «وأجاز ابن الخطيب أن يكون الأصل : «لهم درجات» فحذفت اللام ، وعلى هذا يكون «درجات» مبتدأ وما قبلها الخبر . . » الدر المصون ٣/ ٤٧٠ .

٥ـ جامع التأويل لابن بحر الأصبهاني:

التعريف بالمؤلف:

هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبومسلم، والٍ، من أهل أصفهان، ولد سنة ٢٥٤هـ. معتزلي، من كبار الكتاب، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر ولي أصفهان وبلاد فارس، واستمر إلى سنة ٣٢١هـ فعُزِل. من كتبه: جامع التأويل في التفسير، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو. توفي سنة ٣٢٢هـ[١].

التعريف بالكتاب:

قال عنه حاجي خليفة: «جامع التأويل لمحكم التنزيل في التفسير وهو تفسير كبير في أربعة عشر مجلداً على مذهب المعتزلة»[٢].

ولم يصلنا هذا الكتاب.

المجالات التي ينقل عنه فيها:

١ ـ التفسير:

عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[٣] قال السمين: «قال أبومسلم ابن بحر: «حرام ممتنع. وأنهم لا يرجعون: انتفاء الرجوع إلى الآخرة، فإذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع. فالمعنى: أنه يجب رجوعهم إلى الحياة في الدار الآخرة، ويكون الغرض إبطال قول من ينكر البعث. وتحقيق ما تقدم من أنه لا كفران لسعي أحد، وأنه يُجزى على ذلك يوم القيامة»[٤].

٢ ـ الإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب «وليبتلي» في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي

---

(١) انظر ترجمته في (طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٩) و(الأعلام للزركلي ٦/ ٥٠).

(٢) كشف الظنون ١/ ٥٣٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.

(٤) الدر المصون ٨/ ١٩٩.

صُدُورِكُمْ ﴾[1] قال السمين: فيه خمسة أوجه، أحدهما: أن «ليبتلي» عطف على «ليبتلي» الأولى، وإنما كررت لطول الكلام، فعُطفِ عليه «وليمحص» قاله ابن بحر»[2].

٣ـ اللغة:

وينقل عنه في بيان معاني الكلمات.

ومثال ذلك: عند بيان معنى «فرّط» في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾[3] قال السمين: «قال ابن بحر: وهو السبق، ومنه الفارط أي السابق للقوم، فمعنى فرّط بالتشديد خلى السبق لغيره، فالتضعيف فيه للسلب كجلّدْت البعير»[4].

موقفه مما ينقله عنه:

كان للسمين مما ينقله عن ابن بحر موقفان:

١ ـ موقف التسليم والقبول. وفيما سبق أمثلة لذلك.

٢ ـ موقف الردّ والمناقشة.

وفيما سبق أمثلة تبين الموقف الأول.

وأما أمثلة موقف الردّ والمناقشة فمنها:

عند بيان متعلق الكاف في قوله «كما أرسلنا» في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾[5].

ذكر السمين أن في ذلك خمسة أوجه، أحدها قول أبي مسلم، حيث قال: «الثالث ـ وهو قول أبي مسلم ـ أنها متعلقة بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾[6]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) الدر المصون ٣/ ٤٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣١.

(٤) الدر المصون، ٤/ ٥٩٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

أي جعلاً مثل إرسالنا .

ثم تعقب قوله فقال : وهذا بعيد جداً لطول الفصل المؤذن بالانقطاع»[1] .

(١) الدر المصون ٢/ ١٨١ .

٦ـ النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم للقاضي الماوردي.

التعريف بالمؤلف:

هو أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، الإمام العلامة أقضى القضاة صاحب التصانيف.

كان إماماً في الفقه والأصول والتفسير بصيراً بالعربية، وكان رجلاً عظيم القدر متقدماً عند السلطان. واتُهم بالاعتزال. قال ابن السبكي: والصحيح أنه ليس معتزلياً، ولكنه يقول بالقدر فقط. من تصانيفه: «الحاوي» و«النكت والعيون» و«الأحكام السلطانية» و«أدب الدنيا والدين» توفي سنة ٤٥٠ هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

تفسير الماوردي «النكت والعيون» يجمع بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، ويتلخص منهجه في المعالم التالية[٢]:

١ ـ اقتصر على ما قد يخفى معناه من الآيات، فيفسر الجملة أو الآية مبتدئاً بذكر ما فيها من أقوال معزوة إلى قائليها محذوفة السند، وأحياناً قد لا يعزو.

٢ ـ اهتم بالقراءات السبع والشاذة معزوة إلى قارئيها غالباً.

٣ـ اعتنى بأسباب النزول، ويذكرها بعد ذكر أقوال المفسرين.

٤ ـ استشهد في تفسير الآية بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة والضعيفة، وبأقوال الصحابة والتابعين مع نسبة أقوالهم إليه.

٥ ـ اهتم باللغة، فبين معنى الكلمة واشتقاقها واستشهد بأقوال العرب وأشعارها.

٦ ـ اعتنى بآيات الأحكام بلا توسع.

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٢) و(طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٣٨٧) و(طبقات المفسرين للداودي ١/ ٤٠٧) و(شذرات الذهب ٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير الماوردي ـ رسالة دكتوراة تحقيق د/ محمد الشايع، إشراف د/ عبدالله الوهيبي. ١/ ٩٢. ومذكرة في علوم القرآن ومناهج المفسرين لطلاب الدراسات العليا للشيخ مناع القطان ـ مخطوط ـ.

طريقته في النقل عنه:

١ ـ النقل بالنص.

مثال ذلك: عند الحديث عن البسملة قال السمين: قال الماوردي[١]: «يقال لمن قال: بسم الله: مُبَسْمِل وهي لغة مولَّدة وقد جاءت في الشعر، قال عمر بن أبي ربيعة[٢]:

لَقدْ بسْملت ليلى غداةَ لقيتُها ... ألا حبذا ذاكَ الحديثُ المبسملُ[٣]

٢ ـ النقل بالمعنى:

عند بيان المراد بالظن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾[٤].

قال السمين: فيها قولان، القول الثاني: أن الظن على بابه وفيه حينئذٍ تأويلان، أحدهما ذكره المهدوي والماوردي[٥] وغيرهما: أن يُضمر في الكلام «بذنوبهم» فكأنهم يتوقعون لقاءه مذنبين»[٦].

*** المجالات التي نقل عنه فيها:**

نقل السمين عن الماوردي مواضع معدودة، وهي تمثل أقلَّ نسبة مقارنة بكتب التفسير الأخرى وكان أغلب نقله عنه في الجوانب اللغوية، من بيان معاني الكلمات، أو فروق لغوية.

مثال ذلك: عند بيان معنى «المعشار» في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ

---

(١) النكت والعيون ١/ ٥٠.

(٢) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي. من أرق شعراء عصره، نفاه عمر بن عبدالعزيز إلى «دهلك» فمات غرقاً في البحر سنة ٩٣هـ. (الأعلام ٥/ ٥٢). والبيت في ديوانه ص٤٩٨.

(٣) الدر المصون، ١/ ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

(٥) النكت والعيون ١/ ١١٦.

(٦) الدر المصون ١/ ٣٣٢. وانظر أيضاً: ٢/ ٢٤.

ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾[1]. قال السمين: «واختلف في المعشار... وقال المارودي[2]: المعشار هنا: هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف»[3].

وفي بيان الفرق بين الظلم والهضم عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[4].

قال السمين: وفرق القاضي الماوردي[5] بينهما فقال: «الظلم منع جميع الحق، والهضم منع بعضه»[6].

وقد ينقل السمين بعض أقوال الصحابة عن تفسير المارودي.

ومثال ذلك: عند بيان معنى «جبريل» و«ميكائيل» قال: وحكى الماوردي[7] عن ابن عباس أن «جبر» بمعنى عَبْد بالتكبير و«ميكا» بمعنى جُبَير بالتصغير. فمعنى جبريل: عبدالله، ومعنى «ميكائيل» عبيدالله. قال: ولا يُعلم لابن عباس في هذا مخالف»[8].

موقفه مما ينقله عنه:

للسمين موقفان فيما ينقله عن الماوردي:

١ ـ موقف الاستحسان. وفيما سبق أمثلة لذلك.

٢ ـ موقف النقد والردّ.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٥.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥.

(٣) الدر المصون ٩/ ١٩٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤٢٨.

(٦) الدر المصون ٨/ ١٠٩.

(٧) النكت والعيون ١/ ١٦٣.

(٨) الدر المصون ٢/ ٢٤.

ومن أمثلة ذلك:

عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1].

وبيان مرجع الضمير في «له». قال السمين: «قيل إنه يعود على «من» الأخيرة، وهو قول ابن عباس. قال ابن عطية[2]: «والمعقبات على هذا: حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه. قالوا: والآية على هذا في الرؤساء الكفار». إلا أن الماوردي[3] ذكر على هذا التأويل أن الكلام نفي، والتقدير: لا يحفظونه. ثم انتقد السمين كلام الماوردي فقال: «وهذا ينبغي أن لا يُسمع البتة، كيف يبرز كلام موجب ويراد به النفي؟ وحذف «لا» إنما يجوز إذا كان المنفي مضارعاً في جواب قسم نحو: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾[4][5].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) المحرر الوجيز ٨/ ١٣٦.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٩٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٥.

(٥) الدر المصون ٧/ ٢٦.

٧ـ لباب التفسير ـ للكرماني:

التعريف بالمؤلف:

هو تاج القرّاء برهان الدين أبوالقاسم محمود بن حمزة بن نصر الكَرْماني الشافعي قال عنه ابن الجزري[١]: «إمام كبير، ومحقق ثقة، كبير المحل». اشتهر في ثلاثة فنون: التفسير. فله فيه: «اللباب» و«غرائب التفسير» و«البرهان في متشابه القرآن». وفي اللغة فَلَهُ: «العنوان في النحو»، ومختصر الإيضاح للفارسي سمّاه: الإيجاز. وفي القراءات فقد لُقب بتاج القرّاء[٢].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يعتبر اللّباب من المراجع الأصيلة في التفسير، فقد جمع فيه مؤلفه أهم أقوال علماء التفسير ممن سبقه، وخلاصة آراء أهل اللغة، وهو من التفاسير الشاملة، إذا لم يقتصر على فن دون فن.

ويمكن تركيز منهجه في النقاط التالية:

١ ـ اهتم بالتفسير بالمأثور ففسر القرآن بالقرآن، وأكْثَر من الاستدلال بالأحاديث ولم يفرق بين الصحيح منهاوالضعيف، وذكر كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير حتى لا تكاد تخلو آية من قولٍ لصحابي أو لتابعي.

٢ ـ كان للكرماني عناية بأسباب النزول في كتابه هذا، واعتمد في ذلك على تفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي، وغيرهما.

---

(١) الحافظ شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري الشافعي، مقرىء الممالك الإسلامية، ولد سنة ٧٥١هـ، لهج بطلب الحديث والقراءات وبرز فيهما. من تصانيفه: النشر في القراءات العشر، وطبقات القراء وغيرهما. توفي سنة ٨٣٣هـ. (الشذرات ٩/ ٢٩٨).

(٢) لم يذكر المؤرخون سنة وفاته وذكر د/ ناصر العمر أنه ربما توفي بعد سنة ٥٤٥هـ (انظر الجزء الأول من رسالة الدكتور ناصر ص «ت»).
راجع في ترجمته (غاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٢٩١) و(الأعلام ٧/ ١٦٨).

٣ ـ اعتنى بعلوم العربية، فبيَّن معنى المفردات، وأصول اشتقاق الكلمات، وذكر معاني الحروف، واستشهد كثيراً بالشعر، واعتنى بالإعراب وناقش المعربين من غير توسع في ذلك.

٤ ـ كان له عناية بالآيات المتشابهة لفظاً، فبين سر التكرار والتشابه، ولا غرو في ذلك فقد أفرد هذا الأمر بمؤلف مستقل هو: «البرهان في متشابه القرآن»[١].

طريقته في النقل عنه:

التزم السمين نسبة أقوال الكرماني إليه فيما نقله عنه. ولم أستطع أن أحكم هل ينقل عنه بالنص أو بالمعنى، إذ أن هذا التفسير مخطوط ولم يرَ النور منه إلا جزء يسير اشتمل على (البقرة وآل عمران والنساء) حقق ذلك د/ ناصر العمر في أطروحته لرسالة الدكتوراة[٢].

فلم استطع أن أقارن بين ما نقله السمين عن الكرماني، بنص كتاب الكرماني إلا في ثلاثة مواضع، موضعان في آل عمران، وثالث في سورة النساء. غالبها نقل عنه بالنص.

منها:

١ ـ عند حديث السمين عن الفرق بين «أجاب واستجاب» عند قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾[٣].

قال: «ونقل تاج القراء[٤] أن أجاب عام، واستجاب خاص في حصول المطلوب»[٥].

٢ ـ وعند الحديث عن كلمة «النجوى» في قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن

---

(١) انظر: «لباب التفسير» تحقيق د/ ناصر العمر رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين عام ١٤٠٤هـ إشراف: د/ أحمد حسن فرحات (١/ ٧ـ٥١).

(٢) كان ذلك أيام كتابة هذا البحث، ولكن الكتاب استكمل تحقيقه فيما بعد في جامعة الإمام، كلية أصول الدين.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٤) وهو الكرماني، انظر: اللباب ٣/ ١٠٧٠.

(٥) الدر المصون ٣/ ٥٣٨.

﴿نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾[1]. قال: «وقيل: النجوى جمع نجّى. نقله الكرماني[2]»[3].

أما المجالات التي نقل عنه فيها فهي:

١ ـ اللغـــة:

١ ـ عند بيان الفرق بين أجاب واستجاب، عند قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾[4].

قال: «ونقل تاج القرّاء أن أجاب عام، واستجاب خاص في حصول المطلوب[5].

٢ ـ عند بيان معنى «النجوىٰ» في قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾[6]. قال: «وقيل: النجوىٰ جمع نجّى نقله الكرماني»[7].

٢ ـ النحـــو:

عند إعراب «فريضة» في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾[8]. قال: في نصبها وجهان.

الثاني منها: «أنها حال من الفقراء، قاله الكرماني وأبو البقاء»[9].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) انظر: اللباب ٣/ ١٢٧٤.

(٣) الدر المصون ٤/ ٩٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٥) الدر المصون ٣/ ٥٣٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٧) نلحظ هنا أن السمين ذكر أن الكرماني نقل هذا القول من غير نسبته لأحد بل بلفظ (قيل) وهذا يطابق ما ورد في (لباب التفسير للكرماني) انظر لباب التفسير تحقيق د/ ناصر العمر ٣/ ١٢٧٤. بينما نجد أن أباحيان نسب هذا القول للكرماني!! (البحر المحيط ٣/ ٣٦٤).

(٨) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٩) الدر المصون ٦/ ٧٢.

موقف السمين مما ينقله عن الكرماني:

تلقى السمين بعض أقوال الكرماني التي نقلها بالقبول والاستحسان وفيما سبق أمثلة لذلك.

عند تخريج قراءة حمزة «تحسبن» بتاء الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1]. ذكر عدة أوجه منها قوله: الثالث ـ وهو أغربها ـ أن يكون «الذين» فاعلاً بـ «تحسبن» على تأويل أن تكون التاء في الفعل للتأنيث كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾[2] أي: ولا تحسبن القوم الذين كفروا. و«الذين» وصف «القوم» كقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾[3] فعلى هذا تتحد هذه القراءة مع قراءة الغيبة، وتخريجها كتخريجها، ذكر ذلك أبوالقاسم الكرماني في تفسيره المسمى: بـ «اللباب»[4] وفيه نظر من حيث إن «الذين» جارٍ مجرى المذكر السالم، والجمع المذكر السالم لا يجوز تأنيث فعله عند البصريين، لا يجوز: قامت الزيدون، ولا تقوم الزيدون، وأما اعتذاره عن ذلك بأن «الذين» صفة للقوم الجائز تأنيثُ فعلهم وإنما حُذِف فلا ينفعه، لأن الاعتبار إنما هو بالملفوظ به لا بالمقدر، لا يُجيز أحد من البصريين: «قامت المسلمون» على إرادة «القوم المسلمون» البتة»[5].

فنلحظ هنا أن السمين استغرب هذا القول، وانتقده وبيَّن سبب انتقاده.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٤) اللباب ٣/ ١٠٤٨ـ١٠٤٩.
(٥) الدر المصون ٣/ ٤٩٨ـ٤٩٩.

المبحث الثاني
مصادره من كتب القراءات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **مصادره في القراءات المتواترة**

المطلب الثاني: **مصادره من كتب القراءات الشاذة**

المطلب الأول

مصادره من كتب القراءات المتواترة

١ ـ **الحجة**: لأبي علي الفارسي.

٢ ـ **الكشف**: لمكي بن أبي طالب.

٣ ـ **إبراز المعاني**: لأبي شامة.

٤ ـ **كتاب أبي عبيد**: القاسم بن سلاَّم.

مصادره في القراءات المتواترة

اعتنى السمين بالقراءات المتواترة في الدر المصون واستقصى كثيراً من مادتها وكان ينص على المصدر الذي أخذ منه ـ أحياناً ـ كالحجة لأبي علي الفارسي، والكشف لمكي، وإبراز المعاني لأبي شامة. وفي غالب الأحيان لا ينص على المصدر الذي اعتمد عليه في ذكر القراءة المتواترة أو توجيهها. ويمكن أن نقسم المصادر التي أخذ عنها إلى قسمين:

المصدر الأول: التلقي.

والمقصود به: ما تلقاه عن شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن وأخذ عنهم الحروف والقراءات كالتلقي الصائغ والعشّاب.

المصدر الثاني:

كتب القراءات المعتمدة كالسبعة لابن مجاهد[1] والتيسير للداني[2] والحجة لأبي علي الفارسي والكشف لمكي وإبراز المعاني لأبي شامة وكتاب شيخه «البحر المحيط»، لكن السمين لم يكن ينص على نقله في القراءات وتوجيهها مع أن البحر المحيط مصدر بارز اعتمد عليه السمين كثيراً.

ولم يكن السمين أيضاً يُحيل على نقله من كتابي السبعة والتيسير في القراءات مع أهمية هذين الكتابين ومكانتهما في علم القراءات، ولا أشك أن السمين أخذ عنهما لأنهما أصلان هامان في القراءات. وكل من كتب في القراءات فهو عالة

---

(١) أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي. ولد سنة ٢٤٥هـ. الإمام المقرىء المحدث مصنف كتاب «السبعة» تلا على قنبل وأبي الزعراء. وانتهى إليه علم هذا الشأن. توفي سنة ٣٢٤هـ (السير ١٥/ ٢٧٢، ومعرفة القراء ١/ ٢٧١).

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبوعمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي شيخ مشايخ المقرئين. ولد سنة ٣٧١هـ قال ابن بشكوال كان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه. من مؤلفاته: كتاب التيسير المشهور، وجامع البيان فيما رواه في القراءات، والمحتوىٰ في القراءات الشاذة (طبقات القراء ١/ ٥٠٣).

عليهما.

وأما المصادر التي أكثر من الإحالة عليها، مما يدل على كثرة نقله عنها فهي:

١ ـ الحجة: لأبي علي الفارسي.

٢ ـ والكشف: لمكي.

٣ ـ وإبراز المعاني: لأبي شامة.

بالإضافة إلى نقله عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم.

وسوف أتناول بالدراسة هنا الكتب الثلاثة السابقة، وكتاب أبي عبيد.

١ـ الحجة في علل القراءات
لأبي عليٍّ الفارسي

التعريف بالمؤلف:

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي الفسوي. ولد في مدينة «فسا» وكان إمام وقته في علم النحو. يأخذ عن الزجاج وابن السراج وغيرهما. وطوّف بلاد الشام، وقال كثير من تلامذته إنه أعلم من المبرد. برع من طلبته جماعة كابن جني وغيره. وتقدم عند عضد الدولة ابن بويه. من تصانيفه: «التذكرة» والإيضاح في النحو، والتكملة في التصريف، والحجة في القراءات، والمسائل الحلبية، والإغفال فيما أغفله الزجاج. توفي سنة ٣٧٧هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

سبب تأليفه: يدل كلام أبي علي في مقدمته على أنه ألّفه لعضد الدولة[٢].

طريقته في كتابه: يبدأ بعرض خلاف القراء في القراءة التي يريد الاحتجاج لها نقلاً من كتاب ابن مجاهد ثم يتبعه بكلام شيخه ابن السراج[٣] فيما احتج له من القراءات. ثم يعرض للاحتجاج بقوله: «قال أبوعلي»، فيفسر كلمات الآية، ويصرف ما يحتاج إلى تصريف، ويتكلم عنها من جهة النحو ومادة الحجة في

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ١/٣٠٨ ووفيات الأعيان ٢/٨٠ والسير ١٦/٣٧٩ وبغية الوعاة ١/٤٩٦ والشذرات ١/٢٠٧).

(٢) أبوشجاع فنّاخُسْرو، الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، كان فاضلاً محباً للفضلاء، وقصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه. توفي سنة ٣٧٢ (وفيات الأعيان ٤/٥٠).

(٣) أبوبكر محمد بن السري البغدادي النحوي، صاحب المبرد، كان متقدماً في علم اللسان، ويقال: مازال النحو مجنوناً حتى عقّله ابن السراج بأصوله. من تآليفه: أصول العربية، واحتجاج القراء، وشرح سيبويه. توفي سنة ٣١٦هـ (إنباه الرواة ٣/١٤٥، وبغية الوعاة ١/١٠٩).

الدراسة والاحتجاج من القرآن والسنة والشعر ولهجات القبائل وأقوال أئمة اللغة والنحو. وكان لأبي علي شخصيته الواضحة المستقلة فهو يناقش ويحلل ويتعقب وأما الأسلوب ففيه غموض، لذا لم يعكف عليه إلا خاصة العلماء[1]. وقد امتدح الذهبي الحجة فقال: «وألف أبوعلي كتابه الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد...».

طرق نقله عنه:

أفاد السمين من كتاب الحجة في الدر المصون كثيراً.. وكان في نقله عنه قد يأتي بقوله، وقد يشير إلى مذهبه ورأيه في المسألة.

مثال: عند حديث السمين عن القراءات في «فصرهن» في قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[2]. قال: «قرأ حمزة بكسر الصاد، والباقون بضمها وتخفيف الراء، واختُلف في ذلك، فقيل: القراءتان يحتمل أن تكونا بمعنى واحد، وذلك أنه يقال: صار يصوره ويصيره، بمعنى قطعه أو أماله فاللغتان لفظ مشترك بين هذين المعنيين، والقراءتان تحتملهما معاً، وهذا مذهب أبي علي»[3].

والسمين لم يذكر اسم «الحجة» إلا في مواضع محدودة منها:

عند توجيه قراءة ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[4].

قال السمين: «وقال في الحجة: «الذين كفروا في موضع نصب بأنها المفعول الأول، والمفعول الثاني هو الأول في هذا الباب في المعنى»[5].

---

(١) انظر: مقدمة المحققين للحجة ١/ ٢٧-٣٢. علي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٣) الدر المصون ٢/ ٥٧٥-٥٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٥) الدر المصون ٣/ ٥٠٣.

المجال الذي نقل عنه فيه:

هو مجال القراءات من حيث توجيهها لغوياً ونحوياً. ومن أمثلة نقله عنه توجيه قراءة من حيث اللغة: توجيه قراءة «عسِيتم» بكسر السين وهي قراءة نافع. في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾[1]. قال السمين: «قال الفارسي: «ووجه الكسر قول العرب: عَسِ بكذا مثل: حَرِ وشَجِ. وقد جاء فَعَل وفَعِل في نحو: نَقَم ونَقِم، فكذلك عَسَيْت وعَسِيت، فإن أُسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم ـ أي بالكسر ـ أن يقال: عَسي زيد مثل: رضي زيد...»[2].

وينقل عنه في توجيه القراءات من حيث الصرف.

ومثال ذلك: عند الحديث عن كلمة ﴿غِشَاوَةٌ﴾[3] قال السمين: «قال الفارسي: «ولم أسمع من الغشاوة فعلاً متصرفاً بالواو، وإذا لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما اللام منه الياء وهو غشي يغشى بدليل قولهم: الغشيان والغشاوة من غَشِي كالجباوة من جبيت في أنّ الواو كأنها بدل من الياء، إذ لم يُصرّف منه فعل كما لم يُصرّف من الجباوة»[4].

وينقل عنه في بيان معاني القراءات أي بيان المعنى اللغوي للكلمة. ومثال ذلك: عند توجيه قرآتي ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾[5] بالهمز وبدونه قال السمين: «الصابئون... الجمهور على همزة، وقرأ نافع غير مهموز، فمن همزه جعله من صبأ ناب البعير أي: خرج، وصبأت النجوم: طلعت. وقال أبوعلي: «صبأت على القوم إذا طرأت عليهم، فالصابىء: التارك لدينه كالصابىء الطارىء على القوم فإنه تارك لأرضه ومنتقل عنها»[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
(٢) الدر المصون ٢/ ٥١٦.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٧.
(٤) الدر المصون ١/ ١٢٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٢.
(٦) الدر المصون ١/ ٤٠٧.

وينقل السمين عن الفارسي توجيه القراءات من الناحية الإعرابية.

١ـ عند توجيه قراءة الكسائي بالرفع في «العين» وما عطف عليها في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ ﴾[١].

قال السمين: فأما قراءة الكسائي[٢] فوجّهها أبوعلي الفارسي بثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون الواو عاطفة جملة اسمية على جملة فعلية فتعطف الجمل كما تعطف المفردات... الوجه الثاني: أن تكون الواو عاطفة جملة اسمية على الجملة من قوله: ﴿أن النفس بالنفس﴾ لكن من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، ... الوجه الثالث: أن «العين» عطف على الضمير المرفوع المستتر في الجار الواقع خبراً، إذ التقدير أن النفس بالنفس هي والعينُ، وكذا ما بعدها، والجار والمجرور بعدها في محل نصب على الحال مبنية للمعنى...»[٣].

٢ـ عند توجيه قراءة النصب في «يأمركم» في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[٤] وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة.

قال: «وأما قراءة النصب ففيها أوجه، أحدها: قول أبي علي وغيره، وهو أن يكون المعنى: ولا له أن يأمركم، فقدروا «أن» تضمر بعد «لا» وتكون «لا» مؤكدة لمعنى النفي السابق كما تقول: «ما كان من زيد إتيان ولا قيام»، وأنت تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد، فلا للتوكيد لمعنى النفي السابق...»[٥].

وينقل السمين رأي الفارسي في الترجيح بين بعض القراءات.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[٦] ذكر السمين

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) علي بن حمزة بن فيروز الكسائي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة. توفي سنة ١٨٩هـ. (طبقات القراء ١/ ٥٣٩).

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٧٣ـ٢٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٥) الدر المصون ٣/ ٢٧٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

قراءتين، الأولى: قراءة ابن كثير وأبوعمرو[1] وعاصم[2]: بفتح الياء وضم الغين من «غلّ» مبنياً للفاعل. والثانية وهي قراءة الباقين: يُغلّ بالبناء للمفعول. ثم قال: «واختار أبوعبيد والفارسي قراءة البناء للفاعل قالا: لأن الفعل الوارد بعد «ما كان لكذا أن يفعل» أكثر ما يجيء منسوباً إلى الفاعل نحو: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾[3]، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾[4] وبابه»[5].

ولم يُعلّق السمين على هذا الترجيح، لكنه في مواطن أُخر تعقب الفارسي في ترجيحه بين القراءات المتواترة، ومن ذلك:

عند حديث السمين عن قراءاتي «يَصْرِف» وهي قراءة الأخوين وأبي بكر[6] عن عاصم و«يُصْرَف» بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسمَّ فاعله وهي قراءة الباقين وذلك عند قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾[7].

فبعد أن ذكر توجيههما قال: «وقد تكلم الناس في ترجيح هاتين القراءتين على الأخرى، وذلك على عادتهم، فقال أبوعلي الفارسي: «قراءة «يَصْرِف» يعني المبني للفاعل أحسن لمناسبة قول «رحمة»...

---

(١) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني المقرىء النحوي، مقرىء أهل البصرة، كان من أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد. توفي سنة ١٥٤هـ (معرفة القراء ١/ ١٠٠) (طبقات القراء ١/ ٢٨٨).

(٢) عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي. معدود في التابعين، قرأ على أبي عبدالرحمن السلمي وزر بن حبيش. توفي سنة ١٢٧هـ (معرفة القراء ١/ ٨٨).

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٥) الدر المصون ٣/ ٤٦٥-٤٦٦ وانظر أمثلة أخرى في ١/ ٤٩، ١١٢، ٢/ ٤٢٢، ٤٨٦، ٦٤١).

(٦) شعبة بن عياش بن سالم أبوبكر الحناط الأسدي الكوفي الإمام العالم راوي عاصم، عرض القرآن عليه ثلاث مرات. كان من أئمة السنة. توفي سنة ١٩٣. (طبقات القراء ٢/ ٣٢٧).

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٦.

ثم تعقب السمين موقف أبي علي ومن معه ممن تكلم في الترجيح فقال: «وقد قدمت أول الكتاب عن العلماء ثعلب وغيره أن ذلك ـ أعني ترجيح إحدى القراءات المتواترة بحيث تُضعّف الأخرى ـ لا يجوز»[1].

موقفه مما ينقله عنه:

والسمين في نقله عن أبي علي قد يستدرك عليه بعض آرائه في توجيه بعض القراءات.

مثال ذلك: عند توجيه قراءة نافع وابن عامر بالغيبة في قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾[2] وبالخطاب في قوله: ﴿**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**﴾.

قال السمين: بعد توجيه هذه القراءة: «وقال أبوعلي في «الحجة»: «إن الفاء زائدة والثاني بدل من الأول». ثم قال: ليس هذا موضع العطف لأن الكلام لم يتم، ألا ترى أن المفعول الثاني لم يذكر بعدُ». قال السمين: وفيه نظر لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما»[3].

وينتقد السمين الفارسي في تخطئته لبعض القرّاء.

ومثال ذلك: عند قراءة ابن عامر في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾[4].

قال: «وقرأ ابن عامر: «زُين» مبنياً للمفعول، «قتلُ» رفعاً على ما لم يُسم فاعله و«أولادَهم» نصباً على المفعول بالمصدر. وهذه القراءة متواترة صحيحة، وقد تجرّأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي وذكر منهم: أبوعلي الفارسي. حيث قال الفارسي: «هذا قبيح قليل في الاستعمال ولو عدل عنها ـ يعني ابن

---

(١) الدر المصون ٤/ ٥٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) الدر المصون ٣/ ٥٢٩ وانظر أيضاً: (٢/ ٤٧٥) و(٦/ ١٦٨) و(٩/ ٩٢) و(١٠/ ٢٤٠).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

عامر ـ كان أولى، لأنهم لم يفصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالظرف مع اتساعهم في الظروف وإنما أجازوه في الشعر».

ثم علّق السمين بعدما ذكر أقوال بعض العلماء في انتقاد القراءة: «وهذه الأقوال التي ذكرتها جميعاً لا ينبغي أن يلتفت إليها لأنها طعن في المتواتر، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر، وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم وأُوْرِدُ من لسان العرب نظمه ونثره ما يشهد لصحة هذه القراءة لغة. . .»[1].

ويدرك السمين النزعة الاعتزالية لدىٰ الفارسي، لذا فهو ينبّه على أقواله التي تحمل في طياتها أفكار المعتزلة.

مثال ذلك: عند بيان معنى «يجعل» في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]. قال: «وقوله: «يجعل» يجوز أن تكون التصييرية وأن تكون الخَلْقية، وأن تكون بمعنى «سمّى»، وهذا الثالث يفرّ إليه المعتزلة كالفارسي وغيره من معتزلة النحاة. . .»[3].

ومع كل ما سبق فإن السمين قد تميّز بإنصاف أبي علي، فتجده ينقل عنه في موضع واحد قولين يقبل أحدهما، ويرد الآخر.

ومثال ذلك: عند توجيه قراءة أبي عمرو «ويقول» بالواو ونصب الفعل في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[4] ذكر في نصب «يقول» ثلاثة أوجه، ثالثها: أنه منصوب عطفاً على قوله: «يأتي» أي: فعسى الله أن يأتي ويقول. . . ثم بيّن أن هذا القول رُدّ بأنه يلزم عطف ما لا يجوز أن يكون خبراً على ما هو خبر، ثم ذكر أنه اعتُذر عن هذا بثلاثة أوجه، أحدها: أنه من باب العطف على المعنى، والمعنى: فعسى أن يأتي الله بالفتح وبقول الذين آمنوا، فتكون

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٦٣ـ١٦٦ وانظر أيضاً مثالاً آخر (٥/ ٤١٠ـ٤١١).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٣) الدر المصون ٥/ ١٤٠، وانظر مثالاً آخر في ٥/ ٣٢٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٣.

«عسى» تامة لإسنادها إلى «أن» وما في حيزها فلا تحتاج حينئذٍ إلى رابط، وهذا قريب من قولهم: «العطف على التوهم» نحو: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ﴾[1].

الثاني: أنّ: «أنْ يأتي» بدل من اسم الله لا خبر، وتكون «عسى» حينئذٍ تامة، كأنه قيل: فعسى أن يقول الذين آمنوا. وهذان الوجهان منقولان عن أبي علي الفارسي».

وقد قَبِل السمين الوجه الأول، وردّ الوجه الثاني فقال: «إلا أن الثاني لا يصح لأنهم نصوا على أن عسى واخلولق وأوشك من بين سائر أخواتها يجوز أن تكون تامة بشرط أن يكون مرفوعها «أن يفعل» قالوا: ليوجد في الصورة مسند ومسند إليه، كما قالوا: ذلك في «ظن» وأخواتها: إنّ «أنْ» و«أنّ» تسد مسد مفعوليها»[2].

وتجده ينتصر لأبي عليّ على شيخه ـ أبي حيان ـ.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة «عاقدتم»[3] في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَ﴾[4].

قال: «قال الفارسي: «عاقدتم» يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون بمعنى «فَعَل» طارقت النعل، وعاقبت اللص، والآخر: أن يراد به «فاعلت» التي تقتضي فاعلين، كأن المعنى: بما عاقدتم عليه من الأيمان... ثم قال: وقد تعقب الشيخ على أبي علي كلامه فقال: «قوله: إنه مثل طارقت النعل وعاقبت اللص ليس مثله، لأنك تقول: طرقْتُ ولا عَقَبْتُ، وتقول: عاقدت اليمين وعقدتها.

ثم تعقب كلام شيخه وانتصر لأبي علي فقال: «وهذا غير لازم لأبي علي لأن مراده أنه مثله من حيث إن المفاعلة بمعنى أنّ المشاركة من اثنين منتفية عنه كانتفائها من عاقبت وطارقت، أما كونه يقال فيه أيضاً كذا فلا يضره ذلك في التشبيه»[5].

---

(١) سورة المنافقين، الآية: ١٠.
(٢) الدر المصون ٤/ ٣٠٤.
(٣) وهي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر (التيسير ص١٠٠، والكشف ١/ ٤١٧).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٩.
(٥) الدر المصون ٤/ ٤٠٤ـ٤٠٥.

٢ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها
مكيّ بن أبي طالب

التعريف بالمؤلف:

هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار الإمام أبومحمد القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي. العلاّمة المقرىء. ولد سنة ٣٥٥هـ بالقيروان. كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الخلق جيد الدين والعقل، كثير التواليف في علم القرآن، مجوداً للقراءات السبع. عالماً بمعانيها. له تصانيف كثيرة نافعة منها «الهداية إلى بلوغ النهاية» و«التبصرة في القراءات» و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» وغيرها. توفي يوم السبت في الثاني من محرم سنة ٤٣٧هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ كتاب «الكشف» من الكتب المهمة في القراءات السبع وتوجيهها. وقد ألّفه مكي بعد كتاب التبصرة، وقد ذكر في كتابه «التبصرة» أنه سيؤلف هذا الكتاب ـ أي الكشف ـ فقال: «قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله، أذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول وأقاويل النحويين وأهل اللغة لا أخرج فيه عن شرح ما ذكرته في هذا الكتاب من الاختلاف. أُسميه كتاب الكشف عن وجوه القراءات»[٢].

ولعل فيما سبق بياناً لمنهجه في كتاب الكشف.

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٥/ ٢٧٤) و(السير ١٧/ ٥٩١) و(معرفة القراء للذهبي ١/ ٩٤) و(بغية الوعاة ٢/ ٢٩٨) و(الشذرات ٣/ ٢٦٠).

(٢) كتاب التبصرة (١/ ٢٢).

وأوضح مما سبق ما ذكره المؤلف في مقدمة الكشف، حيث قال: «ها أنذا حين أبدأ بذلك أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب، ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف، ومن قرأ به وعلته وحجة كل فريق، ثم أذكر اختياري في كل حرف وأنبّه على علة اختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين»[1].

ويقول أيضاً في المقارنة بينهما: «فهذا الكتاب ـ أي الكشف ـ كتاب فهم وعلم ودراية، والكتاب الأول ـ يقصد التبصرة ـ كتاب نقل ودراية»[2].

طريقة نقله عنه:

١ ـ النقل بالنص:

ومثال ذلك: عند الحديث عن الترجيح بين قراءتي «وعدنا» ثلاثياً وهي قراءة أبي عمرو، و«واعدنا» بألف وهي قراءة الباقين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3] ذكر رأي مكيٍّ في ذلك فقال: «وقال مكي[4]: «والاختيار «واعدنا» بالألف، لأنه بمعنى وعدنا، في أحد معنييه، وأنه لابد لموسىٰ من وعدٍ أو قبول يقوم مقام الوعد فصحّت المفاعلة»[5].

٢ ـ النقل بالمعنى:.

ومثال ذلك: عند الحديث عن قرآءتي «خراجاً»[6] و«خرْجاً»[7] في قوله

---

(١) الكشف ١/ ٤، ٥ ـ مقدمة المؤلف.
(٢) الكشف ١/ ٦ ـ مقدمة المؤلف.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥١.
(٤) الكشف ١/ ٢٤٠.
(٥) الدر المصون ١/ ٣٥٢.
(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي (الكشف ١/ ٧٧).
(٧) وهي قراءة الباقين من السبعة (الكشف ١/ ٧٧).

تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1].

قال: «قال مكي ـ رحمه الله ـ[2]: «والاختيار ترك الألف، لأنهم إنما عرضوا عليه أن يعطوه عطية واحدة على بنائه، لا أن يضرب ذلك عليهم كل عام. وقيل: الخرج ما كان على الرؤوس، والخراج ما كان على الأرض...»[3].

٣ـ الإشارة إلى اختياره:

ومثال ذلك: عند الحديث عن القراءات في «سيعلمون» في قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[4] قال السمين: «قرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب... والباقون بالياء غيبة، وهي ظاهرة لجريان الغيب قبله في قوله تعالى: ﴿فقالوا أبشراً﴾ واختارها مكي؛ لأن عليها الأكثر...»[5].

المجال الذي نقل عنه فيه: هو مجال القراءات ذِكْراً وتوجيهاً.

لقد نقل السمين عن مكي عند ذكر القراءات السبع في بعض حروف القرآن ولكنه لم يكن يشير إلى نقله عن مكي في ذلك، ولعل عذره في ذلك أن الأمر واضح لا يحتاج إلى إشارة أو نسبة، وإلا فمن أين سيأتي السمين بذكر القراءات السبع ومن قرأ بها إلا من الكتب المتقدمة في هذا الفن، ككتاب «الكشف» لمكي وغيره؟.

ونقل السمين عن مكي أيضاً أقواله في توجيه القراءات السبع وأمثلة هذا كثيرة منها:

عند التعليق على القراءات في «السوء» في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٢) الكشف ٢/ ٧٧.
(٣) الدر المصون ٧/ ٥٤٧.
(٤) سورة القمر، الآية: ٢٦.
(٥) الدر المصون ١٠/ ١٤١.

يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[1].

قال السمين ذاكراً القراءات في ذلك الحرف: «وقرأ ابن كثير وأبوعمرو هنا «السُّوء» وكذا الثانية في الفتح بالضم، والباقون بالفتح. ثم ذكر تعليق العلماء وتوجيهاتهم على هاتين القراءتين، وذكر منهم مكي فقال: «وقال مكي[2]: «ومن فتح السين فمعناه الفساد والرداءة، ومن ضمها فمعناه الهزيمة والبلاء والضرر»[3].

وينقل السمين عن مكي أقواله في اختيار بعض القراءات وترجيحه لها. ويكاد يكون أكثر الأقوال التي نقلها السمين عن مكي هي أقواله في اختيار قراءة من القراءات.

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾[4]. قال: قرأ الأخوان هذين الفعلين ـ أي تغلبون وتحشرون ـ بالغيبة، والباقون بالخطاب. وقال مكي[5]: «ويقوي القراءة بالياء إجماعهم على الياء في قوله: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا﴾، قال: «والتاء أحبّ إليّ لإجماع الحِرْميين وعاصم وغيرهم على ذلك»[6].

موقفه مما ينقله عنه:

١ـ موقف القبول والموافقة: وفيما سبق أمثلة لذلك.

٢ـ موقف التعقب والمناقشة. وقد تعقبه واستدلك عليه في أمرين هما:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٨.
(٢) الكشف ١/ ٥٠٥.
(٣) الدر المصون ٦/ ١٠٥ـ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢.
(٥) الكشف ١/ ٣٣٥.
(٦) الدر المصون ٣/ ٤٢.

أ ـ ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة أخرى:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: «سخرياً» في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾[1]. قال: «قرأ الأخوان ونافع هنا وفي ص بكسر السين، والباقون بضمها في المؤمنين ثم قال: ورجح أبوعلي وتبعه مكي[2] قراءة الكسر قالا: لأن ما بعدها أليق لها لقوله ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

قال السمين متعقباً لمكي وأبي علي: «ولا حجة فيه لأنهم جمعوا بين الأمرين: سخّروهم في العمل، وسَخِروا منهم استهزاء»[3].

ب ـ نقله لطعن بعض العلماء على بعض القراءات المتواترة من غير تعقب لذلك الطعن:

نقل مكي طعن بعض العلماء على بعض القراءات المتواترة من غير انتقاد لهذا الطعن، وقد تعقب السمين هذا الطعن الذي ذكره مكي.

مثال ذلك: عند ذكر القراءات في قوله: «تبشرون» في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[4].

قال: وقرأ نافع بكسرها ـ أي النون ـ والأصل: تبشروني فحذف الياء مجتزئاً عنها بالكسرة، وقد غلَّطه أبوحاتم[5]... وقال مكي[6]: «وقد طعن في هذه القراءة قوم لبعد مخرجها في العربية، لأن حذف النون التي تصحب الياء لا يحسن إلا في شعر، وإن قُدِّر حذف النون الأولى حَذَفْتَ عَلَمَ الرفعِ من غير ناصبٍ ولا

---

(١) سورة المؤمنون ١١٠.

(٢) الكشف ٢/ ١٣١.

(٣) الدر المصون ٨/ ٣٧١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٥٤.

(٥) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض. كان جمّاعة للكتب يتّجر فيها. له كتاب «القراءات» و«إعراب القرآن» وغيرهما. توفي سنة ٢٥٥هـ. (السير ١٢/ ٢٦٨ وطبقات القراء ١/ ٣٢٠).

(٦) الكشف ٢/ ٣٠.

جازمٍ؛ ولأن نون الرفع كسرها قبيح، إنما حقها الفتح».

قال السمين متعقباً لإيراد مكي لهذا الانتقاد الموجّه لقراءة نافع: «وهذا الطعن لا يلتفت إليه؛ لأن ياء المتكلم قد كثر حذفها مجتزاً عنها بالكسرة، وقد قُرىء بذلك في قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾[1]»[2].

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٤. ولم أجد من نصَّ على حذف الياء. وإنما ذُكر أن نافعاً وابن كثير يفتحون الياء في «تأمروني» (الكشف ٢/ ٢٤١).

(٢) الدر المصون ٧/ ١٦٥ـ١٦٦ وانظر مثالاً آخر في (٩/ ١٥٢).

٣ـ إبراز المعاني من حرز الأماني
لأبي شامة

التعريف بالمؤلف:

عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين أبوالقاسم المقدسي الدمشقي عُرف بأبي شامة الشافعي المقرىء النحوي. وُلد سنة ٥٩٩هـ، وقرأ القرآن الكريم قبل أن يكمل له من العمر عشر سنين، وقرأ القراءات كلها سنة ٦١٦هـ على العَلَم السخاوي، واعتنى بالحديث واتقن الفقه ودّرس وأفتى وبرع في العربية.

من مصنفاته: إبراز المعاني وهو شرح للشاطبية و«ضوء الساري إلى معرفة الباري» والمرشد الوجيز. توفي سنة ٦٦٥هـ[١].

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب هو شرح لمنظومة الإمام الشاطبي[٢] المسماة بحرز الأماني، ذكر أبوشامة أنه رغب في شرحها بعد شرح شيخه السخاوي[٣] لها فقال: «ثم إن الله

---

(١) انظر: (معرفة القراء ٢/ ٦٧٣ وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ١١٨ وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٧٧ والشذرات ٥/ ٣١٨).

(٢) القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي الضرير ولد سنة ٥٣٨هـ بشاطبة، كان غاية في القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية إماماً في اللغة. كان يتسابق الناس إلى القراءة عليه. استوطن القاهرة وبها ألّف الشاطبية المشهورة. توفي سنة ٥٩٠هـ بالقاهرة (طبقات القراء ٢/ ٢٠).

(٣) علي بن محمد بن عبدالصمد بن عبدالغالب الهمداني السخاوي المقرىء المفسر الشافعي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة. إمام محقق مجود بصير بالقراءات وعللها. أقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق. وهو أول من شرح الشاطبية وسماه فتح الوصيد. بل هو أول من سبب شهرتها. توفي سنة ٦٤٣هـ (طبقات القراء ١/ ٥٧٠).

تعالى فتح عليّ من مراجعته وبركات محاضراته، معاني لم يودعها كتابه ولم يعرفها أصحابه، فأردت تدوينها مع استقصاء شرح للأبيات، وذكر ما يتعلق بها مما رأيت لها منه قسماً وحظاً، فابتدأت ذلك في كتاب كبير بلغت: باب الهمزتين من كلمة: في مجلدة. . .»، ثم ذكر أنه اختصر ذلك: «فشرعت في اختصار ذلك الطويل، واقتصرت فيه على القليل»[1].

ويتبين من ذلك منهجه في أنه:

١ـ اقتصر على شرح الألفاظ شرحاً لغوياً ومحاولة ربط معنى الرموز بمعاني جليلة تتعلق بالقراءات.

٢ـ ذكر التوجيه لبعض أوجه القراءات التي كثر الكلام حولها، مع إطنابه فيها كثيراً، وذكره الشواهد من كلام العرب ما لا يدع مجالاً لمرتاب، وأما القراءات التي لم يثر حولها كلام فيوجز في توجيهها.

وقد أضاف أبوشامة إلى النظم شيئين هامين:

١ ـ نظم أبيات كان يرى أنها أقرب إلى تأدية المعنى المراد من أبيات الناظم لما في بعض أبيات الناظم من أشياء توهم غير مراده لدى بعض طلبة العلم. وعند إيراده لأبياته يقول: ولو قال الناظم كذا لكان أولى.

٢ ـ نظم ياءات الزوائد في أواخر كل سورة كما فعل الناظم ذلك في ياءات الإضافة تسهيلاً للقارىء وتوضيحاً لما أجمله الناظم في باب ياءات الزوائد[2].

---

(١) إبراز المعاني (١/ ٧٠).

(٢) انظر: مقدمة (محمد سيد جادو) في تحقيقه لإبراز المعاني (١/ ٦٧ـ٦٨).

طرق نقله عنه:

١ـ النقل بالنص:

يغلب على السمين في النقل عن أبي شامة نقل نص كلامه، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

عند الحديث عن كلمة ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾[١] وقراءات القراء فيها قال السمين: «وقال أبوشامة[٢]: «قلت: الأولى في هذه الكلمة على جميع القراءات فيها أن تكون «ها» للتنبيه، لأنا إن جعلناها بدلاً من همزة كانت تلك الهمزة همزة استفهام، و«هاأنتم» أينما جاءت في القرآن إنما جاءت للخبر لا للاستفهام، ولا مانع من ذلك إلا تسهيل من سهل وحذف من حذف، أما التسهيل فقد سبق تشبيهه بقوله «لاعنتكم» وشبهه، وأما الحذف...»[٣].

٢ـ النقل بالمعنى:

ومثال ذلك: عند الحديث عن قراءة نافع بتسكين ياء المتكلم في «محياي» في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤]. قال السمين: قال أبوشامة[٥]: «فينبغي أن لا يحل نقل تسكين ياء «محياي» عنه»[٦].

المجال الذي ينقل عنه فيه:

ينقل عنه في مجال توجيه القراءات السبع.

مثال ذلك: عند توجيه قراءة نافع بالغيبة في «لا يؤمنون» وفتح همزة «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٢) إبراز المعاني ٣/ ٢٦.
(٣) الدر المصون ٢/ ٢٣٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(٥) إبراز المعاني ٣/ ١٢٦.
(٦) الدر المصون ٥/ ٢٣٩.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

قال: وعلى قراءة نافع يكون الخطاب للكفار، وتكون «أن» بمعنى لعل، كذا قال أبو شامة[1] وغيره»[2].

ومثال آخر: عند توجيه قراءتي الرفع والنصب في ﴿ ٱمۡرَأَتَكَۖ ﴾[3] في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ ﴾ فقد قرأ ابن كثير وأبوعمرو برفع «امرأتك»، والباقون بنصبها.

قال السمين: وقال الشيخ أبوشامة[4]: «ووقع لي في تصحيح ما أعربه النحاة معنى حسن، وذلك أن يكون في الكلام اختصار نبه عليه اختلاف القراءتين فكأنه قيل: فأسر بأهلك إلاَّ امرأتك، وكذا روى أبوعبيد وغيره أنها في مصحف عبد الله هكذا، وليس فيها ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ ﴾ فهذا دليل على استثنائها من السُّري بهم، ثم كأنه قال سبحانه: فإن خرجت معكم وتبعتكم ـ غير أن تكون أنت سريت بها ـ فانْهَ أهلك عن الالتفات غيرها، فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصاب قومها، فكانت قراءة النصب دالة على المعنى المتقدم، وقراءة الرفع دالة على المعنى المتأخر ومجموعهما دال على جملة المعنى المشروح»[5].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين تجاه ما ينقله عن أبي شامة موقفين:

١ ـ موقف الاستحسان والموافقة:

ومن أمثلته: المثال السابق[6]. وقد يستحسن السمين بعض كلام أبي شامة ويستدرك عليه بعضه في مكان واحد[7].

---

(١) إبراز المعاني (٣/ ١٣٧ـ١٣٨).
(٢) الدر المصون ٥/ ١٠٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٨١.
(٤) إبراز المعاني ٣/ ٢٤٥.
(٥) الدر المصون ٦/ ٣٦٩.
(٦) انظر الصفحة السابقة.
(٧) انظر مثال ذلك في الدر المصون ٣/ ٢٤٠.

٢ ـ موقف الاستدراك :

تعقب السمين بعض أقول أبي شامة في تخريج القراءات، ومثال ذلك :

عند تخريج قراءة حمزة بالخطاب في قوله : «ولا تحسبن» في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ ﴾[١] ذكر السمين أن في ذلك عدة أوجه. رابعها : أن يكون ﴿ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ ﴾ بدلاً من ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ بدل الاشتمال أي : إملاءنا، و«خير» بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي : هو خير لأنفسهم، والجملة هي المفعول الثاني نقل ذلك الشيخ شهاب الدين أبوشامة عن بعضهم. قال : «أي أبوشامة» وقلت : ومثل هذه القراءة بيت الحماسة[٢] :

مِنَّا الأناةُ وبعضُ القومِ يحسبُنا أنا بِطاءٌ وفي إبطائنا سَرَعُ

كذا جاءت الرواية بفتح «أنا» بعد ذكر المفعول الأول، فعلى هذا يجوز أن تقول : حسبت زيداً أنه قائم، أي : حسبته ذا قيام، فوجه الفتح أنها وقعت مفعولة، وهي وما عملت فيه في موضع مفردٍ وهو المفعول الثاني لحسبت»[٣].

قال السمين : «وفيما قاله نظر ؛ لأن النحاة نصوا على وجوب كسر «إن» إذا وقعت مفعولاً ثانياً والأول اسم عين، وأنشدوا البيت المذكور على ذلك»[٤] وعللوا وجوب الكسر بأنا لو فتحنا لكانت في محل مصدر فيلزم الإخبار بالمعنى عن العين[٥].

وقد يستدرك السمين على أبي شامة عدم اطلاعه على بعض القراءات، ومثال ذلك :

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٧٨.

(٢) البيت لوضاح اليمن وهو في الحماسة لأبي تمام ١/ ٣٢٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٤٧، والعيني ٢/ ٢١٦.

(٣) إبراز المعاني ٣/ ٥٠.

(٤) قال المحقق : يبدو أن للبيت رواية أخرى بكسر «إن».

(٥) الدر المصون ٣/ ٤٩٩.

عند ذكر القراءات في قوله تعالى: «أنه» و«فأنه». في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال السمين: «وأما القراءة الرابعة فكذلك ـ أي بكسر الأولى وفتح الثانية ـ قال: وقال أبو شامة: «وأجاز الزجاج كسر الأولى وفتح الثانية وإن لم يُقرأ به»[2]. قال السمين: «قد قدّمت أن هذه قراءة الأعرج وأن الزهراوي[3] وأباعمرو الداني نقلاها عنه، فكأن الشيخ ـ يقصد أباشامة ـ لم يطلع عليها. وقدمت لك ـ أيضاً ـ أن سيبويه لم يَرْوِ عن الأعرج إلا قراءة نافع، فهذا مما يصلح أن يكون عذراً للزجاج، وأما أبو شامة فإنه متأخر، فعدم اطلاعه عجيب!»[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) إبراز المعاني (٣/ ١١٩).

(٣) عمر بن عبيد الذُّهلي القرطبي، محدث الأندلس. روى عن عبدالوارث بن سفيان، وأبي محمد بن أسد. توفي سنة ٤٥٤هـ. (الشذرات ٥/ ٢٣٠).

(٤) الدر المصون ٤/ ٦٥٤.

ويتتبع السمين أباشامة في استدراكاته على بعض القرّاء:

مثال ذلك: عند حديثه عن سكتات حفص عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمًا﴾[1] قال: «وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل فعله هنا من سكتة لطيفة نافية لوهم مخلٍ ثم ذكر تلك السكتات.

وعقب بقول أبي شامة[2]: «أولى من هذه المواضع بمراعاة الوقف عليها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾[3]، الوقف على «قولهم» لئلا يُتوهم أن ما بعده هو المقول»، وكذا ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾[4] ينبغي أن يُعتنى بالوقف على «النار» لئلا تُتوهم الصفة».

قال السمين متعقباً لكلامه: «وتوهم هذه الأشياء من أبعدِ البعيد»[5].

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١، ٢.
(٢) إبراز المعاني (٣/ ٣٢٩).
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٦.
(٤) سورة غافر، الآيتان: ٦، ٧.
(٥) الدر المصون ٧/ ٤٣٦.

٤ـ كتاب أبي عبيد في القراءات[١]

المجالات التي نقل عنه فيها:

نقل السمين عن كتاب «القراءات» لأبي عبيد في مجال:

١ ـ ذكر القراءات.

٢ ـ توجيه القراءات.

١ ـ ومثال نقله عنه في ذكر قراءة: عند ذكر القراءات في «أرأيتكم» في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الآية[٢].

قال: ونقل أبوعبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع وغيرهما من أهل المدينة أنهم يُسقطون الهمزة، ويدّعون أن الألف خلف منها»[٣].

٢ ـ ينقل عنه في توجيه القراءات:

عند قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا﴾[٤] قال: «قرأ الأخوان من التثبت، والباقون من البيان، قيل: هما متقاربان لأن من تثبت في الشيء تبينه، قاله أبوعبيد»[٥].

وينقل السمين اختيار أبي عبيد في كثير من القراءات. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٦].

قال: «. . . وقرأ الكسائي: «تستطيع» بتاء الخطاب لعيسى، و«ربَّك»

---

(١) لم أطلع على هذا الكتاب لا مطبوعاً ولا مخطوطاً.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٠.

(٣) الدر المصون ٤/ ٦١٦. وانظر مثالاً آخر في ٤/ ١٩٣.

(٤) سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية: ٩٤.

(٥) الدر المصون ٤/ ٧٤. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٤/ ١٨٨، ١٩٣) (٦/ ٣٦٥، ٤٠٦، ٤٣٥).

(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

بالنصب على التعظيم. . . وبقراءة الكسائي قرأت عائشة[1] وكانت تقول: والحواريون أعرف بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك». واختار أبوعبيد هذه القراءة قال: «لأن القراءة الأخرىٰ تشبه أن يكون الحواريون شاكين، وهذه لا توهم ذلك»[2][3].

ويستدرك السمين على أبي عبيد بعض أقواله في اختيار القراءات.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله: «في الدّرْك» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[4].

قال: «قرأ الكوفيون[5] ـ بخلاف عن عاصم ـ بسكون الراء، والباقون بفتحها. . . واختار أبوعبيد الفتح قال: «لأنه لم يجيء في الآثار ذكر «الدرك» إلا بالفتح».

قال السمين: «وهذا غير لازم لمجيء الأحاديث بإحدى اللغتين»[6].

وينتقد السمين طعن أبي عبيد في بعض القراءات المتواترة.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[7].

قال السمين: «قرأ[8] ابن عامر وحمزة «تَلُوا» بلام مضمومة وواو ساكنة. . .

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق. أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع. عالمة، فقيهة، راوية للحديث. ماتت سنة ٥٨هـ (الإصابة ٨/ ١٣٩).

(٢) الدر المصون ٤/ ٤٩٩.

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر (٢/ ٦٠٩) (٤/ ٢٧٧، ٥٦٣، ٥٧٤) (٥/ ٢٩، ٥٥، ١٨٩، ٦٤٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٥) وهم: عاصم وحمزة والكسائي. انظر: الكشف ١/ ٤٠١.

(٦) الدر المصون ٤/ ١٣١.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٨) الكشف ١/ ٣٩٩.

وقد طعن قوم على قراءة حمزة وابن عامر ـ ومنهم أبوعبيد ـ قالوا: لأن معنى الولاية غير لائق بهذا الموضع. قال أبوعبيد: «القراءة عندنا بواوين مأخوذة من «لَوَيتُ» وتحقيقه في تفسير ابن عباس: هو القاضي يكون لَيُّه وإعراضه عن أحد الخصمين للآخر.

قال السمين: «وهذا الطعن ليس بشيء؛ لأنها قراءة متواترة ومعناها صحيح، لأنه إن أخذناها من الولاية كان المعنى على ما تقدم، وإن أخذناها من «اللّي» فالأصل «تلووا» كالقراءة الأخرىٰ...»[1].

(١) الدر المصون ٤/١١٩. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٤/٣٢٩ و٤٠٣ و٦٤٠) (٥/٢٩، ٢٧٧، ١٦٤، ٣٢٦، ٥٦٧، ٦٢٥، ٦٤٠) (٧/٩٢) (٨/٦٤، ٥٤٤) (١٠/٩٣).

المطلب الثاني

مصادره في القراءات الشاذة

١ ـ **المحتسب**: لابن جني.

٢ ـ **اللوامح**: لأبي الفضل الرازي.

٣ ـ **الشواذ**: لابن خالويه.

٤ ـ **الكامل**: لابن جبارة الهذلي.

مصادره في القراءات الشاذة

اعتمد السمين على المصادر الأصيلة في هذا الباب، ونقل عنها في ذكر القراءات الشاذة وفي توجيهها.

ويعتبر كتاب شيخه «البحر المحيط» هو المصدر الأول الذي اعتمد عليه في القراءات الشاذة. ولكنه لم يُحلْ إليه إلا قليلاً.

ومن المصادر الهامة التي اعتمد عليها: المحتسب لابن جني، واللوامح لأبي الفضل الرازي، والشواذ لابن خالويه، والكامل للهذلي.

وسوف أتكلم على هذه الكتب ـ أي الأربعة الأخيرة ـ أما البحر فقد تحدثت عن إفادة السمين منه سابقاً.

وينقل السمين عن مصادر أخرى ولكن بصورة أقل، كنقله عن الداني إذ أن للداني كتاباً في القراءات الشاذة اسمه «المحتوى»[1] يذكره المترجمون له. وكنقله ـ أيضاً ـ عن معاني القرآن[2] للنحاس وغير ذلك من كتب التفسير وإعراب القرآن.

وأما الكتب الأربعة التي سأتحدث عنها فقد رتبتها على حسب كثرة إفادة السمين منها فكان الترتيب على النحو التالي:

١ ـ المحتسب: لابن جني.

٢ ـ اللوامح: للرازي.

٣ ـ الشواذ: لابن خالويه.

٤ ـ الكامل: للهذلي.

---

(١) لم أطلع على هذا الكتاب، لا مخطوطاً ولا مطبوعاً.

(٢) انظر على سبيل المثال في الدر: ٧/ ٣٣٠، ٣٤٧، ٩/ ١٦٨.

١ـ المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها
لأبي الفتح عثمان بن جني

التعريف بالمؤلف:

هو أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي، إمام العربية، صاحب التصانيف، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف.

لازم أبا علي الفارسي أربعين سنة، وأخذ عنه الصرف وبرع فيه، وتصدر مكانه بعد وفاته ببغداد. قال في دمية القصر: وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ما له، سيما في علم الإعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب. صنف «الخصائص» و«سر الصناعة» و«اللمع» وغيرها. مات سنة ٣٩٢هـ[١].

التعريف بالكتاب:

ألّف ابن جني كتابه هذا في الاحتجاج للقراءات الشاذة إكمالاً لجهود شيخه أبي علي الفارسي الذي ألّف كتاب «الحجة» في الاحتجاج للقراءات السبع.

وقد بيَّن ابن جني هدفه من تأليف هذا الكتاب فقال: «غرضنا منه أن نُري وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بِجِرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مرئ[٢] أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له»[٣].

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦ والسير ١٧/ ١٧ وبغية الوعاة ٢/ ١٣٢ والشذرات ٣/ ١٤٠).

(٢) أي: يظنُّ ظانٌّ.

(٣) انظر: المحتسب ١/ ٣٢، ٣٣.

منهجـــه:

سار ابن جني في كتابه هذا على طريق شيخه أبي علي في «الحجة»، فكان يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها. أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال، أو تفصيل حسب حاجة المقام.

وكان إذا لم يجد للقراءة وجهاً يخرجها به إلا أن يكون شاذاً أو فيه تكلف فإنه يردّ القراءة أو يُضّعف القراءة بها[1].

طرق نقله عنه:

١ـ النقل بالنص:

مثال ذلك: عند حديث السمين عن قراءة «الرِّبُو»[2] في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾[3]، نقل أن ابن جني علّق عليها بقوله[4]: «شذ هذا الحرف في أمرين؛ أحدهما: الخروج من الكسر إلى الضم بناءً لازماً، والآخر: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم، وهذا شيء لم يأت إلاّ في الفعل نحو: يغزو ويدعو...»[5].

٢ـ النقل بالمعنى:

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن قراءة ابن عباس «رسُل» بالتنكير في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[6] قال: «قال

---

(١) انظر مقدمة تحقيق المحتسب لعلي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي ١/ ١١ـ١٣.

(٢) وهي قراءة أبي السمال العدوي. (المحرر الوجيز ٢/ ٣٥١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

(٤) المحتسب ١/ ١٤٢.

(٥) الدر المصون ٢/ ٦٣٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

أبوالفتح[1]: «ووجهها أنه موضع تبشير لأمر النبي ﷺ في أمر الحياة ومكان تسوية بينه وبين البشر في ذلك. وهكذا يُفْعل في أماكن الاقتصادنحو: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2] و﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3]»[4]

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

ومثال ذلك: عند تخريج السمين لقراءة ابن مسعود[5] «من الغَيْطِ»[6] في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾[7] ذكر فيها قولين، قال: «أحدهما: ـ وإليه ذهب ابن جني[8] ـ أنه مخفف من فَيْعِل كهَين ومَيْت في: هيّن وميّت»[9].

---

(١) المحتسب ١/ ١٦٨.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٠.

(٤) الدر المصون ٣/ ٤١٥.

(٥) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي. فقيه الأمة، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، ومناقبه كثيرة. توفي سنة ٣٢هـ بالمدينة. (الإصابة ٤/ ١٢٩).

(٦) انظر: الشواذ ص٢٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٨) المحتسب ١/ ١٩٠.

(٩) الدر المصون ٣/ ٦٩٢.

المجال الذي نقل عنه فيه:

أفاد السمين من المحتسب في ذكر بعض القراءات الشاذة، وأفاد منه كثيراً في توجيه القراءات الشاذة وفي الدفاع عنها.

١ ـ مثال إفادته في ذكر قراءة شاذة:

أ ـ عند ذكر القراءات الشاذة في قوله «خالصة» في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾[١].

قال السمين: «وقرأ ابن جبير فيما نقله عنه ابن جني «خالصاً» نصباً من غير تاء، ونصبه على الحال»[٢].

ب ـ وعند ذكر القراءات الشاذة في قوله: «أركسوا» في قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا﴾[٣].

قال: «ونقل ابن جني عنه ـ أي عن عبدالله ـ «رُكِّسوا» بالتشديد»[٤].

٢ ـ ومن أمثلة نقله عنه في توجيه القراءات الشاذة:

عند توجيه قراءة اليزيدي[٥] وابن أرقم[٦] «لمّاً» بالتشديد منونة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٧].

قال: «في تخريجها وجهان، أحدهما ما قاله أبوالفتح وهو: أن يكون منصوباً بقوله: «ليوفينهم» على حد قولهم: «قياماً لأقومن، وقعوداً لأقعدن».

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٢) الدر المصون ٥/ ١٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩١.

(٤) الدر المصون ٤/ ٦٩.

(٥) يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي نحوي مقرىء ثقة. قرأ القرآن على أبي عمرو. توفي سنة ٢٠٢هـ. (معرفة القراء ١/ ١٥١) و(غاية النهاية ٢/ ٣٧٥).

(٦) سليمان بن أرقم أبومعاذ البصري. روى قراءة الحسن البصري عنه وهو ضعيف مجمع على ضعفه (غاية النهاية ١/ ٣١٢).

(٧) سورة هود، الآية: ١١١.

والتقدير: توفيه جامعة لأعمالهم ليوفينهم، يعني: أنه منصوب على المصدر الملاقي لعامله في المعنى دون الاشتقاق[1].

وينقل السمين عن ابن جني توجيهه لبعض القراءات الشاذة وبيان أثرها البلاغي.

ومثال ذلك: عند توجيه قراءة الحسن «يرجعون» في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]. قال: «وقرأ الحسن[3] «يرجعون» بياء الغيبة على الالتفات، قال ابن جني: «كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين عن أن يواجههم بذكر الرجعة إذ هي مما تتفطر لها القلوب فقال لهم: «واتقوا» ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة فقال: «يرجعون»[4].

وينقل عنه تعليقه على توجيه بعض القراءات.

عند قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[5]. قال: «وقرأ الحسن: «ولتصغى وليرضوه وليقترفوا» بسكون اللام في الثلاثة وقال أبوعمرو الداني: «قراءة الحسن إنما هو: «ولتصْغِي» بكسر الغين. قلت: فتكون كقراءة النخعي[6]. وقيل: قرأ الحسن «ولِتصغى» بكسر اللام كالعامة، و«لْيرضوه» و«لْيقترفوا» بسكون اللام، وخرجوا

---

(١) الدر المصون ٦/ ٤١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبوسعيد إمام زمانه علماً وعملاً. قال عنه الشافعي: لو أشاء أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته. توفي سنة ١١٠هـ (غاية النهاية ١/ ٢٣٥).

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٤٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي النخعي الإمام المشهور الصالح الزاهد العالم قرأ على الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس. توفي سنة ٩٦هـ (غاية النهاية ١/ ٢٩). وقراءة النخعي هي: «ولتُصْغَى» من أصغى رباعياً.

تسكين اللام على أحد وجهين: إما أنها لام كي وإنما سكنت إجراء لها مع ما بعدها مُجْرى كَبِد ونمر، قال ابن جني: «وهو قوي في القياس شاذ في السماع»[1].

موقفه مما ينقله عنه:

وقف السمين تجاه ما ينقله عن أبي الفتح عثمان بن جني عدة مواقف، وافقه في بعضها ـ وقد سبق ذكر أمثلة لذلك ـ وخالفه في بعضها فاستدرك عليه وتعقبه في بعض أقواله وآرائه في تخريج القراءات الشاذة.

وقد يقف السمين مما ينقله عن ابن جني موقف المحلل لكلامه.

ومثال ذلك: عند الحديث عن كلمة «كأين» في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[2]. قال: «في الحديث عن كلمة «أي» وذهب ابن جني أنها في الأصل مصدر «أوَى يأوي» إذا انضم واجتمع، والأصل: أوْيٌ نحو: طوى يطوي طيًّا، الأصل: طوْي، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء.

قال السمين معلقاً على كلام ابن جني: «وكأن ابن جني ينظر إلى معنى المادة من الاجتماع الذي يدل عليه «أيّ» فإنها للعموم والعموم يستلزم الاجتماع»[3][4].

ويستدرك السمين على ابن جني في تخريج القراءات الشاذة:

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة سعيد والحسن «لمّا»[5] بالتشديد. ذكر فيها ثلاثة أوجه، الثالث: أن أصلها «لَمِنْ ما» فأدغمت النون في الميم لأنها تقاربها، والإدغام هنا واجب. . .» ثم قال السمين: و«مِنْ» هذه التي في «لمن ما» زائدة في

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٣) الدر المصون ٣/ ٤٢٥.

(٤) انتقد أبوحيان كلام ابن جني هذا، بينما نجد أن السمين نقله ولم ينتقده فكأنه لم يرتض رؤية شيخه.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾. آل عمران ٨١.

الواجب على رأي أبي الحسن الأخفش. وهذا تخريج أبي الفتح، وفيه نظر بالنسبة إلى ادعائه زيادة «مِنْ». فإن التركيب يقلق على ذلك، ويبقى المعنى غير ظاهر»[1].

وقد يتهم السمين ابن جني بالتكلف في تخريج بعض القراءات الشاذة.

مثال ذلك: عند توجيه قراءة ابن محيصن ﴿فلا تَشْمِت﴾[2] بفتح التاء وكسر الميم، وقراءة مجاهد بفتح التاء وفتح الميم، قال: في هاتين القراءتين تخريجان، ثانيهما: أن «تشمت» مسند لضمير الباري تعالىٰ، أي: فلا تَشمت يارب، وجاز هذا كما جاز ﴿**الله يستهزيء بهم**﴾ ثم أضمر ناصباً للأعداء كقراءة الجماعة قاله ابن جني، قال السمين: «ولا حاجة إلى هذا التكلف؛ لأن «شمت» الثلاثي يكون متعدياً بنفسه والإضمار على خلاف الأصل»[3].

وقد يتهمه في مغالطته في تخريج بعض القراءات الشاذة بقلب الحقائق، وارتكاب ما لا يصح.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة «لتصيبنَّ»[4] في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[5].

قال السمين: «والعجب أنه ـ أي ابن جني ـ وجّه هذه القراءة الشاذة بتوجيهٍ يردها إلى قراءة العامة، فقال: «ويجوز أن تكون قراءة ابن مسعود ومن ذكر معه مخففة من «لا» يعني حُذفت ألف «لا» تخفيفاً واكتفى بالحركة»، قال: «كما قالوا أمَ والله يريدون: أما والله» قال المهدوي: «كما حُذِفت من «ما» وهي أخت «لا» في

---

(١) الدر المصون ٣/ ٢٩٠ـ٢٩٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) الدر المصون ٥/ ٤٦٩.

(٤) وهي قراءة ابن مسعود وزيد بن ثابت والباقر والربيع وأنس وأبي العالية وابن جماز. (المحتسب ١/ ٢٧٧، والشواذ ص ٥٤).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

نحو «أما والله لأفعلن» وشبهه . . . فقد تحصَّل من هذا أن ابن جني خرج كلاً من القراءتين على الأخرى، وهذا لا ينبغي أن يجوز البتة، كيف يورد لفظ نفيٍ ويتأول بثبوت وعكسه؟ هذا إنما يقلب الحقائق ويؤدي إلى التعمية»[1].

وينتقد السمين لجوء ابن جني إلى تضعيف بعض القراءات الشاذة.

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في ﴿ أَنۢبِئۡتُهُم ﴾[2] قال السمين: «وقُرىء بحذف الهمزة ورويت عن ابن كثير، قال ابن جني: «وهذا على إبدال الهمزة ياء كما تقول: أنْبيتُ بزنة أعطيت. قال: وهذا ضعيف في اللغة؛ لأنه بدل لا تخفيف، والبدل عندنا لا يجوز إلا في ضرورة».

قال السمين: «وهذا من أبي الفتح غير مرضٍ؛ لأن البدل جاء في سعة الكلام، حكى الأخفش في «الأوسط» له أنهم يقولون في أخطأت: أخطيت، وفي توضأت: توضيت. . . »[3].

---

(١) الدر المصون ٥/ ٥٩٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٣) الدر المصون ١/ ٢٩٦.

٢ـ اللوامح على شاذ القراءات[١]
لأبي الفضل الرازي

التعريف بالمؤلف:

هو عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن أبوالفضل الرازي العجلي الإمام المقرىء شيخ الإسلام الثقة الورع. كان مقرئاً فاضلاً كثير التصانيف حسن السيرة متعبداً حسن العيش منفرداً قانعاً باليسير يقرىء أكثر أوقاته ويروي الحديث. ولد سنة ٣٧١، وتوفي سنة ٤٥٤هـ عن أربع وثمانين سنة وكان يقول: أول سفري في الطلب كنت ابن ثلاث عشرة سنة، فكان طوافهُ في البلاد إحدى وسبعين سنة[٢].

المجال الذي نقل عنه فيه:

نقل السمين عن كتاب «اللوامح» للرازي في القراءات الشاذة من حيث ذكرها وتخريجها.

ومثال نقله عنه في مجال ذكر القراءة الشاذة: عند ذكر القراءات الشاذة في قوله «أسس». في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾[٣]. قال السمين: «ونقل صاحب اللوامح فيه «أَسَسُ» بالتخفيف ورفع السين»[٤].

وينقل عنه في تخريج القراءات الشاذة، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

---

(١) لم أقف على هذا الكتاب لا مخطوطاً ولا مطبوعاً.
* سمى السمين هذا الكتاب باسمين، مرة باسم «اللوائح» في موضع واحد (٥/ ٢٧٣). وأكثر المواضع باسم «اللوامح» وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٥٦٧) باسم «اللوامح».

(٢) غاية النهاية، لابن الجزري ١/ ٣٦١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

(٤) الدر المصون ٦/ ١٢٤.

عند تخريج قراءة علي[1] ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس[2] والحسن ويحيى بن يعمر والجحدري[3] وقتادة[4] في آخرين: «يَرِثُني» بياء الغيبة والرفع، و«أرثُ» مسنداً لضمير المتكلم. في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[5]. قال صاحب اللوامح: «في الكلام تقديم وتأخير. والتقدير: يرث نبوتي إن مت قبله وأرثه ماله إن مات قبلي»[6].

وقد ينقل السمين قوله في التعليق على تخريج قراءة شاذة.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة الأعمش والمفضل عن عاصم «عدداً» منوناً في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[7] ذكر السمين أن في ذلك عدة أوجه، منها: أن «لبثتم» بمعنى عددتم فيكون نصب «عدداً» على المصدر و«سنين» بدل منه.

وقال صاحب اللوامح أيضاً: وفيه بُعدٌ؛ لعدم دلالة اللبث على العدد»[8].

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي. أول الناس إسلاماً ولد قبل البعثة بعشر سنين. وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد. استشهد سنة ٤٠هـ (الإصابة ٤/ ٢٦٩).

(٢) عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي. حبر الأمة وفقيه العصر، وإمام التفسير. وُلد قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة. ودعا له النبي ﷺ أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل. توفي سنة ٦٨هـ (السير ٣/ ٣٣١) (الإصابة لابن حجر ٤/ ٩٠).

(٣) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري. أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس. وقرأ على نصر بن عاصم والحسن ويحيى بن يعمر. توفي سنة ١٢٨هـ (طبقات القراء ١/ ٣٤٩).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي البصري. كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ كان يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. توفي سنة ١١٨هـ (السير ٥/ ٢٦٩).

(٥) سورة مريم، الآية: ٦.

(٦) الدر المصون ٧/ ٥٦٨.

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١١٢.

(٨) الدر المصون ٨/ ٣٧٣.

موقفه مما ينقله عنه:

ارتضى السمين بعض أقوال وتخريجات أبي الفضل الرازي، ووقف من بعض أقواله موقف المستدرك والمتعقب. وكل ذلك بتجرد علمي، حتى إنه في موطن واحد ينقل عنه قولين يرتضي أحدهما ويرد الآخر[1]. وتعقبه له في ثلاث نواحي:

١ ـ في تخريج بعض القراءات الشاذة:

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة ﴿بل مكرَ الليل﴾[2] بنصب الراء.

ذكر السمين عدة أوجه منها قول الرازي. فقال: «الثالث: أنه منصوب بتأمروننا، قاله أبوالفضل الرازي وهو غلط؛ لأن ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله إلاَّ في مسألة واحدة: وهي «غير» إذا كانت بمعنى «لا»[3].

٢ ـ ردّه لبعض القراءات الشاذة:

ومثال ذلك: عند الحديث عن قراءة ﴿تظّاهرا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[4] بتشديد الظاء، وهي قراءة الحسن ويحيى بن الحارث الذماري وأبوحيوة واليزيدي.

ذكر السمين أن هناك من لحّنهم، وممن لحّنهم الرازي حيث قال: «لا أعرف وجهه».

فتعقبهم السمين قائلاً: وهذا عجيب من هؤلاء وقد حُذفت نون الرفع في مواضع، حتى في الفصيح، كقوله عليه السلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا**

---

(١) انظر مثال ذلك في: (٧/ ٢٧٠).

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

(٣) الدر المصون ٩/ ١٩١. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٦/ ٤٨٨) (٨/ ٨٦، ٢١٨، ٣٤١، ٣٧٣، ٤٨٨، ٦٩٦).

(٤) سورة القصص، الآية: ٤٨.

تؤمنوا حتى تحابوا»[1] ولا فرق بين كونها بعد واو أو ألف أو ياء. فهذا أصله «تتظاهران» فأُدغم وحذفت نونه تخفيفاً»[2].

٣ ـ عدم اطلاعه على بعض القراءات الشاذة.

مثال ذلك: عند تخريجه لقراءة «تخاصُمَ» بالنصب مضافاً لأهل. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾[3].

ذكر السمين عدة أوجه، ثم نقل أن أباالفضل الرازي قال: «ولو نصب «تخاصم» على أنه بدل من «ذلك» لجاز».

قال السمين مستدركاً عليه: وكأنه لم يطلع عليها قراءة»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان. حديث رقم ٥٤.
(٢) الدر المصون ٨/ ٦٨٣.
(٣) سورة ص، الآية: ٦٤.
(٤) الدر المصون ٩/ ٣٩٥.

٣ـ الشــواذ
لابن خالويه

التعريف بالمؤلف:

أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي. أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلّة من العلماء. وكانت الرحلة إليه من الآفاق قال الداني في طبقاته: عالم بالعربية، حافظ للغة، بصير بالقراءة. له من التصانيف: كتاب: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن» وكتاب «ليس» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «القراءات» وغيرها. توفي ٣٧٠ بحلب[١].

التعريف بالكتاب:

يُعدّ كتاب «مختصر شواذ القرآن»[٢] لابن خالويه من الكتب المعتمدة لدى أهل الفن الذين يبحثون في القراءات الشاذة، ألّفه ابن خالويه بعد أن ألّف كتابه «البديع في القرآن» و«حواشي البديع في القراءات» ويرى الناشر للكتاب «آرثر جفري» أن هذا الكتاب هو اختصار من ابن خالويه لأحد كتب ابن مجاهد ـ وهو شيخ ابن خالويه في القراءات الشاذة ـ حيث يقول: «. . ومن حيث إن شيخه في القراءات كان الإمام ابن مجاهد ولا يخفى أن ابن مجاهد درس القراءات الشاذة فضلاً عن القراءات السبع المشهورة فلا يبعد أن يكون كتاب ابن خالويه هذا هو دراسة ابن مجاهد في ذلك الفن، ويساعدنا على ما ذهبنا إليه أننا نرى في كتاب ابن خالويه نفسه أنه ينقل مراراً عن شيخه ابن مجاهد وكثيراً ما نجد اتفاقاً بين ما يقرره هذا الكتاب وبين ما هو مقتبس من ابن مجاهد في بعض كتب المفسرين

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ١/ ٣٥٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٩٤ وبغية الوعاة ١/ ٥٢٩).

(٢) الكتاب حققه المستشرق «برجستراسر» ولكنه توفي قبل نشره فتولى نشره «آرثر جفري» وكتب مقدمة له.

المتقدمين»[1].

طرق النقل عنه:

١ ـ النقل بالنص:

عند بيان معنى قراءة: «العادِيِّين» في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾[2]. قال السمين: «وقال ابن خالويه[3]: «ولغة أخرى «العادِيِّين» ـ يعني بياء مشددة جمع عادية ـ بمعنى القدماء»[4].

٢ ـ النقل مع تقديم وتأخير:

وقد لا يلتزم السمين بإيراد نص كلام ابن خالويه، بل يتصرف فيه بتقديم وتأخير.

ومثال ذلك: عند توجيه قراءة «تفكنون»[5] في قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[6]. قال السمين: «قال ابن خالويه: «تفكّه تعجّب، وتفكن تندم»[7]. بينما نص ابن خالويه في شواذه: «تفكن تندم، وتفكّه تعجب»[8].

٣ ـ ينقل النص ثم يشرحه:

عند توجيه قراءة ﴿ٱنشَقَّتْ﴾[9] بكسر التاء قال السمين: وقال ابن خالويه: انشقت بكسر التاء عبيد عن أبي عمرو[10].

---

(١) انظر: مقدمته ص٨.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٣.
(٣) الشواذ ص١٠١.
(٤) الدرالمصون ٨/ ٣٧٤.
(٥) وهي قراءة أبي حرام الكعكي. انظر: الشواذ ص١٥١.
(٦) سورة الواقعة، الآية: ٦٥.
(٧) الدر المصون ١٠/ ٢١٧.
(٨) الشواذ ص١٥٢.
(٩) سورة الانشقاق، الآية: ١.
(١٠) الشواذ ص١٧١.

قال السمين: قلت: كأنه يريد إشمام الكسر، وأنه في الوقف دون الوصل لأنه مطلق، وغيره مقيد، والمقيد يقضي على المطلق»[1].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

أفاد السمين من ابن خالويه في كتابه «الشواذ» في مجال القراءات الشاذة من جانبين:

الأول: ذكر القراءة الشاذة.

الثاني: توجيه تلك القراءات الشاذة. وفيما سبق أمثلة لذلك.

نَقْل القراءة الشاذة:

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات الشاذة في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[2].

قال السمين: «وقرأ عبدالله «لكنْ أنا هو»... وروى عنه ابن خالويه[3] «لكنْ هو الله» بغير «أنا»[4].

ومثال آخر: عند ذكر القراءة الشاذة في «والعصر، بالصَّبِر»[5].

قال السمين نقلاً عن ابن عطية: وروى عن أبي عمرو «بالصَّبر» بكسر الباء إشماماً... » ثم قال: ونقل هذه القراءة جماعة كالهذلي وأبي الفضل الرازي وابن خالويه»[6][7].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٧٣١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٨.
(٣) الشواذ ص٨١.
(٤) الدر المصون ٧/ ٤٩٣.
(٥) سورة العصر، الآية: ١.
(٦) الشواذ ص١٨٠.
(٧) الدر المصون ١١/ ١٠١.

موقفه مما ينقله عنه:

فيما سبق من أمثلة رأينا أن السمين نقل عن ابن خالويه ولم يتعقب أقواله مما يدل على موافقته لابن خالويه وقبوله لأقواله، إلا أنه قد يتعقبه في بعض توجيهاته لبعض القراءات الشاذة.

ومثال ذلك: عند توجيه قراءة زيد بن علي[1] وأُبي[2] «يُصدِّقوني» في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[3].

قال السمين: «قال ابن خالويه»: «وهذا شاهد لمن جزم، لأنه لو كان رفعاً لقال «يصدقونني» يعني بنونين».

ويتعقب السمين هذا القول من ابن خالويه فيقول: «وهذا سهو من ابن خالويه؛ لأنه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت أوجه، أحدها: الحذف، فهذا يجوز أن يكون مرفوعاً، وحذف نونه لما ذكرته لك»[4].

ويتعقب السمين ابن خالويه في انتقاده لبعض القراءات:
مثال ذلك: عند ذكر القراءات في «تَرَينّ» في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾[5] وقرأ أبوعمرو في رواية «تَرَئِنَّ» بهمزة مكسورة بدل الياء، وكذلك رُوي عنه «لَتَرؤُنَّ» بإبدال الواو همزة.

---

(١) زيد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمران أبوالقاسم العجلي الكوفي المقرىء أحد الحذاق، وشيخ العراق، ثقة. قرأ على أبي بكر بن مجاهد والحسن بن العباس. توفي ببغداد سنة ٣٥٨هـ (معرفة القراء ١/ ٣١٤، وطبقات القراء ١/ ٢٩٨).

(٢) أبيّ بن كعب بن قيس بن النجار أبومنذر الأنصاري المقرىء البدري. سيد القراء شهد العقبة، وبدراً. وجمع القرآن في حياة النبي. توفي سنة ٢٢هـ (الإصابة ١/ ١٦).

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٤) الدر المصون ٨/ ٦٧٧. وقد تعقب السمين شيخه في عدم استدراكه على ابن خالويه هذا القول.

(٥) سورة مريم، الآية: ٢٦.

ثم قال السمين: «وتجرأ ابن خالويه[1] على أبي عمرو فقال: وهو لحن عند أكثر النحويين»[2].

(١) الشواذ ص٨٥.

(٢) الدر المصون ٧/ ٥٩١. وقد وجّه السمين هذه القراءة قبل أن يذكر أن ابن خالويه ضعفها فنقل عن الزمخشري أن هذا على لغة إحدى القبائل فقال: «قال الزمخشري: وهذا من لغة من يقول: لبأت بالحج وحلأت السويق».

٤ـ الكـــامـــل
للهـــــذلـــي

التعريف بالمؤلف:

يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة المغربي العسكري أبوالقاسم الهُذَلي. المقرىء الجوال، أحد من طوف الدنيا في طلب القراءات. أخذ عن كثير وقد ذكر الشيوخ الذين قرأ عليهم وعدتهم مائة واثنان وعشرون شيخاً. كان مقدماً في النحو والصرف عارفاً بالعلل. من مصنفاته: الوجيز، والهادي، والكامل وغيرها. توفي سنة ٤٦٥ هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

كتاب «الكامل» من المراجع الأصيلة في القراءات الشاذة، وقد جمع فيه صاحبه أغلب القراءات الشاذة. وهو مخطوط يقع في مائتين وخمسين ورقة كل ورقة مكونة من وجهين. ذكر في مقدمته فصولاً في: فضائل السور ـ وأغلب أحاديثه إن لم يكن كلها موضوعة ـ.

وفي فضل القارىء والمقرىء وحامل القرآن والعالم والمتعلم، وفي فضل المقرئين السبعة ومن تبعهم ثم ذكر فصولاً في ذكر قرّاء أهل مكة والكوفة والبصرة، وفصلاً في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ثم عقد باباً للتجويد، ثم تحدث عن علم العدد في القرآن وتعرض لسور القرآن سورة سورة وذكر اختلاف العلماء في عددها، ثم عقد كتاباً للوقف. ثم عقد كتاباً للأسانيد بيّن فيه أولاً طبقات القراء والحفاظ على عهد رسول الله، ثم ذكر أسانيده في القراءات. ثم عقد كتاباً للإمالات وكتاباً للإدغام وكتاباً للهمزة وكتاباً للمد والوقف وكتاباً للياءات وكتاباً للهاءات وميمات الجمع. وآخر في التعوذ والتسمية والتهليل والتكبير ثم شرع في

---

(١) انظر: (معرفة القرَّاء ١/ ٤٢٩ وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٩ والشذرات ٣/ ٣٢٤).

كتاب فرش الحروف. فيذكر الحرف ومن قرأ به من القرّاء وقد يوجه تلك القراءة.

وقد استغرقت تلك الفصول والمباحث التي عقدها قبل ذكر القراءات الشاذة (١٥٧) صفحة من المخطوطة.

طرق النقل عنه:

١ ـ النقل بالنص:

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في ﴿بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[١].

قال السمين: قال ابن عطية: ورُوي عن أبي عمرو «بالصَّبر» بكسر الباء إشماماً، وهذا أيضاً لا يجوز إلا في الوقف» انتهى. ونقل هذه القراءة جماعة كالهذلي وأبي الفضل الرازي وابن خالويه. قال الهذلي[٢]: «والعَصِرْ والصَّبِرْ، والفَجِرْ، والوَتِرْ، بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون[٣] وابن موسى[٤] عن أبي عمرو والباقون بالإسكان كالجماعة»[٥]

٢ ـ النقل بالمعنى:

وهذا هو الغالب على نقل السمين عن الهذلي:

ومن أمثلته: عند ذكر القراءات في «يخيل» في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[٦].

---

(١) سورة العصر، الآية: ٣.

(٢) الكامل ــ مخطوط ــ الورقة (٢٥٠أ).

(٣) هارون بن موسى العتكي البصري. روى عن عاصم وأبي عمرو. وروى عنه علي بن نصر. توفي قبل المائتين. (طبقات القراء ٢/٣٤٨).

(٤) أحمد بن موسى اللؤلؤي الخزاعي البصري. صدوق. روى عن أبي عمرو وعاصم والحجدي وغيرهم. (طبقات القراء ١/١٤٣).

(٥) الدر المصون ١١/١٠١.

(٦) سورة طه، الآية: ٦٦.

قال: «ونقل ابن جبارة الهذلي[1] قراءة أبي السّمال[2] «تُخَيِّل» بضم التاء من فوق وكسر الياء»[3].

المجال الذي نقل عنه فيه:

نقل السمين عن الهذلي في مجال ذكر القراءات الشاذة، ومن أمثلة ذلك:

عند ذكر القراءات الشاذة في قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[4].

قال السمين: «وفي الكامل لابن جبارة[5] «لنبين ونُقِرَّ ثم نخرجَكم» بالنصب فيهن - يعني وبالنون في الجميع - المفضل[6][7]. بالياء فيهما مع النصب: أبوحاتم، والياء والرفع عمرو بن شبه[8]» انتهى»[9].

موقفه مما ينقله عنه:

ارتضى السمين ما ينقله عن الهذلي في مجال نقل القراءة. ولكنه تعقبه في اختياره لبعض القراءات الشاذة وتفضيلها على قراءة متواترة، وانتقده في تلحينه لبعض القراءات، واستدرك عليه في تخريج بعض القراءات الشاذة.

---

(١) الكامل - مخطوط - الورقة (٢١٨أ).

(٢) أبوالسمّال: قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري. له اختيار شاذ عن قراءة العامة رواه عنه أبوزيد (غاية النهاية ٢/ ٢٧).

(٣) الدر المصون ٨/ ٧٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥.

(٥) الكامل - مخطوط - الورقة (٢٢٠أ).

(٦) لم ينقل أبوحيان هذه القراءة الشاذة، وإنما نقل قراءة أبي حاتم وعمرو بن شبة.

(٧) المفضل بن محمد الضبي، أخذ القراءة عن عاصم، وروى عنه الكسائي إمام مقرىء نحوي أخباري موثق. قال أبوحاتم: ثقة في الأشعار غير ثقة في الحروف. توفى سنة ١٦٨هـ (غاية النهاية ٢/ ٣٠٧).

(٨) عمرو بن شبة بن عبيدة بن زيد أبوزيد النميري البصري، روى القراءة عن جبلة وأبي زيد صاحبي المفضل سئل عنه أبوحاتم فقال: صدوق. (غاية النهاية ١/ ٥٩٢).

(٩) الدر المصون ٨/ ٢٣٢.

١ ـ تعقبه في اختيار قراءة شاذة وتفضيلها على قراءة متواترة.

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾[١] في قوله تعالى: قال: «قوله: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ هذه قراءة العامة، من الغوث أي: طلب غوثه ونصره.

وقرأ سيبويه وابن مقسم[٢] والزعفراني بالعين المهملة، والنون، من الإعانة. قال ابن عطية: هي تصحيف وقال ابن جبارة صاحب «الكامل»[٣]: «الاختيار قراءة ابن مقسم؛ لأن الإعانة أولىٰ في هذا الباب».

قال السمين معلقاً على قول ابن عطية وقول ابن جبّارة: ونسبة التصحيف إلى هؤلاء غير محمودة، كما أن تعالي الهذلي في اختيار الشاذ غير محمود»[٤] فقد عدّ السمين اختيار الهذلي لقراءة شاذة وتفصيلها على قراءة متواترة تعالياً غير محمود.

٢ ـ انتقاده في تلحين قراءة.

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن قراءة «تظّاهرا» بتشديد الظاء في قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ﴾[٥].

قال: «وقرأ الحسن ويحيى بن الحارث الذماري[٦] وأبوحيوة[٧] واليزيدي

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٢) محمد بن الحسن بن يعقوب أبوبكر البغدادي الإمام المقرىء النحوي. قال عنه الداني: مشهور بالضبط والاتقان، عالم بالعربية، حافظ للغة، حسن التصانيف في علوم القرآن. توفي سنة ٣٥٤هـ (غاية النهاية ٢/ ١٢٣).

(٣) الكامل. الورقة ٢٢٦.

(٤) الدر المصون ٨/ ٦٥٧. وقد أورد هذا القول أبوحيان ولم يُعلّق عليه!

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٨.

(٦) يحيى بن الحارث الذماري الدمشقي إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يُعدّ من التابعين له اختيار في القراءة خالف فيه ابن عامر. سُئل عنه أبوحاتم فقال: ثقة. توفي سنة ١٤٥هـ (غاية النهاية ٢/ ٣٦٧).

(٧) شريح بن يزيد أبوحيوة الحضرمي صاحب القراءة الشاذة ومقرىء الشام. ذكره ابن حبان في الثقات، وله اختيار في القراءة. توفي سنة ٢٠٣هـ (غاية النهاية ١/ ٣٢٥).

بتشديدها ـ أي الظاء ـ.

وقد لحّنهم الناس. قال ابن خالويه: «تشديده لحن؛ لأنه فعل ماضٍ. وإنما يُشدد في المضارع». وقال الهذلي: «لا معنى له»[1]...

وهذا عجيب من هؤلاء وقد حُذفت نون الرفع في مواضع، حتى في الفصيح، كقوله عليه السلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا**»[2] ولا فرق بين كونها بعد واو أو ألف أو ياء، فهذا أصله «تتظاهران» فأُدغم وحُذفت نونه تخفيفاً»[3].

٣ـ استدراكه عليه في تخريج قراءة.

عند تخريج قراءة «فاطلعَ» بالنصب في قوله تعالى: ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[4].

قال السمين: «فيه ثلاثة أوجهٍ، الثالث: أن ينتصب على جواب الترجي في «لعلَّ» وهو مذهب كوفي استشهد أصحابه بهذه القراءة وبقراءة عاصم: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾[5] بنصب «فتنفعَه» جواباً لقوله: «لعله» وإلى هذا نحا الزمخشري قال: «تشبيهاً للترجي بالتمني».

وقال ابن عطية وابن جبارة الهذلي: «على جواب التمني»[6]. قال السمين: «وفيه نظرٌ؛ إذ ليس في اللفظ تَمِنٍّ إنما فيه ترجٍ. وقد فرق الناس بين التمني والترجي: بأن الترجي لا يكون إلا في الممكن عكس التمني، فإنه يكون فيه وفي المستحيل...»[7].

---

(١) الكامل ـ مخطوط ـ الورقة (٢٢٦).
(٢) سبق تخريجه ص (٢٥٥).
(٣) الدر المصون ٨/ ٦٨٣.
(٤) سورة غافر، الآية: ٣٧.
(٥) سورة عبس، الآيتان (٣، ٤).
(٦) الكامل (مخطوط) الورقة (٢٣٤).
(٧) الدر المصون ٩/ ٤٨٣.

وقد ينسب الهذلي قراءة لحرف ويلتبس عليه الأمر فيخطىء في ذلك، إذ أن القراءة التي ذكرها هي في حرف آخر فيستدرك عليه السمين ويتعقبه ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في «الرشاد» في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1]

قال: «وقرأ معاذ بن جبل[2] بتشديدها ـ أي الشين ـ «الرشَّاد» قال ابن عطية: «ويبعدُ عندي على معاذ ـ رضي الله عنه ـ وهل كان فرعون يدّعي إلا الإلهية؟ ويقلق بناء اللفظ على هذا التركيب».

قلت: يعني ابن عطية أنه كيف يقول فرعون ذلك، فيقر بأن ثم من يهدي إلى الرشاد غيره، مع أنه يدعي أنه إله؟ وهذا الذي عزاه ابن عطية والزمخشري وابن جبارة صاحب «الكامل» إلى معاذ بن جبل من القراءة المذكورة ليس في «الرشاد» الذي هو في كلام فرعون كما توهموا، وإنما هو في «الرشاد» الثاني الذي من قول المؤمن بعد ذلك. ويدل على ذلك ما قاله أبوالفضل الرازي في كتابه «اللوامح»: «معاذ بن جبل «سبيل الرشاد»، الحرف الثاني بالتشديد، وكذلك الحسن، وهو سبيل الله تعالى الذي أوضحه لعباده، كذلك فسره معاذ...»[3].

فقد التبس الأمر على الهذلي فنسب قراءة معاذ بن جبل «الرشاد» بتشديد الشين إلى الحرف الأول وهو قول فرعون: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[4] وهذا خطأ إذ أن قراءة معاذ إنما هي في الحرف الثاني وهو قول الرجل المؤمن: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[5].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي. شهد العقبة. كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله، بعثه رسول الله إلى اليمن ليعلم أهلها، توفي سنة سبع أو ثمان عشرة (السير ١/ ٤٤٣).

(٣) الدر المصون ٩/ ٤٧٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٨.

الفصل الثاني
مصادره من كتب إعراب القرآن والغريب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **مصادره من كتب إعراب القرآن.**

المبحث الثاني: **مصادره من كتب الغريب.**

المبحث الأول

مصادره من كتب إعراب القرآن[1]

١ ـ **التبيان:** لأبي البقاء العكبري.

٢ ـ **مشكل إعراب القرآن:** لمكي بن أبي طالب.

٣ ـ **معاني القرآن وإعرابه:** لأبي إسحاق الزجاج.

٤ ـ **معاني القرآن:** لأبي زكريا الفراء.

٥ ـ **إعراب القرآن:** لإبي جعفر النحاس.

٦ ـ **معاني القرآن:** لأبي الحسن الأخفش.

---

(١) قمت بترتيب هذه الكتب بحسب كثرة نقل السمين عنها.

١ـ التبيان في إعراب القرآن
لأبي البقاء العكبري

التعريف بالمؤلف:

الإمام العلامة النحوي البارع محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري وُلد سنة ٥٣٨هـ. كان نحوياً فقيهاً. وكان جمّاعة لفنون من العلم والمصنفات.

له مصنفات حسان في إعراب القرآن وقراءته، وإعراب الحديث والنحو واللغة العربية. وشرح «المقامات الحريرية» و«شعر أبي الطيب المتنبي». وكتاب «إعراب القرآن» وكتاب «شرح الإيضاح» و«اللباب» في علل النحو وغير ذلك. توفي سنة ٦١٦هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

كتاب العكبري من خير الكتب التي أُلفت في إعراب القرآن، فقد جمع بين إعرابه للقرآن كاملاً، وبين الاختصار في الإعراب، ويتلخص منهجه في النقاط التالية:

١ ـ إعراب جميع آيات القرآن الكريم مرتب السور على ترتيب المصحف.
٢ ـ إيراد أهم وجوه القراءات مع بيان وجه إعرابها.
٣ ـ لم يشغله البحث في الإعراب عن المعنى، فكان يشير إلى معنى الآية والكلمة والجملة في كثير من الأحيان، ويبين وجوه المعاني في القراءات التي ترد في الآية.
٤ ـ الاستشهاد بالشعر العربي.

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ٢/ ١١٦، وفيات الأعيان ٣/ ١٠٠، والسير ٢٢/ ٩١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٨ وطبقات المفسرين ١/ ٢٣١ والشذرات ٥/ ٦٧).

٥ ـ ذكر القواعد النحوية العامة التي يعتمد عليها في الإعراب مع تأييد رأيه برأي النحاة المتقدمين[١].

(١) انظر مقدمة تحقيق الكتاب لعلي محمد البيجاوي.
ومن الجدير بالتنبيه هنا: أن هذا الكتاب قد اشتهر باسم «إملاء ما من به الرحمن في وجوه القراءات وإعراب القرآن» مع أنه ليس الاسم الحقيقي له، بل اسمه الحقيقي كما جاء في النسخ الخطية للكتاب هو «التبيان في إعراب القرآن». (ذكر هذا البيجاوي في مقدمة تحقيقه للتبيان).

طرق نقله عنه:

التزم السمين الأمانة العلمية في النقل عن أبي البقاء، فنسب أقواله إليه، وكان كثيراً ما ينقل نص كلامه أو أنه يشير إلى رأيه في مسألة من المسائل.

١ ـ نقل النص:

وأمثلة هذا النوع كثيرة ـ كما أشرت سابقاً ـ منها:

عند إعراب «فيها» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١].

قال: قال أبو البقاء[٢]: ولا يكون «فيها» الخبر لأن الفائدة تقل، إذ الفائدة في جعل الأزواج لهم[٣].

وقد ينقل السمين نص كلام أبي البقاء ثم يشرحه.

عند إعراب «ما» في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[٤].

قال السمين: «قال أبو البقاء: «ويضعف أن يكون نكرة موصوفة»[٥].

يعني أن الذي سألوه شيء معين فلا يحسن أن يجابوا بشيء مبهم[٦].

٢ ـ النقل بالمعنى.

عند بيان نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[٧].

قال: «قوله: «إلا من ظلم» ذكر أن في ذلك قولين: منها أنه متصل ثم قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.
(٢) التبيان ١/ ٢٥.
(٣) الدر المصون ١/ ٢١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٥) التبيان ١/ ٣٩.
(٦) الدر المصون ١/ ٣٩٦.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

وإذا قيل بأنه متصل فقيل: هو مستثنى من «أحد» المقدر الذي هو فاعل للمصدر، فيجوز أن تكون «من» في محل نصب على أصل الاستثناء أو رفع على البدل من «أحد» وهو المختار، ولو صُرّح به لقيل: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء إلا المظلوم، أو المظلوم رفعاً ونصباً، ذكر ذلك مكي وأبو البقاء[1] وغيرهما»[2].

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

وعباراته في ذلك: (وأجاز أبو البقاء)، (وإليه مال أبو البقاء)[3] (واختاره أبو البقاء)[4].

ومثال ذلك: عند إعراب: «من الثمرات» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا﴾[5].

قال السمين[6]: «وأجاز أبو البقاء أن يكون «من الثمرات» حالاً من «رزقاً» لأنه لو تأخر لكان نعتاً، فعلى هذا يتعلق بمحذوف»[7].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

نقل السمين عن أبي البقاء كثيراً حتى لا تكاد تخلو آية من ذكرٍ لرأي أبي البقاء إما في إعرابها أو في توجيه قراءاتها، مما دفعني لأقول إنه لو فُقِد كتاب أبي البقاء لاستطعنا جمع كثير من مادته من «الدر المصون».

أما المجال الذي غلب عليه في النقل فهو مجال الإعراب وذلك بحكم تخصص التبيان في هذا المجال. بالإضافة إلى نقله عنه في توجيه أو ذكر بعض

---

(١) التبيان (١/ ٢٠٠).
(٢) الدر المصون ٤/ ١٣٤.
(٣) انظر مثال ذلك في: (١/ ١٨٩).
(٤) انظر مثال ذلك في: (١/ ٢٠٢).
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢.
(٦) الدر المصون ١/ ١٩٣.
(٧) التبيان ١/ ٢٤.

القراءات الشاذة وبعض المواد اللغوية. فالمجالات هي:

١ ـ الإعراب:

وأمثلته كثيرة جداً، حتى إن السمين يكاد يذكر رأي العكبري في إعراب كل آية ومع أنه غالباً يتعقبه في ذلك.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «من» في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾[١] ذكر ثلاثة أوجه، الثاني منها: أن تكون نكرة موصوفة ذكره أبو البقاء[٢]. والحكم فيها ما تقدم من كونها في محل نصب أو رفع[٣]. »
أي في محل نصب بفعل محذوف، أو في محل رفع بالابتداء.

٢ ـ القراءات:

وينقل السمين عن أبي البقاء بعض القراءات الشاذة. ومن ذلك: عند ذكر القراءات في «اشتروا» في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[٤] ذكر أن هناك من يضم الواو وهو المشهور، وهناك من يكسرها... ثم قال: «وقال أبو البقاء[٥]: ومنهم من يختلسها، فيحذفها لالتقاء الساكنين وهو ضعيف جداً، لأن قبلها فتحة، والفتحة لا تدل عليها»[٦].

٣ ـ اللغة:

وينقل السمين عن أبي البقاء في المجال اللغوي.

وهذا مثال نقل عنه في تصريف كلمة «آية» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
(٢) التبيان ١/ ٦٢.
(٣) الدر المصون ٢/ ١٠٩.
(٤) في سورة البقرة الآية: ١٦.
(٥) التبيان ١/ ٢٠.
(٦) الدر المصون ١/ ١٥٢.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٤١.

قال السمين: ومذهب الفرّاء أنها «فَعْلة» بسكون العين، واختاره أبوالبقاء. قال[1]: «لأنها مِنْ تأيَّا القوم أي اجتمعوا، وقالوا في الجمع: آياء، فظهرت الياء الأولى، والهمزة الأخيرة بدل من ياء، ووزنه أفْعال، والألف الثانية بدل من همزةٍ هي فاء الكلمة، ولو كانت عينها واواً لقالوا في الجمع: آواء، ثم إنهم قلبوا الياء الساكنة ألفاً على غير قياس»[2].

موقفه مما ينقله عنه:

من خلال تتبعي لنقول السمين عن أبي البقاء وجدت أنه كثيراً ماكان ينتقد أباالبقاء في أقواله في الإعراب وغيره، حتى إننا لو قلنا إنه لم ينقل عنه إلا ليتتبعه ويرد عليه لم يكن ذلك مبالغة.

بل إن السمين قد صَرّح في مقدمته لكتابه بأنه مهتم بمناقشة العكبري فقال: «وذكرت كثيراً من المناقشات الواردة على أبي القاسم الزمخشري وأبي محمد بن عطية ومحب الدين أبي البقاء. . .»[3].

المجالات التي استدرك عليه فيها:

١ ـ الإعراب:

الأمر الواضح في نقول السمين عن أبي البقاء في مجال الإعراب هو استدراكاته الكثيرة عليه، فالسمين ينتقد العكبري في أعاريبه إما لمخالفتها للصناعة النحوية أو فساد المعنى المترتب عليها، أو هما معاً. وسأضرب لذلك أمثلة.

أ ـ استدراكه على أبي البقاء في الإعراب لمخالفته للصناعة النحوية. ومن أمثلة ذلك:

---

(١) التبيان ١/ ٣٢.

(٢) الدر المصون ١/ ٣٠٨.

(٣) الدر المصون (١/ ٥).

١ ـ عند إعراب «هو الهدى» في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[١] قال: «وأجاز أبو البقاء[٢] فيه أن يكون توكيداً لاسم إن، ثم قال السمين: «وهذا لا يجوز فإن المضمر لا يُؤكّد المظهر»[٣].

٢ ـ عند إعراب «إلا الذين» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

قال السمين: «فيه ثلاثة أوجه، ثالثها: أنه مبتدأ، وخبره الجملة من قوله: «فأولئك مع المؤمنين». قيل: ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ باسم الشرط قال أبو البقاء[٥] ومكي وغيرهما: «مع المؤمنين» خبر «أولئك»، والجملة خبر «إلا الذين» والتقدير: فأولئك مؤمنون مع المؤمنين.

قال السمين: «وهذا التقدير لا تقتضيه الصناعة، بل الذي تقتضيه الصناعة أن يُقدر الخبر الذي يتعلق به هذا الظرف شيئاً يليق به، وهو «فأولئك مصاحبون أو كائنون أو مستقرون» ونحوه، فتقدره كوناً مطلقاً أو ما يقاربه»[٦].

ب ـ استدراكه على أبي البقاء بعض أعاريبه لضعف المعنى المترتب عليها:

عند إعراب «بغير علم» في قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٧].

قال: «وقوله «بغير علم» فيه وجهان. أحدهما: أنه نعت لمصدر محذوف أي: خرقوا له خرقاً بغير علم قاله أبو البقاء[٨] وهو ضعيف المعنى»[٩].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٢) التبيان ١/ ٦١.
(٣) الدر المصون ٢/ ٩٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٥) التبيان ١/ ١٩٩.
(٦) الدر المصون ٤/ ١٣٢.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.
(٨) التبيان ١/ ٢٥٥.
(٩) الدر المصون ٥/ ٨٧.

جـ ـ استدراكه على أبي البقاء بعض أعاريبه لمخالفتها الصناعة والمعنى.

مثال ذلك: عند إعراب «سبع سموات» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[1].

قال: «في نصبه خمسة أوجه، منها: أنه مفعول به، والأصل: فسوىٰ منهن سبع سموات، وشبهوه بقوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين﴾[2] أي من قومه قاله أبو البقاء[3] وغيره.

ثم قال السمين: وهذا ضعيف لوجهين، أحدهما: بالنسبة إلى اللفظ، الثاني: بالنسبة إلى المعنى. أما الأول: فلأنه ليس من الأفعال المتعدية لاثنين أحدهما بإسقاط الخافض لأنها محصورة في أمر واختار وأخواتهما. الثاني: أنه يقتضي أن يكون ثمّ سموات كثيرة، سوّىٰ من جملتها سبعاً وليس كذلك»[4].

وينتقد السمين على أبي البقاء بعض أقواله في الإعراب التي لم يُسبق إليها وبذلك فهو يتهمه بمخالفة المتقدمين.

انظر مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾[5].

قال السمين: «قال أبو البقاء[6]: «ما تبعوا» أي: لا يتبعوا فهو ماض في معنى المستقبل، ودخلت «ما» حملاً على لفظ الماضي، وحذفت الفاء في الجواب لأن فعل الشرط ماضٍ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٢) الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٣) التبيان ١/ ٢٧.
(٤) الدر المصون ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.
(٦) التبيان ١/ ٦٨.

قال السمين: «وهذا من أبي البقاء يُؤذن أن الجواب للشرط وإنما حذفت الفاء لكون فعل الشرط ماضياً، وهذا منه غير مَرْضَيٍّ؛ لأنه خالف البصريين والكوفيين بهذه المقالة»[1].

*** وقد يستدرك السمين على أبي البقاء ويبين أن خطأه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان.**

مثال ذلك: عند بيان متعلق الجار والمجرور في لفظ الجلالة «الله» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[2].

قال: وأجاز أبوالبقاء[3] أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «وجهه» قال السمين: «وفيه نظرٌ لا يخفىٰ»[4].

ويتتبع السمين أباالبقاء فينتقده في استدراكاته على بعض المعربين.

ومثال ذلك: عند توجيه قراءة الجماعة «وأنَّ» بفتح الهمزة وتشديد النون في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[5]. ذكر أن في ذلك أربعة أوجه، منها: أنها في محل جر نسقاً على الضمير المجرور في «به» أي: ذلكم وصاكم به وبأن هذا، وهو قول الفراء أيضاً، وردّه أبوالبقاء[6] بوجهين، أحدهما: العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار. والثاني: أنه يصير المعنى: وصاكم باستقامة الصراط وهذا فاسد.

قال السمين: «والوجهان مردودان (ثم ذكر رده على الوجهين)[7].

---

(١) الدر المصون ٢/ ١٦٥، وانظر أيضاً مثالاً آخر في ٢/ ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٣) التبيان ١/ ١٩٥.
(٤) الدر المصون ٤/ ٩٨. ولمزيد من الأمثلة انظر ٣/ ٦٥١، ٦٥٢، ٦٨٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٦) التبيان ١/ ٢٦٥.
(٧) الدر المصون ٥/ ٢٢٤.

وقد يتهم السمين أباالبقاء في بعض أقواله في الإعراب بأنها لا حاجة لها[1] أو بالتناقض في أقواله[2]، أو بأن فيها تطويلاً من غير فائدة[3]، أو بالتكلف[4].

٢ـ استدراكاته عليه في اللغة:

ومن أمثلة ذلك: عند الحديث عن كلمة «حسبان» في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾[5]. قال: فيه قولان، أحدهما: أنه جمع فقيل: جمع حساب..، وقال أبوالبقاء: «هو جمع حسبانه»[6].

قال السمين: «وهو غلط، لأن الحُسْبانة القطعة من النار، وليس المراد ذلك قطعاً»[7].

عند الحديث عن همزة «وراء» في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾[8]. قال السمين: «وفي همزه قولان، الثاني: أنها من ياء لقولهم: تَوَارَيْتَ قاله أبوالبقاء[9]، وفيه نظر»[10].

٣ـ استدراكه عليه في القراءات:

١ ـ استدراكه عليه تضعيف بعض القراءات:

لقد تعقب أبوالبقاء بعض القراءات المتواترة واستضعفها من حيث اللغة أو النحو فاستدرك عليه السمين هذا الموقف.

---

(١) انظر مثال ذلك في (٢/ ٤٤، و٥/ ٤٦٠).
(٢) انظر مثال ذلك في (٣/ ٥٧٨، ١/ ١٢٥).
(٣) انظر مثال ذلك (٢/ ٣٤٣ـ ٣٤٤).
(٤) انظر مثال ذلك في (١٠/ ١٢٨).
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.
(٦) التبيان ١/ ٢٥٤.
(٧) الدر المصون ٥/ ٦٤.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٩١.
(٩) التبيان ١/ ٥١.
(١٠) الدر المصون ١/ ٥١٤.

ومثال ذلك: عند الحديث عن قراءة ابن كثير وهشام[1]، ﴿أرجِئْه﴾[2] بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع.

قال السمين: «واستضعف أبوالبقاء[3] قراءة ابن كثير وهشام فإنه قال: «وأَرْجِئْه» يُقرأ بالهمز وضم الهاء من غير إشباع وهو الجيد، وبالإشباع وهو ضعيف؛ لأن الهاء خفيَّة، فكأن الواو التي بعدها تتلو الهمزة، وهو قريبٌ من الجمع بين الساكنين، ومن ههنا ضَعُف قولُهم: «عليهي مال» بالإشباع».

قلت: «وهذا التضعيف ليس بشيء؛ لأنها لغةٌ ثابتة عن العرب أعني إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقاً، وقد تقدم أن هذا أصل لابن كثير ليس مختصاً بهذه اللفظة، بل قاعدته: كل هاء كناية بعد ساكن أن يُشْبع حركتها حتى يتولد منها حرف مد نحو: «منهو وعنهو وأرجئهو» إلا قبل ساكن فإن المد يحذف لالتقاء الساكنين إلا في موضع واحد رواه عنه البزي وهو «عنهو تلهى» بتشديد التاء»[4].

٢ ـ استدراكه عليه عدم اطلاعه على بعض القراءات.

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في «هارون» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[5].

قال السمين: وقُرِىء شاذاً «هارونُ» بالضم. وفيه وجهان.. (ثم ذكر تخريجها) ثم قال: وقال أبوالبقاء[6]: «ولو قُرِىء بالرفع... ثم ذكر أبوالبقاء الوجهين اللذين يخرج بهما القراءة». واستدركه عليه السمين قائلاً: كأنه لم يطلع على أنها قراءة»[7].

---

(١) هشام بن عمار بن نصيرة بن ميسرة أبوالوليد السلمي الدمشقي إمام أهل دمشق ومقرئهم ومحدثهم. كان مشهوراً بالنقل والفصاحة. توفي سنة ٢٤٥هـ (طبقات القراء ٢/ ٣٥٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١١.

(٣) التبيان ١/ ٢٨١.

(٤) الدر المصون ٥/ ٤١١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(٦) التبيان ١/ ٢٨٤.

(٧) الدر المصون ٥/ ٤٤٨.

٢ـ مشكل إعراب القرآن
لمكي بن أبي طالب

التعريف بالكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب من الكتب المختصرة في إعراب القرآن فقد ركّز فيه مؤلفه على المشكل من الإعراب ولقد أبان مكي عن منهجه فقال في مقدمة كتابه هذا: «. . . وقد رأيت أكثر من ألّف الإعراب طوّله بذكره لحروف الخفض وحروف الجزم وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول واسم إن وخبرها في أشباه لذلك يستوي في معرفتها العالم والمبتدىء، وأغفل كثيراً مما يحتاج إلى معرفته من المشكلات فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب وذكر علله وصعبه ونادرة ليكون خفيف المحمل سهل المأخذ قريب المتناول لمن أراد حفظه والاكتفاء به. . .

ثم يبيّن مكي طبيعة كتابه هذا ومن هو الشخص المهيأ لقراءته والاستفادة منه فيقول: «ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو إلا الخافض والمخفوض والفاعل والمفعول والمضاف والمضاف إليه والنعت والمنعوت في أشباه لهذا، إنما ألّفناه لمن شدا طرفاً منه وعلم ظواهره وجملاً من عوامله وتعلّق بطرف من أصوله. . .»[١].

ويلخص الدكتور/ حاتم الضامن[٢] منهج مكي في المشكل في النقاط التالية:

١ ـ إعراب الآيات المشكلة في نظره من كل سورة فهو ينتقل من آية إلى أخرى حسب ترتيبها وقد تتقدم بعض الآيات في مواضع قليلة ونراه يورد الغث

---

(١) المشكل ص٦٤.

(٢) انظر: مقدمته في تحقيق المشكل ص٢٨ـ٢٩.

والسمين في إعراب هذه الآيات وقد يستحسن بعضها ويرد على بعضها الآخر، وكثيراً ما يقوم بدور الرواية فقط وهو لا يخلي كتابه من اختلاف البصريين والكوفيين، ويهتم كثيراً بالقضايا الصرفية.

٢ ـ يستعين بالتفسير ـ أحياناً ـ لتوضيح المعنى وصحة الإعراب.

٣ ـ كثرة القراءات في كتابه فهو يتتبع القراءات ويذكرها مفصّلة مع تبيين وجوهها ويتحدث كثيراً عن الوقف والابتداء.

٤ ـ قلة الاستشهاد بالحديث والشعر.

٥ ـ الاستطرادات الكثيرة.

طريقته في النقل عنه:

التزم السمين الأمانة في النقل عن مكي، فنسب أقواله إليه. وقد تنوعت طرق نقل السمين عنه كالتالي:

١ ـ النقل بالنص:

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن الترجيح بين قراءة الجمهور برفع «ذو» وقراءة النصب[١] «ذا» في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[٢] ذكر أن الجمهور على ترجيح قراءة العامة ثم نقل أن مكياً[٣] قال: «وإن وقع ذو عسرة»، وهو سائغ في كل الناس، ولو نصبت «ذا» على خبر «كان» لصار مخصوصاً في ناس بأعيانهم، فلهذا أجمع القراء المشهورون على رفع «ذو»[٤].

٢ ـ النقل بالمعنى:

وقد يتصرف السمين في كلام مكي فينقل معناه.

مثال ذلك: عند إعراب «إلا قليلاً» في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ

---

(١) وهي قراءة عبدالله وأُبَيٍّ وعثمان. انظر: البحر ٢/ ٣٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٣) المشكل ١/ ١٤٣.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٤٥.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. ذكر السمين أن في ذلك ثلاثة أوجه فقال: أحدها: أنه منصوب على الاستثناء من «لعنهم» أي: لعنهم الله إلا قليلاً منهم، فإنهم آمنوا فلم يلعنهم، والثاني: أنه مستثنى من الضمير في «فلا يؤمنون» والمراد بالقليل عبدالله بن سلام[2] وأضرابه.

ثم ذكر أن مكياً لم يستحسن هذين الوجهين فقال: «ولم يستحسن مكي[3] هذين الوجهين: أما الأول قال: «لأن من كفر ملعون لا يستثنى منهم أحد. وأما الثاني: فلأن الوجه الرفع على البدل؛ لأن الكلام غير موجب»[4].

٣ ـ الإشارة إلى رأيه:

وقد يكتفي السمين في النقل عن مكي بالإشارة إلى رأيه.

وعباراته في ذلك: (وإليه نحا مكي[5]) (وإليه ذهب مكي[6]) (ورجحه مكي[7]).

مثال ذلك: عند بيان الناصب لـ «يوم» في قوله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[8] ذكر أن في ذلك أوجهاً عدة منها: أن يكون منصوباً بالمصير، وإليه نحا الزجاج وابن الأنباري ومكي وغيرهم»[9].

٤ ـ وقد يقتبس الفكرة من مكي ويصوغها من عنده ثم يأتي بنص كلام مكي:

مثال ذلك: عند بيان فائدة حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٢) عبدالله بن سلام، أبوالحارث الإسرائيلي. الإمام الحبر. المشهود له بالجنة. توفي سنة ٤٣هـ. (السير ٢/ ٤١٣).

(٣) المشكل ١/ ١٩٩.

(٤) الدر المصون ٣/ ٦٩٩.

(٥) انظر مثال ذلك في الدر المصون ٣/ ١١٥.

(٦) انظر مثال ذلك في الدر المصون ٤/ ٤٢٩، ٤٦٣.

(٧) انظر مثال ذلك في الدر المصون ٢/ ١٨١.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٩) الدر المصون ٣/ ١١٤، ١١٥.

ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾[1].

قال: «وفي قوله «قالا ربنا»: فائدة حذف حرف النداء هنا تعظيم المنادىٰ وتنزيهه قال مكي[2]: «ونداء الربِّ قد كثر حذف «يا» منه في القرآن، وعلة ذلك أن في حذف «يا» من نداء الرب معنى التعظيم والتنزيه، وذلك أن النداء فيه ظرف من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يازيد فمعناه: تعال يازيد، أدعوك يازيد، فحذفت «يا» من نداء الرب ليزول معنى الأمر وينقص لأن «يا» تؤكده وتُظهر معناه فكان في حذف «يا» الإجلال والتعظيم والتنزيه»[3].

المجالات التي نقل عنه فيها:

يُعدُّ «المشكل» من المصادر التي أكثر السمين النقل عنها، ويكاد يكون هو الكتاب الرئيس الذي اعتمد عليه السمين لإيضاح المشكل في إعراب القرآن فقد نقل عنه في أكثر من (٣٤٤) موضعاً.

وقد نقل عنه في المجالات التالية:

١ ـ الإعراب:

وينقل السمين عن مكي في إعراب الآيات المشكلة وفي غيرها.

مثال النوع الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[4] قال السمين: «هذه الآية مما ينبغي أن يُطوّل فيها القول لإشكالها واضطراب أقوال الناس فيها.

وقد نقل السمين عن مكي عند إعرابه هذه الآية المشكلة، وذلك في إعراب «كلالة». إذ قال: إن في إعرابها أربعة أوجه، الرابع منها: أنها نعت لمصدر محذوف إن قيل: إنها بمعنى الوراثة أي يورث وراثة كلالة وقدّر مكي في هذا الوجه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٥.
(٢) المشكل ١/ ٢٨٥.
(٣) الدر المصون ٥/ ٢٨٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢.

حذف مضاف قال[1]: تقديره ذات كلالة»[2].

وقد ينقل قوله في إعراب الآيات غير المشكلة.

مثال ذلك: عند إعراب «أو أشد ذكراً» في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[3]. قال: وأما نصبه ـ أي نصب أشد ـ فمن أوجه، الثالث منها: قاله مكي[4]: «أن يكون منصوباً بإضمار فعلٍ، قال: وتقديره: فاذكروه ذكراً أشد من ذكركم لآبائكم، فيكون نعتاً لمصدر في موضع الحال، أي: اذكروه بالغين في الذكر»[5].

٢ ـ الصرف:

مثال ذلك: عند حديثه عن كلمة «أشياء» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾[6] فقد ذكر فيها خمسة مذاهب، وقد تردد اسم مكي لديه في قولين، هذا أحدهما:

قال السمين: «المذهب الثاني: أن أشياء جمع لـ«شيء» والأصل في شيء: شَيِّيء على فَيْعِل كـ«ليّن» ثم خُفف إلى «شيء» كما خففوا ليّناً وهيّناً وميّتاً إلى لَيْن وهَيْن ومَيْت، ثم جمعه بعد تخفيفه، وأصله «أشيئاء» بهمزتين بينهما ألف بعد ياء بزنة أفعلاء فاجتمع همزتان: لام الكلمة والتي للتأنيث، والألف تشبه الهمزة والجمع ثقيل، فخففوا الكلمة بأن قلبوا الهمزة الأولى ياء لانكسار ما قبلها، فيجتمع ياءان أولاهما مكسورة، فحذفوا الياء التي هي عين الكلمة تخفيفاً فصارت أشياء، ووزنها الآن بعد الحذف أفلاء فمنع الصرف لأجل ألف التأنيث، وهذه

---

(١) المشكل ١/ ١٩٢.
(٢) الدر المصون ٣/ ٦٠٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
(٤) المشكل ١/ ١٢٤.
(٥) الدر المصون ٢/ ٣٣٩.
(٦) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

طريقة بعضهم في تصريف هذا المذهب كمكيّ بن أبي طالب[1]»[2].

٣ـ تخريج القراءات:

ومن أمثلة ذلك: عند تخريج قراءة العامة في «تخاصم» بالرفع، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[3].

قال السمين: «العامة على رفع «تخاصم» مضافاً لأهل، وفيه أوجه، منها: أنه بدل من «ذلك» على الموضع، حكاه مكي[4]»[5].

وعند قوله تعالى: «سواء» في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[6].

قال: العامة على النصب، وفيه أوجه، أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدّر أي: استوت استواء، قاله مكي[7]..»[8].

موقف السمين مما ينقله عن مكي:

لقد وقف السمين مواقف متباينة مما ينقله عن مكي من أقوال وآراء، فكان يرتضي ويقبل ما كان منها صحيحاً موافقاً لقواعد النحو وسياق الكلام كما يراه السمين، ويردّ ما كان منها مخالفاً لأصول الصناعة النحوية أو لمعنى الآية. فكان ميزان السمين في قبول أو ردّ أقوال مكي الأصول السابقة بتجرد علمي. وقد بلغ ذلك التجرد العلمي والإنصاف غايتهما إذ كان ينقل عن مكي قولين في مسألة من المسائل فيقبل أحدهما ويردّ الآخر[9].

---

(١) المشكل ١/ ٢٣٨ـ٢٣٩.
(٢) الدر المصون ٤/ ٤٣٥.
(٣) سورة ص، الآية: ٦٤.
(٤) المشكل ١/ ٦٢٩.
(٥) الدر المصون ٩/ ٥٩٤.
(٦) سورة فصلت، الآية: ١٠.
(٧) المشكل ١/ ٦٤٠.
(٨) الدر المصون ٩/ ٥٠٩.
(٩) انظر مثال ذلك في الدر ٣/ ٤٤٦.

١ ـ موقف الاستحسان والموافقة :

قد ينقل السمين بعض أقوال مكي في الإعراب ويستحسنها فيرجحها على غيرها من الأعاريب .

مثال ذلك : عند إعراب «إلا أن تكون تجارة» في قوله تعالى : ﴿ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً ﴾[١] . قال السمين : «في هذا الاستثناء قولان ، أحدهما : أنه متصل . . . والثاني : أنه منقطع ، قال مكي ابن أبي طالب[٢] : «وأن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع» .

ثم رجّح السمين قول مكي فقال عنه : وهذا هو الظاهر ، كأنه قيل : لكنّ التجارة الحاضرة فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكَتْب فيها»[٣] .

٢ـ موقف التعقب والمناقشة :

تعقب السمين مكياً في عدة مجالات هي :

١ ـ في الإعراب :

فلقد كان السمين شديد التمسك بالصناعة النحوية ولذا فإنه يرد على مكي إذا خالفها .

مثال ذلك : عند إعراب «مع المؤمنين» في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤] . قال السمين : «قال أبو البقاء ومكي[٥] وغيرهما : «مع المؤمنين» خبر «أولئك» ، والجملة خبر «إلا الذين» والتقدير : فأولئك مؤمنون مع المؤمنين .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .
(٢) المشكل ١/ ١٤٥ .
(٣) الدر المصون ٢/ ٦٧٣ .
(٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٦ .
(٥) المشكل ١/ ٢١١ .

وعلّق السمين على هذا التقدير فقال: «وهذا التقدير لا تقتضيه الصناعة، بل الذي تقتضيه الصناعة أن يُقدّر الخبر الذي يتعلق به هذا الظرف شيئاً يليق به، وهو «فأولئك مصاحبون أو كائنون أو مستقرون ونحوه، فتقدره كوناً مطلقاً أو ما يقاربه»[1].

أيضاً: عند إعرابه «آية» في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[2]

قال السمين: «وجوّز مكي[3] أيضاً أن تكون «آية» مبتدأ و«الأرض» خبره. ويستدرك السمين إعراب مكي السابق فيقول: «وهذا ينبغي أن لا يجوز؛ لأنه لا تعزل المعرفة من الابتداء بها، ويُبتدأ بالنكرة إلا في مواضع للضرورة»[4].

وقد يردّ إعراباً لمكي لفساده من حيث المعنىٰ.

مثال ذلك: عند إعراب «الذين استجابوا» في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[5] قال: «فيه ستة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ، وخبره قوله: «للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر» وقال مكي هنا[6]: «وخبره: من بعدما أصابهم القرح».

قال السمين معلقاً على كلام مكي: وهذا غلط لأن هذا ليس بمفيد البتة، بل «من بعد» متعلق باستجابوا»[7].

---

(١) الدر المصون ٤/ ١٣٢.
(٢) سورة يس، الآية: ٣٣.
(٣) المشكل ١/ ٦٠٣.
(٤) الدر المصون ٩/ ٢٦٥. وانظر أمثلة أخرى في (٢/ ٦١٥، ٣/ ١٥، ٤/ ١٣٢، ٥/ ٢٣٨، ٩/ ٥١٠، ١٠/ ٢٥٠).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.
(٦) المشكل ١/ ١٧٨ـ١٧٩.
(٧) الدر المصون ٣/ ٤٨٧ـ٤٨٨.

وقد يتعقب السمين مكياً في استدراكاته على بعض المعربين[1].

ويستدرك السمين على مكي في الصرف:

مثال ذلك: عند الحديث عن كلمة «ديّاراً» في قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2]. قال مكي[3]: «وأصله دَيْوار، ثم أدغموا الواو في الياء مثل «ميّت» أصله ميوت، ثم أدغموا الثاني في الأول. ويجوز أن يكون أبدلوا من الواو ياء، ثم أدغموا الياء الأولى في الثانية».

قال السمين: «قوله: «أدغموا الثاني في الأول» هذا لا يجوز؛ إذ القاعدة المستقرة في المتقاربين قلب الأول للثاني، ولا يجوز العكس إلا شذوذاً، أو لضرورة صناعية...»[4].

استدراك السمين على مكي في القراءات.

١ ـ في تخريج بعض القراءات:

وفيما سبق أمثلة لذلك.

٢ ـ عدم اطلاعه على بعض القراءات:

ويعيب السمين على مكي عدم اطلاعه على بعض القراءات، إذ أن مكياً قد يأتي لتوجيه قراءة ثم يذكر بعد ذلك جواز وجه إعرابي في الآية، في حين أن ذلك الوجه قد قُرىء به. وأمثلة هذا النوع كثيرة، إليك طرفاً منها:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[5]. قال السمين: «والجمهور على «الحقِّ» جراً، وقرىء منصوباً على

---

(١) من أمثلة ذلك (٣/ ٤٢٢، ١١/ ٣٣، ١٨٥).

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٣) المشكل ١/ ٦٧٢.

(٤) الدر المصون ١٠/ ٤٧٧ـ٤٧٨.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٠.

أحد وجهين: إما على القطع، وأصله أنه تابع فقُطع بإضمار «أمدح»... ، وإما أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو «رُدّوا إلى الله»... قال مكي[1]: «ويجوز نصبه على المصدر ولم يقرأ به».

قال السمين: كأنه لم يطلع على هذه القراءة!!»[2].

٢ـ عند ذكر القراءات في «ثلاثة» و«خمسة» في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[3]. قال السمين: «وقرأ ابن أبي عبلة «ثلاثةً» و«خمسةً» نصباً على الحال. ثم نقل كلاماً عن مكي منه، قوله ـ أي مكي ـ[4]: «... ولو نصبت «ثلاثة» على الحال من الضمير المرفوع إذا جعلت «نجوى» بمعنى المتناجين جاز في الكلام».

قال السمين معلقاً على كلامه: «.. وأما النصب فقد عرفت من قرأ به فكأنه لم يطلع عليه»[5].

٣ـ تضعيفه بعض القراءات:

وقد يحكي مكي استبعاد بعض العلماء لبعض القراءات المتواترة من غير تعقب لهذا الاستبعاد، فيتتبع السمين هذا الاستبعاد ويجيب عنه.

مثال ذلك: عند حديثه عن القراءات في قوله «فجزاء مثل ما قتل من النعم» في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[6].

---

(١) المشكل ١/ ٣٤٤.

(٢) الدر المصون ٦/ ١٩٤ـ١٩٥.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) المشكل ١/ ٧٢٢.

(٥) الدر المصون ١٠/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ولمزيد من الأمثلة راجع: ٣/ ٤٣٤، ٤/ ٣٧٣، ٥/ ٨٥، ٣٣٧، ٦/ ٢٠٢، ٨/ ٦٠٩، ٩/ ٦٨٢، ١٠/ ١٦٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٩٤، ٦٠٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

قال: «وقرأ أهل الكوفة: «فجزاءٌ مثل» بتنوين جزاء ورفع «مثل». وباقي السبعة برفعه مضافاً إلى «مثل».

ثم قال بعد ذلك: وأما ما قرأه باقي السبعة فاستبعدها جماعة، وذكر منهم الواحدي ومكي قال: قال مكي[1]: «ولذلك بعدت القراءة بالإضافة عند جماعة؛ لأنها توجب جزاءً مثلَ الصيدِ المقتول».

وقد ردّ السمين على مكي فقال: «ولا التفات إلى هذا الاستبعاد فإن أكثر القرّاء عليها. وقد أجاب الناس عن ذلك بأجوبة سديدة، لما خفيت على أولئك طعنوا في المتواتر...»[2].

---

(١) المشكل ١/ ٢٣٦.

(٢) الدر المصون ٤/ ٤١٩. وانظر مثالين آخرين في (٥/ ١٩، ١٦٥).

٣ـ معاني القرآن وإعرابه
للزجـــاج

التعريف بالمؤلف:

الإمام النحوي أبوإسحاق إبراهيم بن محمد السريّ الزجاج البغدادي: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب. كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو فلزم المبرد. ثم أدّب القاسم بن عبدالله الوزير[١] فكان سبب غناه. له مصنفات منها: «معاني القرآن» وكتاب «الاشتقاق» و«النوادر» وغيرها توفي سنة ٣١١هـ[٢].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ «معاني القرآن وإعرابه» من المراجع القيّمة في إعراب القرآن والكشف عن معانيه، وهو من الكتب المتقدمة في هذا الفن، وقد أفاد منه عدد من جهابذة علماء اللغة والتفسير.

منهجـــه:

منهج الزجاج في كتابه: أنه يبدأ بعد ذكر الآية باختيار ألفاظ منها ليحللها على طريقته في الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدل عليه، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردّها جميعاً إلى أصل واحد، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب شعراً أو نثراً، ويناقش النحاة.

ويذكر الزجاج القراءات القرآنية المشهورة ويبين على ضوئها المعاني، وقد يختار أحد المعاني بناء على قراءة ويورد كذلك القراءات الشاذة في أثناء

---

(١) القاسم بن عبدالله الوزير، توفي سنة ٢٩١هـ. (الشذرات ٣/ ٣٨٥).

(٢) انظر: (إنباه الرواة ١/ ١٩٤) و(وفيات الأعيان ١/ ٤٩) و(السير ١٤/ ٣٦٠) و(بغية الوعاة ١/ ٤١١) و(الشذرات ٢/ ٢٥٩).

المناقشات النحوية واللغوية.

ويُعنى الزجاج بتفسير القرآن بالقرآن، فيستشهد على المعنى الذي يشرحه في آية بما يذكر في آية أخرى، وينتبه إلى التوفيق بين الآي القرآني المتفقة موضوعاً المتباينة مواضعاً في القرآن. ويقف الزجاج بعض المواقف التي تبين بعض أسرار البلاغة القرآنية[1].

(١) انظر مقدمة د/ عبدالجليل شلبي في تحقيق المعاني للزجاج. وكتاب/ مناهج في التفسير د/ مصطفى الجويني ص٩٣ـ١٠٣.

طرق نقله عنه:

تنوعت طرق نقل السمين عن الزجاج حسب حاجة الموضع التي ينقل فيه، فمرة ينقل نص كلامه وأخرىٰ يأتي بمعنى كلامه ومضمونه، وثالثة يشير إلى اختياره ورأيه في مسألة من المسائل.

١ ـ نقل نص كلامه:

مثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «الرفث» في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١]. قال: «وقال الزجاج[٢]: . . . «إن الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة»[٣].

٢ ـ النقل بالمعنىٰ:

مثال ذلك: عند بيان معنى «أل» في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾[٤]. قال: «. . . وقال الزجاج[٥] ـ وتبعه الزمخشري ـ: إنها ليست للعهد، ولم يرد باليوم معيناً، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك: «كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشيب» لا تريد بالأمس قبل يومك ولا باليوم الزمن الحاضر. . .»[٦].

٣ ـ الإشارة إلى رأيه:

ويُعبّر السمين عن ذلك بعدة تعابير: (إليه ذهب الزجاج) (وهو قول الزجاج) و(إليه ميل الزجاج) (وإلى هذا نحا الزجاج).

ومثال ذلك: عند إعراب «الكذب» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٥.
(٣) الدر المصون ٢/ ٢٩٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٤٧.
(٦) الدر المصون ٤/ ١٩٨.

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[1]. قال: «العامة على فتح الكاف وكسر الذال ونصب الياء. وفيه أربعة أوجه، أظهرها: أنه منصوب على المفعول به وناصبه «تصف» و«ما» مصدرية، ويكون معمول القول الجملة من قوله: «هذا حلال وهذا حرام» و«لما تصف» علة للنهي عن القول بذلك وإلى هذا نحا الزجاج[2]...»[3].

وقد يشير السمين إلى اختيار الزجاج ثم يأتي بمعنى كلامه.

مثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير في «ليأخذوا» في قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[4] قال: «وقيل: يعدو على طائفة أخرى وهي التي تحرس المصلِّية. واختار الزجاج[5] عوده على الجميع قال: «لأنه أهيب للعدوّ»[6].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

لقد تميّز كتاب الزجاج بأن جعل الإعراب والمعنى قسيمان، فاهتم بالمعنى كما اهتم بالإعراب لما بينهما من ارتباط وثيق لا يخفىٰ.

لذا فقد تركز نقل السمين في جانبين:

١ ـ الإعراب. وهو الغالب.

٢ ـ اللغة.

١ ـ ومثال نقله عنه في الإعراب والنحو:

عند بيان جواب «لمّا» الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٢٢.
(٣) الدر المصون ٧/ ٢٩٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٩٧.
(٦) الدر المصون ٤/ ٨١.

عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟﴾[1].

قال: «واختلف النحويون في جواب «لمّا» الأولى والثانية. فذهب الأخفش والزجاج[2] إلى أن جواب الأولى محذوف تقديره: ولمّا جاءهم كتاب كفروا به»[3].

٢ ـ اللغة:

والسمين ينقل عنه في مجال بيان معاني الكلمات ومثال ذلك:

عند بيان معنى النجوى في قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾[4] قال السمين: «وقال الزجاج[5]: النجوىٰ ما تفرّد به الاثنان فأكثر سراً كان أو ظاهراً»[6].

وينقل عنه في مجال الفروق اللغوية. ومثال ذلك:

عند الحديث عن القراءات في «كره» بضم الكاف وهي قراءة الجمهور، وفتحها وهي قراءة السلمي[7] هل بينهما فرق أو لا؟ عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[8].

قال: «قيل: هما بمعنى واحد، أي. مصدران كالضَّعف والضُّعف، قاله الزجاج[9]»[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٢) معاني القرآن ١/ ١٤٦.
(٣) الدر المصون ١/ ٥٠٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٥) معاني القرآن ٢/ ١١٤.
(٦) الدر المصون ٤/ ٩٠.
(٧) عبدالله بن حبيب الكوفي، أبوعبدالرحمن السلمي الضرير مقرىء الكوفة. تعلم القرآن من عثمان بن عفان. انتهت إليه القراءة تجويداً وضبطاً. (طبقات القراء ١/ ٤١٣).
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
(٩) معاني القرآن ١/ ٢٨٠.
(١٠) الدر المصون ٢/ ٣٨٦.

موقفه مما ينقله عنه:

للسمين شخصيته المستقلة ـ كما أسلفت ـ في كل الجوانب، ومنها نقوله عن العلماء والمفسرين والنحاة، وتبعاً لمنهج السمين المطّرد في كتابه هذا حيال نقولاته عن العلماء، فهو يستحسن ويوافق ما يراه صواباً، ويتعقب ما يراه خطأ ـ في نظره ـ.

ومن هؤلاء النحاة المعربين الزجاج، فقد نقل عنه ووافقه في مواضع وتتبعه في بعض المواضع فاستدرك عليه:

ويمكن أن نصنف تعقبات السمين للزجاج في ثلاثة مجالات هي:

١ ـ النحو والإعراب.

ومثال ذلك عند إعراب «طيناً» في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[١].

قال: «فيه أوجه، . . . الثالث: أنه منتصب على التمييز، قاله الزجاج[٢]، وتبعه ابن عطية. قال السمين متعقباً ذلك: ولا يظهر ذلك إذ لم يتقدم إبهام ذات ولا نسبة»[٣].

٢ ـ اللغة:

مثال ذلك عند الحديث عن كلمة «مهيمن» في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٤].

فقد ذكر السمين أن ابن قتيبة سقط سقطة فاحشة حيث زعم أن «مهيمناً» مصغر، وأن أصله «مؤيمن» تصغير «مؤمن» اسم فاعل، ثم قلبت همزته هاء

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦١.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٤٩.
(٣) الدر المصون ٧/ ٣٧٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

كهراق. ثم عاب السمين على الزجاج استحسانه لهذا الرأي الشاذ والمردود فقال: «إلا أن الزجاج قال: وهذا حسن على طريق العربية، وهو موافق لما جاء في التفسير من أن معنى مهيمن: مؤمن»[1] وهذا الذي قاله الزجاج واستحسنه أنكره الناس عليه وعلى المبرد ومن تبعهما. . .»[2].

١ ـ القراءات:

وقد تجرأ الزجاج فضعَّف بعض القراءات المتواترة لسبب نحوي أو لغوي ـ كما يراه ـ فقام السمين بالردّ عليه بإثبات صحة تلك القراءات من حيث اللغة والنحو.

مثال ذلك: عند قراءة أبي عمرو البصري في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ﴾[3] بإسكان الهاء في «يؤده».

قال السمين: «وقد طعن بعضهم على هذه القراءة فقال الزجاج[4]: «هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيِّن، لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تُجزم فلا تسكن في الوصل وأما أبوعمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغُلِط عليه كما غُلِط عليه في «بارئكم» وقد حكى سيبويه ـ وهو مناط لمثل هذا ـ أنه كان يكسر كسراً خفياً، يعني بكسر في «بارئكم» كسراً خفياً فظنه الراوي سكوناً».

قال السمين: «وهذا الردّ من الزجاج ليس بشيء لوجوه منها: أنه فرّ من السكون إلى الاختلاس والذي نص على أن السكون لا يجوز نص على أن الاختلاس أيضاً لا يجوز، بل جعل الإسكان في الضرورة أحسن منه في الاختلاس، قال: «ليجري الوصل مجرى الوقف إجراء كاملاً». . . ومنها: أن هذه لغة ثابتة عن العرب حفظها الأئمة الأعلام كالكسائي والفراء، وحكى الكسائي عن

---

(١) معاني القرآن ٢/ ١٩٧.
(٢) الدر المصون ٤/ ٢٨٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٤) معاني القرآن ١/ ٤٣٩.

بني عُقيل وبني كلاب: «إن الإنسان لربه لكنود» بسكون الهاء وكسرها من غير إشباع..»[1].

(١) الدر المصون ٣/ ٢٦٢ـ٢٦٣. وانظر أيضاً مثالاً (٦/ ٣١٦ـ٣١٧).

تنبيه: وينقل السمين عن الزجاج في عدة مواضع مما ليس في كتاب الزجاج المطبوع.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان الهمزة في «أفضتم» في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

قال السمين: فيها وجهان، أحدهما: أنها للتعدية فيكون مفعوله محذوفاً تقديره: أفضتم أنفسكم، وهذا مذهب الزجاج وتبعه الزمخشري، وقدره الزجاج فقال: «معناه: دفع بعضكم بعضاً»/ الدر المصون ٢/ ٣٣٠.

ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ١٧٩، ٣٨٠) (٣/ ٣٢٦) (٥/ ١٦١) (٩/ ٥٥٨).

٤ـ معاني القرآن
للفـــــرّاء

التعريف بالمؤلف:

هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي، إمام العربية أبوزكريا المعروف بالفرّاء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه وعليه اعتمد. كان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال.

صنف «معاني القرآن» و«المصادر في القرآن» و«الجمع والتثنية في القرآن»... توفي سنة ٢٠٧هـ في طريق مكة[١].

التعريف بالكتاب:

منهج الفرّاء في التفسير قائم أولاً على الثقافة العربية الأصيلة التي تستمد عناصرها من كتاب الله والحديث، ثم التفاسير النقلية عن الرسول والصحابة والتابعين، ثم العربية لغتها وأدبها وتاريخها ويمكن تلخيص منهجه في كتابه «معاني القرآن» فيما يلي:

١ ـ اهتمامه بالقراءات.

٢ ـ اعتماده على النحو في التفسير. فقد اهتم بالصنعة النحوية في كتابه.

٣ ـ اهتمامه بمفردات اللغة الواردة في تفسيره.

٤ ـ استشهاده بالشعر.

٥ ـ وقوفه أمام الأسلوب القرآني وقفات جمالية[٢].

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٦/ ١٧٦)، و(بغية الوعاة ٢/ ٣٣٣) و(طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: مناهج التفسير ـ مصطفى الجويني ص٤٨، ومنهج الفراء في كتابه «معاني القرآن» رسالة ماجستير مقدمة من حسين محمد شريف بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين. إشراف د/ محمود شبكة ـ رحمه الله ـ ١٤٠٥هـ. والمصدر السابق أيضاً.

طريقة نقله عنه:

تنوعت طرق السمين في النقل عن الفرّاء، ولكن غلب عليه النقل بالمعنى أو المضمون والإشارة إلى اختياره أو مذهبه، وقلّ إتيانه بنص كلامه قلة ظاهرة.

١ ـ النقل بالنص:

وقد تتبعت كثيراً من المواضع نقل فيها السمين عن الفرّاء ثم قارنتها بكتاب الفراء فوجدت إتيانه بنص كلامه قليل جداً.

ومن أمثلته: عند بيان معنى «نبات كل شيء» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[١] بعد أن ذكر قولين في معنى الإضافة السابقة، قال: «والفرّاء[٢] له في هذه الآية القولان المتقدمان فإنه قال: «زرق كل شيء» قال: وكذا جاء في التفسير وهو وجه الكلام وقد يجوز في العربية أن تضيف النبات إلى كل شيء وأنت تريد بكل شيء النبات أيضاً، فيكون مثل قوله «حق اليقين» واليقين هو الحق»[٣].

وقد ينص على النقل من كتابه فيذكر اسم كتاب الفرّاء[٤].

٢ ـ النقل بالمعنى:

وهذا هو الغالب في نقل السمين من الفراء ـ كما سبق الإشارة إليه ـ.

وقد يأتي بعبارة مقاربة لعبارة الفرّاء.

عند إعراب «وهو محرّم» في قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[٥] ذكر أن في إعراب هذه الآية وجوها منها:

قوله: «السادس: أجاز الكوفيون أن يكون «هو» عماداً ـ وهو الذي يسميه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.
(٢) معاني القرآن ١/ ٣٤٧.
(٣) الدر المصون ٥/ ٦٨.
(٤) انظر الدر المصون ٤/ ٦٣٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

البصريون ضمير الفصل ـ قُدّم مع الخبر لما تقدم، والأصل: وإخراجهم هو محرّم عليكم، فإخراجهم مبتدا، ومحرّم خبره، وهو عماد، فلما قُدم الخبر قدم معه، قال الفرّاء[1]: لأن الواو هنا تطلب الاسم، وكل موضع تطلب فيه الاسم فالعماد جائز[2].

٣ـ الإشارة إلى اختياره:

وقد يذكر السمين اختيار الفرّاء في مسألة، وعباراته في ذلك: (وإليه نحا الفرّاء)[3] (وإليه ذهب الفرّاء)[4] (وأجاز الفراء)[5] (وهو قول الفرّاء)[6].

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «أياماً» في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[7] قال: في نصبه اربعة أوجه، . . . الرابع: أن ينتصب بكُتب: إما على الظرف وإما على المفعول به توسعاً، وإليه نحا الفرّاء[8] . . »[9].

المجالات التي ينقل السمين عنه فيها:

١ ـ النحو والإعراب:

نظراً لتحرر السمين من تبعية المذاهب النحوية ـ وإن كان صاحب نزعة بصرية ـ فقد نقل أقوال الفرّاء ـ وهو كوفي المذهب ـ في كثير من المواضع في كتابه «الدّر».

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «وأن هذا صراطي مستقيماً» في قوله تعالى:

---

(١) معاني القرآن ١/ ٥١.
(٢) الدر المصون ١/ ٤٨٦.
(٣) انظر مثال ذلك في (٢/ ٢٦٩).
(٤) انظر مثال ذلك في (١/ ٣٠٨، ٢/ ٢٤٣).
(٥) انظر مثال ذلك في (١/ ٥١٠).
(٦) انظر مثال ذلك في (٥/ ٢٢٣).
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.
(٨) معاني القرآن ١/ ١١٢.
(٩) الدر المصون ٢/ ٢٦٩.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[1] قال: فيها أربعة أوجه، أحدها ـ وهو الظاهر ـ أنها في محل نصب نسقاً على ما حرّم أي: أتل ما حرم وأتل أن هذا صراطي، والمراد بالمتكلم النبي ﷺ لأن صراطه صراط الله ـ عزوجل ـ وهذا قول الفرّاء[2] قال: وبفتح «أن» مع وقوع «أتل» عليها يعني: أتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً»[3].

٢ ـ اللغـة:

ينقل عنه في بيان معاني الكلمات، وفي الفروق اللغوية، وفي اللغات.

ومثال نقله عنه في بيان معنى كلمة. عند بيان معنى كلمة «الخوف» في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[4]. قال: والخوف فيه ثلاثة أوجه، الثالث منها: أنه بمعنى الظن. قاله الفراء[5]»[6].

ومثال نقله عنه في الفروق اللغوية.

عند بيان هل هناك فرق بين حصر وأحصر، عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾[7] قال السمين: وهل حصر وأحصر بمعنى أو بينهما فرق؟ خلاف بين أهل العلم، فقال الفراء[8] والزجاج والشيباني[9] إنهما بمعنىً، يقالان

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) معاني القرآن ١/ ٣٦٤.
(٣) الدر المصون ٥/ ٢٢٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٥) معاني القرآن ١/ ١٤٦.
(٦) الدر المصون ٢/ ٤٥١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(٨) معاني القرآن ١/ ١١٧.
(٩) هو إسحاق بن مِرار أبوعمرو الشيباني الكوفي قال الخطيب: كان أبوعمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث، كثير السماع، نبيلاً فاضلاً، عالماً بكلام العرب، حافظاً للغاتها، عُمّر طويلاً. من مصنفاته: كتاب الجيم، والنوادر، والخيل وغيرها. توفي سنة ٢٥٦ وقيل غيرها (بغية الوعاة ١/ ٤٣٩).

في المرض والعدُوِّ جميعاً»[1].

ومثال نقله عنه في اللغات:

عند ذكر القراءات في «مسكنهم» في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾[2] ذكر أن في ذلك لغات للعرب، فقد قرأ الكسائي: بكسر الكاف «مسكِنهم».

ثم قال: «وقال الفرّاء:[3] هي لغة يمانية فصيحة».[4]

موقفه مما ينقله عنه:

١ ـ الاستدراك عليه في النحو والإعراب:

مع إجلال السمين للفرّاء وتقديره لمكانته في علم النحو والإعراب إلا أنه قد تتبع بعض أعاريبه بالنقد مع تعجبه كيف تصدر منه تلك الأقوال والأعاريب.

عند إعراب «من آمن» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[5].

ذكر أن في ذلك أربعة أوجه، وقال: الرابع: أن «من آمن» في محل رفع على الابتداء والخبر قوله: ﴿**فأولئك لهم جزاء الضعف**﴾ وقال الفراء[6]: «هو في موضع رفع تقديره: ما هو المقرب إلا من آمن» وهذا لا طائل تحته. وعجبت من الفراء كيف يقوله؟!»[7].

ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[8]

---

(١) الدر المصون ٢/ ٣١٣.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٥.
(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٥٧.
(٤) الدر المصون ٩/ ١٧٠.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٧.
(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٦٣.
(٧) الدر المصون ٩/ ١٩٠.
(٨) سورة الحديد، الآية: ١٢.

قال السمين: «وقال مكي: «وأجاز الفراء[1] نصب «جنات» على الحال ويكون «اليوم» خبر «بشراكم» قال: وكون «جنات» حالاً له لا معنى له، إذ ليس فيها معنى فِعْل. وأجاز أن يكون «بشراكم» في موضع نصب على «يبشرونهم بالبشرى، وتُنصب «جنات» بالبشرى. وكلّه بعيد لأنه لا يُفصل بين الصلة والموصول باليوم» انتهى.

قال السمين: «وعجيب من الفراء كيف يصدر منه ما لا يُتعقل، وما لا يجوز صناعته، كيف تكون «جنات» حالاً وماذا صاحب الحال؟»[2].

وقد يردّ عليه إعرابه بردّ أحد العلماء.

عند بيان «ما» في قوله: «بما غفر لي» ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾[3]. قال: والثالث: أنها استفهامية، وإليه ذهب الفرّاء[4] وردّه الكسائي: بأنه كان ينبغي حذف ألفها لكونها مجرورة وهو ردّ صحيح»[5].

٢ ـ الاستدراك عليه في اللغة:

عند الحديث عن كلمة «هود» في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[6]. قال: وفي هود ثلاثة أقوال، . . . الثالث: ـ وهو قول الفراء[7] ـ أن أصله «يهود» فحذفت الياء من أوله، وهذا بعيد جداً»[8].

وقال في موضع آخر مؤكداً ما سبق: «وقد تقدم أن الفراء يدعى أن هوداً

---

(١) معاني القرآن، ٣/ ١٣٢.
(٢) الدر المصون ١٠/ ٢٤٢.
(٣) سورة يس، الآية: ٢٧.
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤.
(٥) الدر المصون ٩/ ٢٥٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٧) معاني القرآن ١/ ٧٣.
(٨) الدر المصون ٢/ ٧٠.

أصله: يهود فحذفت ياؤه»[1].

٣ ـ والسمين يتعقب الفرّاء في تخطئته لبعض القرّاء:

مثال ذلك: عند حديثه عن قراءة[2] أمِرْنا» بكسر الميم في قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا . . .﴾[3] قال: «وقد ردَّ الفرَّاء[4] هذه القراءة، ولا يلتفت لرده لثبوتها لغة بنقل العدول، وقد نقلها قراءة عن ابن عباس أبوجعفر وأبوالفضل الرازي في «لومحه» فكيف تُردُّ؟»[5].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٧٤.

(٢) وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وعكرمة. انظر: الشواذ ٧٥، والمحتسب ٢/ ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٤) معاني القرآن ٢/ ١١٩.

(٥) الدر المصون ٧/ ٣٣٠.

٥ـ إعراب القرآن
للنحـــــاس

التعريف بالمؤلف:

هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي أبوجعفر النحاس النحوي المصري. كان من أهل العلم بالفقه والقرآن. رحل إلى العراق وسمع من الزجاج وأخذ عنه النحو. وكان واسع العلم، غزير الرواية، كثير التآليف. له تصانيف في القرآن والنحو منها: إعراب القرآن ومعاني القرآن والناسخ والمنسوخ والكافي في أصول النحو، وشرح أبيات سيبويه وغيرها. توفي سنة ٣٣٨هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعد كتاب «إعراب القرآن» أول كتاب وصل إلينا خالصاً في علم إعراب القرآن، ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب، وإن كان سبقه الفرّاء في «معاني القرآن» والزجاج في معانيه غير أنهما جمعا بين الإعراب والمعنى، أما النحاس فقد أفرد لكل جانب كتاباً فجعل للإعراب هذا الكتاب وللمعاني كتاباً آخر هو: معاني القرآن.

وقد جمع النحاس في إعرابه آراء مختلف المذاهب النحوية بصريها وكوفيها وبغداديها، وكان يحاول أن يعرض آراء النحويين إذا كانت كلها مقبولة أو ينتقي منها ما يراه صواباً ويردّ ما يراه يستحق الرد والتخطئة واهتم فيه بالقراءات وكانت نظرته إليها نظرة نحوية إذ كان يقيس على الأشهر الأغلب في اللغة ويرفض الشاذ، وكان يحتج للقراءة التي عليها الإجماع، ويرد ما لا يوافق قراءات العامة.

وقد اعتمد من جاء بعد النحاس على كتابه هذا وأفادوا منه، ومن أبرز من

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ١/ ١٣٦، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، والسير ١٥/ ٤٠١، وبغية الوعاة ١/ ٣٦٢، والشذرات ٢/ ٣٦٤).

أفاد منه مكي بن أبي طالب في «المشكل». وأبوالبركات بن الأنباري[1] في كتابه «البيان في غريب إعراب القرآن»[2].

طرق نقله عنه:

١ ـ النقل بالنص:

مثال ذلك: عند الحديث عن القراءات في «أنما» في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾[3]. قال السمين: وقرأ يحيى بن وثاب[4] بالغيبة ـ يعني «يحسبن» ـ، وكسر «إنما» ثم ذكر توجيه هذه القراءة وآراء العلماء فيها، حيث قال: وقال النحاس[5]: «وقراءة يحيى ابن وثاب بكسر «إن» حسنة، كما تقول: حسبت عمراً أبوه خارج»[6].

٢ ـ النقل بالمعنى:

وينقل السمين معنى كلام النحاس، بل قد يصرح بأنه ينقل معنى كلامه. ومثال ذلك: عند إعراب «نذيراً» في قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾[7] ذكر أن في ذلك عدة أوجه، منها: أنها مفعول من أجله، أو أنها: حال وصاحب الحال فيه خلاف كثير قال السمين: وإذا جعلت حالاً من مؤنث فإنما لم تؤنث لأنها بمعنى ذات إنذار، على معنى النسب. قال معناه أبوجعفر[8]»[9].

---

(١) عبدالرحمن بن محمد أبوالبركات كمال الدين الأنباري النحوي. لازم ابن الشجري حتى برع وصار المشار إليه في النحو. كان ورعاً زاهداً، عفيفاً فقيهاً. توفي سنة ٥٧٧هـ. (البغية ٢/ ٨٦).

(٢) قدم المحقق د/ زهير غازي زاهد بمقدمة هامة تناول فيها منهج النحاس في هذا الكتاب والكتب التي اعتمد عليها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٤) يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي. تابعي ثقة من العباد الأعلام. تعلم القرآن من عبيد بن نضلة آية آية وعرض عليه. توفي سنة ١٠٣هـ (معرفة القراء ١/ ٦٢، طبقات القراء ٢/ ٣٨).

(٥) إعراب القرآن ١/ ٣٠٨.

(٦) الدر المصون ٣/ ٥٠١.

(٧) سورة المدثر، الآية: ٣٦.

(٨) هو النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٥٤٨.

(٩) الدر المصون ١٠/ ٥٥٣.

ولكن في الغالب لا يصرح بأن ما نقله هو معنى كلام النحاس، ومن الأدلة على ذلك:

عند بيان المراد بالكتاب والفرقان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[1] ذكر السمين أن في ذلك خلافاً أهما بمعنى واحد أم بينهما فرق؟

فهناك من يقول أنهما بمعنى واحد كأنه قيل: الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقاناً يفرق بين الحق والباطل نحو رأيت الغيث والليث.

أو لأنه لما اختلف اللفظ جاز ذلك كقوله:

فَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لراهِشَيْهِ وأَلْفَى قولَها كَذِباً وَمَيْنا[2]

قال النحاس[3]: «هذا ما يجوز في الشعر، فالأحسن أن يراد بالفرقان ما علمه الله موسى من الفرق بين الحق والباطل..»[4].

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

عند بيان أصل كلمة «آل» عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[5]. قال: وذهب النحاس[6] إلى أن أصله «أهل» أيضاً، إلا أنه قلب الهاء ألفاً من غير أن يقلبها أولاً همزة، وتصغيره عنده «أُهيل»[7].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

لا شك أن المجال الرئيس الذي ينقل عنه فيه هو مجال الإعراب بحكم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٣.

(٢) البيت لـ: عدي بن زيد، وهو في ديوانه ١٨٣. والأديم: النِّطْع، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

(٣) إعراب القرآن ١/ ١٧٥.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٥٨ـ٣٥٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

(٦) إعراب القرآن ١/ ١٧٢ـ١٧٣.

(٧) الدر المصون ١/ ٣٤١.

تخصص كتاب النحاس فيه.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «ولا المشركين» في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

قال: «وقال النحاس: ويجوز: ولا المشركون بعطفه على «الذين»[2]» اهـ.

عند إعراب «شطر» في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[3] قال: ويجوز أن ينتصب «شطر» على الظرف المكاني فيتعدى الفعل لواحد وهو قول النحاس»[4].

وقد ينقل السمين عن النحاس في مجالات أُخر: كمجال اللغة. في بيان اشتقاق كلمة، أو بيان معناها.

مثال ذلك: عند بيان اشتقاق كلمة «مقيتاً» عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾[5]. قال: «وقال النحاس: هو مشتق من القوت، وهو مقدار ما يحفظ به بدن الإنسان من الهلاك»[6].

مثال نقله عنه في بيان معنى كلمة. عند بيان معنى كلمة «مناص» في قوله تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[7]. قال: قال أبوجعفر النحاس: «ناص ينوص أي: تقدم فيكون من الأضداد»[8].

موقفه مما ينقله عنه:

كان موقف السمين مما ينقله عن النحاس تبعا لاقتناعه بصحة ما ينقله، فكان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٢) الدر المصون ٢/ ٥٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.
(٤) الدر المصون ٢/ ١٦١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٥.
(٦) الدرالمصون ٤/ ٥٦.
(٧) سورة ص، الآية: ٣.
(٨) الدر المصون ٩/ ٣٥٧.

يقبل ما يراه صواباً من كلامه، ويرد ويناقش ما يراه خطأ.

ومن أمثلة قبوله واستحسانه لكلام النحاس: عند الحديث عن سبب حذف الألف من «بسم» في قوله ﴿بسم الله﴾ ذكر عدة آراء منها: أنه لا حذف أصلاً، وذلك لأن الأصل «سمٌ» أو «سُم» بكسر السين أو ضمها فلما دخلت الباء سكنت العين تخفيفاً؛ لأنه وقع بعد الكسرة كسرة أو ضمة، وهذا حكاه النحاس وهو حسن»[1]. وفيما سبق أمثلة لهذا النوع.

٢ ـ موقف الرد والمناقشة:

أ ـ في مجال الإعراب:

مثال ذلك: عند إعراب: «أن لا يعذبهم» في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[2] قال: في «أنْ» وجهان، الثاني: أنها زائدة وهو قول الأخفش. قال النحاس: لو كانت كما قال لرفع يعذبهم» يعني النحاس فكان ينبغي أن يرتفع الفعل على أنه واقع موقع الحال كقوله: ﴿**ومالنا لا نؤمن بالله**﴾[3].

قال السمين: ولكن لا يلزم من الزيادة عدم العمل. ألا ترى أن «مِنْ» والباء تعملان وهما مزيدتان»[4].

ومثال آخر: عند تخريج قراءة أبي عمرو بالواو ونصب الفعل بعدها في قوله: «ويقول» في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[5] قال: «اختلف الناس فيها على ثلاثة أوجه، الثاني منها: أنه منصوب عطفاً على المصدر قبله، وهو الفتح كأنه قيل: فعسى الله أن يأتي بالفتح وبأنْ

---

(١) الدر المصون ١/ ٢١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٤.
(٤) الدر المصون ٥/ ٥٩٩.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٣.

يقول: أي وبقول، الذين آمنوا، وهذا الوجه ذكره أبوجعفر النحاس[1] ونظروه بقول الشاعر:[2]

لَلُبْسُ عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشُّفوفِ

قال السمين: وهذا مردود من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يؤدي ذلك إلى الفصل بين أبعاض الصلة بأجنبي، وذلك أن الفتح على قوله مؤول بـ «أن» والفعل تقديره: أن يأتي بأن يفتح وبأن يقول، فيقع الفصل بقوله: «فيصبحوا» وهو أجنبي لأنه معطوف على «يأتي».

الثاني: أن هذا المصدر ـ وهو الفتح ـ ليس يراد به انحلاله لحرف مصدري وفعلٍ، بل المراد به مصدر غير مراد به ذلك نحو: يعجبني ذكاؤك وعلمك.

الثالث: أنه وإن سُلّم انحلاله لحرف مصدري وفعل فلا يكون المعنى على: فعسىٰ الله أن يأتي بأن يقول الذين آمنوا، فإنه ناب عنه بنواً ظاهراً»[3].

ب ـ انتقاده في ردّ بعض القراءات:

طعن النحاس في بعض القراءات الشاذة من حيث اللغة أو النحو، بل إنه قد وصل طعنه إلى بعض القراءات المتواترة، ولقد وقف له السمين بالمرصاد فانتقده في ذلك وردّ عليه.

أمثلة لانتقاده في رده لبعض القراءات المتواترة:

منها: عند قراءة حمزة «يخافا» بضم الياء على البناء للمفعول في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[4].

---

(١) إعراب القرآن ١/ ٥٠٣.

(٢) البيت لبيسون بنت بحدل. وهو في الكتاب ١/ ٤٢٦.

(٣) الدر المصون ٤/ ٣٠٢ـ٣٠٣. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٦٠٧، ٤/ ٥٣١، ٦/ ٦٢، ١١٩، ٩/ ٤١٦).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

قال السمين: وقد استشكل هذه القراءة قوم وطعن عليها آخرون، لا علم لهم بذلك فقال النحاس[1]: «لا أعلم في اختيار حمزة أبعد من هذا الحرف؛ لأنه لا يوجبه الإعراب ولا اللفظ ولا المعنى: أما الإعراب فلأن ابن مسعود قرأ: «إلا أن تخافوا ألا يقيموا» فهذا إذا رُدّ في العربية لما لم يُسم فاعله كان ينبغي أن يقال: «إلا أن يُخاف». وأما اللفظ: فإن كان على لفظ «يخافا» وجب أن يقال: فإن خيف، وإن كان على لفظ «خفتم» وجب أن يقال: «إلا أن تخافوا. وأما المعنى: فاستبعد أن يقال: «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخاف غيركم، ولم يقل تعالى: ولا جناح عليكم أن تأخذوا له منها فدية، فيكون الخلع إلى السلطان والفرض أن الخلع لا يحتاج إلى السلطان».

قال السمين: وقد ردّ الناس على النحاس: أما ما ذكره من حيث الإعراب فلا يلزم حمزة ما قرأ به عبدالله.

وأما من حيث اللفظ فإنه من باب الالتفات كما قدمته أولاً، ويلزم النحاس أنه كان ينبغي على قراءة غير حمزة أن يقرأ: «فإن خافا» وإنما هو في القراءتين من الالتفات المستحسن في العربية. وأما من حيث المعنى فلأن الولاة والحكام هم الأصل في رفع التظالم بين الناس وهم الآمرون بالأخذ والإتيان[2].

---

(١) إعراب القرآن ١/ ٢٦٥.

(٢) الدر المصون ٢/ ٤٤٩ـ٤٥٠ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٦٤٦، ٣/ ٤٩٧، ٤/ ١٩٢، ٥/ ١٦٢، ٦/ ٤١٣ـ٤١٤، ٧/ ٩٠، ٣٤٦، ٨/ ٤٣٥).

٦ـ معاني القرآن
للأخفـــــش

التعريف بالمؤلف:

هو أبوالحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي بالولاء، النحوي المعروف بالأخفش الأوسط. أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. وكان من أئمة العربية، وكان يقول: «ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه». من مصنفاته: «معاني القرآن»، و«الأوسط» في النحو، و«الاشتقاق» وغيرها. توفي سنة ٢١٥هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ هذا الكتاب من الكتب الأولى في دراسة القرآن الكريم، فهو و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفرّاء من كتب المعاني الأساسية والهامة. وقد ألّفه بعد اتصاله بالكسائي ببغداد.

منهجـــه:

١ ـ يفسر القرآن بالقرآن. فالكتاب مليء بالآيات القرآنية في كل جوانب دراسته اللغوية.

٢ ـ تناول القراءات القرآنية في دراسته واستدل بها على رأيه الذي يذهب إليه في تفسيره اللغوي. وكان يذكر القراءات أحياناً دون تحليل، وأحياناً كان يعلل لها ويدرسها دراسة صرفية أو نحوية. وقد ربط بين القراءة والمعنى ويؤخذ عليه ردّ بعض القراءات.

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٢/ ٣٨) و(السير ١/ ٢٠٦) و(بغية الوعاة ١/ ٥٩٠) و(طبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٩١) و(شذرات الذهب ٢/ ٣٦).

٣ ـ اهتم الأخفش بالشواهد الشعرية وأغفل عزو كثير منها، وكان أحياناً يشرح غريب الشاهد.

٤ ـ أورد كثيراً من أقوال العرب، وجعل قدراً كبيراً مما سمعه منهم مادة يقيس عليها كثيراً في دراسته اللغوية، وأفاد من ذلك أيضاً في فهم معاني الآيات. وذكر كثيراً من لغات القبائل واعتمد عليها في بيان وجوه القراءات المختلفة.

٥ ـ تعرض لدراسة دلالات الألفاظ وعالج قضاياها. واهتم بالدراسات النحوية. وتعرض أيضاً لدراسة الأصوات اللغوية فبين مخارج الحروف وبيّن صفاتها[١].

طرق نقله عنه:

اتبع السمين في نقله عن الأخفش عدة طرق، فتارة ينقل بالنص، وأخرى بالمعنى، وأحياناً يشير إلى رأيه في مسألة أو إعراب.

١ ـ النقل بالنص:

عند إعراب «وقرآن الفجر» في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٢]. ذكر أن في ذلك أوجهاً، منها: أنه منصوب على الإغراء. ثم نقل نص كلام الأخفش في تقدير الناصب، فقال: «أي وعليك قرآن الفجر كذا قدره الأخفش[٣]»[٤].

٢ ـ النقل بالمعنى:

وقد ينقل السمين مضمون كلام الأخفش ولا يلتزم بإيراد نصه، فيتصرف فيه بتقديم وتأخير.

---

(١) لمزيد من دراسة منهج الأخفش انظر: مقدمة/ فائز أبوفارس في تحقيق «معاني القرآن» ١/ ٧٠ـ١١٠. ومقدمة/ عبدالأمير أمين الورد في تحقيق «معاني القرآن» ١/ ١١ـ٨٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٥.

(٤) الدر المصون ٧/ ٣٩٨.

مثال ذلك: عند بيان سبب توحيد «أم الكتاب» في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

قال: «قال الأخفش[2]: وحّد «أم الكتاب» بالحكاية على تقدير الجواب كأنه قيل: ما أم الكتاب؟ فقال: هن أم الكتاب، كما يقال: من نظير زيد؟ فيقول قوم: «نحن نظير» كأنهم حكوا ذلك اللفظ، وهذا على قولهم: دعني من تمرتان أي: مما يقال له تمرتان»[3].

٣ـ الإشارة إلى رأيه:

ومن أمثلة ذلك: عند الحديث عن كلمة «استوقد» في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[4] قال السمين: «واستوقد استفعل بمعنى أفعل، نحو: استجاب بمعنى أجاب. وهو رأي الأخفش[5]»[6].

ومن العبارات التي يشير بها إلى رأيه: قوله: (وهذا قول الأخفش)[7] (وهو رأي الأخفش)[8] (إليه ذهب الأخفش)[9] (وهذا مذهب الأخفش)[10].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

نقل السمين عن الأخفش في مجالين هما: الإعراب، واللغة وهما المجالان اللذان اعتنى بهما الأخفش في كتابه «المعاني».

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٩٤.
(٣) الدر المصون ٣/ ٢٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨.
(٥) معاني القرآن، ١/ .
(٦) الدر المصون ١/ ١٥٩.
(٧) انظر مثال ذلك في (٥/ ٦٤).
(٨) انظر مثال ذلك في (١/ ٤٦٠ و٥١٢).
(٩) انظر مثال ذلك في (١/ ١٤٨، ٣٩٢، ٥٠٥) (٩/ ٢٠).
(١٠) انظر مثال ذلك في (٣/ ١٢٩) (٦/ ٩٦).

١ ـ الإعـــراب:

ومثال ذلك: عند إعراب «بغياً» في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[١] قال: «فيه أوجه، منها: أنه مفعول من أجله، العامل فيه «اختلف» والاستثناء مفرغ والتقدير: وما اختلفوا إلا للبغي لا لغيره. ثم ذكر بعد ذلك قولين، ثم قال: والأول قول الأخفش[٢]»[٣].

ومثال آخر: عند إعراب «فويل» في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤].

قال: «ونصّ الأخفش على جواز النصب فإنه قال[٥]: «ويجوز النصب على إضمار فعل أي: ألزمهم الله ويلاً»[٦].

٢ ـ اللغـــة:

ينقل عنه في ذكر بعض اللغات الواردة في كلمة.

مثال ذلك عند ذكر اللغات في كلمة «قيل» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٧].

قال: «قال الأخفش[٨]: ويجوز «قيل» بضم القاف والياء»[٩].

وينقل عنه في مجال الصرف. مثال ذلك: عند الحديث عن وزن كلمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) معاني القرآن ١/ ٤٠١.
(٣) الدر المصون ٣/ ٩٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٥) معاني القرآن (١/ ٢٩٩).
(٦) الدر المصون ١/ ٤٤٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١١.
(٨) معاني القرآن ١/ ١٩٦.
(٩) الدر المصون ١/ ١٣٤.

«معايش» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[1].

قال: فيها ثلاثة مذاهب، مذهب سيبويه والخليل: أن وزنها مَفْعُلة بضم العين أو مَفْعِلة بكسرها، فعلى الأول جُعلت الضمة كسرة ونُقلت إلى فاء الكلمة. وقياس قول الأخفش[2] في هذا النحو أن يُغير الحرف لا الحركة، فمعيشة عنده شاذة إذ كان ينبغي أن يقال فيها مَعُوشة. . .»[3].

موقفه مما ينقله عنه:

لقد تلقى السمين بعض أقوال الأخفش التي نقلها عنه بالقبول، وفيما سبق أمثلة لذلك. ولكنه وقف من بعضها الآخر موقف الناقد والمستدرك عليه.

١ ـ مثال استدراكه عليه في الإعراب:

عند إعراب «ورسولاً» في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾[4] قال: «في نصبه ستة أوجهٍ ـ بناء على قوله أنه صفة بمعنى مُرْسَل فهو صفة على فعول ـ السادس منها: أن يكون حالاً من مفعول «ويُعلِّمه» وذلك على زيادة الواو كأنه قيل: ويعلمه الكتاب حال كونه رسولاً، قاله الأخفش[5]. وهذا على أصل مذهبه من تجويزه زيادة الواو، وهو مذهب مرجوح»[6].

وقد يتهمه بالشذوذ في القول.

مثال ذلك: عند بيان معنى «مِنْ» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا﴾[7]. قال: «وأبعد من جعلها زائدة لوجهين، أحدهما: زيادتها في الواجب،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠.
(٢) معاني القرآن ٢/ ٥١١.
(٣) الدر المصون ٥/ ٢٥٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) مذهبه في «معاني القرآن» أنه معطوف على وجيهاً. انظر: (معاني القرآن ١/ ٤٠٨).
(٦) الدر المصون ٣/ ١٨٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

وكون المجرور بها معرفة، وهذا لا يقول به بصريّ ولا كوفي إلا أباالحسن الأخفش»[1].

٢ ـ استدراكه عليه في اللغة:

في الجانب الصرفي: ومثال ذلك: عند الحديث عن «كاد» في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[2].

قال السمين: ووزن «كاد» كوِد بكسر العين، وهو من ذوات الواو، كخاف يخاف. وفيها لغة أخرى: فتح عينها، فعلى هذه اللغة تُضم فاؤها إذا أُسندت إلى تاء المتكلم وأخواتها، فتقول: كُدْت وكُدْنا مثل: قلت وقلنا، وقد تنقل كسرة عينها إلى فائها مع الإسناد إلى ظاهر... ولا يجوز زيادتها خلافاً للأخفش»[3].

نَقْلُ السمين عن الأخفش مما ليس في كتابه «المعاني»:

من خلال تتبعي لنقول السمين عن الأخفش وجدت أن هناك بعض النقول ليست في كتابه «معاني القرآن» مما أوحى إلي أن السمين إما أن يكون قد اعتمد على طبعة غير الطبعة التي بين أيدينا اليوم، أو أنه ينقل عنه من كتاب آخر اهتم فيه الأخفش بإعراب القرآن. وهذه النقول على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قد ينقل عنه ما ليس في المعاني:

مثال ذلك: عند إعراب «مدخلاً» في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[4]. قال السمين: «وفي نصبه احتمالان: الثاني منهما: أنه مفعول به وهو مذهب الأخفش»[5].

---

(١) الدر المصون ١/ ١٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠.
(٣) الدر المصون ١/ ١٧٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٣١.
(٥) الدر المصون ٣/ ٦٦٥.

وقد وقفت على إعراب الأخفش[1] لهذه الآية فلم أجده يذكر ما ذكر السمين عنه[2].

القسم الثاني: قد ينقل عنه ضد رأيه الموجود في «المعاني».

مثال ذلك: عند ذكر اللغات في كلمة «طلقت». في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾[3].

قال السمين: «وحكى ثعلب: طَلُقت بالضم، وأنكره الأخفش»[4].

هذا ما ذكره السمين عن الأخفش، بينما نجد أن الأخفش في كتاب «معاني القرآن» أثبت هذه اللغة فقال: «وقالوا: طَلَقَتْ تَطْلُق، وطَلُقَت تَطْلُق أيضاً[5]»[6].

القسم الثالث: قد ينقل عنه عبارة غير موجودة في المعاني:

مثال ذلك: عند إعراب ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[7]. قال السمين: «إذا قلنا إنها نفس رمضان ففيه الوجهان الباقيان أحدهما: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، فقدره الفراء: ذلكم شهر رمضان وقدره الأخفش: المكتوب شهر»[8].

---

(١) معاني القرآن ١/ ٤٤١.

(٢) لمزيد من الأمثلة راجع (٤/ ٣٣٢، ٤٣٦، ٦١٤، ٦٢٢)، (٦/ ٧٨، ٢٦٩) (٧/ ٧٣، ١٠٥، ١٢٠، ١٣٤) (٨/ ٥٨، ٢١٢، ٣٤٦) (٩/ ٨٢، ١٧٠، ٢٤٠، ٩/ ٣٥١، ٤٤٦، ٦١٦) (١٠/ ٦٦، ٣١٩، ٣٣٣، ٧٨١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٧.

(٤) الدر المصون ٢/ ٤٣٦.

(٥) معاني القرآن ١/ ٣٦٩.

(٦) لمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٣٩٤، ٢/ ٥٥٥، ٣/ ٥٦٣، ٦/ ٩١، ٢٦٠، ٧/ ١٠٩، ٨/ ٣٧٩، ١٠/ ١٧، ٤٠١).

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٨) الدر المصون ٢/ ٢٧٧.

بينما في مطبوع «معاني القرآن» للأخفش نجده يقول: «ثم قال: شهرُ رمضان» على تفسير الأيام، كأنه حين قال: «أياماً معدودات» فسرها فقال: هي شهر رمضان، فالأخفش هنا قد قدر المحذوف بـ«هي»[1][2].

(١) معاني القرآن ١/ ٣٥٢.

(٢) لمزيد من الأمثلة انظر: ٢/ ٢٧٨، ٦/ ٤٢١.

المبحث الثاني
مصادره من كتب الغريب

أ ـ غريب القرآن:

١ ـ **المفردات**: للراغب الأصفهاني.

٢ ـ **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة.

٣ ـ **تفسير غريب القرآن**: لابن قتيبة.

ب ـ غريب الحديث:

ـ **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم بن سلاّم.

١ـ المفـــردات
للراغب الأصفهاني

التعريف بالمؤلف:

هو العلاّمة أبوالقاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني الملقب بـ «الراغب». كان من أذكياء المتكلمين والحكماء العلماء من أهل أصبهان. له من الكتب: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» وهو كتاب جليل، وكتاب: «المفردات في غريب القرآن» وكتاب: «حل متشابهات القرآن» وله كتاب في التفسير[١] طبعت مقدمته. توفي سنة ٥٠٢ هـ[٢].

التعريف بالكتاب:

يُعدّ هذا الكتاب من أعظم الكتب التي أُلفت في غريب القرآن، يقول الزركشي[٣] في حديثه عن الكتب التي أُلفت في غريب القرآن: «. . . ومن أحسنها كتاب المفردات للراغب»[٤].

أما منهجه فيتلخص فيما يلي:

يذكر المادة بمعناها الحقيقي، ثم يتبعها بما اشتُق منها، ثم يذكر المعاني المجازية للمادة، ويبين مدى ارتباطها بالمعنى الحقيقي. ويذكر على كل ذلك شواهد من القرآن أولاً، ثم من الحديث ثانياً، ثم من أشعار العرب وأقوالهم ثالثاً. ففي نطاق الآيات يُكثر الراغب من الاستشهاد بها على المعنى المراد، كما يورد

---

(١) واسم هذا التفسير: جامع التفاسير. وقد طبعت مقدمته بتحقيق د/ أحمد حسن فرحات.

(٢) انظر: (السير ١٨/ ١٢٠، والبغية ٢/ ٢٩٦، والأعلام ٢/ ٢٥٥).

(٣) محمد بن بهادر الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة منها: البرهان والبحر المحيط في أصول الفقه. وإعلام الساجد بأحكام المساجد توفي سنة ٧٩٤هـ. الدرر الكامنة ٤/ ١٧.

(٤) البرهان للزركشي ١/ ٢٩١.

القراءات الواردة، ثم يفسر القرآن بالقرآن كثيراً، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، ثم يأتي بأقوال الحكماء التي تتفق مع الشريعة[1].

طريقة نقله عنه:

١ـ النقل بالنص:

يغلب على نقول السمين عن الراغب النقل عنه بالنص، وذلك نظراً لطبيعة المادة التي ينقل عنه فيها، إذ هو مجال بيان المعاني اللغوية للكلمة، ومن أمثلة ذلك:

عند بيان معنى الحمد والتفريق بينه وبين الشكر. قال: «وقال الراغب: «الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبما يكون منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلُّ شكرٍ حمدٌ وليس كل حمدٍ شكراً، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً، ويقال: فلان محمود إذا حُمِد» ومحمد وُجد محموداً، ومحمد كثرت خصاله المحمودة، وأحمد أي: إنه يفوق غيره في الحمد»[2].

٢ـ اختصار كلامه:

عند بيان معنى «الذِّلة» في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[3].

قال: «والذِّلة: الصغار، والذُّل بالضم ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان بعد شماس من غير قهر، قاله الراغب»[4].

---

(١) انظر: مقدمة صفوان داوودي في تحقيقه للمفردات.

(٢) الدر المصون ١/ ٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٩٧.

٣ـ النقل مع الإبهام:

وقد ينقل السمين عن الراغب من غير نسبة الكلام إليه، بل يبهم ذلك فيقول: قال بعضهم.

ومثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «عثى» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١].

قال السمين: «قال بعضهم: إلا أن العيث أكثر ما يقال فيما يدرك حساً، والعثي فيما يدرك حكماً يقال: عثى يعثى عثياً[٢].

وهذا القول هو قول الراغب[٣].

موقفه مما ينقله عنه:

١ـ موقف الإعجاب والاستحسان:

يُعدّ كتاب الراغب «المفردات» من أفضل ما أُلّف في بيان معاني المفردات القرآنية؛ ولذا فقد أُعجب به السمين غاية الإعجاب فنقل عنه كثيراً حتى إنه يذكر قوله ـ في كثير من المواطن ـ عند بيان معاني المفردات اللغوية بجانب أقوال الأئمة الكبار المتقدمين كأبي بكر الأنباري والأزهري وغيرهما، وأكْثَرَ من النقل منه حتى يكاد يكون هو المصدر الأول بالنسبة لمصادر السمين من كتب الغريب والمفردات.

ومن الأمثلة التي تبين إكثار السمين من النقل عن الراغب وإعجابه به. أنه في آية واحدة نقل عنه ثلاث مرات لبيان معاني ثلاث كلمات عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾[٤]. نقل عنه في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٢) الدر المصون ١/ ٣٨٨.

(٣) انظر: المفردات ص٣٢٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤١.

بيان معنى كلمة «الزمر»، ومعنى كلمة «العشي» والإبكار[1].

وقد يفضل السمين كلام الراغب على غيره:

مثال ذلك: عند الحديث عن كلمة «العالمين» في سورة الفاتحة. فقد ذكر السمين أن هناك من يقول إنها لا تطلق إلاَّ على العقلاء دون غيرهم. ثم نقل كلام الراغب في ذلك فقال: «وقال الراغب: وأما جمعه جمع السلامة فلكون الناس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه».

قال السمين: «وظاهر هذا أن «عالمين» يطلق على العقلاء وغيرهم، وهو مخالف لما تقدم من اختصاصه بالعقلاء، كما زعم بعضهم، وكلام الراغب هو الأصح الظاهر»[2].

٢ـ موقف الاستدراك والمناقشة:

قد ينقل عن الراغب ويقف منه موقف المتعقب لكلامه والمستدرك عليه. ومن أمثلة ذلك:

عند بيان معنى «المائدة» في اللغة، عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3]

قال السمين: «والمائدة: الخوان عليه الطعام، فإن لم يكن طعام فليس بمائدة هذا هو المشهور، إلا أن الراغب قال: «والمائدة: الطبق الذي عليه طعام، ويقال لكل واحد منها مائدة».

قال السمين: «وهو مخالف لما عليه المُعْظم، وهذه المسألة لها نظائر في اللغة، لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام وإلا فهو خِوان، ولا يقال كأس إلا وفيها خمر وإلا فهي قدح، ولا يقال ذنوب وسجل إلا وفيه ماء، وإلا فهو دلو، ولا يقال جِراب إلا وهو مدبوغ وإلا فهو إهاب، ولا قلم إلا وهو مَبْريٌ وإلا فهو

---

(١) الدر المصون ٣/ ١٦٦ـ١٦٨.

(٢) الدر المصون ١/ ٤٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٣.

أنبوب»[1].

وقد يستدرك السمين على الراغب ولا يبين وجه استدراكه.

ومثال ذلك: عند الحديث عن كلمة «أركسهم» في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾[2]. قال السمين: «قال الراغب: إلا أن «أركسه» أبلغ من «ركسه» كما أن أسفله أبلغ من سُفله. قال السمين: وفيه نظر»[3].

ولم يبين السمين سبب استدراكه على الراغب هنا.

وقد يستدرك عليه وضعه لكلمة في غير بابها.

ومثال ذلك: استدراكه عليه وضعه لكلمة «الساحة» في مادة «سيح» حيث قال السمين: «الساحة: الفناء الخالي من الأبنية، وجمعها سُوْحٌ فألفها منقلبة عن واو، فتصغر على سويحة. قال الشاعر[4]:

فكان سِيَّانِ أَلا يَسْرَحُوا نَعَماً أو يَسْرَحُوه بها واغْبَرَّت السُّوحُ

وبهذا يتبين ضعف قول الراغب: إنها من ذوات الياء؛ حيث عدها في مادة «سيح» ثم قال ـ أي الراغب ـ: «الساحة: المكان الواسع، ومنه ساحة الدار. والسائح: الماءُ الجاري في الساحة. وساحَ فلانٌ في الأرض: مَرَّ مَرَّ السَّائح، ورجل سائح وسياح» انتهى كلام الراغب[5].

---

(١) الدر المصون ٤/ ٥٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٣) الدر المصون ٤/ ٦٢، وانظر أيضاً أمثلة أخرى في (١/ ٢٥٩، و٣/ ٦٠ و٥/ ٣٧٥ و١٠/ ٨٧).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. وهو في شرح أشعار الهذليين ١/ ١٢٢.

(٥) عقد لها في اللسان مادتين: «سوح»، ومنه الساحة، وتصغيرها: سُوَيْحة، و«سيح»، ومنه السَّيْح: الماء الطاهر الجاري. وقد ساح يسيح سَيْحاً. وساح في الأرض يسح سياحة أي ذهب.
إذاً فهذه المادة لها أصلان واوي ويائي.

ثم قال السمين: «ويحتمل أن يكون لها مادتان، لكن كان ينبغي أن يذكر ما هي الأشهر، أو يذكرهما معاً»[1].

(١) الدر المصون ٩/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٢ـ مجاز القرآن
لأبي عبيدة معمر بن المثنى

التعريف بالمؤلف:

هو مَعْمَر بن المثنى التميمي أبوعبيدة البصري النحوي. ولد سنة ١١٠هـ. من أئمة العلم بالأدب واللغة. وقال ابن قتيبة: كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه. وقال الذهبي: وقد كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد. من مؤلفاته: مجاز القرآن وغريب الحديث ونقائض جرير والفرزدق. توفي سنة ٢٠٩هـ[١].

التعريف بالكتاب:

لقد فسر أبوعبيدة القرآن بناء على نظرته إليه أنه نص عربي، يحمل كل خصائص العربية من حذف وزيادة وإضمار واختصار وتقديم وتأخير فكان عمدته الأولى الفقه بالعربية وأساليبها واستعمالاتها والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها. لذا فقد عني بالناحية اللغوية في القرآن، وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي وعنايته بهذا الجانب صرفته عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلا عندما يقتضي فهم النص التعرض لذلك[٢].

ولذلك انتقد العلماء مسلك أبي عبيدة في كتابه هذا من قِبَل المعاصرين له كالأصمعي[٣] والفراء. ومن المتأخرين عنه كالطبري «لأن أباعبيدة أقلّ الرواية عن

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥، والسير ٩/ ٤٤٥ والبغية ٢/ ٢٩٤ والشذرات ٢/ ٢٤).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق المجاز لمحمد فؤاد سزكين.

(٣) هو عبدالملك بن قريب بن أصمع، أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والنوادر. روى عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة وحماد بن سلمة. صنف كتباً منها: غريب القرآن، خلق الإنسان، =

السلف على أنه جارٍ على بيان العرب في ديوانهم الشعر وهو كلغويّ يمارس نصوص الشعر وكلام العرب حاول أن يعرض البيان القرآني على محصوله من الأدب العربي متخذاً من ذلك منهجاً لغوياً خالصاً . . »[1].

طريقته في النقل عنه:

التزم السمين الأمانة العلمية في النقل عن أبي عبيدة بنسبة أقواله . وقد غلب على نقله عنه التصرف في كلامه بتقديم وتأخير، أو نقل بالمعنى والمضمون، وقد يصرح بأن هذا هو معنى كلام أبي عبيدة فيقول: «قال معناه أبوعبيدة». وقد لا يصرح، وقد يقول: «قال أبوعبيدة» ولكن لا يأتي بنص كلامه كما هو ـ حسب الطبعة الموجودة في أيدينا للمجاز ـ.

وقد ينقل عنه كلاماً ليس في كتابه «المجاز» وقد ثبت هذا لديّ بتتبعي لنقول السمين عن أبي عبيدة ومقارنتها بنص كلامه في «المجاز»[2]. فلا ندري هل السمين اعتمد على نسخة ليست بأيدينا الآن، أم أنه نقل من كتب أخرى لأبي عبيدة لم تصل إلينا؟!».

أمثلة لنقله عنه بالمعنى: عند الحديث عن مسألة: أيهما أبلغ الرحمن أم الرحيم؟

قال السمين: «وقال أبوعبيدة: وبناء فَعْلان ليس كبناء فعيل. فإن بناء فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل، نحو رجل غضبان للممتلئ غضباً، وفعيل يكون بمعنى الفاعل والمفعول»[3].

وقد يشير إلى رأيه فقط. ومن أمثلة ذلك: عند بيان كلمة «زمراً» في قوله

= المقصود والممدود. توفي سنة ٢١٥هـ (بغية الوعاة ٢/ ١١٢).

(١) مناهج في التفسير للدكتور مصطفى الجويني ص٨١.

(٢) انظر على سبيل المثال (١/ ٤٤٥، ٤٨١، ٢/ ٢٧٨، ٤٢٦، ٤/ ٢٧٨، ٥/ ١٩٨، ٦٠٠، ٩/ ٣٦٨، ١٠/ ٧٤).

(٣) الدر المصون ١/ ١٠.

تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[1].

قال: «زمر جمع زمرة، وهي: الجماعات في تفرقةٍ بعضها في إثر بعض، وتزمّروا: تجمّعوا... هذا قول أبي عبيدة والأخفش»[2].

المجال الذي ينقل عنه فيه:

أفاد السمين من كتاب «مجاز القرآن» في مجال بيان الغريب، وبيان المعاني اللغوية ونقل عنه في مواطن متعددة، وكان في غالبها لا ينتقده في ذلك.

وسأكتفي بإيراد مثالين لنقله عنه في ذلك المجال:

١ـ عند بيان كلمة «المحراب» في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾[3]. قال: والمحراب: قال أبوعبيدة: «هو أشرف المجالس ومقدمها، وهو كذلك من المسجد[4].

٢ـ عند بيان معنى كلمة «صعّر» في قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[5]

قال السمين: قال أبوعبيدة: «أصله من الصّعر، داء يأخذ الإبل في أعناقها فتميل وتلتوي»[6].

موقفه مما ينقله عنه:

غلب على السمين قبوله لأقوال أبي عبيدة وخاصة في النواحي اللغوية، ومع ذلك فإنه قد انتقده في بعض المواطن، وقد اتخذ انتقاده له عدة أشكال، فإما أن ينتقده هو، أو يورد انتقاد بعض العلماء عليه ويكتفي به، أو يزيد على ذلك انتقادات أُخر من عنده.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.
(٢) الدر المصون ٩/ ٤٤٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٤) الدر المصون ٣/ ١٤٤.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٨.
(٦) الدر المصون ٩/ ٦٦.

ومثال انتقاده له: عند بيان معنى «الزخرف» في قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1].

قال السمين: «وقال أبوعبيدة: كل ما حسنته وزينته وهو باطل فهو زخرف» ويتعقب السمين قوله فيقول: «وهذا لا يلزم إذ قد يطلق على ما هو زينة حق، وبيت مزخرف أي: مُزيّن بالنقش، ومنه الحديث: «إن رسول الله ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أُمر بالزخرف فنحي» يعني أنهم كانوا يزينون الكعبة بنقوش وتصاوير مموهة بالذهب فأُمرنا بإخراجها»[2].

وقد يذكر انتقاد أحد العلماء على أبي عبيدة، ويضيف عليه انتقادات أُخر.

عند بيان معنى كلمة «مسحوراً» في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[3] الظاهر أنه اسم مفعول من «السحر بكسر السين، أي: مخبول العقل أو مخدوعه وقال أبوعبيدة: معناه أن له سحراً، أي: رئة بمعنى أنه لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو بشر مثلكم. وتقول العرب للجبان: وقد انتفخ سَحْره» بفتح السين ولكل من أكل وشرب: مسحور ومُسْحَر. فمن الأول قول امرئ القيس[4]:

أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

أي: نُغَذَّي ونُعَلَّل.

ومن الثاني قول لبيد[5]:

فإنْ تَسْألينا فيمَ نحنُ فإنَّنا عصافيرُ مِنْ هَذا الأنامِ المُسَحَّرِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) الدر المصون ٥/ ١١٦، ١١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٤) ديوانه ص ٩٧. وموضعين: أي مسرعين.

(٥) لبيد بن ربيعة العامري، أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية. أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ ويُعدُّ من الصحابة. توفي سنة ٤١هـ. (الأعلام ٥/ ٢٤٠). والبيت في ديوانه ص ٥٦. وعصافير: أي صغار ضعاف، ومسحَّر: أي معلل بالطعام والشراب

قال السمين: «وردّ الناس على أبي عبيدة قوله لبعده لفظاً ومعنى. قال ابن قتيبة: «لا أدري ما الذي حمل أباعبيدة على هذا التفسير المستكره مع ما فسره السلف بالوجوه الواضحة».

ويضيف السمين ردّاً آخرَ من عنده فيقول: «وأيضاً فإن «السَّحر» الذي هو الرَّئة لم يضرب له فيه مَثَل، بخلاف «السحر» فإنه ضربوا فيه المثل، فما بعد الآية من قوله: «انظر كيف ضربوا لك الأمثال» لا يناسب إلا «السِّحر» بالكسر»[1].

أما من الناحية النحوية الإعرابية: فإن السمين أكّد في أكثر من موضع اتهام أبي عبيدة بالضعف في النحو، فاستدرك عليه كثيراً في الإعراب.

مثال ذلك: عند إعراب ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾[2] قال: في الناصب له أوجه، . . . منها: أن تكون «إذ» زائدة وهو قول أبي عبيدة. والتقدير: قالت امرأة.

قال السمين: «وهذا عند النحويين غلط، وكان أبوعبيدة يُضَّعف في النحو»[3].

---

(١) الدر المصون ٧/ ٣٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٣) الدر المصون ٣/ ١٣٠، وانظر أيضاً مثالين آخرين في (٣/ ٣٥، و٥/ ٥٦٠).

٣ ـ تفسير غريب القرآن
لابـــن قتيـــبة

التعريف بالمؤلف:

هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبومحمد الكاتب الدِّيْنَوَرِي النحوي اللغوي. ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ وأقام بالدِّينور مدة فنسب إليها. وقال عنه الذهبي: والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهمة. وقال ابن النديم[١]: «. . . وكان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف. . . له مؤلفات كثيرة منها: «غريب القرآن» و«غريب الحديث» و«مشكل القرآن و«أدب الكاتب» و«عيون الأخبار» وغيرها توفي سنة ٢٧٠هـ[٢].

التعريف بالكتاب[٣]:

يُعدُّ كتاب «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة تكملة لكتابه «تأويل مشكل القرآن» اقتصر فيه على الألفاظ الغريبة. اعتمد في مصادره على كتابي: مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفرّاء. ولقد أفصح ابن قتيبة في مقدمته عن غرضه من تأليفه فقال: «وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونُجمل، وألا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد. . .».

وذكر أن مصادره من كتب التفسير، وأصحاب اللغة العالمين، وذكر أنه نبذ منكر التأويل ومنحول التفسير. عقد في بداية كتابه باباً عنوانه: اشتقاق أسماء الله

---

(١) محمد بن إسحاق، أبوالفرج بن أبي يعقوب النديم. صاحب كتاب «الفهرست»، من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. توفي سنة ٤٣٨هـ. الأعلام ٦/ ٢٩.

(٢) انظر: (وفيات الأعيان ٣/ ٤٢) و(السير ١٣/ ٢٩٦) و(البغية ٢/ ٦٣).

(٣) الكتاب مطبوع بتحقيق السيد أحمد صقر.

وصفاته وإظهار معانيها. ثم أعقبه بباب تأويل حروف كثرت في القرآن. ثم ذكر بعد ذلك تفسير غريب القرآن بادئاً بسورة البقرة على ترتيب المصحف.

طرق نقله عنه:

أفاد السمين من «غريب القرآن» لابن قتيبة في بيان معاني الألفاظ القرآنية وتفسير غريبها. وتنوعت طرق نقله عنه فأحياناً ينقل نص كلامه، وقد يأتي أحياناً بمعناه. ومرة يسميه بابن قتيبة، وأحياناً بالقتبي.

١ ـ النقـل بالنـص:

عند بيان معنى «المِثْل» في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

قال السمين: «قال ابن قتيبة[٢]: «العرب تقيم المِثْل مقام النفس فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي: أنا لا يقال لي»[٣].

وعند بيان معنى «حَرْد» في قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ﴾[٤] قال: وقيل: المنع من حارَدَتْ الإبل: قَلّ لبنها، والسَّنة: قَلّ مطرها قال أبوعبيد والقَتْبي[٥]»[٦].

٢ ـ النقل بالمعنى:

عند بيان معنى الإقناع في قوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾[٧].

قال السمين: «والإقناع: رفع الرأس وإدامة النظر من غير التفات إلى غيره،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) تفسير غريب القرآن ص٣٩١.
(٣) الدر المصون ٩/ ٥٤٥.
(٤) سورة القلم، الآية: ٢٥.
(٥) تفسير غريب القرآن ص٤٧٩.
(٦) الدر المصون ١٠/ ٤١٣.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

قاله القَتْبي[1]»[2].

وقد ينقل السمين عن ابن قتيبة ولا يعزو إليه. ومثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «السرادق» في قوله تعالى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[3].

قال: «وقيل: هو الحُجْرة تكون حول الفسطاط»[4].

وهذا هو قول ابن قتيبة كما في كتابه تفسير غريب القرآن[5].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين موقفين مما ينقله عن ابن قتيبة:

١ ـ القبول والتسليم:

وهذا هو الموقف الغالب على السمين تجاه ما ينقله عن ابن قتيبة ومن أمثلته: عند بيان معنى «الفتح» في قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[6] قال السمين: «قال ابن قتيبة[7]: هو الفتح ومنه: شرحت اللحم أي فتحته..»[8].

وعند بيان معنى «العقر» في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾[9] قال: «وقال ابن قتيبة»[10]: «العقر: القتل كيف كان، عقرتها فهي معقورة»[11].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٢٣٣.
(٢) الدر المصون ٧/ ١٢١.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٤) الدر المصون ٧/ ٤٧٨.
(٥) انظر: ص٢٦٧.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٧) تفسير غريب القرآن ص١٥٩.
(٨) الدر المصون ٥/ ١٤٠.
(٩) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.
(١٠) تفسير غريب القرآن ص١٩٠.
(١١) الدر المصون ٥/ ٣٦٦.

وينقل عنه في الردّ على بعض الأقوال الخاطئة في تفسير بعض المفردات: فقد قال أبوعبيدة في بيان معنى كلمة «مسحوراً» في قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[1]. قال: معناه أن له سَحْراً، أي: رِئة بمعنى أنه لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو بشر مثلكم. وتقول العرب للجبان: «قد انتفخ سَحْره» بفتح السين ولكل من أكل وشرب: مَسْحُور، ومُسْحَر...

قال السمين: ورد الناس على أبي عبيدة قوله لبعده لفظاً ومعنى. قال ابن قتيبة: «لا أدري ما الذي حمل أباعبيدة على هذا التفسير المستكره مع ما فسره السلف بالوجوه الواضحة»[2].

٢ـ موقف المناقشة والردّ:

ولا يُسلِّم السمين بكل ما ينقله عن ابن قتيبة، بل يرد بعض أقواله في اللغة، ومثال ذلك: عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[3]. قال السمين: «قال أبوعبيدة: هذا ضرب مثل، تقول العرب: «رد يده في فيه» إذا أمسك عن الجواب» وقاله الأخفش أيضاً. وقال القُتَبي[4]: «لم نسمع أحداً يقول: «ردّ يده في فيه» إذا ترك ما أُمر به». قال السمين: ورُدّ عليه، فإن من حفظ حجة على من لم يحفظ»[5].

= لمزيد من الأمثلة انظر (٥/ ٢٧١) (٦/ ٩٠، ٤٢١، ٤٧٧) (٧/ ٣٩٦، ٥٠٢، ٥١٣).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٢) الدر المصون ٧/ ٣٦٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٢٣٠.

(٥) الدر المصون ٧/ ٧٣ـ٧٤.

١ـ غريب الحديث
لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم

التعريف بالمؤلف:

أبوعبيد القاسم بن سلاّم التركي البغدادي، فقيه، أديب، مشهور، صاحب التصانيف المشهورة في القراءات، والفقه، واللغة. قال الخطيب عنه: كان مؤدباً صاحب نحو وعربية، طلب الحديث والفقه.. من مصنفاته: غريب القرآن، والقراءات، والناسخ والمنسوخ. توفي سنة اثنتين وقيل ثلاث وقيل أربع وعشرين ومائتين[١].

التعريف بالكتاب:

يُعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب في فن غريب الحديث لما تميز به من جمع واسع لغريب الحديث، أفنى فيه أبوعبيد عمره حيث يقول: «مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة»[٢].

قال الخطابي[٣]: «وكان أول من سبق إليه ودلّ من بعده عليه أبوعبيد القاسم ابن سلاّم فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث وصار كتابه إماماً لأهل الحديث به يتذاكرون وإليه يتحاكمون». ويبين

---

(١) انظر: (وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٥، والسير ١٠/ ٤١٩ والبغية ٢/ ٢٥٣ وطبقات المفسرين ٢/ ٣٧).

(٢) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٢٠٤.

(٣) حمد بن محمد الخطاب، أبوسليمان الخطابيّ. قال السمعاني: كان حجَّةً صدوقاً، تفقَّه بالقفال الشاشي وأخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد. من تصانيفه: غريب الحديث، وشرح البخاري. توفي سنة ٣٨٨هـ. البغية ١/ ٥٤٦.

الخطابي ميزة كتاب أبي عبيد على بقية كتب غريب الحديث فيقول: «. . . ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على منهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه. . .»[1].

المجال الذي نقل عنه فيه:

أفاد السمين من كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد ولكنه لم يكن ينص على اسم الكتاب، بل يقول: «وقال أبوعبيد» من غير الإحالة إلى كتابه. ومن خلال تتبعي لبعض المواضع وجدت أنه ينقل من كتاب «غريب الحديث».

ومن أمثلة نقله عنه:

١ ـ عند بيان معنى كلمة «الجثوم» في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[2] قال السمين: «وقال أبوعبيد: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل»[3].

٢ ـ عند بيان معنى «القبيل» في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[4]. قال السمين: «والقبيل: الجماعة يكونون من ثلاثة فصاعداً من جماعة شتى، هذا قول أبي عبيد»[5].

وينقل السمين عن أبي عبيد في بيان بعض الفروق اللغوية. ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾[6]. قال السمين: «وقال أبوعبيد: يقال مطر في الرحمة، وأُمطر في العذاب»[7].

---

(١) غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٧، ٤٨).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٨.
(٣) الدر المصون ٥/ ٣٦٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٥) الدر المصون ٥/ ٢٩٣، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٦/ ٢٠، ٢٢، ٥٠٠، ٧/ ٣١٤، ١٠/ ٤١٣، ٥٤٩، ١١/ ٨٦).
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨٤.
(٧) الدر المصون ٥/ ٣٧٤.

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾[١] قال السمين: «قال أبوعبيد: من سقى الشَّفَةِ: سقى فقط، ومن سقى الشجر والأرض: أسقى، وللداعي لأرضٍ بالسُّقْيا وغيرها: أسقى فقط»[٢].

(١) سورة النحل، الآية: ٦٦.
(٢) الدر المصون ٧/ ٢٥١.

الفصل الثالث
مصادره من كتب النحو واللغة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **مصادره من كتب النحو.**

المبحث الثاني: **مصادره من كتب اللغة.**

المبحث الأول
مصادره من كتب النحو

١ ـ الكـــتاب: **لسيبويه.**

٢ ـ المقتضب: **للمبرد.**

الكتـــاب
لسيبـــويـــه

التعريف بالمؤلف:

إمام النحو حجة العرب، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسي ثم البصري طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألّف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه. أخذ النحو عن الخليل بن أحمد وغيره. وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وقلمه أبلغ من لسانه. توفي سنة ١٨٠هـ وقيل ١٨٨هـ[١].

التعريف بالكتاب:

كتاب سيبويه أشهر من أن يُعرّف به، فهو يحتل عند النحاة المكانة العظمى، حتى أصبح اسم «الكتاب» علماً يطلق عليه، مع أن سيبويه لم يسم كتابه هذا بهذا الاسم ولا بغيره. «وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيُعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، ولا يشك أنه كتاب سيبويه ولقد سماه الناس قديماً قرآن النحو»[٢].

أسلوب الكتاب:

يغلب على أسلوب الكتاب الغموض. يقول ابن كيسان[٣]: نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ٢/ ٣٤٦، والوفيات ١/ ٤٨٧ والسير ٨/ ٣٥١ والبغية ٢/ ٢٢٩ والشذرات ١/ ٢٥٢).

(٢) القائل هو السيرافي. انظر: مقدمة عبدالسلام هارون في تحقيق الكتاب ص .

(٣) محمد بن أحمد بن كيسان النحوي. قال عنه ابن مجاهد: كان أنحى من ثعلب والمبرد. من تصانيفه: المهذب، وغريب الحديث. توفي سنة ٢٩٩هـ. (إنباه الرواة ٣/ ٥٧).

وإيضاح، لأنه كتاب ألف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ، فاختصر على مذاهبهم»[1].

ونظراً لمكانة هذا الكتاب العظيم لدى العلماء فقد عكفوا عليه ما بين شارحٍ له، أو معلق عليه، أو مفسر لأبياته[2].

طرق النقل عنه:

١ ـ النقل بالنص:

مثال ذلك: عند بيان معنى «لو» عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾[3]. قال السمين: «لو» حرفٌ لما كان سيقع لوقوع غيره، هذه عبارة سيبويه[4]»[5].

٢ ـ النقل بالمعنى:

عند بيان معنى «لما» عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[6]. قال السمين: «ولما» حرف وجوب لوجوب هذا «مذهب سيبويه»[7].

بينما عبارة سيبويه في كتابه هي: «للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره»[8].

٣ ـ الإشارة إلى رأيه:

وهذا هو الغالب في نقل السمين عن سيبويه.

---

(١) انظر خزانة الأدب ١/ ١٧٩.

(٢) لمزيد من التفصيل في هذه المسألة يراجع مبحث في أثر الكتاب في التأليف النحوي» لعبد السلام هارون في مقدمته لكتاب سيبويه.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٤) الكتاب ٢/ ٣٠٧.

(٥) الدر المصون ١/ ١٨٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٧) الدر المصون ١/ ١٥٩.

(٨) الكتاب ٢/ ٣١٢.

ومثال ذلك: عند إعراب «أن يأتي» في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾[1].

قال السمين: في محل نصب على أنها مفعول به وهو رأي سيبويه[2] لئلا يلزم الإخبار عن الجثة بالحدث في قولك: «عسى زيد أن يقوم»[3].

المجالات التي ينقل عنه فيها:

يُعدّ كتاب سيبويه المرجع الأول عند النحاة، وقد أفاد منه السمين كثيراً، فكان ينقل مذهبه ورأيه في الإعراب ويعتمد عليه في ذلك كثيراً. ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند إعراب «لا» في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4].

قال السمين: «ومذهب سيبويه[5] أنها اسمها في محل رفع بالابتداء ولا عمل لها في الخبر»[6].

٢ ـ مثال آخر: عند إعرابه «كما دخلوه» في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[7].

قال السمين: «و«كما دخلوه» نعت لمصدر محذوف أو حال من ضميره، كما يقول سيبويه[8]، أي: دخولاً كما دخلوه»[9].

٣ ـ ومثال ثالث: عند إعراب: «يأمركم» على قراءة النصب[10] في قوله تعالى:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٢.
(٢) الكتاب ١/ ٤٧٧.
(٣) الدر المصون ٤/ ٣٠٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٥) الكتاب ١/ ٣٤٥.
(٦) الدر المصون ١/ ٨٣.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٧.
(٨) الكتاب ١/ ١١٦.
(٩) الدر المصون ٧/ ٣١٨.
(١٠) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة. (الكشف ١/ ٣٥٠).

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[1].

قال: أن يكون نصبه لنسقه على «يؤتيه». قال سيبويه[2]: «والمعنى: وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة»[3].

وقد أفاد السمين من سيبويه في جوانب اللغة من حيث الاشتقاق، والصرف.

ومثال الاشتقاق: عند الحديث عن اشتقاق كلمة «شيطان». قال السمين: واختلف أهل اللغة في اشتقاقه... وحكى سيبويه[4]: «تَشَيْطن» أي فَعَل فِعْل الشياطين»[5].

ومثال نقله عنه في مجال الصرف: عند الحديث عن كلمة «خطايا» من حيث أصلها وما حدث فيها من إعلال وإبدال. فقد ذكر السمين أربعة أقوال منها قول سيبويه. قال: الثالث: قول سيبويه[6]، وهو أن أصلها عنده خطايىء كما تقدم، فأبدل الياء الزائدة همزة، فاجتمع همزتان، فأبدل الثانية منها ياء لزوماً، ثم عمل العمل المتقدم، ووزنها عنده فعائل، مثل صحائف، وفيها على قول خمسة تغييرات، إبدال الياء المزيدة همزة، وإبدال الهمزة الأصلية ياء، وقلْب الكسرة فتحة، وقلب الياء الأصلية ألفاً، وقلب الهمزة المزيدة ياء»[7].

موقفه مما ينقله:

لقد وقف السمين مما ينقله عن سيبويه موقف الإجلال والإعجاب، فتراه ينقل كلامه في إعراب أو رأيه في مسألة ولا يتعقبه بنكير، بل إنه يجعل كلامه حجة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.
(٢) الكتاب ١/ ٤٣٠.
(٣) الدر المصون ٣/ ٢٧٩.
(٤) الكتاب ٢/ ١١.
(٥) الدر المصون ١/ ١٠. وانظر أيضاً ١/ ١١٩.
(٦) الكتاب ٢/ ١٦٩.
(٧) الدر المصون ١/ ٣٧٨.

إذا اختلف المعربون في مسألة، ومن خلال استقرائي الدر لم أجد السمين تعقب أو استدرك على سيبويه إلا في مواضع محدودة.

ومن أمثلة ذلك: عند إعرابه «ألا خوف» في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

قال السمين: «فيه وجهان أحدهما: أنّ «أنْ» وما في حيزها في محل جر بدلاً من «بالذين» بدل اشتمال.. وقال مكي بعد أن حكى أنها بدل اشتمال: «ويجوز أن تكون أنْ» في موضع نصب على معنى «بأن لا». وهذا هو بعينه هو وجه البدل المتقدم، غاية ما في الباب أنه أعاد مع البدل العامل في تقديره، اللهم أن يعنى أنها وإن كانت بدلاً من «الذين» فليست في محل جر بل في محل نصب، لأنها سقطت منها الباء فإن الأصل «بأن لا» و«أن» إذا حذفت منها حرف الجر كانت في محل نصب على رأي سيبويه والفراء وهو بعيد»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

(٢) الدر المصون ٣/ ٤٨٦.

٢ ـ المقتضب
للمـــــبرد

التعريف بالمؤلف:

إمام النحو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير الأزدي البصري النحوي المعروف بالمبرد ولد سنة ٢١٠هـ. «كان أبوالعباس من العلم، وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة وبلاغة المكاتبة، وجودة الحظ، وصحة القريحة، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه»[١].

ونقل الذهبي أنه قيل عنه: «كان ثعلب أعلم باللغة، وبنفس النحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفنناً في جميع العلوم من ثعلب». له مصنفات كثيرة منها: «معاني القرآن» و«إعراب القرآن» و«الكامل» والمقتضب. وغيرها. توفي سنة ٢٨٦ ببغداد[٢].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

ألّف المبرد كتابه هذا بعد كتابه «الكامل» وكان ذلك في زمن شيخوخته بعد اكتمال نضجه العقلي. واستواء ثقافته العلمية، ولذا فهو أنفس مؤلفات المبرد، وقد أحال عليه في النحو، وكتبه الأخرى ما هي إلا رسائل صغيرة يقول محمد عبدالخالق عظيمة: «والمقتضب أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح والعبارة المبسطة»[٣].

---

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٤١.

(٢) انظر: (إنباه الرواة ٣/ ٢٤١ والسير ١٣/ ٥٧٦ وبغية الوعاة ١/ ٢٩٦ والشذرات ٢/ ٩٠).

(٣) انظر مقدمته في التعريف بالمقتضب ١/ ٧٠.

وكان المبرد يؤثر أن تكون تراجم أبواب المقتضب واضحة في إيجاز فلم يصطنع له العناوين المطولة، أو الخفية وقد تأثر المبرد في كتابه بكتاب سيبويه، وانتقده في كثير من المسائل، فكان يذكر القطعةِ من كلام سيبويه مشيراً إلى الباب الذي ذُكرت فيه ثم ينقدها مبتدئاً بقوله: «قال محمد بن يزيد». وقد نال المقتضب اهتمام العلماء فتناولوه بالدراسة والشرح[1].

طرق نقله عنه:

يغلب على السمين في نقله عن المبرد استخدامه لطريقة الإشارة إلى رأيه فيقول: (وهو مذهب المبرد) أو (وأجاز المبرد).

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[2]. قال السمين: وقال أبو البقاء: الفاء جواب ما حُذف، تقديره: «فألقوا فإذا»، فـ«إذا» في هذا ظرف مكان، العامل فيه ألقوا... ثم قال السمين: وقوله: «ظرف مكان» هذا مذهب المبرد[3]»[4].

وقد ينقل عنه بالمعنى:

ومثال ذلك: عند إعراب «حصرت صدورهم» في قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾[5].

قال السمين: «فيه سبعة أوجه، أحدها: أنه لا محل لهذه الجملة، بل جيء بها للدعاء عليهم بضيق صدورهم عن القتال، وهذا منقول عن المبرد[6]»[7].

---

(١) فشرحه الرماني وابن الباذش، ولكنَّ هذين الشرحين لم يصلا إلينا. وشرحه سعيد الفارقي في كتاب أسماه: تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٦.

(٣) المقتضب للمبرد ٢/ ٥٧ـ٥٨.

(٤) الدر المصون ٨/ ٧١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٦) المقتضب ٤/ ١٢٤.

(٧) الدر المصون ٤/ ٦٦.

المجالات التي ينقل عنه فيها:

ينقل السمين عن المبرد في مجالين:

١ ـ مجال النحو، وهو المجال الغالب بحكم طبيعة كتاب «المقتضب».

ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب: «أنهم آمنوا» في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ﴾[١].

قال السمين: «مؤول بمصدر، وهو في محل رفع، واختلف في ذلك على قولين، الثاني: ـ وهو قول المبرد ـ: أنه في محل رفع بالفاعلية، رافعه محذوف تقديره: ولو ثبت إيمانهم، لأنها لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً»[٢].

ومثال آخر: عند توجيه قراءة الجمهور: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[٣] بالرفع. ذكر أن في ذلك وجهين، الثاني منهما: وهو مذهب الأخفش، ونقل عن المبرد وجماعة كثيرة أنه ـ أي كلمة «السارق» ـ مبتدأ، والخبر الجملة الأمرية بعد قوله «فاقطعوا». . .»[٤].

وقدينقل السمين رأيه في بعض المسائل النحويةالبحتة. ومثال ذلك: عند مناقشة السمين لمسألة تقديم التمييز على عامله إذا كان متصرفاً.

قال السمين[٥]: «واختلف النحاة في جواز تقديم التمييز على عامله إذا كان متصرفاً فمنعه سيبويه، وأجازه المبرد وجماعة مستدلين بقولهم[٦]:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.

(٢) الدر المصون ٢/ ٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٤) الدر المصون ٤/ ٢٥٨، وقد نقل أبوحيان هذا الرأي ولم ينسبه للمبرد.

(٥) الدر المصون ٣/ ٥٧٥.

(٦) نسب هذا البيت إلى المخبل السعدي، وأعشى همدان، ومجنون ليلى. انظر: المقتضب ٣/ ٣٧، والخصائص ٢(٣٨٤، والعيني (حاشية على الخزانة) ٣/ ٢٣٥.

أتَهْجُرُ ليلى بالفراقِ حبيبها وما كان نفساً بالفراقِ تَطيب

.... إذا عِطْفاه ماءً تَحلّبا[1]

الأصل: تطيب نفساً، وتحلّبا ماء.

٢ ـ وينقل عنه في مجال اللغة:

ينقل السمين عن المبرد في بيان معاني الحروف.

ومثال ذلك: عند بيان معنى «إلى» في قوله تعالى: ﴿ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[2].

قال: في «إلى» هذه وجهان، أحدهما: أنها على بابها من انتهاء الغاية، وفيها حينئذٍ خلاف، . . . وقائل: إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخل في الحكم ـ إلا فلا، ويُعزى لأبي العباس»[3].

وينقل السمين عنه في المجال الصرفي:

ومثال ذلك: عند الحديث عن كلمة، «هؤلاء» في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4].

قال: «والمشهور بناؤه على الكسر، وقد يُضم وقد ينون مكسوراً، وقد تبدل همزته هاء. . .، ولامه عند الفارسي همزة فتكون فاؤه ولامه من مادة واحدة،

---

(١) البيت لـ: ربيعة بن مقروم، وتمامه:

رددتُ بمثلِ السِّيْد نهْدٍ مُقلَّص كميـــش . . . . . .

وهو في ديوانه (ضمن كتاب شعراء إسلاميون ص٢٥٠)، وفي الأصمعيات ٢٢٤، والمفضليات ٣٧٦. والسيد: الذئب، والنهد: العالي، ويعني به الفرس. والمقلص: طويل القوائم. والكميش: السريع.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٠٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.

وعند المبرد أصلها ياء وإنما قلبت همزة لتطرفها بعد الألف الزائدة»[1].

وينقل عنه في بيان وزن بعض الكلمات:

عند الحديث عن الكسرة التي على الشين في قوله «شئتما» هل هي أصل، أوْ محولة من فتحة لتدل على ذوات الياء، ثم ذكر أن ذلك مترتب على وزن كلمة «شاء» ما هو؟ فمذهب المبرد أنه: فَعَل بفتح العين، ومذهب سيبويه فَعِل بكسرها»[2].

موقفه مما ينقله عنه:

تلقى السمين بعض أقوال المبرد بالقبول وفيما سبق أمثلة لذلك، وتعقبه في بعض المواطن، وناقش بعض أقواله وردّها. ويمكن تقسيم مناقشات السمين للمبرد في المجالات التالية:

١ ـ مناقشته في مجال النحو:

مع جلالة المبرد في علم النحو وعظم مكانته فيه، إلا أن السمين قد استدرك عليه بعض أعاريبه، وتعقبه في بعض أقواله في النحو.

ومثال ذلك: عند بيان جواب الشرط لقوله «إن عدنا» في قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾[3].

قال: «. . . وعند أبي زيد[4] والمبرد والكوفيين هو قوله: «فقد افترينا». ويعلّق السمين على هذا القول فيقول: وهو مردود بأنه لو كان جواباً بنفسه لوجبت فيه الفاء»[5].

---

(١) الدر المصون ١/ ٢٦٤.

(٢) الدر المصون ١/ ٢٨٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٤) سعيد بن أوس بن بشير بن أبي زيد الأنصاري البصري النحوي. الإمام العلامة، حجة العرب، صاحب التصانيف منها: «كتاب قراءة أبي عمرو» وكتاب «النحو الكبير» توفي سنة ٢١٥هـ. (إنباه الرواة ٢/ ٣٠).

(٥) الدر المصون ٥/ ٣٨١. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٢٦٤، ٤٥٩، ٥٠٦) (٢/ ٣٩٣) =

وقد يتهم رأيه بمخالفة لرأي الجمهور:

ومن أمثلة ذلك: عند الحديث عن «إن» الشرطية في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[1].

قال السمين: «وزعم المبرد أن لـ «كان» الناقصة حكماً مع «إنْ» ليس لغيرها من الأفعال الناقصة فزعم أنه لقوة «كان» أنّ و«إنْ» الشرطية لا تقلب معناها إلى الاستقبال، بل تكون على معناها من المضيّ، وتبعه في ذلك أبوالبقاء، وعلل ذلك بأنه كثر استعمالها غير دالة على حدث. وهذا مردود عند الجمهور لأن التعليق إنما يكون في المستقبل. وتأولوا ما ظاهره غير ذلك»[2].

وقد يكتفى بتضعيف قوله من غير بيان السبب[3]. أوقد يعبرعن عدم رضاه بكلام المبرد بقوله: وزعم المبرد[4].

٢ ـ تعقبه في مجال اللغة:

ومثال ذلك: عند الحديث عن كلمة ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾[5].

قال: «وقد سقط ابن قتيبة سقطة فاحشة حيث زعم أن «مهيمناً» مصغر، وأن أصله «مُؤَيْمن» تصغير «مؤمن» اسم فاعل، ثم قلبت همزته هاء كهراق ويُعزى ذلك لأبي العباس المبرد أيضاً»[6]. ثم ذكر بعد ذلك أن الناس أنكروا هذا القول أشد الإنكار، وممن ذكر منهم ثعلب.

= (٦/ ٥١٠) (٩/ ٦٥٧).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٢) الدر المصون ١/ ١٩٧.

(٣) انظر مثال ذلك في ٣/ ١٢١.

(٤) انظر مثال ذلك في ٦/ ٤٨٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٦) الدر المصون ٤/ ٢٨٨.

٣ ـ تضعيف بعض القراءات :

طعن المبرد في بعض القراءات المتواترة وذلك بسبب نحوي أو لغوي فتعقبه السمين في ذلك وردّ عليه وفنّد شبهته التي لأجلها ردّ القراءة.

ومن أمثلة ذلك: عند الحديث عن قراءة أبي عمرو البصري[١] بإسكان الهمزة في قوله: ﴿ بَارِيِكُمْ ﴾[٢]. قال السمين: وقد طعن عليها جماعة من النحويين، ونسبوا روايتها إلى الغلط على أبي عمرو... وقال المبرد: «لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب في كلام ولا شعر، وقراءة أبي عمرو لحنٌ».

وقد تعقب السمين هذا القول من المبرد وأغلظ عليه في الردّ فقال: «وهذه جرأة من المبرد وجهل بأشعار العرب، فإن السكون في حركات الإعراب قد ورد في الشعر كثيراً (ثم أورد عدة أبيات من الشعر تدل على ذلك). ثم قال بعد ذلك: وليت المبرد اقتدىٰ بسيبويه في الاعتذار عن أبي عمرو وعدم الجرأة عليه:

وابـنُ اللَّبُـونِ إذا مـا لُـزَّ فـي قَـرَن لم يَسْتَطِعْ صَوْلةَ البُزْل القَنَاعِيْسَ[٣] »[٤].

---

(١) انظر: السبعة ١٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) البيت لجرير وهو في ديوانه ص٣٢٣.
ابن اللبون: الفصيل الذي نتجت أمه غيره فصارت لبوناً. لُزّ: شد، القرن: الحبل، البزل القناعيس: الشداد من الإبل.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٦٢ـ٣٦٤ وانظر مثالاً آخر في (٦/ ٤١٣ـ٤١٤).

المبحث الثاني
مصادره من كتب اللغة

١ ـ **تهذيب اللغة** ـ للأزهري.
٢ ـ **العين** ـ للخليل بن أحمد.
٣ ـ **الزاهر في معاني كلمات الناس** ـ لأبي بكر الأنباري.
٤ ـ **الصحاح** ـ للجوهري.

١ ـ تهـذيب اللغـة
للأزهـــــري

التعريف بالمؤلف:

هو أبومنصور محمد بن أحمد بن الأزهر المعروف بالأزهري. ولد بهراة سنة ٢٨٢هـ، كان فقيهاً صالحاً غلب عليه علم اللغة. قال الذهبي: «كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً ديناً». صنف مؤلفات كثيرة منها: كتاب «التفسير» و«علل القراءات» وكتابه المشهور «تهذيب اللغة». توفي سنة ٣٧٠هـ[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ كتاب «تهذيب اللغة» من أوثق المعاجم اللغوية، ألّفه الأزهري بعد تمام نضجه الفكري بعد أن بلغ السبعين من عمره، وقد أبان عن منهجه في كتابه وسبب تسميته له بهذا الاسم فقال: «وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أُدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء من صيغتها، وغيرها الغتم عن سننها..»[٢] وقد حرص الأزهري كما يذكر هو بنفسه على ألا يذكر فيه إلا ما صح من سماع، أو ما كان من رواية عن ثقة، أو حكاية عن ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفته.

أما منهجه في ترتيب مواد اللغة فهو جارٍ على نمط كتاب العين للخليل وهو ترتيب حروف الهجاء حسب مخارج الحروف، يبدأ بأقصاها في الحلق وأدخلها وهو العين، ثم ما قرب مخرجه منها فالأرفع فالأرفع حتى يأتي على آخر الحروف وهو الياء.

---

(١) انظر ترجمته في (وفيات الأعيان ٣/٤٥٨، والسير ١٦/٣١٥ وطبقات الشافعية للأسنوي ١/٤٩، وبغية الوعاة ١/١٩).

(٢) انظر مقدمة التهذيب ص٤٠.

وقد قدّم الأزهري لكتابه هذا بمقدمة تُعدّ من أهم الوثائق في تاريخ التأليف اللغوي وتاريخ المدارس اللغوية الأولى. وذكر في مقدمته أيضاً طبقات أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في جمع كتابه مبيناً تراجمهم وآثارهم اللغوية[1].

طريقة نقل السمين عنه:

١ ـ نقل نص كلامه:

مثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «حاق» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2] ذكر السمين كلام الفراء والراغب في بيان معناها، ثم قال: «وقال الأزهري[3]: «جعل أبوإسحاق «حاق» بمعنى أحاط، وكأن مأخذه من الحوق وهو ما استدار بالكمرة». قال: «وجائز أن يكون الحوق فعلاً من حاق يحيق، كأنه في الأصل: حُيْق، فقلبت الياء واواً لانضمام ما قبلها»[4].

٢ ـ نقل كلامه مع التصرف فيه بزيادة أو نقصان:

عند الحديث عن كلمة، «نسقيكم» في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾[5].

قال: «وقال الأزهري:[6] «العرب تقول فكل ما كان من بطون الأنعام، ومن السماء، أو نهر يجري: أسقيت، أي: جعلت شرباً له وجعلت له من سُقْيا..»[7].

المجال الذي ينقل عنه فيه:

ينقل السمين عن الأزهري عند حديثه عن الكلمات من حيث أصولها اللغوية ومعانيها.

---

(١) انظر مقدمة تحقيق الكتاب ١/ ١٦ـ٢٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «حوق» ٥/ ١٢٦.

(٤) الدر المصون ٤/ ٥٤٦ـ٥٤٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٦) تهذيب اللغة: مادة سقى ٩/ ٢٢٨.

(٧) الدر المصون ٧/ ٢٥٢.

ومثال نقله عنه في بيان أصل الكلمة اللغوي:

١ـ عند بيان أصل كلمة «الحيض» في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[١]. أصل الحيض: السيلان والانفجار، . . . قال الأزهري[٢]: «ومن هذا قيل للحوض: حيض، لأن الماء يسيل إليه»[٣].

٢ـ عند بيان معنى كلمة «العقر» في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾[٤]. قال: والعَقْر أصله كشف العراقيب في الإبل وهو: أن تُضْرب قوائم البعير أو الناقة فتقع، وكانت هذه سنتهم في الذبح. قال امرؤ القيس[٥]:

ويومَ عقرتُ للعَذارى مطيَّتي فيا عَجباً مِنْ رَحْلِها المُتَحَمَّلِ

ثم أُطلق على كل نحرٍ، وإن لم يكن فيه كشف عراقيب تسمية للشيء بما يلازمه غالباً إطلاقاً للسبب على مسببه. هذا قول الأزهري[٦]»[٧].

وينقل السمين عن الأزهري في بيان الفروق اللغوية.

عند الحديث عن كلمة «سقى» في قوله تعالى: ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾[٨]. قال السمين: «واختلف الناس: هل سقى وأسقى لغتان بمعنى واحد أم بينهما فرق؟ خلاف مشهور. . ثم أورد رأي الأزهري فقال: وقال الأزهري[٩]: العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام، ومن السماء، أو نهر يجري: أسقيت، أي: جعلت شِرْباً له وجعلت له منه سُقْيا، فإذا كان للشّفة قالوا: سقىٰ، ولم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) تهذيب اللغة: مادة حيض ٥/ ١٥٩.
(٣) الدر المصون ٢/ ٤١٩ـ٤٢٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.
(٥) هو في ديوانه ص١١.
(٦) تهذيب اللغة: مادة «عقر» ١/ ٢١٥.
(٧) الدر المصون ٥/ ٣٦٦.
(٨) سورة النحل، الآية: ٦٦.
(٩) تهذيب اللغة: مادة «سقى» ٩/ ٢٢٨.

يقولوا: أسقىٰ»[1].

موقف السمين مما ينقله عن الأزهري:

نقل السمين بعض أقوال الأزهري في بيان المعاني اللغوية، وقبل بعض تلك النقول، وفيما سبق أمثلة لهذا.

واستدرك عليه بعض أقواله وآرائه، ومن ذلك: عند بيان معنى كلمة «قائلون» في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْهُمْ قَآئِلُونَ﴾[2].

قال السمين: قال الأزهري[3]: «القيلولة: الراحة وإن لم يكن فيها نوم، بدليل قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[4] والجنة لا نوم فيها» قال السمين معلقاً على كلام الأزهري: «ولا دليل فيما ذكر لأن المقيل هذا خرج عن موضوعه الأصلي إلى مجرد الإقامة بدليل أنه لا يُراد أيضاً الاستراحة في نصف النهار في الحرّ، فقد خرج عن موضوعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرته لك»[5].

---

(١) الدر المصون ٧/ ٢٥١ـ٢٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «قيل» ٩/ ٣٠٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

(٥) الدر المصون ٥/ ٢٥٢، ٢٥٣. ولمزيد من الأمثلة انظر: ٤/ ٤٣١، ٦٩٤، ٦/ ٢٤٧، ١٠/ ٤١٤.

٢ ـ العـين
للخليل بن أحمد

التعريف بالمؤلف:

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصريّ. صاحب العربية والعروض. «كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه؛ وهو أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة. وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم»[١]. وكان آية في الذكاء. وكان الناس يقولون: لم يكن في العربية بعد الصحابة أذكى منه. وكان يحج سنة ويغزو سنة وله سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٠ هـ[٢].

التعريف بالكتاب ومنهجه[٣]:

يُعدّ «العين» أول معجم للعربية، رتبه الخليل حسب ترتيب مخارج الحروف بدءاً بالأبعد في الحلق ومنتهياً بما يخرج من الشفتين. وكان ترتيبه على النحو التالي: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ث ذ، ر د ن، ف ب م، و ي أ.

وقد سمى كل حرف من هذه الحروف كتاباً وبدأ بكتاب «العين»

---

(١) هذا الكلام للسيرافي. انظر: بغية الدعاة ١/ ٥٥٧.

(٢) انظر ترجمته في (إنباه الرواة ١/ ٣٧٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤ والسير ٧/ ٤٢٩، وبغية الوعاة ١/ ٥٥٧).

(٣) هناك خلاف في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل. فمنهم من ينسبه إليه، ومنهم من ينسبه إلى الليث بن نصر الخراساني، وقد نقل السيوطي في المزهر (١/ ٧٦) آراء العلماء في ذلك. وانظر أيضاً: إنباه الرواة (١/ ٣٧٨).

وبه سُمي الكتاب.

تقسيمه للألفاظ: سار الخليل في كتابه على تقسيم الألفاظ إلى ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي.

كيفية التقليب فيه:

الكلمة الثنائية يمكن أن تقلب مرتين فيكون حرفها الأول ثانياً، والثاني أولاً. أما الكلمة الثلاثية فيمكن قلبها إلى ست صور. وترتفع صور قلب الكلمة الرباعية إلى أربع وعشرين صورة. بينما تصل الخماسية إلى مائة وعشرين صورة. وجعل الخليل تلك التقاليب في الحرف الأول مخرجاً من حروف تلك الكلمة وقد تضطره هذه الطريقة لذكر ألفاظ لا معنى لها؛ لأنها لم تستعملها العرب. لذا فهو يشير في عنوان كل فصل من الأبنية الثنائية والثلاثية إلى المستعمل منها والمهمل. أما ما عداها فاكتفى بإيراد المستعمل، ولم ينص على المهمل لأنه سيكون كثيراً.

وبذلك يتضح أن هدف الخليل من تأليفه هذا استيعاب كلام العرب وحصره ومعرفة المستعمل ومعانيه، كما صرح بذلك في مقدمته للعين[1]

طرق نقله عنه:

أفاد السمين من كتاب «العين» في بيان المعاني اللغوية للكلمات كثيراً وذلك يؤكد أصالة السمين في مراجعه ومصادره في الناحية اللغوية. واختلفت طرق السمين في النقل عنه، فأحياناً ينقل بالنص، وأحياناً بالمعنى.

١ ـ النقـــل بالنـــص:

ومن أمثلته: عند بيان معنى كلمة «الصهر» في اللغة وإطلاقاتها. عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[2]. قال السمين:

---

(١) العين ١/ ٤٧.

وانظر: مقدمة التحقيق لكتاب العين للدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.

وكتاب: المعجم العربي ـ نشأته وتطوره. د/ حسين نصَّار.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

«والصهر: قال الخليل[1]: «لا يقال لأهل بيت المرأة إلا أصهار، ولا لأهل بيت الرجل إلا «أختان». قال: ومن العرب من يطلق الأصهار على الجميع»[2].

٢ ـ النقـــل بالمعنـــى:

عند بيان معنى «حصحص» في اللغة، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾[3]. قال السمين: «حصحص» معناه: تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل[4]»[5].

موقفه مما ينقله عنه:

نظراً لأصالة كتاب «العين» للخليل إذ أنه أول معجم في العربية ولأن مؤلفه الخليل عاش في العصور المحتج بها في اللغة، لذا فقد وقف السمين مما ينقله عن الخليل موقف الإجلال والقبول. . وهذه بعض الأمثلة التي تمثل إفادة السمين من «العين».

١ ـ عند بيان معنى «الصلي» في قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[6].
قال السمين: وقال الخليل: «صلى الكافر النار: قاسى حرها. .»[7]

٢ ـ عند بيان معنى كلمة «متكأ» عند قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[8].
قال السمين: «بالضم: العسل الخالص عند الخليل»[9].

---

(١) «العين» مادة (صهر) ٣/ ٤١١.
(٢) الدر المصون ٨/ ٤٩٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٥١.
(٤) «العين» مادة (حصّ) ٣/ ١٤.
(٥) الدر المصون ٦/ ٥١٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٧) الدر المصون ٣/ ٥٩٥.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٩) الدر المصون ٦/ ٤٧٩.

٣ ـ عند بيان معنى كلمة «هباء» عند قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[١] قال السمين: «وقال الخليل: هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس»[٢].

٤ ـ عند بيان سبب تسمية مكة بذلك قال السمين: وقيل: لأنها وسط الأرض كالمخ وسط العظم. وهذا قول الخليل بن أحمد وهو حسن»[٣].

وينقل السمين عن الخليل في بيان بعض الفروق اللغوية.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند حديثه عن معنى كلمة «ضعفاً» في قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[٤]. قال السمين: «الضعف بالفتح في الرأي والعقل، وبالضم في البدن وهذا قول الخليل بن أحمد»[٥].

٢ ـ عند حديثه عن كلمة «سخرياً» عند قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾[٦] قال: «وبضم السين وكسرها هما بمعنى واحد وهذا قول الخليل»[٧].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٢) الدر المصون ٨/ ٤٧٤.
(٣) الدر المصون ٣/ ٣١٥.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.
(٥) الدر المصون ٥/ ٦٣٦.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٠.
(٧) الدر المصون ٨/ ٣٧١.

٣ ـ الزاهـــر
لابن الأنبـــاري

التعريف بالمؤلف:

هو أبوبكر محمد بن أبي القاسم الأنباري النحوي، الإمام الحافظ اللغوي، ولد سنة ٢٧٢هـ كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً، سمع من ثعلب وغيره، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن الكريم. وقال هو عن نفسه: «أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً». كان صدوقاً ديناً من أهل السنة زاهداً متواضعاً. ألّف عدة مصنفات منها: الزاهر، وغريب الحديث، والواضح في النحو، وغيرها. توفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ[١].

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب معجم يعرض للأقوال والأمثال من غير نظام ولا ترتيب. ويبدأ بطريقة عرضه لهذه الأقوال ثم يبدأ في شرحه. ويمكن تلخيص منهجه في النقاط التالية:

١ ـ يشرح القول أو المثل ويبين غريبه مستشهداً على ذلك بالآيات والأحاديث والشعر.

٢ ـ يذكر أقوال العلماء من بصريين وكوفيين بدون تعصب، مع مناقشته لهم. ويميل إلى البصريين أحياناً.

٣ ـ لا يخلي كتابه من كثير من القضايا اللغوية كالأضداد والاتباع والإبدال والتثنية والتذكير والتأنيث.

٤ ـ يعتمد كثيراً في شروحه على أقوال أهل التفسير والحديث.

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ٣/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٣١، والبغية ١/ ٢١٢ والشذرات ٢/ ٣٢٥).

٥ ـ يعرض لكثير من المسائل النحوية والصرفية.
٦ ـ يتعرض لبعض البحوث في خلق الإنسان واشتقاق الأسماء واشتقاق أسماء البلدان.
٧ ـ يكثر عنده التكرار فربما يذكر المثل أو القول ثم يذكره مرة أخرى.
٨ ـ ينبه على أقوال العامة وأخطائهم في بعض الإطلاقات.
٩ ـ يكثر من ذكر القراءات القرآنية[١].

طرق نقله عنه:

١ ـ النقل بالنص:

مثال ذلك عند بيان علة تسمية الخمر بهذا الاسم ذكر السمين أربعة أقوال فقال: «. . . الثالث ـ قال الأنباري[٢] ـ لأنها تخامر العقل، أي تخالطه. .»[٣].

٢ ـ النقل بالمعنى:

ومثال ذلك: عند حديثه عن معنى كلمة «مائدة» وسبب تسميتها بذلك. قال السمين: «وقال أبوبكر الأنباري[٤]: «سُميت مائدة لأنها غياث وعطاء، من قول العرب: ماد فلان فلاناً إذا أحسن إليه. . .»[٥].

المجال الذي نقل عنه فيه:

هو المجال اللغوي وذلك في بيان معاني الكلمات ودلالتها في اللغة وفي ذكر بعض اللغات في الكلمة. وفي بيان الفروق اللغوية.

ومثال الأول: عند بيان معنى كلمة «جفاء» في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ

---

(١) انظر: مقدمة د/ حاتم الضامن في تحقيقه للزاهر «الفصل الثاني دراسة الكتاب» ١/ ٤١ـ٤٨.
(٢) الزاهر ١/ ٤٣٤.
(٣) الدر المصون ٢/ ٤٠٥.
(٤) الزاهر ١/ ٣٧٢.
(٥) الدر المصون ٤/ ٥٠٢.

جُفَآءً ﴾[1]. قال السمين: «والجفاء: قال ابن الأنباري: «المتفرق». يقال: جفأت الريح السحاب أي: قطعته وفرقته. . . »[2].

ومثال نقله عنه في بيان الفروق اللغوية: عند حديثه عن الفرق بين الهلاك والبعد عن قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[3]. قال: «وقال ابن الأنباري: «من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب فيقول فيهما: بَعُد يَبْعُد، وبَعِد يَبْعَدُ. . . »[4].

موقفه مما ينقله عنه:

اتخذ السمين موقفين فيما ينقله عن ابن الأنباري:

١ ـ موقف الموافقة. وفيما سبق أمثلة لذلك.

٢ ـ موقف الاستدراك والمناقشة.

ومثال ذلك: عند حديث السمين عن معنى كلمة «الفسق»[5] في اللغة قال: «. . . وزعم ابن الأنباري[6] أنه لم يُسمع في كلام الجاهلية ولا في شعرها فاسق، وهذا عجيب، قال رؤبة[7]:

يَهْوِينَ في نَجْدٍ وغوراً غائراً فواسِقاً عن قَصْدها جَوائرا[8]

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) الدر المصون ٧/ ٤١.

(٣) سورة هود، الآية: ٩٥.

(٤) الدر المصون ٦/ ٣٨١.

(٥) في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

(٦) الزاهر ١/ ١٢٠.

(٧) ورؤبة: هو رؤبة بن العجاج التميمي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كانوا يحتجون بشعره. توفي سنة ١٤٥هـ. الأعلام ٣/ ٣٤. والبيت في ملح ديوانه ص١٩٠.

(٨) الدر المصون ١/ ٢٣٤. وقد تعقب الشهاب الخفاجي السمين في استدراكه هذا على ابن الأنباري. وسيأتي تفصيل هذا في حديثي عن (تعقبات الشهاب للسمين في اللغة. انظر: ص (٦٧٣) من هذه الرسالة.

٤ ـ الصحـاح
للجوهري
«تاج اللغة وصحاح العربية»

التعريف بالمؤلف:

هو أبونصر إسماعيل بن حماد التركي الجوهري. كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً وكان إماماً في اللغة والأدب وخَطُّه يُضرب به المثل. صنّف مؤلفات عدة منها «الصحاح» وقد سار في الآفاق كتابه هذا. اختلط في آخر عمره، ومات متردياً من سطح داره بنيسابور في سنة ٣٩٨هـ وقيل في حدود سنة أربعمائة[١].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ «الصحاح» من أهم المعاجم اللغوية التي يكثر رجوع الدارسين والباحثين إليها وذلك لسهولة طريقته وميزتها على الطرق التي سبقته في ترتيب الكلمات.

وطريقة الجوهري في صحاحه هذا: ترتيب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة، ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، والأول سمّاه باباً، والثاني فصلاً، ولم يقف عند الحرف الأخير بل بلغ الدقة العظيمة في الترتيب بالنظر إلى الحرف الأول، ثم تجاوز ذلك إلى الحرف الثاني في الثلاثي، والحرف الثالث في الرباعي، والحرف الرابع في الخماسي وقد التزم الجوهري إيراد ما صح عنده رواية ودراية وسماعاً مشافهة من أصحاب اللغة الأصلاء وقد امتدح العلماء الصحاح فقال السيوطي[٢]: «وغالب هذه الكتب ـ يقصد المعاجم ـ لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح بل جمعوا فيها ما صح وغيره. . .

---

(١) انظر: (إنباه الرواة ١/ ٢٢٩، والسّير ١٧/ ٨٠، وبغية الوعاة ١/ ٤٤٦، والشذرات ٣/ ١٤٢).

(٢) انظر: المزهر ١/ ٩٧.

وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه: الإمام أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سمى كتابه الصحاح» لذا فقد أقبل عليه العلماء ولم يكتب لمعجم عربي مثلما كتب للصحاح من الخدمة والحفاوة[1].

طرق نقله عنه:

١ ـ النقل بالنص:

مثال ذلك عند بيان اشتقاق كلمة «فرعون» عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[2]. قال السمين: «وظاهر كلام الجوهري أنه مشتق من معنى العُتوّ، فإنه قال[3]: «والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي: دهاءٍ ومكر»[4].

٢ ـ النقل بالمعنى:

مثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «سفك» واستعمالاتها. عند قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ﴾[5].

قال السمين: «وقال ابن فارس والجوهري[6]: «يُستعمل أيضاً في الدمع»[7].

المجال الذي ينقل عنه فيه:

وينقل السمين عن الجوهري في بيان المعاني اللغوية للكلمة.

مثال ذلك: عند بيان المراد بـ «أمة» على قراءة مجاهد وقتادة

---

(١) انظر تفصيل أثر الصحاح في: مقدمة أحمد عبدالغفور عطار في تحقيقه للصحاح في باب: أثر الصحاح ١٥٤ـ٢١٢/ ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

(٣) انظر الصحاح مادة: (فرعن).

(٤) الدر المصون ١/ ٣٤٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٦) انظر الصحاح مادة (سفك).

(٧) الدر المصون ١/ ٢٥٥.

بالكسر[1] عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[2].

قال: «وقال الجوهري: وهي الطريقة الحسنة لغةً في أُمة بالضم»[3]

وينقل عنه في بيان اشتقاق بعض الكلمات.

مثال ذلك: عند اشتقاق كلمة «فرعون».

قال السمين: «وظاهر كلام الجوهري أنه مشتق من معنى العُتو»[4]...

وينقل عنه في ضبط بعض الكلمات.

مثال ذلك: عند ضبط مصدر كلمة «يكلؤكم» في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[5].

قال: «والكلاءة: الحفظ يقال: كلأه يكلؤه الله كِلاءة بالكسر كذا ضبطه الجوهري فهو كالِيء ومكلوء»[6].

---

(١) انظر: الشواذ ص١٣٥، ١٣٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

(٣) الدر المصون ٩/ ٥٨١. وانظر أيضاً ١٠/ ١٨٦.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٢.

(٦) الدر المصون ٨/ ١٦٠.

الفصل الأول
منهجه في التفسير بالمأثور

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: **تفسير القرآن بالقرآن.**

المبحث الثاني: **بيان سر خواتيم الآيات.**

المبحث الثالث: **دفع توهم التعارض بين الآيات.**

المبحث الرابع: **تفسير القرآن بالسنة.**

المبحث الخامس: **أسباب النزول.**

المبحث السادس: **تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.**

المبحث السابع: **الإسرائيليات في الدّر.**

المبحث الثامن: **عنايته بالقراءات.**

ملحق: **مميزات منهج السمين في التفسير.**

المبحث الأول
تفسير القرآن بالقرآن

يجمع العلماء على أن من أراد أن يفسر القرآن يطلبه أولاً من القرآن نفسه، لذا فهو أصح طرق التفسير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مقرراً ذلك: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»[1].

وقد اهتم العلماء بهذا النوع من التفسير واعتمدوه. مقتدين في ذلك بتفسير الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2] فإن هذه الآية لما نزلت ـ كما يقول عبدالله بن مسعود ـ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يارسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3][4].

وقد اتخذ العلماء هذا الحديث أصلاً في تفسير القرآن بالقرآن، واعتنى بذلك الصحابة ومن بعدهم من المفسرين، ومن أمثلة اعتماد الصحابة على القرآن في تفسيرهم للقرآن ما أخرجه الطبري عن محمد بن كعب القرظي[5] قال: مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار»... حتى بلغ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم (الصحيح مع الفتح ١/ ١٠٩)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (١٩٧).

(٥) محمد بن كعب بن سُليم القرظي. الإمام العلامة الصادق، قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً توفي سنة ١١٣هـ على خلاف في ذلك. (السِّيَر ٥/ ٦٥).

«ورضوا عنه» قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أُبيّ بن كعب، فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم. قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبيّ: بلى تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[2]. وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾[3][4].

فقد اعتمد أُبيّ هنا في تصحيح الفهم[5] لعمر رضي الله عنه في قوله تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» على الآيات التي ذكرها من سورة الجمعة، والحشر، والأنفال.

وقد اعتنى المفسرون بتفسير القرآن بالقرآن تأصيلاً وتطبيقاً. يقول الرازي في معرض ترجيحه لأحد الأقوال في التفسير ـ: «تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب»[6].

ويجعله ابن جُزيّ الكلبي[7] أول الأوجه التي يرجح بها عند الاختلاف في

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٤) جامع البيان للطبري (٧/ ٨).

(٥) وكان عمر قد فهم اختصاص السبق بالمهاجرين، والأنصار التابعون بإحسان، وذلك بناء على ما كان يقرأ من رفع الأنصار وإسقاط الواو في «والذين اتبعوهم» فاستدل أبيّ بالآيات التي أوردها على أن التابعين غير الأنصار، وأن الأنصار من السابقين الأولين. انظر (المحرر الوجيز ٨/ ٢٦٠ وروح المعاني ١١/ ٨).

(٦) مفاتيح الغيب ١٠/ ٤٢.

(٧) محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي، فقيه، أصولي، لغوي، مفسر، صاحب كتاب «التسهيل» في التفسير. استشهد في ٧٤١هـ. (الدرر الكامنة ٣/ ٤٤٦، وطبقات المفسرين =

التفسير فيقول: «وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر[1]، الأول: تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال»[2].

وأما عنايتهم بتفسير القرآن تطبيقاً، فالمفسرون في ذلك على قسمين: فمنهم من جعله في أوائل ما يبدأ به في التفسير فضَمّن كتابه كثيراً من تفسير القرآن بالقرآن وعلى رأس هؤلاء الإمام الطبري، وابن كثير[3].

ومنهم من جعله منهجاً متكاملاً بنى عليه تفسيره كصنيع العلاّمة الشنقيطي[4] في تفسيره «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» فقد جعل تفسير القرآن بالقرآن هو هدفه الأول كما صرح بذلك في مقدمة الكتاب حيث قال: «أولها ـ أي الأهداف ـ بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله ـ جلَّ وعلا ـ من الله جلَّ وعلا»[5].

وقدم لكتابه هذا بمقدمة ضافية ذكر فيها أنواع بيان القرآن بالقرآن[6].

ولقد فسر السمين القرآن بالقرآن، وأكد على أقوال العلماء السابقين في

= ٢/ ٨٥).

(١) هكذا ورد في المطبوع ولعل الصواب «اثنا».

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٩.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبوالفداء. ولد سنة ٧٠١هـ، أخذ الكثير عن ابن تيمية، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك. صنف «البداية والنهاية» و«تفسير القرآن العظيم» وغيرهما توفي سنة ٧٧٤هـ (طبقات المفسرين ١/ ١١١).

(٤) العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، اللغوي، الأصولي، الفقيه، المفسر درّس في المسجد النبوي، وكُلِّيَتَي الشريعة واللغة وغيرها، توفي ١٣٩٣هـ (انظر ترجمة تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة الأضواء ١/ ٣).

(٥) أضواء البيان ١/ ٣.

(٦) راجع هذه المقدمة في ١/ ٣ـ٢٦.

ذكرهم لأهمية هذا النوع فقال ـ بعد أن فسر آية بأخرى في أحد المواضع من كتابه : «والقرآن يفسر بعضه بعضاً . . . »[1] وقد قمت بتقسيم ما ورد عند السمين في هذا الجانب إلى خمسة مطالب :

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن لبيان معنى كلمة .

المطلب الثاني : تفسير القرآن بالقرآن لبيان معنى جملة .

المطلب الثالث : تفسير القرآن بالقرآن في مجال الإعراب .

المطلب الرابع : تفسير القرآن بالقرآن للتأكيد على معنى بلاغي .

المطلب الخامس : تشبيه تركيب قرآني بتركيب قرآني آخر .

وقدّمْتُ قبل ذلك بتمهيد ذكرت فيه طريقته في ذكر الآية المفسِّرة .

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٦٣٨ .

تمهـــــيد
طرق ذكره للآية المفسّرة

١ ـ ذكر نصّ الآية. وهذا هو الأسلوب الغالب عند السمين. ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «الظن» في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾[١] قال: «والظن هنا: اليقين، ومثله قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٢]»[٣].

٢ ـ ذكر معناها.

مثال ذلك: عند بيانه لمعنى التراخي المستفاد من «ثم» وتخريجه لذلك، مع أنه لا زمان له هنا ـ كما يقول ـ وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[٤] قال: «لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال أُخر من جعل الجبال والبركة، وتقدير الأقوات كما أشار إليه في الآية الأخرى...»[٥].

فقد ذكر هنا معنى الآية: التي في سورة فصلت وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[٦].

ومثال آخر: عند حديثه عن سر الترتيب في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٠.
(٣) الدر المصون ١/ ٣٣٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٥) الدر المصون ١/ ٢٤٢.
(٦) سورة فصلت، الآية: ١٠.

﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾[1]. قال: «. . . ثم أتى بذكر ما يحصل به جمال حين تريحون وحين تسرحون كما تشهد به الآية الأخرى[2]»[3]

٣ـ الإشارة إليها بذكر السورة التي توجد فيها.

ومثال ذلك: عند بيان نوع «أل» في «الأنهار» في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[4] قال: «وقيل للعهد لذكرها في سورة القتال»[5].

والآيات التي يُفسِّر بها السمين: إما أن تكون من سورة أخرى، وفيما سبق أمثلة لذلك، وإما أن تكون من نفس السورة التي فيها الآية المفسَّرة. ومثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير في «ألتناهم» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[6] قال: «في ذلك وجهان، الثاني منها: أنه عائد على أبنائهم. قيل ويقويه قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾»[7] وهذه الآية هي الآية: ٢١ من السورة نفسها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) يعني آية النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

(٣) الدر المصون ٣/ ٦٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٥) الدر المصون ١/ ٢١٥.

(٦) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٧) الدر المصون ١٠/ ٧٣.

المطلب الأول
تفسيره بالقرآن لبيان معنى كلمة

إذا أراد السمين أن يبين معنى كلمة فإنه يستخدم في ذلك ورودها في آيات أُخر تبين معناها.

الأمثلـــة:

١ ـ عند بيان معنى «سلف» في قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾[١] قال: سلف بمعنى مضى وانقضى، ومنه ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾[٢] أي أمة متقدمة يعتبر بهم من بعدهم»[٣].

٢ ـ عند بيان معنى كلمة «تضل» في قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾[٤] قال: المراد بالضلال هنا: النسيان كقوله تعالى: ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٥]»[٦]

٣ ـ عند بيان معنى كلمة «الاستفتاح» في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٧]. قال: «ومعنى الاستفتاح: الاستنصار ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾[٨][٩].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.
(٣) الدر المصون ٢/ ٦٣٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٠.
(٦) الدر المصون ٢/ ٦٦٢.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.
(٨) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٩) الدر المصون ٧/ ٧٨.

٤ ـ عند بيان معنى كلمة «فزيلنا» في قوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[1]. قال: «فزيلنا أي: فرّقنا وميّزنا كقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾[2][3].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٣) الدر المصون ٦/ ١٩١. لمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٦٦، ٣٥٧، ٤٠٠، ٦٤٠، ٧٠٢، ٣/ ٣٥٤، ٤٠١ و٤/ ٣٥، ١٢٤، ٢٢٠، ٢٩٢، و٥/ ٤٣، ٢٧٢، ٦٠٣، ٥٢٧، و٦/ ٩٦، ١٩١، ٤٢١، و٧/ ١٤٨، و٨/ ١٠٩، و٩/ ٢٥١، ٣٦٦، ٤٠٠ و١٠/ ١٥٧، ٢١٥).

المطلب الثاني
تفسيره بالقرآن لبيان معنى جملة

ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[1] قال: «ويجوز أن يكون الضمير للإنسان. والسبيل ظرف، أي: يسر للإنسان الطريق، أي: طريق الخير والشر كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2]. وقال أبو البقاء: «ويجوز أن ينتصب بأنه مفعولٌ ثان لـ يسره، والهاء للإنسان، أي: يسره السبيل، أي: هداه له». قلت: فلابد من تضمينه معنى أعطى حتى ينصب اثنين، أو يحذف حرف الجر، أي: يسره للسبيل، ولذلك قدره بقوله: هداه له. ويجوز أن يكون «السبيل» منصوباً على الاشتغال بفعل مقدر، والضمير له، تقديره: ثم يسر السبيل يسره، أي: سهَّله للناس كقوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[3]، وتقدم مثله في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾[4][5].

---

(١) سورة عبس، الآية: ٢٠.
(٢) سورة البلد، الآية: ٢٠.
(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٥) الدر المصون ١٠/ ٦٩٠.

المطلب الثالث
تفسيره بالقرآن في مجال الإعراب

استخدم السمين في مجال الإعراب آيات القرآن لعدة أمور هي:

١ ـ للدلالة على جواز أحد الأوجه الإعرابية. فهو يستدل بآية من القرآن على جواز أحد الأوجه الإعرابية، وأمثلة هذا كثيرة، منها:

أ ـ عند إعراب «فجاجاً» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾[١]. قال: «فيه وجهان. أحدهما: أنه منصوب على الحال من «سبلاً» لأنه في الأصل صفة له فلما قُدّم انتصب حالاً، ويدل على ذلك مجيئه صفة في الآية الأخرىٰ وهي قوله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[٢]»[٣].

ب ـ عند إعراب «الأيمن» في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٤]. قال: «الظاهر أنه صفة للجانب بدليل أنه تبعه في قوله تعالى[٥]: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾»[٦].

٢ ـ استدلاله بآية لتقدير المحذوف:

ومثال ذلك: عند بيان المحذوف في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾[٧]. قال: ولابد للتبديل من مفعولين: مُبدَّل وبدل، ولم يذكر هنا إلا أحدهما وهو المُبدَّل، وحذف البدل وهو المفعول الثاني لفهم المعنى، وقد

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣١.
(٢) سورة نوح، الآية: ٢٠.
(٣) الدر المصون ٨/ ١٥٠.
(٤) سورة مريم، الآية: ٥٢.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٠.
(٦) الدر المصون ٧/ ٦٠٧، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٥٩٦، ٥٩٧، و٣/ ١٠٩ و١٦٤ و١٩١ و٧/ ٥٩، ٢٦٢).
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١١.

صُرح به في قوله تعالى: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[1] «فكفراً» هو المحذوف هنا[2].

وعند قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾[3]. قال: قوله: «أبىٰ» جملة مستأنفة لأنها جواب سؤال مقدر. أي: ما منعه من السجود؟ فأُجيب بأنه أبىٰ واستكبر. ومفعول الإباء يجوز أن يكون مراداً وقد صُرح به في الآيةالأخرى في قوله: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[4]»[5]

٣ـ استدلاله بآية لترجيح إعراب:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾[6]. قال: «وقدّر بعضهم مضافاً أي: عيون وجوه، ويقويه أن الطمس للأعين. قال تعالى: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[7]»[8].

وعند إعراب: «أخرى» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾[9]. قال: يجوز أن تكون «أُخرىٰ» هي القائمة مقام الفاعل وهي في الأصل صفة لمصدر محذوف أي: نفخ فيه نفخة أُخرىٰ، ويؤيده التصريح بذلك في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[10] فصرح بإقامة المصدر»[11].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.
(٢) الدر المصون ٢/ ٣٧٠ـ٣٧١.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٦.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٢١.
(٥) الدر المصون ٨/ ١١٢. ولمزيد من الأمثلة انظر (٣/ ٣٩٤، ٦٩٣، و٧/ ٥٥ و٨/ ٢٢١ و٩/ ٩، ١٧٩).
(٦) سورة النساء، الآية: ٤٧.
(٧) سورة يس، الآية: ٦٦.
(٨) الدر المصون ٣/ ٧٠١.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(١٠) سورة الحاقة، الآية: ١٣.
(١١) الدر المصون ٩/ ٤٤٥ ولمزيد من الأمثلة انظر (٢/ ١٤، ٢٨، ٢٩، ١١٩ و٣/ ٤١٩).

٤ ـ استدلاله بآية لبيان مرجع ضمير:

ومثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير «وذكر به» في قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾[1]. قال: «وذكر به: أي القرآن يدل له قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[2][3].

وقد يذكر خلافاً في مرجع ضمير ثم يُرجّح أحد الآراء باستدلاله عليه بآية أخرى.

ومثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير في «آثارهم» في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى﴾[4]. قال: والضمير: إما للنبيين لقوله تعالى ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ وإما لمن كتبت عليهم تلك الأحكام».

ثم قال: «والأول أظهر لقوله في موضع آخر: ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[5]»[6].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٣) الدر المصون ٤/ ٦٧٩، وانظر مثالاً آخر في (٤/ ٥٧١).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٦) الدر المصون ٤/ ٢٨٢، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٨/ ١٥١ و٥٢٨).

المطلب الرابع
التأكيد على معنى بلاغي

ويستعمل السمين القرآن للتأكيد على أحد المعاني البلاغية، ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند بيان فائدة التنكير في قوله: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[١]. قال: «وكذلك التنكير في «ماءً فراتاً» يحتمل المعنيين: أما التفخيم فواضح لعظم المنّة به عليهم.

وأما التبعيض فكقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[٢] فهذا مفهم للتبعيض، والقرآن يفسر بعضه بعضاً»[٣].

٢ ـ عند الحديث عن جمال الكناية في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٤]. قال: «وما أحسن ما أتى هنا بالغيبة؛ لأنه كناية عما يُستحيا منه فلم يخاطبهم به وهذا من محاسن الكلام. ونحوه ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٥]»[٦].

---

(١) سورة المرسلات، الآية: ٢٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٤٣.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٦٣٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.
(٦) الدر المصون ٣/ ٦٩٢. وانظر مثالين آخرين في ٢/ ٥٠ و٦٣٦.

المطلب الخامس
تشبيه تركيب بتركيب

والمقصود بذلك: تشبيه تركيب قرآني بتركيب قرآني آخر، ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾[١]. قال: «أفرد الضمير وقد تقدمه اسمان وهما: الله ورسوله، فهو كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[٢] لأن حكم رسوله هو حكمه»[٣].

٢ ـ عند تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[٤]. ذكر أن هناك من قال إن تقديره: كمن لم يُزين له، وقال: وهو أحسن لموافقته لفظاً ومعنى.

ونظيره: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٥] و ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾[٦]»[٧].

٣ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾[٨] قال: «وهذه الجملة لفظها خبر ومعناها الأمر كقوله: ﴿۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾[٩]»[١٠].

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٨.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٢.
(٣) الدر المصون ٨/ ٤٢٦.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٥) سورة هود، الآية: ١٧.
(٦) سورة الرعد، الآية: ١٩.
(٧) الدر المصون ٩/ ٢١٤.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(١٠) الدر المصون ٢/ ٦٤٦.

المبحث الثاني
بيان سر خواتيم الآيات

من عجيب تركيب آيات القرآن الكريم أن خاتمة كل آية لها تعلّق بما ذكر فيها من أحكام أو آداب أو قصص، وهذه المناسبة أو السر قد يظهر، وقد يخفى، أو يدق فلا يظهر إلا للمتدبر الواعي للقرآن، وقد وقف بعض المفسرين يبين بعض تلك الأسرار في ارتباط الآية بخاتمتها. وقد وردت إشارات عند السمين إلى سر خواتيم بعض الآيات.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

قال السمين مبيناً مناسبة هذا الختم لما في ذكر الآية: «وناسب ختام هذه الآية بقوله: «لقوم يؤمنون» كون ما تقدم دالاً على وحدانيته وإيجاده المصنوعات المختلفة، فلابد لها من مدّبر مع أنها نابتة من أرض واحدة وتُسقى بماء واحد، وهذه الدلائل إنما تنفع المؤمنين المتدبرين دون غيرهم»[2].

وينقل السمين عن المفسرين ما يكشف سر ختم بعض الآيات.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٢) الدر المصون ٥/ ٨٢ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٤٣٠، ٣/ ٤٦٤، ٥٠٦، ٤/ ٣٨٠، ٥/ ٢٢٢، ٧/ ٢٠٠).

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

فقد نقل هنا عن الزمخشري ما بين سر اختلاف التذييل بين الآيتين فقال: «قال الزمخشري: «فإن قلت: فلم قيل: «يعلمون» مع ذكر النجوم، «ويفقهون» مع ذكر إنشاء آدم. قلت: كأن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم على أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له»[1].

وقد يذكر السمين أثناء ذكره لسر ختم آية قاعدة عامة في القرآن في مجال ختم الآيات.

ومثال ذلك: عند ختم آية ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] قال: وختمت هذه الآية بترجي الشكر لأن قبلها تيسيراً وترخيصاً فناسب ختمها بذلك.

وختمت الآيتان قبلها بترجي التقوى وهو قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[3] وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[4] لأن القصاص والصوم من أشق التكاليف فناسب ختمها بذلك، وهذا أسلوب مطّرد حيث ورد ترخيص عُقّب بترجي الشكر غالباً، وحيث جاء عدم ترخيص عُقّب بترجي التقوى وشبهها وهذا من محاسن علم البيان[5]».

---

(١) الدر المصون ٥/ ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٤) سورة البقرة: الآية: ١٨٣.
(٥) الدر المصون ٢/ ٢٨٩.

المبحث الثالث
دفع توهم التعارض بين آيات القرآن

قد تتعارض بعض آيات القرآن ـ في الظاهر ـ فتدل آية على معنى، وتدل آية أخرى على معنى معارض لذلك المعنى. لذا فقد قام بعض العلماء بالإجابة عن هذا التعارض، والجمع بين الآيات المتعارضة في الظاهر.

وكان للسمين اهتمام بهذه المسألة في كتابه «الدر المصون» فكان يقف عند الآيات التي قد تتعارض مع غيرها في الظاهر ويوجد لهذا التعارض حلول وأجوبة تدفع إيهام الاضطراب بين آيات القرآن.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان سر الاختلاف في وصف عصا موسى. فمرّة وصفت بأنها ثعبان، ومرة بأنها جانّ يقول: «وهنا سؤال وجوابه، وصفها تارة بكونها ثعباناً وهو العظيم الهائل الخَلْق[1]، وفي موضع آخر بقوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[2] والجان من الحيات الخفيف الضئيل الخلق فكيف يُجمع بين هاتين الصفتين؟

وقد أجاب الزمخشري في غير هذا المكان بجوابين، أحدهما: أنه جمع لها بين شيئين: أي كِبَر الجثة كالثعبان وبين خفة الحركة وسرعة المشي كالجان. والثاني: أنها في ابتداء أمرها تكون كالجانّ ثم تتعاظم ويتزايد خلقها إلى أن تصير ثعباناً»[3].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٠٧].

(٢) سورة النمل، الآية: ١٠.

(٣) الدر المصون ٥/ ٤٠٦.

عند قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[1]. قال: قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ﴾ أي: إلى هؤلاء المعاصرين لم نرسل إليهم نذيراً يشافههم بالنذارة غيرك، فلا تعارض بينه وبين قوله: وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير[2]» إذ المراد هناك آثار النذير، ولا شك أن هذا كان موجوداً، يذهب النبي وتبقى شريعته»[3].

ويُخرّج السمين الآيات التي يتعارض ظاهرها مع الواقع.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]. قال: فإن قيل: قد وُجد الريب في كثير من الناس في القرآن، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾ ينفي ذلك، فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المنفي كونه متعلقاً للريب، بمعنى أن معه من الأدلة ما إن تأمله المصنف المُحقّ لم يَرْتَب فيه، ولا اعتبار بريب من وُجد منه الريب، لأنه لم ينظر حق النظر، فريبه غير معتد به.

والثاني: أنه مخصوص، والمعنى: لا ريب فيه عند المؤمنين.

والثالث: أنه خبر معناه النهي، أي لا ترتابوا فيه. والأول أحسن»[5].

ويخرج الآيات التي يتعارض ظاهرها مع الأحاديث.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾[6].

قال: «... واختلف هنا في «صفاً» هل هو مفرد وقع موقع الجمع، إذ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٤.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٤.
(٣) الدر المصون ٩/ ١٩٧ ـ ١٩٨. ولمزيد من الأمثلة انظر (١/ ٢٣٣ و٥/ ٥٦٧ و١٠/ ٦٧٩).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٥) الدر المصون ١/ ٩٠.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٨.

المراد صفوفاً، ويدل عليه الحديث الصحيح: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً**»[1]. وفي حديث آخر: «**أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، أنتم منها ثمانون**»[2]. وقيل: ثَمَّ حذف، أي: صفاً صفاً. ومثله قوله في موضع «﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3]. وقال في آخر: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[4] يريد صفاً صفاً، بدليل الآية الأخرى فكذلك هنا. وقيل: بل كل الخلائق يكونون صفاً واحداً، وهو أبلغ في القدرة». وعلى تفسير الآية بهذا الوجه تتعارض الآية في ظاهرها مع الحديثين السابقين فيجيب السمين عن هذا الإشكال بقوله: «وأما الحديثان فيحملان على اختلاف أحوال، لأنه يوم طويل كما شهد له بقوله: «كان مقداره خمسين ألف سنة» فتارة يكونون فيه صفاً واحداً وتارة صفوفاً»[5].

وقد يترتب على أحد الأوجه الإعرابية في إعراب بعض الآيات تعارضه مع صفات الله عزوجل وعظمته وجلاله وما ينبغي له. فيجيب عن هذا الإشكال ويدفعه.

ومثال ذلك عند إعراب: «يوم ينفخ» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ﴾[6] ذكر أن في ذلك ثمانية أوجه، منها: أنه منصوب بنفس الملك أي: وله الملك في ذلك اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي (الصحيح مع الفتح ٦/ ٣٩٥) وفي كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (الصحيح مع الفتح ٨/ ٣٩٥). ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٢٧). لكن لفظ «صفوفاً» لم أحده فيما اطلعت عليه من كتب السنة.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي في مشكل الآثار ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٤١٩، برقم ١٠١٢. وللحديث لفظ آخر، هو: «أهل الجنة عشرون ومائة صنف، ثمانون منها من هذه الأمة، . .» (انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١/ ٤٩٦ برقم ٢٥٢٦).

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة عم، الآية: ٣٨.

(٥) الدر المصون ٧/ ٥٠٥.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.

ولكن هذا الإعراب يتعارض مع صفة الملك لله عزوجل، فالله له الملك في كل وقت. وهذا الإعراب يخص الملك لله بيوم القيامة.

ويبين السمين هذا الإشكال ثم يجيب عنه فيقول: «فإن قلت: يلزم من ذلك تقيد الملك بيوم النفخ والملك له في كل وقت. فالجواب ما أُجيب به في قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ﴾[1] وقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[2] وهو أن فائدة الإخبار بذلك أنه أثبت الملك والأمر في يوم لا يمكن أحد أن يدعي فيه شيئاً من ذلك فكذلك هذا»[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٩.

(٣) الدر المصون ٤/ ٦٩٢.

المبحث الرابع
تفسيره القرآن بالسنة

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التفسير، فمتى صح الحديث وجب المصير إليه في التفسير. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة»[1].

وقال ابن الوزير[2] في بيانه لأنواع التفسير: «النوع الثالث: التفسير النبوي وهو مقبول بالنص والإجماع قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[4] وفي الحديث: «**لا يأتي رجل مترف متكىء على أريكته يقول لا أعرف إلا هذا القرآن. ما أحله أحللته وما حرمه حرمته ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه ألا وإن الله حرم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير**»[5]. ويدل على ذلك أن الإجماع قد انعقد على نسخ وجوب الوصية للوارثين بحديث: «**لا وصية لوارث**»[6] وهو حديث حسن وإذا وجب قبول

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن المرتضى اليماني، المعروف بابن الوزير، من أئمة الاجتهاد في عصره، كان من كبار حفاظ الحديث، ألف العواصم والقواصم رداً على الزيدية. توفي سنة ٨٤٠هـ (انظر: الضوء اللامع ٦/ ٢٧٢).

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٣١، ١٣٢). وأبوداود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠). وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه (١/ ٦) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه حديث رقم (١٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٨٦، ١٨٧، ٢٣٨) والنسائي، كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية لوارث (٤/ ٣٧٦) وغيرهما. وصححه الألباني في إرواء الغليل حديث رقم =

ذلك في نسخ فريضة منصوصة فيه فكيف بسائر البيان والتخصيص، وقبوله في نسخ وجوب الوصية إجماع العترة والأمة»[1].

وقد اهتم بعض المفسرين بهذا المصدر فأولوه عناية في تفاسيرهم فإذا صح الحديث صاروا إليه، وهناك من المفسرين من لم يُعن به فلم يكثروا من إيراد الأحاديث في تفاسيرهم إما لقلة بضاعتهم في هذا الجانب أو لطبيعة الاتجاه الذي ينهجونه، وقد كان السمين من الفريق الثاني، فلأجل اهتمامه بالاتجاه اللغوي وبخاصة الإعراب في كتابه لم يُعن بالناحية الأثرية ولذا فلم يذكر إلا أحاديث معدودة في تفسيره. وغالب الأحاديث التي ذكرها لم يهتم بذكر رواتها ولا تخريجها.

ومن أمثلة ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] قال: «. . . وفي الحديث «**ياأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**[3]»[4].

وقد يروي الحديث بصيغة التمريض.

ومثال ذلك: عند التفريق بين اسمي «الرحمن، والرحيم». قال: ومنهم من قال: لكل واحد فائدة غير فائدة الآخر، وجعل ذلك بالنسبة إلى تغاير متعلقهما إذ يقال: «رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»[5] يُروى ذلك عن النبي ﷺ. . .»[6].

وقد يشير إلى الحديث بذكر مضمونه وراويه.

ومثال ذلك: عند بيان الأوجه الجائزة في وصل الرحيم بالحمد. قال:

= (١٦٥٥).

(١) إيثار الحق على الخلق ص١٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، باب: كيف كان أول شأن النبي ﷺ (١/ ١٧) برقم (١٥). والبيهقي في دلائل النبوة باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ (١/ ١٥٧، ١٥٨).

(٤) الدر المصون ٨/ ٢١٤ وأنظر أمثلة أخرى في (٣/ ٦١، ٣٣٢، و٤/ ٥٩٦ و٨/ ٢١٤، ٢٧١).

(٥) لم أجده في كتب السنة التي اطلعت عليها مع كثرة البحث. وقد ذكره الطبري في جامع البيان (١/ ٥٦).

(٦) الدر المصون ١/ ٣٢.

«. . . الثاني ـ أي الوجه الثاني ـ: سكون الميم والوقف عليها، والابتداء بقطع ألف «الحمد» روت ذلك أم سلمة عنه عليه السلام»[1].

وقد يشير إلى صحة الحديث وهذا قليل. ومثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾[2]. قال[3]: واختُلف في «صفاً» هل هو مفرد وقع موقع الجمع إذ المراد صفوفاً ويدل عليه الحديث الصحيح: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً»[4].

ومن النادر أن يشير إلى من أخرج الحديث.

ومن ذلك: عند تفسيره «الكلوح» في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾[5] قال: «الكلوح: تشمير الشفة العليا، واسترخاء السفلىٰ. وفي الترمذي: «تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي السفلىٰ حتى تبلغ سرته[6]»[7].

---

(١) هند بنت أمية القرشية المخزومية. أم المؤمنين روت عن النبي كثيراً. توفيت في سنة٦١هـ (الإصابة ٨/ ٢٠٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٨.

(٣) الدر المصون ٧/ ٥٠٥.

(٤) سبق تخريجه في ص (٣٩٣) من هذه الرسالة.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٤.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم (٤/ ٧٠٨). وفي كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المؤمنون» (٥/ ٣٢٨).

(٧) الدر المصون ٨/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

المبحث الخامس
أسـباب النـزول

يُعرّف سبب النزول عند علماء الفن بأنه: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه، كحادثة أو سؤال[1].

ولم تكن للسمين عناية بهذا الجانب في كتابه «الدر المصون» وذلك لأنه هدفه هو البحث في إعراب الآية وتخريج قراءاتها. وحتى ما ورد عنده من أسباب فهو لخدمة هذا الهدف وقد وردت إشارات نادرة عند السمين إلى بعض أسباب النزول منها:

ـ عند قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾[2]. قال: «بعضكم من بعض»: جملة استئنافيه جيء بها لتبين شركة النساء مع الرجال في الثواب الذي وعد الله به عباده العاملين؛ لأنه يُروى في الأسباب[3] أن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ سألته ـ عليه السلام ـ عن ذلك فنزلت»[4].

ـ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[5].

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ ص٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) ذكر السمين جزءاً من هذا السبب ونصه كما ورد في الترمذي من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: يارسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة فأنزل الله تعالى: ﴿**أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾ (انظر سنن الترمذي ٥/ ٢٣٧).
وقد أورد هذا السبب أيضاً الطبري في: جامع البيان ٤/ ٢١٥.

(٤) الدر المصون ٣/ ٥٤١.

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ١.

قال السمين: في «هو» وجهان، أحدهما: أنه ضمير عائد على ما يُفهم من السياق فإنه يُروى في الأسباب: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: صِفْ لنا ربك وانْسُبْه. وقيل: قالوا له: أمنْ نُحاس هو أم من حديد؟ فنزلت. . . »[1]. اهـ[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب «ومن سورة الإخلاص» ٥/ ٤٥١.
والإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٣٤.
وأورد هذا السبب الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٢).

(٢) الدر المصون ١١/ ١٤٩.

المبحث السادس
تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين

لتفسير الصحابة منزلة عظمى، لأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، ولأنهم شاهدوا التنزيل وعرفوا أحواله وأحوال من نزل فيهم من العرب واليهود ولحسن فهمهم وسلامة مقصدهم وكذلك تفسير التابعين يأتي بعده في المكانة؛ لأنهم أخذوا عن الصحابة. وقد ذكر السمين بعض أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره لبعض الآيات.

وأكثر من ينقل عنه من الصحابة: ابن عباس.

وينقل عنه في بيان معاني الكلمات: ومثال ذلك: عند بيان معنى كلمة «ثمر» في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾[1]. قال السمين: «تقدم أن «الثُمر» بالضم: المال. فقال ابن عباس: جميع المال من ذهب وفضة وحيوان وغير ذلك»[2].

وينقل عنه في بيان معنى الآية. ومثال ذلك: عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3] قال: «والذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء أي: إن المؤمن إذا كان عمله أكبر أُلحِقَ به من دونه في العمل، ابناً كان أو أباً، وهو منقول عن ابن عباس وغيره»[4].

وقد يذكر السمين في تفسيره لآية رأي مجموعة من الصحابة دون ذكر لأسمائهم. ومثال ذلك: عند بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: «له» في قوله

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٢) الدر المصون ٧/ ٤٨٧.
(٣) سورة الطور، الآية: ٢١.
(٤) الدر المصون ١٠/ ٧٠ـ٧١.

تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾[1] قال: «فيه ثلاثة أوجه، أحدها: ـ وهو الظاهر ـ أنه يعود على المتصدق، والمراد به من يستحق القصاص من مصاب أو ولي، أي: فالتصدق كفارة لذلك المتصدق بحقه، وإلى هذا ذهب جماعة كثيرة من الصحابة فمن بعدهم»[2].

وقد يفسر بأفعال الصحابة. ومثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[3] قال: «ويجوز أن يراد به الركوع حقيقة، كما روي عن عليّ ـ أمير المؤمنين ـ أنه تصدق بخاتمه وهو راكع»[4].

تفسيره بأقوال التابعين:

نقل السمين بعض أقوال التابعين في التفسير، ونقله عنهم أكثر من نقله عن الصحابة. وأكثر من نقل عنه من التابعين هو: الحسن البصري. ونقل أيضاً عن: قتادة، والضحاك[5]، وسعيد بن جبير، وأبو العالية[6]، والزهري[7]، ومجاهد.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «حسنة» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[8].

قال السمين: «وحسنة: صفة لموصوف محذوف أي: داراً حسنة. وفي

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) الدر المصون ٤/ ٢٨٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) الدر المصون ٤/ ٣١٤.

(٥) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر، يروي تفسيره عنه عبيد بن سليمان. والضحاك صدوق كثير الإرسال. توفي بعد المائة (طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٢٢).

(٦) رفيع بن مهران البصري أبو العالية الرياحي. قرأ القرآن على أُبيّ. كان إماماً في القرآن والتفسير توفي سنة ٩٠هـ (طبقات القراء ١/ ٦٠).

(٧) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأمصار. تابعي. قرأ على أنس بن مالك. ولد سنة ٥٠هـ. توفي سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين وقيل: خمس وعشرين ومائة (طبقات القراء ٢/ ٢٦٢).

(٨) سورة النحل، الآية: ٤١.

تفسير الحسن: داراً حسنة وهي: المدينة»[1].

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «المكاء» في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[2] قال: «قال مجاهد: المكاء: صفير على لحن طائر أبيض يكون بالحجاز»[3].

ومن أمثلة نقله لأقوال قتادة: عند بيان معنى «الظن» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾[4] ذكر السمين قول الزمخشري في ذلك ثم قال: إلى هذا ذهب قتادة فإنه قال: الظن هنا على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن»[5].

وقد يجمع في آية واحدة أكثر من قولٍ من أقوال التابعين.

ومثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

قال السمين: «وقال الحسن والسدي[7]: لا يرجعون إلى الشرك. وقال قتادة: إلى الدنيا»[8].

*** موقف السمين من الرواية ـ سواء كانت عن صحابي أو تابعي ـ إذا كانت ضعيفة نحوياً أو لغوياً.**

يذكر السمين بعض الروايات عن الصحابة أو التابعين في تفسير الآية أو إعرابها، وقد تكون هذه الرواية فيها ضعف لغوي أو نحوي. وموقف السمين تجاهها:

---

(١) الدر المصون ٧/ ٢٢١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٥.
(٣) الدر المصون ٥/ ٦٠٠.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٢.
(٥) الدر المصون ٦/ ٥٠٠.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.
(٧) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكوفي صاحب «التفسير» رُمي بالتشيع توفي سنة ١١٧هـ (طبقات المفسرين ١/ ١١٠).
(٨) الدر المصون ٨/ ١٩٩.

١ ـ إما أن يشكك في صحتها من جهة سندها.
٢ ـ وإما أن يستبعد صدور مثل هذا.
٣ ـ وإما أن يردّ على الرواية.

١ ـ ومثال تشكيكه في صحة الرواية: عند حديثه عن وزن كلمة ﴿سَلْسَبِيلًا﴾[١].

قال: «وأغرب ما قيل في هذا الحرف أنه مركب من كلمتين: من فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول. والتقدير: سَلْ أنت سبيلاً إليها. قال الزمخشري: وقد عزوا إلى علي رضي الله عنه أن معناه: سَلْ سبيلاً إليها». قال: وهذا غير مستقيم على ظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل «سَلْ سبيلاً» جُعلت علماً للعين كما قيل: تأبط شراً، وذرّى حباً. وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل سبيلاً إليها بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوة إلى مثل علي عليه السلام أبدع»[٢].

فالسمين هنا قد شكك في صحة هذه الرواية عن عليٍّ، لما فيها من تكلف وابتداع.

وقد يشكك في صحة الرواية عن ابن عباس ـ بسبب خطأ لغوي. ومثال ذلك: عند بيان معنى «جثياً» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[٣]. قال السمين: وعن ابن عباس: أنه بمعنى جماعات جمع جُثوة. وهو: المجموع من التراب والحجارة.

قال السمين: «وفي صحته عنه نظر، من حيث إن «فُعْلة» لا يُجمع على فُعُول»[٤].

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٨.
(٢) الدر المصون ١٠/ ١٦٣.
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٨.
(٤) الدر المصون ٧/ ٦٢٠.

٢ـ وقد يستبعد السمين صدور قول عن تابعي.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[١] قال: «الظاهر أنه ـ أي قوله: في كتاب الله» ـ متعلق بـ «لبثتم» بمعنى فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث. وقال قتادة: على التقديم والتأخير، والتقدير: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله لقد لبثتم، و«في» بمعنى الباء أي: العلم بكتاب الله. ثم علّق السمين على قول قتادة بقوله: وصدوره عن قتادة بعيد»[٢].

٣ـ وقد يرد قول التابعي لمخالفته لقواعد النحو أو اللغة. ومثال ذلك: عند بيان المراد بقوله: «الخالفين» في قوله: ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾[٣] نقل السمين أن قتادة قال: الخالفون: النساء. قال السمين: وهو مردود؛ لأجل الجمع»[٤].

وعند بيان معنى «الربوة» في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾[٥] رد قول السدي بأنها المنخفض من الأرض فقال: «الربوة: أرض مرتفعة طيبة. وتفسير السدي لها بما انخفض من الأرض ليس بشيء»[٦].

ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[٧].

قال: «قوله: «بلى» جواب لقوله: «ألست» قال ابن عباس: «لو قالوا: نعم لكفروا» يريد أن النفي إذا أُجيب بـ نعم كانت تصديقاً له، فكأنهم أقرُّوا بأنه ليس

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٦.
(٢) الدر المصون ٩/ ٥٤. وانظر أيضاً مثالاً آخر في (٥/ ٣٣٠).
(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٣.
(٤) الدر المصون ٦/ ٩٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.
(٦) الدر المصون ٢/ ٥٩١.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

بربهم. هكذا ينقلونه عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه نظر إن صح عنه، وذلك أن هذا النفي صار مقرراً، فكيف يكفرون بتصديق التقرير؟ وإنما المانع من جهة اللغة: وهو أن النفي مطلقاً إذا قصد إيجابه أجيب بـ بلى، وإن كان مقرراً بسبب دخول الاستفهام عليه، وإنما كان ذلك تغليباً لجانب اللفظ، ولا يجوز مراعاة جانب المعنى إلا في شعر»[1].

(١) الدر المصون ٥/ ٥١٢ ولمزيد من الأمثلة انظر (٥/ ٥١٦ و١٠/ ٤٠١).

المبحث السابع
الإسرائيليات في الدّر

أورد السمين بعض الإسرائيليات في الدر المصون، وغالب ما ذكره منها من القسم المسكوت عنه. إذ أن الإسرائيليات تنقسم ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صدقه وصحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه.

ومن الإسرائيليات التي أوردها السمين:

١ـ عند بيان معنى «انبجست» في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا . . .﴾[١] قال: «وفي التفسير أن موسى ـ عليه السلام ـ كان إذا ضرب الحجر ظهر عليه مثل ثدي المرأة فيعرق ثم يسيل»[٢].

٢ـ وعند بيان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ . . .﴾[٣] قال: «. . . وفي التفسير: كان إذا قال: بسم الله، وقفت، وإذا قال جرت عند إرادته ذلك»[٤].

٣ـ وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾[٥]

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٢) الدر المصون ٥/ ٤٨٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٤١.

(٤) الدر المصون ٦/ ٣٢٦، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٥/ ٤٥٠، ٤٩٢، ٧/ ١١٥ و٩/ ٣٦٢، ٦٢٠، ٦٢٢، ١٠/ ٤١١، ٤١٤).

(٥) سورة يوسف، الآية: ٧٧.

قال: «وفي التفسير: أن عمته ربّته فأخذه أبوه منها، فشدَّت في وسطه منطقة كانوا يتوارثونها من إبراهيم عليه السلام، ففتشوا فوجدوها تحت ثيابه. فقالت: هو لي فأَخَذَتْه كما في شريعتهم. . .» وقد ذكر هذه الرواية في تفسيره لقراءة «سُرِّق»[1] بالبناء للمفعول. إذ قال بعد إيراده للرواية: «وهذه القراءة منطبقة على هذا»[2].

وفي المواطن التي ذكر فيها هذه الإسرائيليات لم يعلق عليها السمين ولم يتعقبها وإنما كان يستأنس بها، وكان الأولى به ألاَّ يذكرها، أو على الأقل أن ينبه عليها، والأمر الأشد من ذلك جعله لتلك الروايات تفسيراً، إذ أنه يطلق عليها اسم التفسير، وهذا مما لا ينبغي لئلا يعلق في نفس القارىء أنها هي التفسير. وقد حذر بعض العلماء من هذا فقال العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي[3]: «واعلم أنه كثيراً من المفسرين ـ رحمهم الله ـ قد أكثر في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزَّلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[4] والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه، تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً، إذ لم تصح عن رسول الله ﷺ، وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**» فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة

---

(١) وهي قراءة ابن أبي سريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب. (البحر ٥/ ٣٢٩).

(٢) الدر المصون ٦/ ٥٣٥.

(٣) عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي، ولد سنة ١٣٠٧هـ حفظ القرآن في سن مبكرة، وطلب العلم على علماء عنيزة وما حولها، له مؤلفات منها: تيسير الكريم الرحمن في التفسير، والقواعد الحسان. وقد جمعت مؤلفاته في خمسة عشر مجلداً. توفي سنة ١٣٧٦هـ (علماء نجد خلال ستة قرون ٣/ ٤٢٢ والأعلام ٣/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل. . من حديث عبدالله بن عمرو (الصحيح مع الفتح ٦/ ٥٧٢).

بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها، أو كذب أكثرها معاني لكتاب الله، مقطوعاً بها، ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا، حصل ما حصل، والله الموفق»[1].

وقد أكد الشيخ أحمد شاكر[2] على كلام السعدي فقال: «إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكرُ ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعيّن فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرفُ صدقه ولا كذبه مُبيِّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصِّل لما أُجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك.

وإن رسول الله ﷺ - إذْ أذِنَ بالتحدث عنهم -، أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم. فأيُّ تصديق لمروياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غُفْراً»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٩٨.

(٢) أحمد بن محمد شاكر من آل أبي علياء، إمام من أئمة الحديث في هذا العصر، بدأ بتحقيق المسند للإمام أحمد وتفسير الطبري ووافته المنية قبل إتمامها في عام ١٣٧٧هـ.

(٣) عمدة التفسير ١/ ١٥.

المبحث الثامن
عنايته بالقراءات

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ذكره لمذاهب القراء.

المطلب الثـــاني: اهتمامه بالقراءات المتواترة.

المطلب الثالـث: اهتمامه بتوافق معاني القراءات

المطلب الرابـــع: اهتمامه بالقراءات الشاذة.

المطلب الخامس: موقفه من الترجيح بين القراءات

المطلب السادس: استعانته بالقراءات في اللغة والتفسير

المبحث الثامن
عنايته بالقراءات

اعتنى السمين في «الدر المصون» بالقراءات عناية بالغة يلمسها كل من يقرأ في كتابه.

تمثلت عنايته هذه بذكر القراءات متواترها وشاذها إلى درجة أن من أراد أن يقف على ما ورد في آية أو حرف قرآني من قراءات شاذة أو متواترة فليرجع إلى الدر فسيجد بغيته، بل إنه يهتم أيضاً اهتماماً بالغاً بتخريج تلك القراءات ويستقصي أحياناً في ذكر كثير من الأوجه الإعرابية في تخريجها، وينقل في ذلك عن أئمة القراءات والنحو واللغة نقولاً كثيرة.

وكان يلتزم في جانب القراءات المنهج الأثري ويردد الكلمة المشهورة في هذا: «القراءة سنة متبعة»[1] يأخذها الآخر عن الأول لا مجال فيها للرأي أو الاجتهاد فمتى صحت لديه القراءة تواتراً فإنه لا يلتفت إلى من طعن فيها وإن كان إماماً في النحو أو اللغة، ولذا فقد كان السمين يرد على من انتقد القراءة الشاذة فضلاً عن المتواترة.

وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى خمسة مطالب.

---

(١) الدر المصون (٣/ ٤٩٥).

المطلب الأول
ذكره للقراءات منسوبة لأصحابها

حرص السمين على ذكر القراءات المتواترة والشاذة فاستقى كثيراً من مادتها. وكان في غالب المواضع ينسبها لأصحابها وبخاصة القراءات المتواترة. وسوف أتحدث عن منهجه في هذا المطلب في نقطتين هما:

١ ـ استقصاؤه لكثير من القراءات المتواترة والشاذة.

يكاد السمين يستقصي كل القراءات المتواترة والشاذة في الحرف القرآني مع ذكر من قرأ بها، وبذلك فكتابه هذا يُعدّ من المراجع الهامة لمن أراد أن يقف القراءات القرآنية، ويكاد في بعض الأحيان يزيد على شيخه في هذا المجال.

ومثال ذلك: ذكره للقراءات الواردة في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1] في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ حيث قال: «في هذه الآية أربع وعشرون قراءة، اثنتان في السبع ثم بدأ يسردها ويعالج توجيهها بروح العالم المحافظ في جانب القراءات من حيث اللغة والنحو، ويردّ على كل من يطعن في أي قراءة.

وسطر في ذلك عشر صفحات[2] تبين لك مدى تمكن السمين وقوته العلمية في توجيه القراءات ثم ختم بضابط لهذه القراءات المتشعبة في هذه الكلمة فقال: «وطريق ضبط القراءة في هذا الحرف بعدما عُرف القراء أن يقال: سبع قراءات مع كون «عَبَد» فعلاً ماضياً وهي: وعَبَد وعَبَدوا وعُبِد ومَنْ عَبَدوا وعُبِدت وعَبُد وعَبْد في قولنا: إن الباء سكنت تخفيفاً كسَلْفَ في سَلَف».

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) من ص ٣٢٧ إلى ص ٣٣٧ في المجلد الرابع.

وتسع قراءات مع كونه جمع تكسير وهي: وعُبُدَ وعُبَّد مع جر الطاغوت وعُبّد مع نصبه وعُبّاد وعِباد وعَبَد على حذف التاء للإضافة وعَبَدةَ واعْبُد وعبيد.

وست مع المفرد: وعَبُد وعُبَدَ وعابدَ الطاغوت وعابدُ الطاغوت بضم الدال وعابد الشيطان وعَبْدَ الطاغوت.

وثنتان مع كونه جمع سلامة: وعابدو بالواو وعابدي بالياء[1].

وعدد القراءات التي ذكرها في هذه الكلمة ـ كما سبق ـ أربع وعشرون قراءة بينما نجد شيخه أباحيان ذكر اثنتين وعشرين قراءة فقط[2].

ومع ذلك فإن السمين لم يستقص جميع القراءات، وإنما أورد غالبها ولم يَفُتْه إلا القليل النادر.

٢ ـ ذكره لمذاهب القرّاء في الكلمة عند أول ورودها ـ غالباً ـ:

إذا تعرض السمين للقراءات في كلمة فإنه يتعرض لجميع مواضعها في القرآن عند أول ورودها ـ غالباً ـ ويذكر مذاهب القراء فيها مع حسن الترتيب والتنظيم. وقد سلك في ذلك طريقين:

١ ـ ذكر مذاهب القرّاء بالنسبة للسور. فيذكر القارىء ثم يذكر قراءته في الكلمة في جميع السور وما يختلف عنه في ذلك.

٢ ـ أو بحسب القرّاء. فيذكر القرّاء الذين يشتركون في قراءة كلمة وفي كيفية قراءتها.

وقد ذكر هاتين الطريقتين في موطن واحد وتفنن في إظهار القراءات ومذاهب القرّاء فيها وذلك عند قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3] فقال: «واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً،

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣٣٧.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣١.

(٣) الآية: ٥.

وهو في أحد عشر موضعاً من القرآن، فلابد من تعيينها وبيان مراتب القراء فيها، فإن في ضبطها عُسْراً يَسْهُل بعون الله تعالى: أما المواضع المذكورة، فأولها ما في هذه السورة الثاني والثالث كلاهما في «الإسراء» وهما: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[1] موضعان. الرابع: في «المؤمنون»[2] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وفي النمل[3]: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ وفي العنكبوت[4]: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ وفي «ألم، السجدة»[5]: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وفي «الصافات» موضعان[6]، وفي الواقعة[7] موضع: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وفي «النازعات»[8]: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾.[9]

ثم قال: «هذه هي المواضع المختلف فيها، وأما ضبط الخلاف فيها بالنسبة إلى القرّاء ففيه طريقان، أحدهما: بالنسبة إلى ذِكْر القرّاء. والثاني: بالنسبة إلى ذِكْر السور. وهذا الثاني أقرب، فلذلك بدأت به فأقول: هذه المواضع تنقسم قسمين: قسم منها سبعة مواضع لها حكم واحد، وقسم منها أربعة مواضع، لكلٍ منها حكم على حدته.

أما القسم الأول: فمن هذه السورة، والثاني والثالث في سبحان، والرابع في المؤمنين، والخامس في ألم السجدة، والسادس والسابع في الصافات، وقد

---

(١) الايتان ٤٩ و٩٨.
(٢) الاية: ٨٢.
(٣) الآية: ٦٧.
(٤) الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.
(٥) الآية: ١٠.
(٦) الآيتان ١٦ و٥٣.
(٧) الآية: ٤٧.
(٨) الآية: ١١.
(٩) الدر المصون ٧/ ١٧.

عرفت أعيانها مما تقدم.

أما حكمها: فإن نافعاً والكسائي يستفهمان في الأول ويخبران في الثاني: وأن ابن عامر يخبر في الأول، ويستفهم في الثاني، وأن الباقين يستفهمون في الأول والثاني.

وأما القسم الثاني:

فأوله ما في سورة النمل، وحكمه: أن نافعاً يخبر في الأول ويستفهم في الثاني، وأن ابن عامر والكسائي يعكسه، أي: يستفهمان في الأول ويخبران في الثاني وأن الباقين يستفهمون فيهما.

الثاني: ما في سورة العنكبوت، وحكمه: أن نافعاً وابن كثير وابن عامر وحفصاً يخبرون في الأول ويستفهمون في الثاني، وأن الباقين يستفهمون فيهما.

الثالث: ما في سورة الواقعة، وحكمه: أن نافعاً والكسائي يستفهمان في الأول، ويخبران في الثاني، وأن الباقين يستفهمون فيهما.

الرابع: ما في سورة النازعات، وحكمه: أن نافعاً وابن عامر والكسائي يستفهمون في الأول ويخبرون في الثاني، وأن الباقين يستفهمون فيهما.

وأما الطريق الآخر بالنسبة إلى القراء. فأقول: إن القراء فيها على أربع مراتب:

الأولى: أن نافعاً ـ رحمه الله ـ قرأ بالاستفهام في الأول وبالخبر في الثاني، إلا في النمل والعنكبوت فإنه عكس.

المرتبة الثانية: أن ابن كثير وحفصاً قرآ بالاستفهام في الأول والثاني، إلا الأول من العنكبوت قرآ بالخبر.

المرتبة الثالثة: أن ابن عامر قرأ بالخبر في الأول وبالاستفهام في الثاني، إلا في النمل والواقعة والنازعات، فقرأ في النمل والنازعات بالاستفهام في الأول

وبالخبر في الثاني، وفي الواقعة بالاستفهام فيهما.

المرتبة الرابعة: الباقون ـ وهم أبوعمرو وحمزة وأبوبكر ـ قرأوا بالاستفهام في الأول والثاني، ولم يخالف أحد منهم أصله، وإنما ذكرت هذين الطريقين لعُسرهما وصعوبة استخراجهما من كتب القراءات»[1].

(١) الدر المصون ٧/ ١٧ ـ ١٩.
ولمزيد من الأمثلة انظر: ٢/ ٣٥٨ و٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣، ٥/ ٨٠، ٨١، ٤٢٠ـ٤٢١، ٥/ ٥١٢.

المطلب الثاني
اهتمامه بالقراءات المتواترة

اعتنى السمين بالقراءات المتواترة خاصة عناية فائقة من حيث ذكرها ونسبتها لأصحابها، ومن حيث توجيهها، ومن حيث الدفاع عنها والرد على الطاعنين فيها.
وسوف أتحدث عن منهجه فيها في ثلاث نقاط:

١ ـ العبارات التي استخدمها للتعبير عنها.

٢ ـ اهتمامه بتوجيهها.

٣ ـ رده على منتقديها.

وإليك تفصيل ذلك مع الأمثلة:

١ ـ العبارات التي استخدمها للتعبير عن القراءة المتواترة.

وعباراته التي استخدمها للتعبير عن القراءة المتواترة هي: «القراءة المتواترة» «قراءة العامة» «القراءة المشهورة».

وقد يجمع بين تعبيره بمصطلح: قراءة العامة، والمشهورة ومن أمثلة ذلك: عند ذكر القراءات في «نَظِرة» في قوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن﴾[1]. قال: قرأ العامة «نَظِرة» بزنة «نبقة».

ثم ذكر بعد ذلك خمس قراءات شاذة وقال بعدها: فهذه ست قراءات مشهورها واحدة»[2].

٢ ـ توجيه القراءات المتواترة:

سعى السمين في «الدر المصون» إلى توجيه القراءات المتواترة التي يذكرها

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٢) الدر المصون ٢/٦٤٦.

من حيث الإعراب، ومن حيث المعنىٰ، وكتابه مليء بذلك وأمثلة هذا متوافرة جداً.

ومن أمثلة توجيه قراءات متواترة من حيث الإعراب:

القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾[1].

قال السمين: «قوله: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾: قرأ نافع وابن عامر برفعه. والباقون بنصبه[2]. وقُرىء بجزمه أيضاً. فأما الرفع فهو واضح جداً، وهو يحتمل وجهين: الاستئناف بجملة فعلية، والاستئناف بجملة اسمية، فتقدر قبل الفعل مبتدأ أي: وهو يعلم الذين، فالذين على الأول فاعل، وعلى الثاني مفعول. فأما قراءة النصب ففيها أوجه، أحدها: قال الزجاج: «على الصرف». قال: «ومعنى الصرف صرف العطف عن اللفظ إلى العطف على المعنى». قال: «وذلك أنه لما لم يحسن عطف «ويعلم» مجزوماً على ما قبله إذ يكون المعنى: إن يشأ يعلم، عُدِل إلى العطف على مصدر الفعل الذي قبله. ولا يتأتى ذلك إلا بإضمار «أنْ» ليكون مع الفعل في تأويل اسم».

الثاني: قول الكوفيين أنه منصوب بواو الصرف. يعنون أن الواو نفسها هي الناصبة لا بإضمار «أن»، وتقدم معنى الصرف.

الثالث: قال الفارسي ـ ونقله الزمخشري عن الزجاج ـ إن النصب على إضمار «أن»؛ لأن قبلها جزاء تقول: «ما تصنعْ أصنعْ وأكرمَك» وإن شئت: وأكرمُك، على وأنا أكرمُك، وإن شئت «وأكرمْك» جزماً. قال الزمخشري: «وفيه نظر؛ لما أورده سيبويه في كتابه» قال: «واعلم أن النصب بالواو والفاء في قوله: «إن تأتني آتك وأعطيك» ضعيف.

. . . فهذا لا يجوز، لأنه ليس بحد الكلام ولا وجهه، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً؛ لأنه ليس بواجب أنه يفعل، إلا أن يكون من الأول فعل، فلما ضارع

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٥.

(٢) انظر: التيسير ١٩٥، والكشف ٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣.

الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه». قال الزمخشري: «ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجهٍ ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة.

الرابع: أن ينتصب عطفاً على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم الذين، ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن...»[1].

ومن أمثلة توجيهه للقراءات المتواترة من حيث المعنىٰ:

توجيهه للقراءات المتواترة في قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2] قال السمين: «قرأ الجمهور الأفعال الثلاثة «ولا تقاتلوهم... حتى يقاتلوكم، فإن قاتلوكم» بالألف من القتال. وقرأها[3] حمزة والكسائي من غير ألفٍ من القتل. فأما قراءة الجمهور فهي واضحة؛ لأنها نهي عن مقدمات القتل فدلالتها على النهي عن القتل بطريق الأولىٰ. وأما قراءة الأخوين ففيها تأويلان، أحدهما: أن يكون المجاز في الفعل، أي: ولا تأخذوا في قتلهم حتى يأخذوا في قتلكم. ومنه «قُتل معه ربيون» ثم قال: «فما وهنوا» أي ما وهن من بقي منهم...

وأجمعوا على «فاقتلوهم» أنه من القتل، وفيه بشارة بأنهم إذا فعلوا ذلك فإنهم متمكنون منهم بحيث إنكم أمرتم بقتلهم لا بقتالهم لنصرتكم عليهم وخذلانهم، وهي تؤيد قراءة الأخوين، ويؤيد قراءة الجمهور: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4].

ويرى السمين أنه ينبغي أن يُذكر لكل قراءة توجيه من غير تعرضٍ لتضعيفها وأن ذلك هو الحل الصحيح والسبيل الأمثل لحل اختلافها. وقد أكد على هذا المعنى قولاً وتطبيقاً.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٥٥٨ ـ ٥٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩١.
(٣) انظر: الكشف ١/ ٢٨٥.
(٤) الدر المصون ٢/ ٣٠٧.

أما تطبيقاً فإن السمين لا تكاد تمرّ به قراءة متواترة إلا ويسعى لتوجيهها.

وأما قولاً وتأصيلاً فقد أكّد على طريقته هذه عند الحديث على قراءتي «ملك، ومالك»[1]، وكذا عند توجيه القراءات في قوله: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[2] فقد قال: «قرأ[3] حمزة والكسائي «كثير» بالثاء المثلثة. والباقون بالباء ثانية الحروف. ووجه قراءة الجمهور واضح، وهو أن الإثم يوصف بالكبر ومنه آية «حوباً كبيراً»[4] وسميت الموبقات «الكبائر» ومنه قوله تعالى: «يجتنبون كبائر الإثم»[5] وشرب الخمر والقمار من الكبائر فناسب وصف إثمهما بالكبر.

وقد أجمعت السبعة على «وإثمهما أكبر» بالباء الموحدة وهذه توافقها لفظاً وأما وجه قراءة الأخوين: فإما باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين فلكل واحد إثم، وإمّا باعتبار ما يترتب على تعاطيهما من توالي العقاب وتضعيفه، وإما باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر عن شاربها من الأقوال السيئة والأفعال القبيحة، وإما باعتبار من يزاولها من لدن كانت عنباً إلى أن شُربت. فقد لعن رسول الله الخمر ولعن معها عشرة: بائعها ومبتاعها فناسب ذلك أن يوصف إثمها بالكثرة.

أيضاً فإن قوله: «إثم» مقابل لـ«منافع» ومنافع جمع فناسب أن توصف مقابلة بمعنى الجمعية وهو الكثرة.

ثم قال بعد هذا البيان المفصل في توجيه القراءتين مقرراً قاعدة توجيه القراءات وعدم إسقاط بعضها ببعض: «**وهذا الذي ينبغي أن يفعله الإنسان في القرآن، وهو أن يذكر لكل قراءة توجيهاً من غير تعرضٍ لتضعيف القراءة الأخرى كما فعل بعضهم...**»[6].

---

(١) انظر الدر المصون ١/ ٤٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٣) انظر: الكشف ١/ ٢٩١.
(٤) سورة النساء، الآية: ٢.
(٥) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٧.
(٦) الدر المصون ٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

وفي الختام نقول: إن السمين لم يوجّه كل القراءات المتواترة التي ذكرها، وإنما وجّه كثيراً منها.

٣ـ رده على منتقدي القراءات المتواترة:

ردّ بعض العلماء بعض القراءات المتواترة أو استضعفها بزعمهم أن ذلك لا يجوز في النحو الكوفي أو البصري، وهم بعملهم هذا جعلوا النحو حاكماً على القرآن فما صح في النحو صح قرآناً، وما لم يصح في النحو فإنه ضعيف وإن كان قراءة متواترة. وهذا العمل من أعظم الخطأ على كتاب الله ـ عزوجل ـ «فلا يجوز الحكم على القراءة صحة أو ضعفاً من خلال قواعد اللغة أو النحو، وإنما الحكم على القراءة بالصحة أو الضعف يرجع في أساسه إلى الرواية وصحة النقل، فإذا ثبتت القراءة، وصح نقلها وجب اتباعها، لأنها سنة متبعة لابد من التزامها والمصير إليها ولو خالفت الأقيسة اللغوية والقواعد النحوية»[١].

وقد تصدى العلماء للرد على منتقدي القراءات المتواترة من أمثال أبي شامة[٢]، وأبي حيان[٣] وغيرهما.

وقد كان السمين الحلبي الحارس الأمين للقراءات والمدافع عن حماها فقد تميز بأنه لم يُضّعف قراءة متواترة في كتابه، بل لم يسمح لمن يضعفها بأي حال من الأحوال، وردّ كل انتقاد وُجّه إلى القراءات المتواترة، ويجد القارىء لكتابه هذا الأمر جلياً، فكان يهتم بتوجيه القراءات المتواترة، ثم يذكر أي انتقاد وُجّه إليها ويردّه. ويثبت صحة القراءة وسلامتها من حيث النحو واللغة وقاعدته في ذلك: متى صحت القراءة وثبت تواترها فلا التفات إلى منتقدها.

---

(١) مدرسة التفسير في الأندلس لمصطفى المشيني ص٣٢٠.

(٢) انظر: إبراز المعاني ص٧٠ ط: الحلبي.

(٣) انظر: البحر المحيط ٤/ ٦٥٧ـ٦٥٨.

ويمكن تركيز طرق ردّ السمين على منتقدي القراءات المتواترة فيما يلي:

١ ـ التزامه المنهج الأثري في الدفاع عن القراءات، فمتى صحت القراءة تواتراً فلا التفات إلى من يضعفها.

وقد كان السمين في دفاعه عن بعض القراءات يكتفي بهذه القاعدة وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

أ ـ رده على أبي حاتم تضعيف قراءة حمزة:[١] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ ﴾ بتاء الخطاب في ﴿ يَحْسَبَنَّ ﴾[٢]. قال السمين: وأما قراءة حمزة فاضطربت فيها أقوال الناس وتخاريجهم حتى إنه نُقل عن أبي حاتم أنها لحن، قال النحاس: وتابعه على ذلك خلق كثير. قال السمين: وهذا لا يلتفت إليه لتواترها»[٣].

ب ـ وانظر أيضاً ردّه على ابن عطية حينما استضعف قراءة أبي عمرو[٤] بإدغام راء «شهر» في راء «رمضان» في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[٥] قال السمين: وأدغم أبوعمرو راء «شهر» في راء «رمضان» ولا يلتفت إلى من استضعفها من حيث إنه جمع بين ساكنين على غير حديهما، وقول ابن عطية: «وذلك لا تقتضيه الأصول» غير مقبول منه، فإنه إذا صح النقل لا يعارض بالقياس»[٦].

---

(١) الكشف ١/ ٣٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٣) الدر المصون ٣/ ٤٩٧.

(٤) السبعة ١١٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٦) الدر المصون ٢/ ٢٧٨. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١١٠) (٢/ ١٧٤) (٣/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥) (٤/ ٣٢٩) (٦/ ٤١٣ ـ ٤١٤) (٨/ ٢٧٤) (٩/ ٦٦٨، و٦٨٥).

٢ ـ الدفاع عن القراءة بتخريجها وإثبات صحتها وسلامتها نحوياً ولغوياً واتخذ في ذلك أسلوبين:

الأسلوب الأول:

ذِكْر القراءة ثم توجيهها والرد على من انتقدها بما سبق من توجيهه لها. ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[١] قال: «قرأ[٢] حمزة والكسائي وأبوبكر عن عاصم: «عَقَدْتُمْ» بتخفيف القاف دون ألف بعد العين، وابن ذكوان عن ابن عامر: «عاقدتم» بزنة فاعلتم، والباقون: «عَقَّدتم» بتشديد القاف. فأمّا التخفيفُ فهو الأصل، وأمَّا التشديدُ فيحتمل أوجهاً، أحدها: أنه للتكثير لأن المخاطب به جماعة. والثاني: أنه بمعنى المجرد فيوافق القراءة الأولى، ونحوه: قدَّر وقَدَر. والثالث، أنه يدل على توكيد اليمين نحو: «والله الذي لا إله إلا هو». والرابع: أنه يدل على تأكيد العزم بالالتزام. الخامس: أنه عوض من الألف في القراءة الأخرى، ولا أدري ما معناه، ولا يجوز أن يكون لتكرير اليمين فإنّ الكفارة تجب ولو بمرة واحدة.

وقد تجرأ أبوعبيد على هذه القراءة وزيفها فقال: «التشديد للتكرير مرة من بعد مرة، ولست آمن أن توجب هذه القراءة سقوط الكفارة في اليمين الواحدة لأنها لم تكرر». وقد وهموه الناس في ذلك، وذكروا تلك المعاني المتقدمة، فسلمت القراءة تلاوة ومعنى ولله الحمد»[٣].

الأسلوب الثاني:

ذكر القراءة ثم ذكر من انتقدها ثم الرد عليه بتوجيه القراءة. وهذا الأسلوب هو الغالب فترى السمين يذكر القراءة المتواترة ثم يذكر من انتقدها ويكرّ عليه راداً الانتقاد، وموجهاً للقراءة مثبتاً لصحتها وسلامتها نحوياً ولغوياً على سبيل التنازل.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٢) انظر: الكشف ١/ ٤١٧.

(٣) الدر المصون ٤/ ٤٠٣.

ومن أمثلة ذلك:

* عند حديثه عن قراءة ابن ذكوان[1] عن ابن عامر ﴿أَرْجِهْ﴾[2]. قال: «وقد طعن قوم على قراءة ابن ذكوان[3] فقال الفارسي: «ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط». وقال ابن مجاهد: «وهذا لا يجوز، لأن الهاء لا تكسر إلا بعد كسرة أو ياء ساكنة». وقال الحوفي: «ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد». وقال أبوالبقاء: «ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف، لأن الهمزة حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر».

قلت: وقد اعتذر الناس عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين: أحدهما: أن الهمزة ساكنة والساكن حاجز غير حصين، وله شواهد مذكورة في موضعها، فكأن الهاء وَلِيَت الجيم المكسورة فلذلك كسرت. الثاني: أن الهمزة كثيراً ما يطرأ عليها التغيير، وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسرة فكأنها وليت ياء ساكنة فلذلك كسرت»[4].

* مثالٌ آخر: قال السمين: «واستضعف أبوالبقاء[5] قراءة ابن كثير وهشام فإنه قال: «وأرْجِئه» يقرأ بالهمز وضم الهاء من غير إشباع وهو الجيد، وبالإشباع وهو ضعيف؛ لأن الهاء خفية، فكأن الواو التي بعدها تتلو الهمزة، وهو قريب من الجمع بين الساكنين، ومن ههنا ضعف قولهم: «وعليهي مال» بالإشباع». قال السمين: «وهذا التضعيف ليس بشيء لأنها لغة ثابتة عند العرب أعني إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقاً، وقد تقدم أن هذا أصل لابن كثير ليس مختصاً بهذه اللفظة. بل قاعدته، كل هاء كناية بعد ساكن أن يشبع حركتها حتى يتولد منها حرف مدّ

---

(١) انظر: الكشف ١/ ٤٧٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١١.

(٣) عبدالله بن أحمد بن ذكوان الفهري الدمشقي أبوعمرو الإمام الأستاذ الراوي الثقة شيخ الإقراء بالشام. توفي سنة ٢٤٢هـ (طبقات القراء ١/ ٥٠٤).

(٤) الدر المصون ٥/ ٤١٠-٤١١.

(٥) التبيان ١/ ٢٨١.

نحو: «مِنْهو وعَنْهو وأرجئْهو» إلا قبل ساكن فإن المدّ يحذف لالتقاء الساكنين إلا في موضع واحد رواه عنه البزي وهو «عنهو تلهّى» بتشديد التاء».

ثم ذكر بعد ذلك أن الزجاج استضعف قراءة حمزة وعاصم[1]، وذكر حجته ثم ردّ عليه بقوله: «قد تقدم أن تسكين هاء الكناية لغة ثابتة وتقدم شواهدها فلا حاجة إلى إعادة ذلك»[2].

٣ ـ الجمع بين قاعدة متى صحت القراءة تواتراً فلا التفات إلى منتقدها وبين تخريجه للقراءة بإثبات صحتها وسلامتها من حيث النحو واللغة. ومن أمثلة ذلك:

وعند رده على أبي عبيد حينما طعن في قراءة حمزة وابن عامر[3] «وإن تلوا» في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾[4] فقد ذكر السمين حجة أبي عبيد في انتقاده لهذه القراءة فقال السمين: «قالوا: ـ أي المعترضين على القراءة ـ لأن معنى الولاية غير لائق بهذا الموضع وقال أبوعبيد: القراءة عندنا بواوين مأخوذة من «لويت» وتحقيقه في تفسير ابن عباس: هو القاضي يكون ليُّه وإعراضه عن أحد الخصمين للآخر. ثم ردّ السمين انتقاد أبي عبيد فقال: «وهذا الطعن ليس بشيء؛ لأنها قراءة متواترة ومعناها صحيح؛ لأنه إن أخذناها من الولاية كان المعنى على ما تقدم ـ يقصد تخريج الفارسي وهو: وإن وليتم الشهادة أو وليتم الأمر فتعدلوا عنه ـ.

وإن أخذناها من اللَّيّ فالأصل «تلووا» كالقراءة الأخرى، وإنما فعل بها ما تقدم من قلب الواو همزة ونقل حركتها، أو من نقل حركتها من غير قلب فتتفق القراءتان في المعنى»[5].

---

(١) وهي: «أرْجِهْ».

(٢) الدر المصون ٥/ ٤١١ ـ ٤١٢ ولمزيد من الأمثلة انظر (١/ ٢٩٦، ٣٧٦، ٣٦٣، ٤٠٠ و٢/ ١١٨، ١١٩، ٤٤٨، ٤٥٠، ٦٤٧، ٦٩٠، و٣/ ١٥٠، ٢٦٣، و٤/ ١٩٢، و٨/ ٤٤٥).

(٣) انظر: الكشف ١/ ٣٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٥) الدر المصون ٤/ ١١٩.

وقد يقدم السمين الكلام على تخريج القراءة ويفيض في ذلك ثم يذكر أن بعض العلماء وقعوا في الكلام في ردّها أو تضعيفها، ويرد عليهم بما سبق من تخريجه ويختم الردّ عليهم بقاعدته التي تبناها في ردّه على كل من تكلم في قراءة متواترة[1]. «إذا تواتر الشيء قرآناً فلا التفات إلى منكره لأنه خفي عنه ما وضح لغيره»[2].

٤ ـ الدفاع عن القراءة عن طريق قارئها:

إما بأن القارىء المتهم بالخطأ لم ينفرد بالقراءة بل شاركه غيره من الثقات. أو بإثبات مكانة القارىء وعلو كعبه في العلم وعظم مكانته.

أ ـ الدفاع عن القراءة ببيان أن القارىء بها لم ينفرد بل شاركه غيره من الثقات مما يستحيل معه أن تكون القراءة ضعيفة.

ومثال ذلك: عند الحديث عن قراءة حمزة[3]، «ولا يحسبن» بياء الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾[4] قال الزمخشري: «وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بِنيّرة».

قال السمين: «وقد ردّ عليه جماعة هذا القول وقالوا: لم ينفرد بها حمزة بل وافقه عليها من قراء السبعة ابن عامر أسنُّ القراء وأعلاهم إسناداً، وعاصم في رواية حفص، ثم هي قراءة أبي جعفر المدني شيخ نافع وأبي عبدالرحمن السلمي وابن محيصن وعيسى والأعمش والحسن البصري وأبي رجاء وطلحة وابن أبي

---

(١) انظر مثال ذلك في حديثه عن قراءة حمزة «وعَبُدَ الطاغوتِ» بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت. فقد ذكر توجيهها وأفاض فيه ثم قال: «وإنما أشبعت العبارة هنا لأن بعض الناس طعن على هذه القراءة ونسب قارئها إلى الوهم كالفراء والزجاج وأبي عبيد وأبي نظير الرازي (الدر المصون ٤/ ٣٢٧ـ٣٢٩).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢٩).

(٣) انظر: الكشف ١/ ٤٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٩.

ليلى[1]»[2].

ب ـ وقد يدافع عن القراءة بالثناء على قارئها وإثبات مكانه من العلم وعلو كعبه فيه مما يمتنع معه أن ينقل قراءة ضعيفة.

ومثال ذلك: عند دفاعه عن قراءة ابن عامر[3] «بالغُدْوة» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[4] وهي قراءة الحسن البصري، ونصر بن عاصم[5] ـ أيضاً ـ.

قال السمين بعد توجيهها: «إلا أن هذا الطعن لا يلتفت إليه، وكيف يُظن بمن تقدم أنهم يلحنون، والحسن البصري ممن يستشهد بكلامه فضلاً عن قراءته، ونصر ابن عاصم شيخ النحاة أخذ هذا العلم عن أبي الأسود[6] ينبوع الصناعة، وابن عامر لا يعرف اللحن لأنه عربي، وقرأ علي عثمان[7] بن عفان وغيره من الصحابة»[8].

* وقال أيضاً في دفاعه عن قراءة حمزة[9] «والأرحام» بالجر في قوله:

---

(١) عبدالرحمن بن أبي ليلى أبوعيسى الأنصاري الكوفي. تابعي كبير، أخذ القراءة عرضاً على عليّ بن أبي طالب. قتل بوقعة الجماجم سنة ٨٣هـ. (طبقات القراء ١/ ٣٧٦).

(٢) الدر المصون ٥/ ٦٢٤ وانظر مثالاً آخر في ٤/ ٤١٩.

(٣) انظر: الكشف ١/ ٤٣٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٥) نصر بن عاصم الليثي البصري. تابعي. عرض القرآن على أبي الأسود وروى عنه عرضاً وتوفي سنة ٩٠ (طبقات القراء ٢/ ٣٣٦).

(٦) مالك بن عمرو الدؤلي البصري. ولد في أيام النبوة، وهو أول من أسس النحو. كان من سادات التابعين روى عن عمرو وابن عباس وأبي ذر. ولي قضاء البصرة، وهو أول من نقط المصحف. توفي سنة ٦٩هـ (بغية الوعاة ٢/ ٢٢).

(٧) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي. أمير المؤمنين. ذو النورين. ثالث الخلفاء، جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله وعرض عليه قتل سنة ٣٥هـ (الإصابة ٤/ ٢٢٣).

(٨) الدر المصون ٤/ ٦٤٠.

(٩) الكشف ١/ ٣٧٥.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[1] وحمزة بالرتبة السنية التي تمنعه من نقل قراءة ضعيفة»[2].

* وقال في مقدمة دفاعه عن قراءة ابن عامر[3] «زُين» مبنياً للمفعول، و«قَتْلُ» رفعاً على ما لم يُسم فاعله و«أولادَهم» نصباً على المفعول بالمصدر، و«شركائهم» حفظاً على إضافة المصدر إليه فاعلاً في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ﴾[4] قال: «وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي، وهو أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة».

أما علو سنده فإنه قرأ على أبي الدرداء[5] وواثلة بن الأسقع[6]، وفضالة بن عبيد[7] ومعاوية بن أبي سفيان[8]، والمغيرة المخزومي[9]، ونقل يحيى الذماري أنه قرأ على عثمان نفسه، وأما قِدَمُ هجرته فإنه وُلد في حياة رسول الله ﷺ ـ ناهيك أن هشام ابن عمار أحد شيوخ البخاري ـ أخذ عن أصحاب أصحابه، وترجمته متسعة ذكرتها في «شرح القصيد»، وإنما ذكرت هنا هذه العجالة تنبيهاً على خطأ من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) الدر المصون ٣/ ٥٥٥.

(٣) انظر: الكشف ١/ ٤٥٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

(٥) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبوالدرداء مشهور بكنيته. حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق وقاضيها. توفي سنة ٣٢هـ. (السير ٢/ ٣٣٥، والإصابة ٥/ ٤٦).

(٦) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي. أسلم سنة تسع. شهد غزوة تبوك كان من فقراء الصحابة ومن أصحاب الصفة. توفي سنة ٨٥هـ (السير ٣/ ٢٨٣ والإصابة ٦/ ٣١٠).

(٧) فضالة بن عبيد، ولى قضاء دمشق بعد أبي الدرداء. توفي في نهاية ولاية معاوية.

(٨) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي كان من كتّاب الوحي توفي سنة ٦٠هـ (السير ٣/ ١١٩ والإصابة ٦/ ١١٢).

(٩) المغيرة بن أبي شهاب عبدالله بن عمرو المخزومي الشامي. أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان وعنه ابن عامر. توفي سنة ٩١هـ. (طبقات القراء ٢/ ٣٠٥).

ردّ قراءته ونسبه إلى لحن أو اتباع مجرد المرسوم فقط»[1].

٥ ـ الدفاع عن القراءة المتواترة بالتنقص من منتقديها.

ولإثبات صحة القراءة وسلامتها من النقد يتوجه السمين باتهام منتقدها بنقص علمه وإدراكه عن معرفة هذه القراءة أو عن معرفته بصحتها في اللغة، وأنها جاءت على قواعد صحيحة غابت عن علم المنتقد لها.

ومثال ذلك: رده على الزجاج حينما انتقد قراءة أبي عمرو[2] وحمزة وأبي بكر عن عاصم ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾[3] بسكون الهاء في الحرفين.

قال السمين: . . . وكان الزجاج يُضعّف في اللغة، ولذلك ردّ على ثعلب في «فصيحه» أشياء أنكرها عن العرب، فردّ الناس عليه ردّه، وقالوا: قالتها العرب، فحفظها ثعلب ولم يحفظها الزجاج فلْيكن هذا منها»[4].

وانظر أيضاً: ردّهُ لإنكار أبي حاتم السجستاني على أبي عمرو البصري تحسين قراءة حمزة[5] «بمصرخي» بكسر الياء في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾[6]. حيث قال: «وقد أنكر أبوحاتم على أبي عمرو تحسينه لهذه القراءة، ولا التفات إليه لأنه علم من أعلام القرآن واللغة والنحو، واطّلع على ما لم يطلع عليه من فوق السجستاني:

وابـنُ اللّـــبونِ إذا مـا لُـز في قَـــرَنٍ
لم يستطع صَوْلةَ البُزْلِ القناعيسِ[7][8]

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٦٢ وانظر أيضاً أمثلة أخرىٰ في: ٢/ ٦٩١ و٣/ ١٥٢.
(٢) انظر: الكشف ١/ ٣٤٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٤) الدر المصون ٣/ ٢٦٤.
(٥) انظر: السبعة ٣٦٢.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٧) سبق تخريجه ص (٣٥٨) من هذه الرسالة.
(٨) الدر المصون ٧/ ٨٩. وانظر أيضاً:

٦ ـ الدفاع عن القراءة المتواترة بقياسها على قراءة أخرىٰ.

ومثال ذلك: ردّه على أبي البقاء تضعيف قراءة «يُحزنك» بضم الياء وكسر الزاي في قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾[١] حيث قال: . . . وقول أبي البقاء[٢] في «يحزنك»: «والجيد فتح الياء وضم الزاي، ويُقرأ بضم الياء وكسر الزاي من أحزنني وهي لغة». ليس بجيد؛ لأنها قراءة متواترة، وقد تقدم دليلها في آل عمران»[٣].

يقصد قراءة نافع في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾[٤] بضم حرف المضارعة من «أحزن» رباعياً»[٥].

وترى السمين يؤكد على اعتناء القرّاء بالضبط واهتمامهم بمتابعة شيوخهم فيما تلقوه عنهم من قراءات وشدة عنايتهم بصحة النقل، ليرد على من يزعم أن بعض القراءات المتواترة وقع الخطأ في نقلها من الرواة.

ومثال ذلك: دفاعه عن قراءة أبي عمرو[٦] بإدغام الراء في اللام في قوله تعالى: ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٧].

= ١ ـ رده على المبرد تلحينه لقراءة أبي عمرو في قوله ﴿بارئكم﴾ بالسكون المحض قال السمين: وهذه جرأة من المبرد، وجهل بأشعار العرب، فإن السكون في حركات الإعراب قد ورد في الشعر كثيراً (١/ ٣٦٢).

٢ ـ ردّهُ على أبي جعفر النحاس وأبي حاتم تضعيفهم لقراءة ابن كثير «خِطئا» بكسر الخاء والمدّ (٧/ ٣٤٧).

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) التبيان ١/ ٢١٥.

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وانظر مثالاً آخر في ٦/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

(٥) وقد تحدث السمين عن هذه القراءة في ٣/ ٤٩٤.

(٦) انظر: السبعة ١٢١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

حيث قال: «وقد طعن قوم على قراءة أبي عمرو لأن إدغام الراء في اللام عندهم ضعيف. قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف يقرأ الجازم»[1]؟ قلت: يُظْهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء من اللام لاحنٌ مخطىء خطأ فاحشاً، وراويه عن أبي عمرو مخطىء مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة، وسبب قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو».

قال السمين رادّاً على الزمخشري اتهامه هذا:

«وهذا من أبي القاسم غير مرضي، إذ القرّاء معنيون بهذا الشأن؛ لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحرف بعد الحرف فكيف يقلُّ ضبطهم؟ وهو أمر يدرك بالحِسّ السمعي...[2]».

* قد يردّ الرواية عن الصحابي ويشكك في صحتها إذا كانت تقدح في قراءة متواترة.

ومثال ذلك: عند ذكر القراءات في «كذبوا» في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾[3]. قال: «قرأ[4] الكوفيون «كُذِبوا» بالتخفيف والباقون بالتثقيل. فأما قراءة التخفيف فاضطربت أقوال الناس فيها، ورُوي إنكارها عن عائشة رضي الله عنها قالت: «معاذ الله لم يكن الرسل لتظن ذلك بربها» وهذا ينبغي أن لا يصح عنها لتواتر هذه القراءة»[5].

---

(١) أي: الذي جزم من القرّاء.
(٢) الدر المصون ٢/ ٦٩٠.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١١٠.
(٤) انظر: التيسير ١٣٠.
(٥) الدر المصون ٦/ ٥٦٣.

يؤكد السمين على دحض شبهة خطأ بعض كُتّاب المصحف. ويردّ على الروايات التي نقلت عن الصحابة في ذلك وشَكك في نسبتها إليهم.

ومثال ذلك: ما ذكره عند دفاعه عن قراءة الجمهور «والمقيمين الصلاة» في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]. حيث قال: «وقد زعم قوم لا اعتبار بهم أنها لحن، ونقلوا عن عائشة وأبان بن عثمان أنها خطأ من جهة غلط كاتب المصحف، قالوا: وأيضاً فهي في مصحف ابن مسعود بالواو فقط نقله الفراء، وفي مصحف أُبيّ كذلك، وهذا لا يصح عن عائشة ولا أبان، وما أحسن قول الزمخشري رحمه الله: «ولا يُلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ومن لم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة عن الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يقولوا ثلمة في كتاب الله ليسدها من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم». [2]

استطراده في الدفاع عن القراءات المتواترة:

وقد يستطرد في دفاعه عن قراءةٍ متواترة، ويطول نَفَسُه في الردّ على منتقديها.

ومن أمثلة ذلك: دفاعه عن قراءة ابن عامر في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[3]. فقد قرأ ابن عامر «زُين» مبنياً للمفعول، و«قتلُ» رفعاً على ما لم يسم فاعله «أولادهم» نصباً على المفعول بالمصدر. «شركائهم» خفضاً على إضافة المصدر إليه فاعلاً.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٢) الدر المصون ٤/ ١٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

١ ـ فقد ذكر أن هذه القراءة انتُقدت، ثم ردَّ رداً مجملاً على الانتقاد بعلو سند ومرتبة قارئها.

٢ ـ ثم ذكر الذين انتقدوها وأقوالهم في ذلك وهم: النحاس، وأبوعلي الفارسي وأبوعبيد، وابن جني، ومكي بن أبي طالب، وابن عطية، والزمخشري.

٣ ـ ثم ردّ عليهم بقوله: «وهذه الأقوال التي ذكرتها جميعاً لا ينبغي أن يلتفت إليها لأنها طعن في المتواتر، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر، وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم.

٤ ـ ثم ذكر الذين انتصروا للقراءة وأقوالهم وهم: أبوبكر بن الأنباري، والكرماني.

٥ ـ وأورد من لسان العرب نظمه ونثره ما يشهد لصحة هذه القراءة لغة وانظر هذا التفصيل في المجلد الخامس من صفحة ١٦١ إلى ١٦٨.

وانظر ـ أيضاً ـ مثالاً آخر في المجلد السابع عند دفاعه عن قراءة حمزة ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾[1] بكسر الياء فقد استطرد في الدفاع عنها وسطّر في ذلك سبع صفحات (٨٨ـ٩٥).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

المطلب الثالث
اهتمامه بتوافق معاني القراءات

ينشأ عن اختلاف بعض القراءات اختلاف معانيها، ولذا يسعى بعض العلماء المهتمين بتوجيه القراءات إلى توحيد معنى القراءات إن أمكن ذلك. ويقرر مكي بن أبي طالب هذا الأمر فيقول: «حمل القراءات على معنى واحد أحسن»[١].

وقد اهتم السمين الحلبي بهذا الأمر حتى إنه يقول في أحد المواضع من كتابه: «والأصل توافق القراءات»[٢].

وقد طبق هذا عملياً أثناء توجيهه للقراءات. فكان يسعى في توجيه القراءات إلى اتحاد معناها إن أمكنه ذلك، وإنه لم يتمكن من ذلك وجه كل قراءة بمعنى مستقل ومن أمثلة ذلك:

عند توجيه القراءات في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

قال: «قرأ[٤] نافع والكسائي بفتح الهمزة على التعليل، أي: لأنه، والباقون بالكسر على الاستئناف الذي فيه معنى العلة فيتحد معنى القراءتين»[٥].

وانظر أيضاً: عند توجيه القراءات في ﴿نَّحِسَاتٍ﴾[٦].

حيث قال: «قرأ[٧] الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء، والباقون بسكونها. ثم

---

(١) الكشف ١/ ٢٢٧.
(٢) الدر المصون ٣/ ٥٥٥.
(٣) سورة الطور، الآية: ٢٨.
(٤) انظر: التيسير ٢٠٣.
(٥) الدر المصون ١٠/ ٧٥.
(٦) سورة فصلت، الآية: ١٦.
(٧) انظر: السبعة ٥٧٦.

وجّه قراءة الإسكان فقال: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مخففاً من فَعِل في القراءة المتقدمة، وفيه توافق القراءتين»[1].

وفي توجيه السمين للقراءات: يرى أن الأولى هو اتفاقهما في معنى واحد.

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2]. قال: «قرأ نافع[3] وابن عامر «فإن الله الغني» بإسقاط «هو» وهو ساقط في مصاحف المدينة والشام. والباقون بإثباته وهو ثابت في مصاحفهم، فقد وافق كلٌّ مصحفه. قال أبوعلي: «من أثبت «هو» يحسن أن يكون فصلاً، ولا يحسن أن يكون ابتداءً؛ لأن الابتداء لا يسوغ حذفه» يعني أنه ترجح فصليته بحذفه في القراءة الأخرى، إذ لو كان مبتدأ لضعف حذفه، لاسيما إذا صلح ما بعده أن يكون خبراً لما قبله، ألا تراك لو قلت: «إن زيداً هو القائم» لم يحسن حذف «هو» لصلاحية «القائم» خبراً لـ «إنَّ» وهذا كما قالوا في الصلة: إنه يحذف العائد المرفوع بالابتداء بشروط منها: أن لا يكون ما بعده صالحاً للصلة نحو: «جاء الذي هو في الدار» أو «هو قائم أبوه» لعدم الدلالة. إلا أن للمنازع أن ينازع أبا علي ويقول: لا ألتزم تركيب إحدى القراءتين على الأخرى، وكم من قراءتين تغاير معناهما كقراءتي: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[4] و«وضَعتُ»، إلا أنّ توافق القراءتين في معنى واحد أولى، هذا ما لا نزاع فيه»[5].

بل يرى السمين أن توافق القراءات أمرٌ ضروري يجوز معه تقدير ما لا يجوز تقديره في السعة. وقد قرر ذلك عند ردّه على شيخه استدراكه على الزمخشري عند إعراب «قلب متكبر» في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ

---

(١) الدر المصون (٩/ ٥١٨) ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٢٧، ٢٨٧ و٤/ ١١٩ و٩/ ٣٩٩، ٦٢٩، و١٠/ ٢٤٣، ٣١٦).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: التيسير ٢٠٨ والسبعة ٢٠٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦، قرأ أبوبكر وابن عامر: وضعتُ، والباقون بالإسكان. (السبعة ٢٠٤).

(٥) الدر المصون ١٠/ ٢٥٣.

جَبَّارٍ﴾[1].

قال: قوله: «قلب متكبر» قرأ[2] أبوعمرو وابن ذكوان بتنوين «قلب» وَصَفا القلب بالتكبر والجبروت؛ لأنهما ناشئان منه، وإنْ كان المراد الجملة، كما وصف بالإثم في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[3] والباقون بإضافة «قلب» إلى ما بعده أي: على كل قلب شخص متكبر. وقد قدر الزمخشري مضافاً في القراءة الأولى أي: على كل ذي قلب متكبر، تجعل الصفة لصاحب القلب. قال الشيخ: «ولا ضرورة تدعو إلى اعتقاد الحذف». **قلت: بل ثم ضرورة إلى ذلك وهو توافق القراءتين، فإنه يصير الموصوف في القراءتين واحداً، وهو صاحب القلب، بخلاف عدم التقدير، فإنه يصير الموصوف في إحداهما القلب وفي الأخرى صاحبه»**[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٢) انظر: التيسير ١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٨١.

المطلب الرابع
اهتمامه بالقراءات الشاذة

ويظهر هذا الاهتمام من خلال عنايته بذكرها وبتوجيهها والرد على منتقديها. وإليك تفصيل ذلك مدعماً بالأمثلة والشواهد.

أولاً: عنايته بذكر القراءات الشاذة:

اهتم السمين بذكر القراءات الشاذة اهتماماً بالغاً، يُدركه من يتصفح كتابه، فتراه يقف مع الكلمة بعد أن يذكر قراءتها المتواترة، فيذكر ما ورد فيها من قراءاتٍ شاذة. وقد يذكر من قرأ بها ولكنه لا يلتزم بذلك كثيراً.

ومثال ذكره لقراءة شاذة منسوبة لقارئها:

عند ذكره للقراءات في ﴿يَشَّقَّقُ﴾[1]. قال: «. . . و﴿يَشَّقَّقُ﴾ أصله: يتشقق، فأدغم، وبالأصل قرأ الأعمش[2]».

ومثال ذكره لقراءةٍ شاذةٍ من غير نسبتها لصاحبها:

عند ذكر القراءات في «نجيناكم» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[3] قال: «. . . وقُرِيء: «أنجيتكم» على التوحيد»[4].

ومصادره في ذكرها: مشايخه الذين عن طريقهم أخذ القراءات والعلماء الذين كتبوا في القراءات الشاذة، كابن جني، وأبي حاتم، والعكبري، والهذلي، والداني، وأبي حيان، وقد سبق الحديث عن ذلك، ويُقدّم السمين في أخذه للقراءات الشاذة قول الإمام الثبت المعتني بالقراءات على قول غيره وإن كان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) الدر المصون ١/ ٤٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٤١ وهي قراءة النخعي كما في الشواذ (ص ١٣).

المقدَّم عليه أكثر منه علماً. ومثال ذلك:

تقديمه لرواية الداني على رواية ابن جني في نقل قراءة حميد بن قيس[1] في قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾[2] قال: «وقرأ حميد بن قيس «يغشى» بفتح الياء والشين، «الليلُ» رفعاً، «النهار» نصباً هذه رواية الداني عنه. وروىٰ ابن جني عنه نصب «الليل» ورفع «النهار» قال ابن عطية: ونقل ابن جني[3] أثبت».

قال السمين مستدركاً على ابن عطية ومرجحاً نقل الداني: «وفيه ـ أي في كلام ابن عطية ـ نظر من حيث إن الداني أَعْنى من أبي الفتح بهذه الصناعة وإن كان دونه في العلم بطبقات...»[4].

ثانيا: عنايته بتوجيه القراءة الشاذة:

اعتنى السمين بتخريج القراءات الشاذة وتوجيهها من حيث الصناعة والمعنىٰ، وأمثلة ذلك كثيرة مستفيضة في الدر. ومن ذلك:

١ ـ توجيهه لقراءة النصب[5] في «صم بكم عمي» في قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6] حيث قال: «فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه حال، وفيه قولان، أحدهما: هو حال من الضمير المنصوب في «تركهم»، والثاني من المرفوع في «لا يبصرون». والثاني: النصب على الذم، كقوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[7]... الثالث: أن يكون منصوباً بترك أي: تركهم صُمًّا بكماً عُمْياً»[8].

---

(١) حميد بن قيس الأعرج أبوصفوان المكي القاريء. ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد وعرض عليه ثلاث مرات. توفي سنة ١٣٠هـ (طبقات القراء ١/ ٢٦٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) المحتسب ١/ ٢٥٣.

(٤) الدر المصون ٥/ ٣٤١.

(٥) وهي قراءة ابن مسعود وحفصة. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٨١، والبحر ١/ ٢١٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٧) سورة المسد، الآية: ٤.

(٨) الدر المصون ١/ ١٦٥.

٢ ـ توجيهه لقراءة الحسن وأبوحيوة «راعِناً» بالتنوين في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا ﴾[١] حيث قال: «ووجه أنه صفة لمصدر محذوف، أي: قولاً راعِناً، وهو على طريق النسبِ كلابنٍ وتامر، والمعنى: لا تقولوا قولاً ذا رعونة»[٢].

٣ ـ توجيهه لقراءة الرفع[٣] «ملّةُ» في قوله تعالى: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾[٤] حيث قال: وفيها وجهان: أحدهما: خبر لمبتدأ محذوف أي بل ملتنا ملة إبراهيم أو نحن ملة، والثاني: أنها مبتدأ حذف خبره تقديره: ملّةُ إبراهيمَ ملّتُنا»[٥].

ويختار السمين في تخريج القراءة الشاذة الواضح منها، ويردّ الشاذ والبعيد متى وُجد التخريج الواضح.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة «القُصُر»[٦] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾[٧] قال السمين: «... وقرأ عبدالله بضمها. وفيها وجهان، أحدهما: أنه جمع قَصْر كرَهْن ورُهُنْ، قاله الزمخشري. والثاني: أنه مقصور من قُصور كقوله[٨]:

فيها عياييل أُسودٍ ونُمُرْ.

يريد: ونمور. فقصرَ. وكقوله: «النُّجُم» يريد النجوم.

ثم قال: وتخريج الزمخشري أولى، لأن محل الثاني: إما لضرورة، وإما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤. وانظر: القراءة المذكورة في: الشواذ ١٦، والبحر ١/ ٥٠٨.
(٢) الدر المصون ٢/ ٥١.
(٣) وهي قراءة ابن أبي هرمز وابن أبي عبلة. انظر: الشواذ ١٧، والبحر ١/ ٥٧٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.
(٥) الدر المصون ٢/ ١٣٦.
(٦) انظر: البحر ٨/ ٣٩٨.
(٧) سورة المرسلات، الآية: ٣٢.
(٨) البيت لـ: حكيم بن معية الربعي. وهي في الكتاب ٢/ ١٧٩، والمقتضب ١/ ١١٣.

الندور»[1].

ويُنبه على التخاريج الضعيفة للقراءة الشاذة، ويخرجها تخريجاً سليماً.

ومثال ذلك: عند تخريجه لقراءة[2] أُبيّ وعيسى بن عمر «فصبراً جميلاً» بالنصب في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[3] قال: وتخريجها على المصدر الخبري، أي أصبر أنا صبراً، وهذه قراءة ضعيفة إن خُرّجت هذا التخريج، فإن سيبويه لا ينقاس ذلك عنده إلا في الطلب، فالأولى أن يجعل التقدير: إن يعقوب رجع وأمر نفسه فكأنه قال: اصبري يانفس صبراً..»[4].

وقد ينقل تخريجين لقراءة شاذة، ويختار أحدهما؛ لأنه أبلغ في المعنى.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة زيد بن علي[5] «أسفل» بالرفع في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[6] ذكر تخريجين ورجح أحدهما قال: قرأ زيد بن عليّ «أسفل» وذلك على سبيل الاتساع، جعل الظرف نفس الركب مبالغة واتساعاً. والتخريج الثاني: قال: مكي وأجاز الفراء والأخفش والكسائي «أسفل» بالرفع على تقدير محذوف أي: موضع الركب أسفل. ثم قال: والتخريج الأول أبلغ في المعنىٰ»[7].

والسمين يهتم بتخريج القراءات الشاذة ـ كما بينت سابقاً ـ حتى إذا لم يجد غير وجهٍ ضعيف أو متكلف خرجها به.

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٦٤٠.
(٢) انظر: البحر ٥/ ٢٩٠.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٤) الدر المصون ٦/ ٤٥٨.
(٥) انظر: البحر ٤/ ٤٩٦.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
(٧) الدر المصون ٥/ ٦١٢.

ومن أمثلة ذلك: عند تخريج قراءة «المسجدُ الحرام» بالرفع[1] في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[2].
قال: «وأما رفعه فوجهه أنه عطف على «وكفر به» على حذف مضاف تقديره «فكفر بالمسجد» فحذفت الباء وأضيف «كفر» إلى المسجد، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

ثم قال: ولا يخفى ما فيه من التكلف إلا أنه لا تُخرَّج هذه القراءة الشاذة بأكثر من ذلك»[3].

وهذا مثال آخر حكم فيه بعد ذكر التخريج بشذوذه.
وذلك عند تخريج قراءة «خَطِّف[4]» بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾[5].

قال: «وأما الثانية ـ يعني هذه القراءة ـ فمشكلة جداً؛ لأن كسر الطاء إنما كان لكسر الخاء وهو مفقود. وقد وُجِّه على التوهم. وذلك أنهم لمّا أرادوا الإدغام نقلوا حركة التاء إلى الخاء ففتحت وهم يتوهمون أنها مكسورة لالتقاء الساكنين كما تقدم تقريره، فاتبعوا الطاء لحركة الخاء المتوهمة. وإذا كانوا قد فعلوا ذلك في مقتضيات الإعراب فلأن يفعلوه في غيره أولىٰ. وبالجملة فهو تعليل شذوذٍ»[6].

ثالثا: ردّه على منتقدي القراءات الشاذة:

اتخذ السمين موقفاً واضحاً ممن يُضعّفون القراءات الشاذة، فكان يردّ عليهم أقوالهم ويتعقبهم في انتقاداتهم للقراءات سواء من ناحية اللغة أو النحو.

---

(١) انظر: البحر ٢/ ١٥٤ من غير نسبة.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٣) الدر المصون ٢/ ٣٩٧.
(٤) وهي قراءة قتادة والحسن وعيسى (الشواذ ص١٢٧).
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠.
(٦) الدر المصون ٩/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

فكان يعتني أولاً بتخريج القراءات الشاذة نحوياً ولغوياً ـ وهذا قد سبق الحديث عنه ـ. ويتخذ ذلك سلاحاً من أقوى الأسلحة التي يدافع بها عن القراءات الشاذة. ويردّ على النحويين الذين يطعنون في القراءة ويبين صحتها وسلامتها. وبتتبع كثير من المواضع التي تعقب السمين فيها منتقدي القراءات الشاذة يمكن تركيز منهجه فيما يلي:

١ ـ الدفاع عن القراءة الشاذة بتوجيهها نحوياً أو لغوياً.

قد ينتقد بعض النحويين أو اللغويين قراءة شاذة بسبب مخالفتها لقاعدة نحوية أو شذوذها من ناحية لغوية ـ فيما يراه هو ـ فيأتي السمين ويتعقبه في ذلك ويثبت صحة القراءة وسلامتها من حيث اللغة أو النحو بإزالة الإشكال الذي ظهر لمنتقد القراءة، ثم يخرجها تخريجاً سليماً. وهذا هو الأسلوب الغالب عند السمين في دفاعه عن القراءات الشاذة وحتى إذا استخدم أي أسلوب آخر ـ مما سيأتي ذكره ـ فإنه يجمعه بهذا الأسلوب في دفاعه عن القراءة.

وهذا مثال لدفاعه عن قراءة شاذة بتوجيهه لها وإثبات صحتها.

عند حديثه عن القراءات الشاذة في قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾[1] قال: «قرأ[2] عكرمة وطائفة: «يَطَّيّقونُه» بفتح الياء وتشديد الطاء والياء، وتُروى عن مجاهد أيضاً. وقُرِىء أيضاً هكذا لكن ببناء الفعل للمفعول وقد ردّ بعض الناس هذه القراءة. وقال ابن عطية: تشديد الياء في هذه اللفظة ضعيف».

ثم ذكر السمين الإشكال الذي لأجله رُدّت هذه القراءة فقال: وإنما قالوا ببطلان هذه القراءة؛ لأنها عندهم من ذوات الواو وهو الطوق فمن أين تجيء الياء؟

ثم قال مبيناً صحة هذه القراءة:

«وهذه القراءة ليست باطلة ولا ضعيفة، ولها تخريج حسن وهو: أن هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٢) انظر: الشواذ ١٩، والبحر ٢/ ٤١.

القراءة ليست من تَفَعّل حتى يلزم ما قالوه من الإشكال، وإنما هي من تَفَيْعل، والأصل: يَتَطْيوَقُونه من الطّوق كتدّيَر وتَحَيَّر من الدوران والحور والأصل: تَدْيور وتَحَيْور فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأُدغمت الياء في الياء فكان الأصل: يَتَطْيَقُونه ثم أدغم بعد القلب، فمن قرأه «يَطَّيَّقونه» بفتح الياء بناه للفاعل، ومن ضمها بناه للمفعول، وتحتمل قراءة التشديد في الواو أو الياء أن تكون للتكلف أي: يتكلفون إطاقته، وذلك مجاز من الطوق الذي هو القلادة»[1].

ويدافع عن القراءة الشاذة بإثبات وجودها في لغة العرب.

ومثال ذلك: عند دفاعه عن قراءة[2] «أمِرْنا» بكسر الميم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[3]. قال السمين: «وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر وعكرمة[4]: «أَمِرْنا» بكسر الميم، بمعنى: «أَمَرْنا» بالفتح. حكى أبوحاتم عن أبي زيد أنه يقال: أمر الله ما له و«أمِرَه» بفتح الميم وكسرها.

وقد ردّ الفراء هذه القراءة، ولا يلتفت لرده لثبوتها لغة بنقل العدول، وقد نقلها قراءة عن ابن عباسٍ أبوجعفر وأبوالفضل الرازي في «لوامحه» فكيف تردّ؟»[5].

فقد أثبت السمين هنا أن هذه القراءة قد ثبتت لغة بنقل العدول، وأيضاً فإن هؤلاء القراء قد شاركهم في القراءة بها ابن عباس كما نقله عنه أبوجعفر وأبوالفضل الرازي.

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٧٣.

(٢) انظر: الشواذ ٧٩، والمحتسب ٢/ ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٤) عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر أبوالقاسم المكي المقرىء، كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه. بقي إلى قبيل المائتين. (طبقات القراء ١/ ٥١٥).

(٥) الدر المصون ٧/ ٣٣٠.

٢ـ الدفاع عن القراءة الشاذة بقياسها على قراءة متواترة لإثبات صحتها وسلامتها من النقد.

مثال ذلك: عند دفاعه عن قراءة طلحة بن مُصرّف «أَفْلَحُ»[١]. فقد قال ابن عطية عن هذه القراءة: «وهي قراءة مردودة» فرد عليه السمين قائلاً: «ولا أدري كيف يردونها مع ثبوت مثلها في القرآن بإجماع وهي الآيتان المتقدمتان؟»[٢].

وقال في معرض ردّه على ابن مجاهد حينما لحّن قراءة ﴿فأنّ له نار﴾[٣] بفتح الهمزة[٤] قال: «ابن مجاهد وإن كان إماماً في القراءات، إلا أنه خفي عليه وجهها، وهو عجيب جداً. كيف غفل عن قراءتي ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥] في الأنعام؟!»[٦].

وكان السمين يؤكد أن القرّاء كانوا شديدي المتابعة فيما تلقوه عن شيوخهم وأنهم كانت لهم عناية خاصة بالنقل والضبط فيما يروونه.

فعند حديثه عن قراءة طلحة بن مصرف «أَفْلَحُ»[٧]. ذكر رواية عن طلحة ليردّ بها على من يضعّف قراءته. فقال: «قال عيسى: سمعت طلحة يقرؤها. فقلت له: أتلحن؟ قال: نعم كما لحن أصحابي» يعني اتبعتهم فيما قرأت به. فإن لحنوا على سبيل فرض المحال فأنا لاحن تبعاً لهم. وهذا يدل على شدة اعتناء القدماء بالنقل وضبطه خلافاً لمن يُغلّط الرواة»[٨].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١. وانظر القراءة المذكورة في: البحر ٦/ ٣٦٥، والمحرر الوجيز ١١/ ٢٢٢.

(٢) الدر المصون ٨/ ٣١٤. والآيتان المتقدمتان هما: قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ المائدة، الآية: ٧١، وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الأنبياء، الآية: ٣.

(٣) في قوله تعالى في سورة الجن ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

(٤) وهي قراءة طلحة، انظر: الشواذ ١٦٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٤. والفتح قراءة ابن عامر وعاصم. انظر: التيسير ١٠٢.

(٦) الدر المصون ١٠/ ٥٠٣ وانظر مثالين آخرين في (٥/ ٦٢٦، ٦٢٧).

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٨) الدر المصون ٨/ ٣١٤.

وقد يُرْجِع السمين ضعف بعض القراءات الشاذة إلى خطأ الراوي في تلقيه عن القارىء وعلى ذلك يُقرّ بضعفها وشذوذ تخريجها.

ومثال ذلك: عند حديثه عن قراءة أبي جعفر[1] «الملائكةُ» بضم التاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[2].

قال السمين: وقرأ أبوجعفر بالضم اتباعاً لضمة الجيم، ولم يعتد بالساكن وغلّطه الزجاج، وخطأه الفارسي، وشبهه بعضهم بقوله: «وقالتُ اخرج»[3] بضم تاء التأنيث، وليس بصحيح لأن تلك حركة التقاء الساكنين وهذه حركة إعراب فلا يتلاعب بها، والمقصود هناك يحصل بأي حركة كانت. وقال الزمخشري: ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية إلا في لغة ضعيفة كقراءة: «الحمدِ لله» يعني بكسر الدال».

قلت ـ أي السمين ـ: وهذا أكثر شذوذاً، وأضعف من ذاك مع ما في ذاك من الضعف المتقدم، لأن هناك فاصلاً وإن كان ساكناً».

ثم نقل السمين قول أبي البقاء في تلك القراءة وارتضاه فقال: «قال أبو البقاء: «وهي قراءة ضعيفة جداً، وأحسن ما تحمل عليه أن يكون الراوي لم يضبط عن القارىء. وذلك أن القارىء أشار إلى الضم تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتداء فلم يدرك الراوي هذه الإشارة.

وقيل: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم اتباعاً لحركة الجيم، وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف. ومثله: ما روي عن امرأة رأت رجلاً مع نساء فقالت: «أفي سوءةَ أنْتُـنّه» نوت الوقف على «سوءة» فسكّنت التاء ثم ألقت عليها حركة همزة «أنتن».

---

(١) انظر: البحر ١/ ٣٠٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣١.

ثم يقول السمين: فعلى هذا تكون هذه الحركة حركة التقاء ساكنين، وحينئذٍ يكون كقوله: «قالتِ اخْرُج»[1] وبابه. وإنما أكثر الناس توجيه هذه القراءة لجلالة قارئها أبي جعفر يزيد بن القعقاع شيخ نافع شيخ أهل المدينة وترجمتها مشهورة»[2].

(١) لعل صوابها «قالتُ اخْرُج» بدل الكسر كما يقول المشرف الدكتور/ محمد عيسوي.
(٢) الدر المصون ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

المطلب الخامس
موقفه من الترجيح بين القراءات

وقع من بعض المصنفين في القراءات والمفسرين الترجيح بين القراءات المتواترة وتفضيل بعضها على بعض إلى أن وصل الحد ببعضهم إلى درجة تضعيف القراءة المتواترة التي لا يرجحها.

وقد تكلم بعض العلماء في هذه المسألة وحذروا منها.

فهذا ثعلب يقول: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أُفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام ـ يعني كلام الناس ـ ففضلتُ الأقوى»[1].

ويقول أبوجعفر النحاس ـ وقد حكى اختلاف بعض العلماء في ترجيح «فك رقبة» بالمصدرية والفعلية ـ «والديانة تحظر الطعن على القراءة بالتي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي ﷺ وقد قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[2]، فهما قراءتان حسنتان، لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرىٰ»[3].

ويقول أيضاً في سورة المزمل: «السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال: أحدهما أجود؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم

---

(١) ذكر ذلك الزركشي في البرهان ١/ ٣٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع عديدة من صحيحه، منها: في كتاب فضائل القرآن، باب أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف (الصحيح مع الفتح ٩/ ٢٣). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، حديث رقم ٨١٨.

(٣) إعراب القرآن ٥/ ٢٣١.

من قال ذلك؛ وكان رؤساء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ينكرون مثل هذا»[1].

ويؤكد الشيخ شهاب الدين أبوشامة على هذا المعنى فيقول: قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة «ملك» و«مالك» حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرىٰ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، واتصاف الرب تعالى بهما، ثم قال: حتى إني أصلي بهذه في ركعة، وبهذه في ركعة»[2].

وقد حذا السمين حذو هؤلاء العلماء في رفض الترجيح بين القراءات المتواترة وقد أكدّ هذا الأمر في أكثر من موضع في كتابه. فتجده يذكر أقوال بعض العلماء في ترجيح إحدى القراءات المتواترة على الأخرى، ثم يعقب بانتقاده لهذا الترجيح، وهذا يؤكد محافظة السمين في جانب القراءات وشدة التزامه فيها.

ومن أمثلة ذلك: عند حديثه عن قراءتي «مالك، وملك». قال: «وقد رجح كل فريق إحدى القراءتين على الأخرىٰ ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرىٰ.. وهذا غير مرضي؛ لأن كلتيهما متواترة»[3].

وعند حديثه عن قراءتي[4] نافع وابن كثير وأبوعمرو «تَعْلَمون» بفتح حرف المضارعة، وسكون العين، وفتح اللام. وقراءة باقي السبعة بضم حرف المضارعة، وفتح العين، وتشديد اللام مكسورة، في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[5].

قال: «وقد رجح جماعة هذه القراءة ـ يعني قراءة باقي السبعة ـ

---

(١) إعراب القرآن ٥/ ٦٢.
(٢) إبراز المعاني ص٧٠ طبعة الحلبي.
(٣) الدر المصون ١/ ٤٨.
(٤) انظر: التيسير ٨٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

على قراءة نافع بأنها أبلغ؛ وذلك أنَّ كل مُعلِّم عالم، وليس كل عالم معلماً، فالوصف بالتعليم أبلغ، وبأن قبله ذِكْر الربانيين والرباني يقتضي أن يَعْلم ويُعَلِّم غيره، لا أن يقتصر بالعلم على نفسه.

ورجح بعضهم الأولى بأنه لم يُذكر إلا مفعول واحد والأصل عدم الحذف، والتخفيف مسوغ لذلك بخلاف التشديد، فإنه لابد من تقدير مفعول، وأيضاً فهو أوفق لتدرسون. والقراءتان متواترتان فلا ينبغي ترجيح إحداهما على الأخرىٰ، وقد قدمت ذلك في أوائل هذا الموضوع[1]»[2].

ويشتد الأمر عند السمين عندما يقع بعض العلماء في ترجيح أو تفضيل قراءة شاذة على قراءة متواترة، فتراه يستنكر هذا العمل ولا يرتضيه.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى في سورة النور: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾[3] ذكر أن هناك من قرأ[4] بالتنوين في العدد «أربعةٍ» ثم قال: «واستفصح الناس هذه القراءة حتى جاوز بعضهم الحد، كابن جني، ففضلها على قراءة العامة قال: «لأن المعدود متى كان صفة فالأجود الإتباع دون الإضافة. تقول: عندي ثلاثة ضاربون، ويضعف ثلاثة ضاربين» وهذا غلط؛ لأن الصفة التي جرت مجرى الأسماء تعطى حكمها فيضاف إليها العدد، و«شهداء» من ذلك؛ فإنه كثر حذف موصوفه. قال تعالى: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾[5] ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾[6] وتقول: عندي ثلاثة أعبد، وكل ذلك صفة في الأصل»[7].

---

(١) انظر: الدر ١/ ٤٨.

(٢) الدرالمصون ٣/ ٢٧٧، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٢١٦ و٤٠٧ و٤٠٨ و٤/ ١٣٩ و٥٦٣).

(٣) سورة النور، الآية: ٤.

(٤) وهما أبوزرعة وعبدالله بن مسلم. انظر: المحتسب ٢/ ١٠١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٧) الدر المصون ٨/ ٣٨١ وانظر مثالاً آخر: حينما انتقد السمينُ الهذليَّ تفضيله لقراءة شاذة على قراءة متواترة (الدر المصون ٨/ ٦٥٧).

ترجيحه القراءة المتواترة على الشاذة:

ويرجح السمين القراءة المتواترة على الشاذة لما تؤديه من معنى أبلغ.

ومثال ذلك: ترجيحه لقراءة الجمهور: «تُرجعون»[1] بالبناء للمفعول، على قراءة «ترجعون» بالبناء للفاعل قال: «ووجه القراءتين أن «رجع» يكون قاصراً ومتعدياً، فقراءة الجمهور من المتعدي وهي أرجح؛ لأن أصلها: «ثم إليه يرجعكم» لأن الإسناد في الأفعال السابقة لله تعالى، فيناسب أن يكون هذا كذا ولكن بُني للمفعول لأجل الفواصل والقواطع»[2].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٢) الدر المصون ١/ ٢٤٠. وانظر مثالاً آخر في: ٢/ ١١.

المطلب السادس
استعانته بالقراءات

استعان السمين بالقراءات في عدة مجالات: في بيان معاني الحروف، والكلمات، وفي بيان مفرد بعض الكلمات، وفي الاشتقاق، وفي الإعراب، وفي التفسير.

١ ـ ومثال استعانته بالقراءات في بيان معنى حرف.

عند بيان معنى «الباء» في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[١] قال: فيها أوجه، أحدها: أنها مزيدة، أي يشربها، ويدل له قراءة ابن أبي عبلة[٢] «يشربها» فعُدي إلى الضمير بنفسه»[٣].

٢ ـ ومثال استعانته بالقراءات في بيان معنى كلمة.

عندبيانه لمعنى كلمة «صغت» في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٤] قال: «أي: مالت، ويدل له قراءة ابن مسعود[٥] «فقد زاغت»[٦].

عند بيان معنى كلمة «يعلّمان» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾[٧] قال: «فيها قولان، أحدهما: أنها بمعنى: يُعْلمان من

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.
(٢) انظر: البحر ٨/ ٣٨٧.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٦٠٠.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٤.
(٥) انظر: البحر ٨/ ٢٨٦.
(٦) الدر المصون ١٠/ ٣٦٥.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

«أعلم» واستدل على ذلك بقراءة[1] طلحة بن مصرف: «يُعْلمان» من الإعلام»[2].

ويستدل بالقراءات على بيان أصل معنى الكلمة.

عند بيان معنى «الكبت» في قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾[3] قال: «وقيل: أصله: من كبده إذا أصابه بمكروه أثّر في كبده وجعاً كقولك: رأسته. أي: أصبت رأسه. ويدل عليه قراءة «أو يكبدهم»[4] بالدال. والعرب تبدل التاء من الدال..»[5].

٣ ـ ويستدل بالقراءات على بيان مفرد كلمة.

عند بيان مفرد كلمة «خيرات» في قوله ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[6] قال: فيه وجهان: الثاني: أنه جمع «خَيْرة» المخففة من «خيّرة» ويدل على ذلك قراءة.. «خيّرات»[7] بتشديد الياء»[8].

٤ ـ ويستدل بالقراءات في ترجيح إعراب أو بيان مرجع ضمير.

وسيأتي أمثلة في مبحث الإعراب تبين اعتماد السمين القراءات كمُرَجِّح عند الاختلاف.

ومن أمثلة استعانته بالقراءات لبيان مرجع ضمير: عند بيان مرجع الضمير في «يُعّلمان» في قوله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ﴾[9] قال: فيه قولان، أحدهما: أنه عائد على الملكين. ويؤيده قراءة أُبيّ[10] بإظهار الفاعل «وما يعلم

---

(١) انظر: الشواذ ١٦.
(٢) الدر المصون ٢/ ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.
(٤) وهي قراءة لاحق بن حميد. انظر: البحر ٣/ ٥٥.
(٥) الدر المصون ٣/ ٣٩١.
(٦) سورة الرحمن، الآية: ٧٠.
(٧) وهي قراءة ابن مقسم واليزيدي وبكر بن حبيب. انظر: البحر ٨/ ١٩٧.
(٨) الدر المصون ١٠/ ١٨٤.
(٩) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(١٠) انظر: البحر ١/ ٤٩٩.

الملكان»[1].

ويعتبر السمين القراءات في بعض المواطن مرجحاً في جانب الاشتقاق عند الاختلاف في اشتقاق كلمة. ومثال ذلك:

عند بيان اشتقاق كلمة «انظرنا» في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ﴾[2].

قال: قيل هو نظر من النّظِرة وهي التأخير. ثم ذكر قولين آخرين.

ثم قال: «وقرأ أُبيّ والأعمش[3] «أنْظِرنا» بفتح الهمزة وكسر الظاء أمراً من الرباعي. وهذه القراءة تؤيد أن الأول من النظرة بمعنى التأخير لا من البصر ولا من البصيرة»[4].

ويستعين بالقراءات في بيان معاني بعض الآيات.

ومثال ذلك: عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[5] قال: والرزق هو الشكر في لغة أزد شنوءة ويؤيده قراءة[6] علي بن أبي طالب وتلميذه عبدالله بن عباس «وتجعلون شكركم» مكان رزقكم»[7].

ويستعين بالقراءات في تأييد بعض الأقوال.

ومثال ذلك: عند بيان سبب توحيد لفظ السمع في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[8]. قال: وإنما وحده ـ أي لفظ السمع

---

(١) الدر المصون ٢/ ٣٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.
(٣) انظر: البحر ١/ ٥٠٩.
(٤) الدر المصون ٢/ ٥٢.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.
(٦) انظر: المحتسب ٢/ ٣١٠.
(٧) الدر المصون ١٠/ ٢٢٨.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٧.

ـ لفهم المعنى وقرىء[1] شاذاً «وعلى أسماعهم» وهي تؤيد هذا»[2].

ويعتمد السمين على القراءات في دفع التعارض المتوهم بين الآيات. ومثال ذلك عند ذكر عدد الملائكة في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[3].

قال: «ويُطلب جواب عن كيفية الجمع بين هذه الآية وآية آل عمران. حيث قال هناك ﴿بِخَمْسَةِ﴾[4] وهنا قال: «بألف» والقصة واحدة. والجواب: أن هذه الألف مردفة لتلك الخمسة فيكون المجموع ستة آلاف ويظهر هذا ويقوى في قراءة:[5] «مردفين» بكسر الدال»[6].

---

(١) وهي قراءة ابن أبي عبلة. انظر: الكشاف ١/ ٢٩.
(٢) الدر المصون ١/ ١١٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٤) سورة آل عمران، الاية: ١٢٥.
(٥) وهي قراءة السبعة ماعدا نافع. انظر: التيسير ١١٧.
(٦) الدر المصون ٥/ ٥٦٧.

ملحـــق
مميزات منهج السمين في التفسير

تميز السمين في تفسيره بميزات هامة تؤكد أهمية جانب التفسير في الدر المصون، هذه الميزات تدل على مبدأ المحافظة والالتزام لديه.. وأبرز هذه الميزات:

١ ـ التـــزام الظـــاهـــر:

من مميزات منهج السمين في التفسير التزامه بالظاهر، ورفضه لكل ما يخالف ذلك من ادعاء القلب أو ادعاء التقديم والتأخير وغير ذلك.

ومثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[١]. قال: «وزعم بعضهم أن في قوله «في سلسلة» «فاسلكوه» قلباً، لأنه نُقل في التفسير أن السلسلة تدخل مِنْ فيه، وتخرج من دُبُرِه، فهي المسلوكة فيه، لا هو مسلوك فيها.

ثم ردّ السمين إدعاء القلب السابق، ورجح التفسير بظاهر الآية فقال: «والظاهر أنه لا يُحتاج إلى ذلك؛ لأنه رُوي أنها لطولها تُجعل في عنقه وتلتوي عليه حتى تحيط به من جميع جهاته فهو المسلوك فيها لإحاطتها به»[٢].

ولا يتنازل السمين عن الظاهر إلا إذا كانت هناك حاجة إليه، بحيث لا يصح المعنى إلا بتقدير محذوف. وهو ما يسمى عند علماء الأصول بـ «دلالة الاقتضاء» وهي: «دلالة الكلام على معنى يتوقف على تقديره صدق الكلام أو صحته شرعاً أو

---

(١) سورة الحاقة، الآيات ٣٠ ـ ٣٢.
(٢) الدر المصون ١٠/٣٤٦.

عقلاً»[1].

وقد طبق السمين هذه الدلالة عند قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[2] فقال: «ولابد من حذف يصح معه المعنى. فقدره الزمخشري: يكتبون الكتاب المحرّف. وقدره غيره حالاً من الكتاب: الكتاب محرفاً. وإنما أحوج إلى هذا الإضمار لأن الإنكار لا يتوجه على من كتب بيده إلا إذا حرّفه غيره»[3].

فنلحظ في هذا المثال أن السمين قد خرج عن الظاهر؛ لأن استقامة معنى الآية يقتضي هذا الخروج بتقدير محذوف.

٢ ـ تفسيره بما عليه الإجماع ورده للأقوال الشاذة والضعيفة.

وتميز منهج السمين في التفسير باعتماده لإجماع المفسرين ونبذه للأقوال المخالفة له ومن أمثلة ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: «وانشق القمر» في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[4] قال: «هذا ماضٍ على حقيقته وهو قول عامة المسلمين، إلا من لا يلتفت إلى قوله وقد صح في الأخبار أنه انشق على عهد رسول الله ﷺ مرتين[5].

ثم ذكر القول المخالف ونَبَذَهُ لمخالفته للإجماع السابق فقال: «وقيل: انشق بمعنى: سينشق يوم القيامة، فأوقع الماضي موقع المستقبل لتحققه، وهو خلاف الإجماع، وقيل: انشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند طلوعه، كما يُسمّى الصبح

---

(١) انظر تفسير النصوص في الفقه الإسلامي للدكتور محمد أديب الصالح ١٠/٥٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٣) الدر المصون ١/٤٥٢.

(٤) سورة القمر، الآية: ١.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره «قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة والأسانيد الصحيحة وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة والقمر». وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، ثم ذكر الأحاديث الواردة عن أنس وجبير بن مطعم وعبدالله بن عباس وابن عمر. انظر تفسيره ٧/٤٤٧ ـ ٤٥٠.

فلقاً . . . وإنما ذكرتُ لك تنبيهاً على ضعفه وفساده»[1].

ومن ذلك أيضاً: ردّه لقول الزمخشري أن الحواريين ليسوا مؤمنين عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2] فقد ردّ قوله؛ لأنه خارق للإجماع ونقل قول ابن عطية في حكاية الإجماع على أن الحواريين كانوا مؤمنين فقال: «قال ابن الأنباري: «لا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكّوا في قدرة الله تعالى» وبهذا يظهر أن قول الزمخشري أنهم ليسوا مؤمنين ليس بجيد وكأنه خارق للإجماع. قال ابن عطية: «ولا خلاف أحفظه أنهم كانوا مؤمنين»[3].

٣ـ عدم القول في الآية بظنٍ وبخاصة في الأمور الغيبية.

حرص السمين على عدم التخرص والخوض في الأمور الغيبية، والتزم في ذلك التوقف.

ومثال ذلك: عند حديثه عن تفسير «وجعل الشمس سراجاً» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[4] حيث قال: «يحتمل أن يكون التقدير: وجعل الشمس فيهن، كما تقدم، والشمس قيل: في الرابعة. وقيل: في الخامسة. وقيل: في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة. والله أعلم: أيُّ ذلك صحيح»[5].

ويتشدد السمين في هذا الأمر حتى إنه لا يذكر ما ذكره بعض المفسرين من الخوض في بعض التفصيلات التي لم يرد بها خبر صحيح.

---

(١) الدر المصون ١٠/ ١١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢.
(٣) الدر المصون ٤/ ٥٠٠.
(٤) سورة نوح، الآية: ١٦.
(٥) الدر المصون ١٠/ ٤٧١.

ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1] قال: «والضمير في أُمنيته» فيه قولان، أحدهما: ـ وهو الذي ينبغي أن يكون ـ أنه ضمير الشيطان. والثاني: أنه ضمير الرسول، ورووا في ذلك تفاسير الله أعلم بصحتها»[2].

٤ـ اهتمامه بالترجيح في التفسير:

ومن ذلك: ترجيحه في بيان المراد باللسان في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[3]. حيث رجح أن المراد به هنا: غير الجارحة. حيث قال: «وقوله: «على لسان داود وعيسى» المراد باللسان الجارحة لا اللغة، كذا قال الشيخ، يعني أن الناطق بلعن هؤلاء لسان هذين النبيين... ثم قال: وفي النفس من كون المراد باللسان الجارحة شيء، ويؤيد ذلك ما قاله الزمخشري فإنه قال: نزّل الله لَعْنهم في الزبور على لسان داود، وفي الإنجيل على لسان عيسى» وقوة هذا تأبى كونه الجارحة، ثم إني رأيت الواحدي ذكر عن المفسرين قولين، ورجح ما قلته قال ـ رحمه الله ـ: «وقال ابن عباس: يريد في الزبور وفي الإنجيل، ومعنى هذا أن الله تعالى لَعَن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل وكذلك في الإنجيل، وقيل: على لسان داود وعيسى؛ لأن الزبور لسان داود والإنجيل لسان عيسى» ثم قال ـ أي السمين ـ: «فهذا نص في أنه المراد باللسان غير الجارحة»[4].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٢) الدر المصون ٨/ ٢٩٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

(٤) الدر المصون ٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

الفصل الثاني
التفسير اللغوي في الدر

وفيه : تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **منهجه في تفسير اللفظة القرآنية المفردة**

المبحث الثاني: **منهجه في تفسير تركيب ألفاظ القرآن**

المبحث الثالث: **منهجه في بيان الأسلوب القرآني**

تمهـــيد
عن التفسير اللغوي

يغلب على تفسير السمين الجانب اللغوي؛ لذا أحببت أن أكتب مقدمة عن هذا التفسير وهذا الاتجاه، والمقصود بالاتجاه اللغوي هنا معناه الواسع فيشمل: اللغة أي معاني المفردات والإعراب والبلاغة[1]. وهذا التمهيد يشمل الحديث عن التفسير اللغوي من حيث:

١ ـ مفهومه، ومكانته.

٢ ـ مناهجه، وأعلامه.

التفســير اللغــوي:

المراد بالتفسير لغة:

١ ـ قيل هو: تفعيل من «الفَسْر» بمعنى الإبانة وكشف المراد من اللفظ المشكل[2].
قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3].

٢ ـ وقيل هو: مقلوب من «سَفَر» ومعناه أيضاً: الكشف يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح: أضاء[4].

أما تعريف التفسير اصطلاحاً:

فيقول أبوحيان: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك[5].

---

(١) الإتقان، السيوطي ١/ ١٧٩.
(٢) تهذيب اللغة، الأزهري ١٢/ ٤٠٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.
(٤) البرهان، الزركشي ١/ ١٤٧.
(٥) البحر المحيط ١/ ١٣، ١٤.

وقال الزركشي: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[1].

والتفسير اللغوي هو: التفسير الذي يُعنى بالقرآن الكريم من حيث غريب مفرداته، وأصولها وإعرابه، وبلاغة أسلوبه.

أهمية هذا اللون من التفسير:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فكان العرب يفهمون مفرداته ويعلمون تفسير غريبها ويدركون معانيها، ويتذوقون الأسلوب القرآني البليغ.

ولم يكن الصحابة في بداية الأمر بحاجة إلى شرح ألفاظه إلا ما جاء على غير لغتهم من لغات العرب الأخرىٰ غير لغة قريش.. وبعد أن انقضى عصر الصحابة ودخل الأعاجم في الإسلام. احتاج المسلمون إلى بيان ألفاظ القرآن وشرح معانيه فتصدى لذلك علماء الصحابة من المفسرين كابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب...

وعلى رأس هؤلاء ابن عباس، وقد اهتم ابن عباس في تفسيره بشرح الغريب واعتمد في ذلك على الاستشهاد بأشعار العرب. ثم نشأت مدارس التفسير المشهورة.

ونشأ اتجاه يهتم بلغة القرآن شرحاً لغريبه، وبياناً لإعرابه، وإيضاحاً لأسلوبه البليغ هذا الاتجاه هو: الاتجاه اللغوي في التفسير. وقد عدّه ابن عباس القسم الأول من التفسير حينما قسم التفسير إلى أربعة أقسام حيث قال: «التفسير أربعة أقسام قسم تعرفه العرب من كلامها...»[2].

قال الزركشي معلقاً على كلام ابن عباس: «فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي

---

(١) البرهان، للزركشي ١/ ١٣.

(٢) البرهان، للزركشي ٢/ ١٦٤.

يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة والإعراب»[1].

وقد أكد العلماء على أهمية هذا اللون من التفسير.

قال الزركشي: «الذي يجب على المفسر البداءة به: العلوم اللفظية. وأول ما يجب البداءة به منها: تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه.. قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علوم الشرع وغيره، وهو كما قولوا: إن المركب لا يعلم إلاَّ بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود الذهني والخارجي. فنقول النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها **أما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:**

١ ـ من جهة المعاني التي وُضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة.

٢ ـ من جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة وهو من علم التصريف.

٣ ـ من جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان.

---

(١) البرهان، للزركشي ٢/ ١٦٤.

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله وهو ما يتعلق بعلم البديع»[1].

من هذا النص للإمام الزركشي يمكننا أن نحدد معالم ألوان التفسير اللغوي وهي:

١ ـ ما يتعلق باللفظة القرآنية: شرحاً للغريب، وبيان لأصول الكلمة واشتقاقها وصرفها وهو علم غريب القرآن.

٢ ـ ما يتعلق بالتركيب القرآني وهو: علم إعراب القرآن.

٣ ـ بالأسلوب القرآني وهو: علوم البلاغة القرآنية.

١ ـ علم غريب القرآن:

والمراد به: العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم[2].

فهو مبحث لغوي متخصص، أو هو الجانب اللغوي في علم التفسير. قال الخطابي: «الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم، كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل»[3].

وقد ظهر الاهتمام بهذا العلم قديماً، فهذا ابن عباس قد بين جملة من غريب القرآن واستشهد على ذلك بالشعر العربي وذلك في مسائله مع نافع بن الأزرق[4].

---

(١) البرهان، للزركشي ٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) انظر: مقدمة يوسف المرعشلي في تحقيقه لكتاب العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب ص١٤.

(٣) انظر: كشف الظنون ص١٢٠٣.

(٤) وقد طبعت هذه المسائل بتحقيق د/ عائشة بنت الشاطىء.
ونافع هو: ابن الأزرق بن قيس الحنفي، الحروري، رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان يذهب إلىٰ سوق الأهواز، ويعترض الناس بما يحير العقل. قتل سنة ٦٥هـ. (الأعلام ٧/ ٣٥١).

ولهذا العلم أهميته وأثره في تفسير القرآن، يقول الإمام مالك[1]: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالاً».

ويؤكد الراغب الأصفهاني على أهمية علم المفردات وأنه اللبنة الأولى في التفسير فيقول: «وذكرت أن أول ما يحتاج إليه أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللِّبن في كونه من أول المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه. وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، . . .»[2].

التأليف في هذا الفن[3]:

لعل أقدم ما وصل إلينا في هذا الفن هو مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس فقد سأله عن مائة وتسعة وثمانين كلمة وأجاب عنها ابن عباس. ثم توالت بعد ذلك المؤلفات المستقلة في هذا الفن وهي قسمان:

القسم الأول: جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور فيذكر المؤلف اسم السورة ثم يذكرها الغريب الذي فيها. ومن أمثلة ذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ومعاني القرآن للزجاج.

القسم الثاني: رتب ألفاظه على حروف الهجاء مثل كتاب «المفردات» للراغب الأصفهاني، وتحفة الأريب لأبي حيان، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف

---

(١) مالك بن أنس الأصبحي المدني، ولد سنة ٩٣هـ. إمام دار الهجرة. وصاحب المذهب. توفي سنة ١٧٩هـ. (السير ٨/ ٤٨).

(٢) مقدمة الراغب ص٥٤. طبعة صفوان داوودي.

(٣) ذكر يوسف المرعشلي في مقدمة تحقيقه للعمدة في غريب القرآن، دراسة للتأليف في هذا الفن وفق الترتيب الزمني وقد ذكر ٥٨ مؤلفاً في ذلك. انظر: العمدة من (١٩ ـ ٣٧).

الألفاظ للسمين الحلبي.

٢ـ علم إعراب القرآن:

الإعراب لغة: الإبانة يقال أعرب الكلام: بيَّنه. وعرَّب منطقه: أي هذبه من اللحن[١].

واصطلاحاً: اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً وتقديراً[٢].

قال ابن جني في كتابه «الخصائص»[٣]: «هو الإبانة عن المعنى بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول».

وأما إعراب القرآن الكريم فهو: ضبط كلماته، والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح[٤].

وقد توافر العلماء قديماً وحديثاً على التأكيد أهمية الإعراب.

فهذا الزجاجي يولي الإعراب اهتماماً بالغاً، ويبين قيمته ومدى الحاجة إليه فيقول في باب «الإعراب لِمَ دخل الكلام»: «فإن قال قائل: فقد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه واحتيج إليه من أجله؟

الجواب: أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع «زيد» أن الفعل له، وبنصب «عمرو» على أن الفعل واقع به، وقالوا: ضُرِبَ زيدٌ، فدلوا بتغير أول الفعل ورفع «زيد» على أن الفعل ما لم يسم فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: هذا غلامُ زيدٍ، فدلوا بخفض «زيد» على إضافة «الغلام» إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها، ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو

---

(١) لسان العرب. مادة «عرب».

(٢) انظر: معجم القواعد العربية ص٦٦، لعبد الغني الدقر.

(٣) انظر: الخصائص ١/ ٣٥.

(٤) هذا التعريف للدكتور فهد الرومي، انظر: كتابه بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص١١٤.

المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني»[1].

ويُعلي ابن فارس من قيمة الإعراب ويرى أنه مما اختصت به العرب فيقول: «من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب، الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»[2].

ويؤكد مكي بن أبي طالب على أهمية الإعراب في القرآن فيقول في مقدمة كتابه «المشكل»: «رأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القاريء إليه محتاج معرفة إعرابه، والوقوف على تعرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على إحكام اللفظ فيه مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات متفهماً لما أراد الله ـ تبارك وتعالى ـ من عباده»[3].

ويتفق العكبري مع مكي في مقاله السابق فيقول: «وأقوم طريق يُسلك في الوقوف على معناه، ويتوصل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه ـ أي القرآن ـ معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات»[4].

التأليف في هذا الفن:

نشأ هذا الفن مع النحو واستعان به المفسرون في توضيح الآيات في تفاسيرهم، ثم أخذ في الاستقلال شيئاً فشيئاً حتى أصبح علماً قائماً بذاته. وقد اختلفت طرق العلماء في الكشف عن وجوه إعراب القرآن وتعددت مناهجهم،

---

(١) الإيضاح في علل النحو ٦٩ ـ ٧٠.
(٢) الصاحبي ص٧٦.
(٣) مشكل إعراب القرآن ١/ ٦٣.
(٤) التبيان في إعراب القرآن المقدمة ص١.

فمنهم من اقتصر على مشكله كمكي في كتابه «مشكل إعراب القرآن»، ومنهم من عرض لإعراب غريبه كأبي البركات بن الأنباري في كتابه «البيان في غريب إعراب القرآن»، ومنهم من أعربه كله ولكن بشكل مختصر كالعكبري في كتابه «التبيان في إعراب القرآن»، ومنهم من عرض إشكال الإعراب وجعل لكل شكل باباً على نحو ما صنع الزجاج في إعرابه، ومنهم من جمع بين أوجه القراءات والإعراب مثل الفراء في كتابه «معاني القرآن»، والحجة لأبي علي الفارسي والمحتسب لابن جني وإن كان هذان الكتاب الأخيران يدخلان تحت كتب توجيه القراءات.

ويُعد «الدر المصون» للسمين الحلبي من أجلّ ما أُلف في هذا الباب[1] فهو يُعد بحق موسوعة ضخمة لإعراب القرآن وذكر الأوجه المتعددة في ذلك. وقد امتدحه السيوطي بأنه أجلّ ما أُلف في إعراب القرآن، فقال بعد أن ذكر بعض الكتب، ثم ذكر كتاب الدر المصون فقال عنه «وهو أجلُّها»[2].

٣ـ العلم الذي يهتم بالأسلوب القرآني وهو ما يسمى: بالمنهج البياني.

وهو العلم الذي تدور مباحثه حول البلاغة القرآنية في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل وفي جانب علم المعاني، وكذا علم البديع وأثره.

وهذا الفن يهتم ببيان بلاغة الأسلوب القرآني ونظمه المعجز، ويظهر تفنن القرآن في مخاطباته، ويبرر النكت البلاغية البديعة فيه.

ولهذا الفن أثره في تفسير القرآن، يقول الزمخشري: «ومن حق مفسر كلام الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل...»[3].

---

(١) انظر: كشف الظنون ١/ ١٢٢.

(٢) الإتقان ١/ ١٧٩.

(٣) الكشاف ١/ ٣٦.

ويؤكد الزركشي على ما قاله الزمخشري ويبين مكانة هذا العلم بين العلوم المهمة للمفسر فيقول: «وهذا العلم أعظم أركان المفسر، فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر..»[1].

وقد بدأ هذا الفن في جملة من أسراره الجاحظ، فخصص كثيراً من مباحثه في كتابه «نظم القرآن» إلى استيفاء جمال العبارة، واستخراج ما فيها من مجاز وتشبيه.. إلا أن معالجته لذلك لم تكن خاصة بالقرآن. ثم جاء عبدالقاهر الجرجاني فتحدث في كتابيه «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» عن البلاغة القرآنية بشكل أوسع من الجاحظ. إلا أنهما لم يشملا كل القرآن، حتى إذا جاء جار الله محمود الزمخشري فتح عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية من الناحية التطبيقية، فأبرز بلاغة النظم القرآنية واستخرج جواهره وأظهر روعة أساليبه «ونكاد نقول إن خير تفسير في العربية تحدث عن بلاغة القرآن، وإعجازه وسر نظمه وروعة آدائه هو تفسير الزمخشري، وكم كنا نود لو بريء من الهوى، إذ كان تفسيره الأول والأخير في عالم التفاسير»[2]. ومن التفاسير التي اهتمت بالجانب البلاغي: الدر المصون فقد أورد كثيراً من الإشارات البلاغية وأبدع في إبراز بلاغة القرآن.

---

(١) البرهان ١/ ٣١١.

(٢) التعبير الفني في القرآن، بكري أمين ص١١٦.

المبحث الأول

منهجه في تفسير
اللفظة القرآنية المفردة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: **عنايته بالتأصيل اللغوي.**

المطلب الثاني: **عنايته بتفسير المفردات.**

المطلب الثالث: **عنايته بالفروق اللغوية.**

المطلب الرابع: **عنايته بحروف المعاني.**

المطلب الأول
عنايته بالتأصيل اللغوي

وسأتحدث فيه من جانبين:

١ ـ عنايته بالاشتقاق:

اهتم السمين بالاشتقاق لما له من أثر في بيان معنى الكلمة وتفسير الآية، ولما له من أثر بالغ أيضاً في تصريف الكلمة ووزنها.

وقد أكد السمين على أهمية الاشتقاق وأثره فقال: «فإن عرف كون هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ مثلاً ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه، ولا كيف موقعة من النظم لم يحل بطائل...»[1].

فهذا النص الذي ذكره السمين في مقدمة كتابه يؤكد لك عنايته بالاشتقاق. من هذا المنطلق اعتنى ببيان اشتقاق كثير من الكلمات.

وسوف أتحدث عن الاشتقاق عند السمين من خلال الجوانب التالية:

١ ـ العبارات التي استخدمها للدلالة على الاشتقاق.
٢ ـ ذكره للأقوال في اشتقاق الكلمة وموقفه منها.
٣ ـ نقله عن علماء اللغة في الاشتقاق.
٤ ـ اهتمامه ببيان أثر الاشتقاق.
٥ ـ استشهاده بالشعر على الاشتقاق.

---

(١) الدر المصون ١/ ٤.

١ ـ العبارات التي استخدمها في التعبير عن الاشتقاق :

استخدم السمين مصطلحين للتعبير عن الاشتقاق :

المصطلح الأول : ـ وهو المصطلح الشائع ـ الاشتقاق .

المصطلح الثاني : أصل الكلمة .

ومن أمثلة ذلك : عند حديثه عن اشتقاق كلمة «القصاص» . قال : «وأصله من قصصت الشيء اتبعت أثره ؛ لأنه اتباع دم المقتول»[١] .

ويستخدم السمين أيضاً قوله : «مأخوذ من كذا» .

ومثال ذلك : عند اشتقاق كلمة «البلد» قال : «وفي تسميته قولان :

أنه مأخوذ من : البَلْدِ ، والبَلْد في الأصل : الصدر ، يقال : وضعت الناقة بلدتها إذا بركت ، أي صدرها ، والبلد صدر القرى فسمي بذلك .

والثاني : أن البلد في الأصل : الأثر ومنه : رجل بليد لتأثير الجهل فيه»[٢] .

٢ ـ ذكره للأقوال في اشتقاق الكلمة وموقفه منها :

في بيان السمين لاشتقاق كلمة قد يذكر قولاً واحداً .

ومن أمثلة ذلك : عن بيان اشتقاق كلمة «القرية» . قال : «والقرية مشتقة من قريت أي : جمعت ، تقول : قريت الماء في الحوض . أي : جمعته ، واسم ذلك الماء : قِرَىً بكسر القاف»[٣] .

وكان في غالب تعرضه لاشتقاق الكلمات يحكى الأقوال ويعددها من غير ترجيح ، وقد يختار ويرجح ـ أحياناً ـ .

ومن أمثلة ترجيحه بعد حكايته لبعض الأقوال في اشتقاق كلمة : عند اشتقاق كلمة «الاسم» قال : اختلف النحويون في اشتقاقه : فذهب أهل البصرة إلى أنه

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٥٢ .

(٢) الدر المصون ٢/ ١٠٩ .

(٣) الدر المصون ١/ ٣٧٢ .

مشتق من السمو وهو الارتفاع؛ لأنه يدل على مسماه فيرفعه ويظهره. وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من الوَسْم وهو العلامة لأنه علامة مسماة وهذا وإن كان صحيحاً من حيث المعنى لكنه فاسد من حيث التصريف»[1].

فهو برده لمذهب الكوفيين، رجح مذهب البصريين في اشتقاق الكلمة.

والغالب أنه يذكر الأقوال في الاشتقاق ولا يُرجح. فقد يحكي في اشتقاق الكلمة خمسة أقوال، وقد يحكي ثلاثة أقوال، وقد يحكي قولين بحسب ما يقف عليه من كلام أهل اللغة.

ومن أمثلة ذلك: عند اشتقاق كلمتي: «يأجوج ومأجوج» على القول باشتقاقهما حكى في ذلك خمسة أقوال فقال: «... واختلفوا في اشتقاقهما: فقيل: اشتقاقهما من أجيج النار وهو التهابها وشدة توقدها. وقيل من الأجَّة. وهو الاختلاط أو شدة الحر. وقيل من الأجّ وهو سرعة العدو. ومنه قوله[2]:

... ... تـؤجُّ كمـا أجّ الظليـم المنُفَّـر

وقيل: من الأُجاج، وهو الماء الملح الزعاق.. ويحتمل أن يكون مأجوج من ماج يموج، أي: اضطرب ومنه الموج..»[3].

ولعل عذر السمين في حكايته لهذه الأقوال وعدم الترجيح بينها أن الكلمة تحتمل كل ذلك.

وقد تظهر شخصية السمين في ردّ بعض الأقوال في الاشتقاق وتعقبه لها.

ومن أمثلة ذلك: عند اشتقاق كلمة «القرآن» ذكر ثلاثة أقوال فقال: «قيل من «قرأ» بالهمز جمع؛ لأنه يجمع بين السور والآيات والحكم والمواعظ. وقيل: أنه

---

(١) الدر المصون ١/ ١٩ ـ ٢٠.

(٢) لم أهتد إلىٰ قائله. وهو في اللسان، مادة: «أجج»، وصدره: فراحت وأطراف الصوى مُحْزئِلّة. والبيت في وصف الناقة. ومعنىٰ الصوىٰ: العلامات في الطريق، ومحزئلة: أي مرتفعة.

(٣) الدر المصون ٧/ ٥٤٥.

مشتق من قرنت بين الشيئين . .

ثم قال: وأما قول من قال إنه مشتق من قريت الماء في الحوض أي جمعته فغلط؛ لأنهما مادتان متغايرتان»[1].

٣ـ نقله عن علماء اللغة في الاشتقاق:

وينقل السمين عن علماء اللغة أقوالهم في الاشتقاق.

ومن أمثلة ذلك: عند اشتقاق كلمة «مائدة» في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2] قال: واختلف اللغويون في اشتقاقها. فقال الزجاج: «هي من ماد يميد إذا تحرك، ومنه قوله: «رواسي أن تميد بهم» ومنه: مَيْدُ البحر وهو ما يصيب راكبه، فكأنها تميد بما عليها من الطعام. قال: «وهي فاعلة على الأصل».

وقال أبوعبيد: وهي فاعلة بمعنى مفعولة مشتقة من مادَهُ بمعنى أعطاه وامتاده بمعنى استعطاه فهي بمعنى مفعولة». قال: كعيشة راضية وأصلها أنها ميد بها صاحبُها أي: أُعطيها، والعرب تقول: مادني فلاني يميدني إذا أحسن إليّ وأعطاني».

وقال أبوبكر بن الأنباري: «سميت مائدة لأنها غياث وعطاء، من قول العرب: ماد فلان فلاناً إذا أحسن إليه. . . وهي فاعلة من الميد بمعنى معطية فهو قريب من قول أبي عبيد في الاشتقاق، إلا أنها عنده بمعنى فاعلة على بابها وابن قتيبة وافق أباعبيد في كونها بمعنى مفعولة قال: «لأنها يُماد بها الآكلون أي يُعطونها»[3].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

(٣) الدر المصون ٤/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١١٩، ٣/ ٣٧١، ٥٧٢، ٦/ ١٠٤، ٧/ ٣٩٦، ٨/ ٣٣).

٤ـ اهتمامه ببيان أثر الاشتقاق :

للاشتقاق أثر بالغ في تصريف الكلمة، وفي معناها، وفي إعرابها وبالتالي فله أثره أيضاً في التفسير ومعنى الآية القرآنية. وقد اهتم السمين ببيان أثر الاشتقاق وأهميته.

١ ـ أثر الاشتقاق في صرف الكلمة.

للاشتقاق أثر في تصريف الكلمة من حيث وزنها، ومن حيث ما حدث فيها من إعلال وإبدال ومثال ذلك: عند بيانه لاشتقاق كلمة «القرآن». قال: «وهو من «قرأ» بالهمز أي: جمع؛ لأنه يجمع السور والآيات والحكم والمواعظ... والثاني: أنه مشتق من قرنت بين الشيئين، فيكون وزنه على هذا: فاعلاً، وعلى الأول: فُعْلاناً»[١].

ومثال آخر: يوضح أثر الاشتقاق في تصريف الكلمة وما يحدث فيها من إعلال وإبدال تبعاً لاختلاف اشتقاق الكلمة. عند حديثه عن اشتقاق كلمة «الملائكة» ذكر في ذلك ثلاثة أقوال وبيّن وزن الكلمة على كل قول.

فقال: «فقيل إنها مشتقة من «ألك» أي: أرسل ففاؤه همزة وعينه لام... فأصل ملك: مَأْلك، ثم قلبت العين إلى موضع الفاء، والفاء إلى موضع العين مضار مَلأكا على وزن مفعل، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام وحذفت الهمزة تخفيفاً فيكون وزن ملك: مَعَلاً بحذف الفاء.

وقيل هو مشتق لأك أي أرسل أيضاً، ففاؤه لام وعينه همزة ثم نقلت حركة الهمزة وحُذفت كما تقدم، ويدل على ذلك أنه قد نُطق بهذا الأصل قال[٢]:

فلستُ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأَكٍ تنزَّلَ من جوِّ السماء يصوبُ

ثم جاء الجمع على الأصل فردت الهمزة على كلا القولين، فوزن ملائكة

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) البيت منسوب لعلقمة في ملحق ديوانه ١١٨، وهو في المفضليات ٣٩٤، والكتاب ٢/ ٣٧٩.

على هذا القول: مفاعِلة، وعلى القول الذي قبله: معافِله بالقلب.

وقيل هو مشتق من: لاكه يلوكه أي: أداره يديره، لأن الملك يدير الرسالة في فيه، فأصل ملك: مَلْوَك، فنقلت حركة الواو إلى اللام الساكنة قبلها، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب أيضاً فصار ملاكاً مثل مقام، ثم حذفت الألف تخفيفاً فوزنه مَفَل بحذف العين»[1].

ويترتب على الاشتقاق أيضاً صرف الكلمة أو عدم صرفها.

مثال ذلك: عند حديثه عن اشتقاق كلمة «شيطان» فقد ذكر أن في ذلك خلافاً فمنهم من قال: إنه مشتق من شطن يشطن أي بعد وقيل هو مشتق من شاط يشيط أي هاج واحترق...

ثم قال: ويترتب على القولين صرفه وعدم صرفه إذا سُمّي به، وأما إذا لم يسم به فإنه منصرف البتة، لأن من شرط امتناع فعلان الصفة ألا يؤنث بالتاء، وهذا يؤنث بها فيقال: شيطانة»[2].

أثر الاشتقاق في الإعراب:

ومثال ذلك: عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[3] قال: «قال الزمخشري: «في السموات» متعلق بمعنى اسم الله، كأنه قيل: «وهو المعبود فيها ـ ومنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[4]؛ أو هو المعروف بالإلهية والمتوحد بالإلهية فيها، أو هو الذي يقال له إله، لا يشركه في هذا الاسم غيره.

قال السمين: «إنما قال: أو هو المعروف أو هو الذي يقال له الله، لأن هذا الاسم الشريف تقدم لك فيه خلاف: هل هو مشتق أو لا؟ فإن كان مشتقاً ظهر تعلق

---

(١) الدر المصون ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٢) الدر المصون ١/ ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

الجار به، وإن كان ليس بمشتق. . . »[1].

أثر الاشتقاق في المعنى:

ويترتب على الخلاف في اشتقاق الكلمة اختلاف معناها، ويؤثر ذلك بدوره في معنى الآية كلها.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان اشتقاق كلمة «عرضة» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[2] قال: في اشتقاقها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها فُعْلة بمعنى مفعول من العَرْضَ كالقطبة. . . ثم قال: ومعنى الآية على هذا: لا تجعلوه مُعَرَّضاً للحلف من قولهم: فلانٌ عُرْضَةٌ لكذا أي مُعَرَّضٌ»[3].

الثاني: أنها اسم ما تعرضه على الشيء فيكون من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً.

ومعنى الآية على هذا: النهي عن أن يحلفوا بالله على أنهم لا يبرون ولا يتقون ويقولون: لا نقدر أن نفعل ذلك لأجل حلفنا.

الثالث: أنها من العُرضة وهي القوة. يقال: جمل عرضة للسفر أي قوي عليه ومعنى الآية على هذا: لا تجعلوا اليمين بالله قوة لأنفسكم في الامتناع من البِرَّ»[4].

وقد يكون للاشتقاق أثر خطير فيترتب عليه خلاف في مسألة عقدية.

مثال ذلك: في اشتقاق كلمة «الاسم» وما يترتب عليه من خلاف بين أهل السنة والمعتزلة. بعد أن ذكر أن في اشتقاق الكلمة خلاف فمن قائل إنها مشتقة من السمو وهو الارتفاع لأنه يدل على مسماه فيرفعه ويظهره، ومن قائل إنها مشتقة من الوسم وهو العلامة لأنه علامة على مسماه. قال بعد ذلك: وهل لهذا الخلاف فائدة أم لا؟

---

(١) الدر المصون ٤/ ٥٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٣) الدر المصون ٢/ ٤٢٨.

(٤) الدر المصون ٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

والجواب: أن له فائدة، وهي أن من قال باشتقاقه من العلو يقول: إنه لم يزل موصوفاً قبل وجود الخلق وبعدهم وعند فنائهم، لا تأثير لهم في أسمائه وصفاته وهو قول أهل السنة.

ومن قال: بأنه مشتق من الوسم يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات وهو قول المعتزلة وهذا أشد من قولهم بخلق القرآن. وعلى هذا وقع الخلاف ـ أيضاً ـ في الاسم والمسمى[1].

استشهاده بالشعر على الاشتقاق:

من البارز في كتاب السمين «الدر» استشهاده بالشعر، والشعر ديوان العرب فكان يؤيد بعض الآراء في اشتقاق كلمة بما قيل من أشعار العرب.

ومن أمثلة ذلك: عند اشتقاق كلمة ﴿مَٰلِكِ﴾[2] قال: «وهو مشتق من الملك بفتح الميم، وهو الشد والربط، قال الشاعر[3]:

مَلَكتُ بها كفي فانهرتُ فَتْقَها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها»[4]

وعند اشتقاق كلمة «إلحافاً» في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[5] قال: «واشتقاقه من اللحاف، لأنه يشمل الناس بمسألته ويعمهم، كما يشتمل اللحاف من تحته ويغطيه، ومنه قول ابن أحمر يصف ذكر نعامٍ يحضن بيضه بجناحيه ويجعل جناحه لها كاللحاف[6]:

---

(١) الدر المصون ١/ ١٩ـ٢٠.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٣) البيت لقيس بن الحطيم، وهو في ديوانه ص٢٢.

(٤) الدر المصون ١/ ٤٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٦) لم أهتد إلىٰ قائله. وهو في اللسان، مادة: «هفف».
والهفهافان والقفقفان: الجناحان.

يظـــلُّ يَحُفُّهُـــنَّ بقَفْقَفَيـــهِ ويَلْحَفُهُـــنَّ هَفْهـــافـــاً ثَخِينـــاً

وقال آخر في هذا المعنى[1]:

ثـم راحـوا عَبَـقُ المِسْـكِ بهـم يلْحِفُون الأرضَ هُدَّاب الأُزُرْ

أي: يلبسونها الأرض كإلباس اللحاف للشيء»[2].

٢ ـ عنايته بالصرف:

اعتنى السمين بالمباحث الصرفية عناية بالغة، وتعرض كثيراً للحديث عن الأوزان الصرفية، وما يحدث في الكلمات من إعلال وإبدال، وذكر كثيراً من معاني الصيغ. وكانت دراسته لذلك يغلب عليها الدراسة الصرفية البحتة، بمعنى أن كثيراً من تلك المباحث الصرفية ليس لها أثر مباشر في التفسير والمعنىٰ.

ولذلك سوف أقتصر هنا على دراسة بعض الأمثلة والمباحث التي تناولها وكان لها أثر في المعنى.

١ ـ أثر دراسته لبعض الصيغ في المعنى:

تعرض السمين لدراسة كثير من معاني الصيغ، ومن أمثلة ذلك: معاني صيغ «افتعل» وذلك عند حديثه عن كلمة «اتقى» في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3] قال: «ولافتعل اثنا عشر معنى: الاتخاذ نحو: اتقى، والتسبب نحو: اعتمل، وفعل الفاعل بنفسه نحو: اضطرب...»[4].

---

(١) البيت لطرفة وهو في ديوانه (٦٥) والهداب: الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه، والأزر: الثياب.

(٢) الدر المصون ٢/ ٦٢٦.

لمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٠، ٤٧، ٨٥، ١١٩، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٧٦) (٢/ ٥٤٤) (٣/ ٥٩، ١٥٧، ٦٠٧، ٦٩٠) (٥/ ٢٢١) (٨/ ١٣، ٢٧٢) (٩/ ٦٩٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) انظر: الدر المصون ١/ ٩٠.

وانظر أيضاً: ذكره لصيغة «استفعل» ١/ ٥٩، ومعاني صيغة «فعيل» ١/ ١٦٦. ومعاني صيغة «فاعل» ١/ ١٢٦.

ومن الأمثلة التي يتضح فيها أثر الصيغ في المعنى:

١ ـ عند حديثه عن صيغة «فعيل» عند قوله تعالى: «أليم» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[١]. ذكر أن فيها قولين وبذلك يختلف المعنى، فقال: «أليم هنا بمعنى مؤلم... ويجوز أن يكون فعيل هنا للمبالغة لأن الألم حل بمن وقع به العذاب لا بالعذاب»[٢].

فقد اختلف المعنى هنا بحسب الخلاف في معنى الصيغة بين أن يكون المعنى حقيقياً أو مجازياً.

٢ـ عند قوله تعالى: «أنهم مفرطون» في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٣] قال: «اسم مفعول من أفرطته. وفيه معنيان: أحدهما: أنه من أفرطته خلفي، أي: تركته ونسيته، حكى الفراء أن العرب تقول: أفرطت منهم ناساً، أي: خلّفتهم، والمعنى: أنهم منسيون متروكون في النار.

والثاني: أنه من أفرطته، أي قدمته إلى كذا، وهو منقول بالهمزة من فرط إلى كذا، أي تقدم إليه. كذا قال الشيخ... فجعل «فرط» قاصراً و«أفرط» منقولاً. وقال الزمخشري: بمعنى: يتقدمون إلى النار، ويتعجلون إليها من أفرطت فلاناً وفرطته إذا قدمته إلى الماء».

قال السمين: فجعل فعل وأفعل بمعنىً...»[٤].

٣ـ وعند قوله تعالى: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾[٥] تحدث السمين عن إتيان الكلمة على هذه الصيغة وأثرها في المعنى قال: «وقرأ حمزة والكسائي «تماسوهن» من المفاعلة، فيحتمل أن يكون فاعل بمعنى فعل كسافر، فتوافق الأولى (أي القراءة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠.
(٢) الدر المصون ١/ ١٣٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٢.
(٤) الدر المصون ٧/ ٢٤٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

الأولى «تمسوهن»)، ويحتمل أن تكون على بابها من المشاركة، فإن الفعل من الرجل والتمكين من المرأة، ولذلك قيل لها زانية»[1].

٤ـ وعند حديثه عن صيغة «استفعل» في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾[2]. قال: «في الاستفعال هنا قولان، أحدهما: إنه للطلب على بابه، والمعنى: فليطلبوا إجابتي، قاله ثعلب. والثاني: إنه بمعنى الإفعال، فيكون استفعل وأفعل بمعنى، وقد جاءت منه ألفاظ نحو: أقرّ واستقر، وأبلّ المريض واستبلّ... ومنه استجابه وأجابه، وإذا كان استفعل بمعنى أفعل فقد جاء متعدياً بنفسه... وفرّق الرماني[3] بين أجاب واستجاب: بأن «استجاب» لا يكون إلا فيما فيه قبول لما دُعي إليه نحو: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[4] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[5] وأما «أجاب» فأعم لأنه قد يجيب بالمخالفة، فجعل بينهما عموماً وخصوصاً»[6].

٥ـ وعند حديثه عن صيغة «فاعل» ومعناها في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[7] قال: «والآية فيها «فاعل» يحتمل المعنيين الأولين[8]. أما المشاركة فالمخادعة منهم لله تعالى تقدم معناها، ومخادعة الله إياهم من حيث إنه أجرى عليهم أحكام المسلمين في الدنيا، ومخادعة المؤمنين لهم كونهم امتثلوا أمر الله تعالى فيهم، وأما كونه بمعنى المجرد فيبينه قراءة ابن مسعود «يَخْدَعون»[9].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٨٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٣) علي بن عيسى الرماني أبوالحسن. كان إماماً في العربية، علاّمة في الأدب، معتزلياً، ولد سنة ٢٧٦هـ أخذ عن ابن السراج والزجاج. شرح أصول ابن السراج وكتاب سيبويه. توفي سنة ٣٨٤هـ (بغية الوعاة ٢/ ١٨٠).
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٦) الدر المصون ٢/ ٢٩١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٩.
(٨) يعني: المشاركة المعنوية وموافقة المجرد.
(٩) الدر المصون ١/ ١٢٦.

٦ـ عند حديثه عن «جاعل» في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] قال: «وجاعل فيه قولان، أحدهما: أنه بمعنى خالق، فيكون «خليفة» مفعولاً به و«في الأرض» فيه حينئذٍ قولان، أحدهما: ـ وهو الواضح ـ أنه متعلق بجاعل. والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه حال من النكرة بعده. القول الثاني: أنه بمعنى مُصيّر. ولم يذكر الزمخشري غيره، فيكون «خليفة» هو المفعول الأول، و«في الأرض» هو الثاني قُدّم عليه، ويتعلق بمحذوف على ما تقرر. و«خليفة» يجوز أن يكون بمعنى فاعل أي: يخلفكم أو يخلف من كان قبله من الجنّ، وهذا أصح لدخول تاء التأنيث عليه. وقيل: بمعنى مفعول أي: يخلف كل جيل من تقدمه»[٢].

٧ـ وانظر أيضاً: بيانه لأثر صيغة «أفعل» في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٣] قال: الهمزة في «أنعمت» لجعل الشيء صاحب ما صيغ منه فحقه أن يتعدى بنفسه ولكنه ضُمّن معنى «تفضل» فتعدى تعديته...»[٤].

وأثر هذه الصيغة: أن الله تفضل بالإنعام على عباده.

٢ـ أثر الوزن في المعنى:

ويؤثر الخلاف في وزن الكلمة في معناها ومثال ذلك: كلمة «يَنْقضّ» في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[٥] قال: «وانْقضّ» يحتمل أن يكون وزنه «انفعل» من انقضاض الطائر أو من القِضّة وهي الحصى الصغار. والمعنى: يريد أن يتفتت كالحصى... وأن يكون وزنه «افعلّ» كاحمرّ من النّقض، يقال: نقض البناء ينقضه إذا هدمه»[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) الدر المصون ٢/ ٢٥٢.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٤) الدر المصون ١/ ٦٨.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٧.
(٦) الدر المصون ٧/ ٥٣٣.

وقد أثّر الخلاف في الوزن هنا في أصل الكلمة ومعناها.

٣ ـ أثر الخلاف في أحرف الكلمة أصالة أو زيادة على المعنى:

ومن أمثلة ذلك: عند حديثه عن كلمة «مكانة» في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ﴾[١] قال: «واختلف في ميم «مكان ومكانة» فقيل: هي أصلية وهما من مكن يمكن. وقيل: هما من الكون فالميم زائدة. فيكون المعنى على الأول: اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم. قال معناه أبوإسحاق ـ يعني الزجاج ـ. وعلى الثاني: اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها»[٢].

فنرى في هذا المثال كيف أثر في المعنى الخلاف في ميم «مكانة».

٤ ـ الاختلاف في نوع الكلمة وأثره في المعنى.

ويؤثر الخلاف في نوع الكلمة ـ من حيث هل هي اسم أو مصدر أو غير ذلك ـ في المعنى. ومن أمثلة ذلك: عند حديث السمين عن كلمة «الوقود» في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٣] قال: «قيل إنها اسم، وقيل إنها مصدر. فإن أُريد اسم ما يوقد به فلا حاجة إلى تأويل. وإن أُريد بهما المصدر فلابد من تأويل وهو: إما للمبالغة أي جعلوا نفس التوقد مبالغة في وصفهم بالعذاب. وإما حذف مضاف: إما من الأول أي: أصحاب توقدها، وإما من الثاني: أي يوقدها إحراق الناس، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه»[٤].

فانظر كيف أدى اختلاف نوع كلمة «الوقود» إلى اختلاف المعنى، فعلى القول بأنها اسم لم يحتج إلى تأويل، وعلى القول بمصدريتها لزم أن يكون هناك تأويل كما سبق بيانه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٥.
(٢) الدر المصون ٥/ ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.
(٤) الدر المصون ١/ ٢٠٦.

المطلب الثاني
عنايته بتفسير المفردات

من أهم الخطوات التي يُعنى بها المفسرون بيان المعنى اللغوي للكلمة وشرح غريبها، إذ أن هذه الخطوة هي الأساس في معرفة تفسير الآية القرآنية. ومن هذا المنطلق اهتم السمين بتفسير المفردات وبيان الغريب، فتناول في كتابه كثيراً من المفردات اللغوية، وشرحها شرحاً مسهباً في أحيان، وموجزاً في أحيان أُخر، ودعم شرحه بأقوال أهل اللغة، مستشهداً بالقرآن وبالحديث وأشعار العرب.

وبذلك تمثل المفردات اللغوية حيزاً كبيراً في الدر المصون، ولا غرو فالسمين له مؤلف مستقل في هذا الباب على غرار كتاب «المفردات» للراغب إلا أنه أوسع منه وأشمل وهو كتاب: «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ».

وقد أكد السمين على أهمية هذا العلم وأنه سيعتني به في كتابه وجعله من العلوم الخمسة التي لابد منها في تفسير كلام الله فقال بعد أن ذكر أن المراد من إنزال القرآن فهم معانيه وبيان أغراضه وأن السلف ذمّوا تلاوته من غير فهم، «فالأولى بالعاقل الأريب والفطن اللبيب أن يربأ بنفسه عن هذه المنزلة الدنيّة ـ يعني تلاوة القرآن من غير فهم ـ ويأخذها بالمرتبة السنية، فيطلع من علومه على أهمها وآكدها. وهي بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم: علم الإعراب، وعلم التصريف وعلم اللغة وعلم المعاني وعلم البيان»[1].

ويمكن تركيز منهجه في عنايته بالمفردات في النقاط التالية:

١ ـ اهتمامه ببيان المعنى اللغوي للكلمة وما يتصرف منها.

٢ ـ استشهاده بالقرآن والسنة وأشعار العرب لبيان معنى كلمة.

---

(١) الدر المصون ١/ ٤.

٣ ـ نقله عن أئمة اللغة في بيان المعاني.

٤ ـ مناقشته لأئمة اللغة.

٥ ـ التوسع في بيان الكلمات بذكره للأقوال واختلاف أهل اللغة.

١ ـ اهتمامه ببيان المعنى اللغوي:

ظهرت عناية السمين بالكلمة القرآنية ظهوراً واضحاً، إذ أن بيان المعنى اللغوي هو الأساس الأول الذي يُبنىٰ عليه تفسير الجملة القرآنية. ويستدل السمين لبيان المعنى اللغوي للكلمة بتقليبها وبيان ما يتصرف منها.

ومن أمثلة ذلك: بيانه لمعنى كلمة «نزع» في قوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[١] قال: «والنزع: الجذب بقوة للشيء عن مقره ومنه: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[٢] ومنه نزع القوس، وتستعمل في الأعراض، ومنه نَزْعُ العداوة والمحبة من القلب، ونُزع فلان كذا سُلِبه ومنه: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾[٣] لأنها تقلع أرواح الكفار بشدة، ومنه المنازعة وهي المخاصمة، والنّزع عن الشيء كفٌّ عنه، والنزوع الاشتياق الشديد، ومنه نزع إلى وطنه ونزع إلى مذهب كذا نزعة، وأنزع القوم: نزعت إبلهم إلى مواطنها، ورجل أنْزَع أي زال شعره، والنزعتان بياض يكتنف الناصية، والنزعة أيضاً الموضع من رأس الأنزع، ولا يقال امرأة نزعاء إذا كان بها ذلك، بل يقال لها: زَعْراء، وبئر نزوع أي قريبة القعر لأنها ينزع منها باليد»[٤].

ومثال آخر: عند بيان معنى كلمة: «سلف» في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾[٥]. قال السمين: وقوله «سَلَف» سلف بمعنى مضى وانقضى، ومنه سالف

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النازعات، الآية: ١.

(٤) الدر المصون ٥/ ٢٩٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

الدهر، وله سلف صالح: آباء متقدمون. ومنه: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾[1] أي: أمة متقدمة يعتبر بهم من بعدهم. ويجمع السلف على: أسلاف وسلوف. والسالفة والسُّلاف: المتقدمون في حرب أو سفر. والسالفة من الوجه لتقدمها... وسلافة الخمر قيل لها ذلك لتقدمها على العصر. والسُّلفة ما يقدم من الطعام للضيف. يقال: سَلِّفوا ضيفكم ولهنوه أي بادروه بشيء ما. ومنه السَّلَفُ في الدَّيْن لأنه تقدَّمه مال»[2].

٢ ـ استشهاده لبيان معنى كلمة:

يستشهد السمين بالقرآن والسنة والشعر وأقوال العرب لبيان المعنى اللغوي للكلمة. من أمثلة ذلك: عند بيان معنى كلمة «تصغىٰ» في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[3].

قال: «ولتصغى أي: تميل. وهذه المادة تدل على الميل ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[4]، وفي الحديث: «**فأصغى لها الإناء**»[5]، وصاغية الرجل: قرابته الذين يميلون، وعين صغوى: أي مائلة قال الأعشى[6]:

ترى عينَها صَغْواءَ في جَنْبِ مُؤْقِها ... تراقِبُ في كَفِّي القطيعَ المُحرَّما»[7]

ومثال آخر: عند بيان معنى كلمة «تثير» في قوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

(٢) الدر المصون ٢/ ٦٣٥. ولمزيد من الأمثلة انظر: كلمة «الجنة» ١/ ٢١٣، كلمة «اسْكن» ١/ ٢٧٩، كلمة «الباطل» ١/ ٣٢٣، كلمة «البر» ١/ ٣٢٧، كلمة «العقل» ١/ ٣٢٩، كلمة «قفينا» ١/ ٤٩٣، كلمة «ننسأها» ٢/ ٥٩، كلمة «الجيم» ٢/ ٩٣، كلمة «الصيام» ٢/ ٢٦٦، كلمة «الكظم» ٣/ ٣٩٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٥) أخرجه أبوداود في كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة ١/ ٢٠، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الهرة ١/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٦) البيت للأعشى وهوفي ديوانه (٣٣١). والمؤق: طرق العين ممايلي الأنف. القطيع: السوط

(٧) الدر المصون ٥/ ١١٩.

﴿ٱلْأَرْضَ﴾[1]. قال: وإثارة الأرض: تحريكها وبعثها. وفيه: ﴿وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ﴾[2] وفي الحديث: «من أراد العلم فليثور القرآن..»[3][4]. وفي مبحث استدلاله بالقرآن لبيان معنى كلمة أمثلة كثيرة سبق الإشارة إليها.

ولأن السمين يدرك أن الشعر ديوان العرب فقد اعتمد في بيانه لغريب القرآن وبيان معاني كلماته الشعر فأورد كثيراً من الشواهد الشعرية ومن أمثلة ذلك:

استدلاله على أن معنى الصلاة في اللغة: الدعاء.

قال: «والصلاة لغة: الدعاء، قال[5]:

تقول بِنْتي وقد قرّبْتُ مُرْتَحَلا ... يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعا
عليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغتَمِضي ... يوماً فإن لجنْبِ المرءِ مُضْطجَعَا»[6]

وقد يستشهد على المعنى الواحد بأكثر من شاهد.

ومثال ذلك: عند بيانه لمعنى كلمة «اللّبس» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[7] قال السمين: «واللبس: الخلط والمزج، يقال: لبست عليه الأمر ألبِسُه خلطت بَيِّنه بمشكله، ومنه قول الخنساء[8]:

ترى الجليس يقولُ الحقَّ تَحْسَبُه ... رشداً وهيهاتَ فانظر ما به التبسا
صدّق مقالتهُ واحذرْ عداوتهُ ... والبِسْ عليه أموراً مثل ما لَبَسا

وقال العجاج[9]:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧١.
(٢) سورة الروم، الآية: ٩.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٩٤ برقم ١٧٦٨٨ بلفظ مقارب.
(٤) الدر المصون ١/ ٤٣١.
(٥) البيتان للأعشى وهو في ديوانه (١٣٧).
(٦) الدر المصون ١/ ٩٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٢.
(٨) تماضر بنت عمرو بن الحارث، الرياحية السُّلمية. أشهر شواعر العرب. أدركت الإسلام فأسلمت. لها أربعة أبناء استشهدوا في القادسية. توفيت سنة ٢٤هـ. (الإعلام ٢/ ٨٦).
والبيتان ليسا في ديوانها، وهو في القرطبي ١/ ٣٤٠.
(٩) وهو في ديوانه (١/ ٢٧٩). والعجاج هو: عبدالله بن رؤبة التميمي، راجز مجيد، ولد في =

لمّـا لَبَسْـنَ الحـقَّ بـالتَّجنِّـي غنيْـنَ واستبْـدَلَـنْ زيـداً مِنِّـي

ومنه أيضاً[1]:

وقـد لَبِسْـتُ لهـذا الأمـر أعصُـرَهُ حتى تجلّل رأسي الشَّيبُ فاشتعلا»[2]

ويستشهد السمين بأمثال العرب في بيان معنى بعض الكلمات في اللغة. ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «الطّمّ» في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾[3] قال: «والطَّم: الدفن. ومنه: طم السيل الرَّكِيَّة. وفي المثل: «جرى الوادي فطمَّ على القرىٰ»[4].

وعند بيان معنى «عززنا» في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[5] قال: «فعزَّزنا» بمعنى غلّبنا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[6] ومنه قولهم: «من عزَّ بزَّ» أي صار له بزّ»[7].

٣ ـ نقله عن أئمة اللغة والتفسير:

يعتمد السمين كثيراً في بيانه للمعاني اللغوية للكلمات القرآنية على من تقدمه من أئمة اللغة والذين ألّفوا في بيان المفردات.

ويأتي في مقدمة أئمة اللغة: الصحابة والتابعون، فالصحابة كانوا في زمن

= الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم. وعاش إلىٰ أيام الوليد بن عبدالملك، توفي نحو سنة ٩٠هـ. (الأعلام ٤/ ٨٦).

(١) البيت للأخطل وهو في ديوانه (١/ ٢٥٥).

(٢) الدر المصون ١/ ٣٢٢، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٤٤، ٥٣، ٦٣، ٦٤، ٧٦، ٨٦، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٤، ١٠٧، ١١٥، ١٢٩، ١٥٠، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٧٤) (٢/ ١٨٩، ٢٦٥، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٥٨، ٥٤٥).

(٣) سورة النازعات، الآية: ٣٤.

(٤) الدر المصون ١٠/ ٦٨١.

(٥) سورة يس، الآية: ١٤.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٧) الدر المصون ٩/ ٢٥١.

الاحتجاج والتابعون أخذوا عنهم.

ومن أمثلة نقله عنهم في بيان المعاني اللغوية: عند بيان معنى المعصرات في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾[1].

قال السمين: «وعن مجاهد: المعصرات: الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السموات»[2].

ويؤكد السمين ما ذكرته سابقاً من أن أقوال الصحابة والتابعين معتمدة في اللغة عند قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[3] قال: «وفسر بعضهم «فالق» هنا: بمعنى خالق. وقيل: هذا لا يعرف لغة، وهذا لا يلتفت إليه؛ لأن هذا منقول عن ابن عباس والضحاك أيضاً»[4].

وينقل السمين أقوال أهل اللغة المتقدمين كشمر[5]، وابن الأعرابي[6] وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم.

ومن أمثلة ذلك: عند حديث السمين عن كلمة «اليتامىٰ» قال: قال الأصمعي: «اليُتْم في الآدميين من قِبَل فقد الآباء وفي غيرهم من قِبَل فقد الأمهات»[7].

ومثال آخر: عند بيان معنى كلمة «المحراب» في اللغة في قوله تعالى:

---

(١) سورة النبأ، الآية: ١٤.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٦٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٤) الدر المصون ٥/ ٧٥.

(٥) شَمِر بن حمدويه الهروي أبوعمرواللغوي الأديب. أخذ عن ابن الأعرابي والفراء والأصمعي وألّف كتاباً كبيراً في اللغة، وله أيضاً غريب الحديث وغيرهما (بغية الوعاة ٢/ ٤).

(٦) محمد بن زياد بن عبدالله الأعرابي. كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، كثير السماع من المفضل الضبيّ. من تصانيفه: النوادر، ومعاني الشعر، وتفسير الأمثال. توفي سنة ٢٣٠هـ على خلاف في ذلك (البغية ١/ ١٠٥).

(٧) الدر المصون ١/ ٤٦٥.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾[1]. قال السمين: «وقال أبوعمرو بن العلاء: هو القصر لعلوه وشرفه».

وقال الأصمعي: «هو الغرفة» وأنشد لامرىء القيس[2]:

وماذا عليه أنْ ذَكَرتُ أوانِساً كغِزْلانِ رَمْلٍ في مَحَارِيبِ أَقْيَالِ

قالوا: معناه في غرف أقيال»[3].

وينقل السمين ـ أيضاً ـ في بيانه لمفردات القرآن والمعاني اللغوية للكلمة عن العلماء الذين كتبوا في المعاجم اللغوية ومفردات القرآن: كالأزهري والخليل بن أحمد، وابن فارس، وابن الأنباري، والجوهري، والراغب، وابن قتيبة. وقد سبق في مصادره في اللغة الحديث عن ذلك.

ويذكر السمين اختلاف أهل اللغة في معنى بعض الكلمات ويحاول أن يكون له موقف وشخصية متميزة فيحاول أن يجمع بين الأقوال إن أمكن الجمع.

ومثال ذلك: عند بيان معنى «النتق» في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾[4] قال: «اختلفت فيه عبارات اللغة. فقال أبوعبيدة: هو قلع الشيء من موضعه والرمي به. ومنه «نتق ما في الجراب» إذا نقضه ورمى ما فيه. وامرأة ناتق ومِنْتاق: إذا كانت كثيرة الولادة... وقيل: النتق: الجذب بشدة، ومنه «نتقت السقاء» إذا جذبته لتقتلع الزبدة من فمه. وقال الفراء: هو الرفع. وقال ابن قتيبة: الزعزعة وبه فسر مجاهد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) وهو في ديوانه ص٣٤. والمحاريب: الغُرَف. والأقيال: الملوك، وهم يتخذون الغزلان ويربونها. ومعنىٰ قوله: «أن ذكرت أوانسًا» أي ما عليه في أن شبَّبت بهن وطربت إليهن، كأنه يهزأ به ويعرض بميل أهله إليه. انظر: شرح ديوان امرىء القيس، لمحمد أبوالفضل إبراهيم.

(٣) الدر المصون ٣/ ١٤٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

قال السمين: «وكل هذه معانٍ متقاربة»[1].

٤ ـ ويناقش السمين علماء اللغة:

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى كلمة «المائدة» في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2].

قال: «والمائدة: الخِوان عليه طعام، فإن لم يكن عليه طعام فليست بمائدة، هذا هو المشهور. إلا أن الراغب قال: «والمائدة: الطبق الذي عليه طعام، ويقال لكل واحد منها «مائدة» وهو مخالف لما عليه المُعظم، وهذه المسألة لها نظائر في اللغة، لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام وإلا فهو خوان، ولا يقال كأس إلا وفيها خمر وإلا فهي قدح. . .»[3].

ويتتبع السمين أقوال أهل اللغة في بيان معنى كلمة وأصلها اللغوي حتى يجد قولاً يرتضيه.

مثال ذلك: عند بيان معنى «سقط في أيديهم» في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾[4]. قال: «وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها وقال أبومروان ابن سراج اللغوي[5]: وقول العرب: سقط في يده مما أعياني معناه». وقال الواحدي: قد بان من اقوال المفسرين وأهل اللغة أن «سقط في يده» ندم، وأنه يُستعمل في صفة النادم» فأما القول في أصله وما حدَّه فلم أرَ لأحدٍ من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه إلا ما ذكرَ الزجاجي[6] فإنه قال: «قوله تعالى:

---

(١) الدر المصون ٥/ ٥٠٩ ـ ٥١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

(٣) الدر المصون ٤/ ٥٠٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.

(٥) عبدالملك بن سراج، أبومروان النحوي. أديب، فاضل، شاعر، عالم باللغة. توفي سنة ٤٨٩هـ. (البغية ٢/ ١١٠).

(٦) عبدالرحمن بن إسحاق أبوالقاسم الزجاجي، منسوب إلى شيخه. من تصانيفه: الجمل، والإيضاح، والكافي وشرح كتاب الألف واللام للمازني. وغير ذلك. توفي سنة ٣٣٩هـ (بغية =

«سقط في أيديهم» بمعنى ندموا، نظمٌ لم يسمع قبل القرآن ولم تعرفه العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم ويدل على صحة ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خفى عليهم وجه الاستعمال، لأن عادتهم لم تَجْرِ به فقال أبونواس[1]:

ونَشوةٌ سُقِطْتُ منها في يدي

وأبونواس هو العالم النحرير فأخطأ في استعمال هذا اللفظ لأن فُعِلْتُ لا يُبنى إلا عن فعل «متعد» . . . »[2].

٥ ـ التوسع في بيان معنى الكلمة بذكره للأقوال:

وقد يذكر السمين عدة أقوال في الكلمة. ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «البخع» في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾[3].

قال السمين: البخع: الإهلاك. يقال: بخع الرجل نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً، أهلكها وَجْداً. قال ذو الرمة[4]:

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجدُ نَفسه لِشيءٍ نَحَتْه عن يديه المقادِرُ

يريد: نحّته بالتشديد فخفف. . . وقيل: البخع: أن تُضعِف الأرض بالزراعة. قاله الكسائي. وقيل: هو جَهْدُ الأرض، وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن عمر «بَخَعَ الأرض» تعني جَهَدها حتى أخذ ما فيها من أموال ملوكها، وهذا استعارة. ولم يفسره الزمخشري هنا بغير القتل والإهلاك. وقال في سورة الشعراء: والبخع: أن يبلغ بالذبح. وقال الراغب: «البخع: قتل النفس غماً». ثم قال: وبخع فلان بالطاعة وبما عليه من الحق: إذا أقر به وأذعن مع كراهةٍ شديدة،

= الوعاة ٢/ ٧٧).

(١) لم أقف عليه.

(٢) الدر المصون ٥/ ٤٦٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٤) وهو في ديوانه (٢/ ١٠٣٧). وذوالرمة هو: غيلان بن عقبة العدوي، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. توفي سنة ١١٧هـ. (الأعلام ٥/ ١٢٤).

تجري مجرى بخع نفسه في شدته»[1].

وقد يبين السمين المعنى اللغوي للكلمة بذكر ضدها.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «الرضا» في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[2] قال: والرضا: ضد الغضب»[3].

وعند بيان معنى كلمة «تختانون» في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[4] قال: «تختانون».. من الخيانة وهي ضد الأمانة...»[5]

وقد يذكر السمين مرادفات الكلمة لبيان معناها.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان معنى «الإلحاف» في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[6] قال: «والإلحاف والإلحاح واللجاج والإحفاء، كلّه بمعنى، يقال: ألحف وألح في المسألة إذا لجّ فيها»[7].

وعند بيان معنى «أجدر» في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ﴾[8] قال: «وأجدر: أي أحق وأولى، يقال: هو جدير وأجدر وحقيق وقمين وأولى وخليق بكذا. كله بمعنى واحد»[9].

---

(١) الدر المصون ٧/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٣) الدر المصون ٢/ ٩٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٥) الدر المصون ٢/ ٢٩٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٧) الدر المصون ٢/ ٦٢٦.
(٨) سورة التوبة، الآية: ٩٧.
(٩) الدر المصون ٦/ ١٠٤.

المطلب الثالث
عنايته بالفروق اللغوية

هنالك خلاف قديم بين علماء العربية هل تطلق عدة ألفاظ ويراد بها معنى واحد وهو ما يُسمىٰ بالترادف أم أن لكل لفظ معنى خاصاً به وهو ما يسمى بالفروق اللغوية؟

ولكل فريق أدلته وشواهده، وهذا ليس مجال بحث هذه القضية[1]، وإنما المجال مجال بيان عناية السمين بالفروق اللغوية وبذلك فالسمين من أنصار القائلين بعدم الترادف. فقد حاول أن يوحد فرقاً بين كل لفظين متقاربين في المعنىٰ.

ومنهجه في ذلك: أنه يذكر الكلمة ثم يذكر آراء العلماء فيها ثم يدلي برأيه في ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ **الريب والشك**. عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[2]. قال السمين: «الريب: الشك مع تهمة قال[3]:

ليس في الحقِ يا أُميمةُ رَيْبٌ إنما الريبُ ما يقولُ الكَذوبُ

وحقيقته على ما قال الزمخشري: قلق النفس واضطرابها، ومنه الحديث:

---

(١) انظر في ذلك: دراسة للدكتور/ محمد عبدالرحمن الشائع في كتابه: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٣) البيت لعبدالله بن الزبعري وليس في ديوانه، وهو في البحر ١/ ١٥٥.

«**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[1]. وأنه مَرَّ بظبي خائف فقال: «**لا يُرِبْه أحد**»[2]. فليس قول من قال: «الريب الشك مطلقاً» بجيدٍ، بل هو أخص من الشك كما تقدم[3].

٢ ـ انفجرت، وانبجست:

عند قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[4] قال: «الانفجار: الانشقاق والتفتح، ومنه الفجر لانشقاقه بالضوء وفي الأعراف ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾[5] فقيل: هما بمعنى، وقيل: الانبجاس أضيق لأنه يكون أولَ والانفجار ثانياً»[6].

٣ـ الحمد والشكر:

فقد عرف السمين كلاً من الحمد والشكر ثم بنى على ذلك التفريق بينهما فقال: «الحمد: الثناء على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا، يقال: حمدت الرجل على ما أنعم به عليّ وحمدته على شجاعته، ويكون باللسان وحده دون عمل الجوارح، إذ لا يقال: حمدت زيداً أي عملت له بيدي عملاً حسناً، بخلاف الشكر فإنه لا يكون إلا نعمة مسداة إلى الغير، يقال: شكرته على ما أعطاني، ولا يقال: شكرته على شجاعته، ويكون بالقلب واللسان والجوارح، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[7].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٠٠، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/ ٦٦٨. رقم الحديث ٢٥١٨.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الحج، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد. بلفظ «لا يريبه» ٥/ ٢٠١.

(٣) الدر المصون ١/ ٨٥ـ٨٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٦٠ وهي قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.

(٦) الدر المصون ١/ ٣٨٥.

(٧) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وقال الشاعر[1]:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فيكون بين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه. ثم ذكر أن هناك من لم يفرق بينهما فقال: وقيل: الحمد هو الشكر بدليل قولهم: «الحمد لله شكراً».

ويعود إلى الرأي القائل بالتفريق بينهما فيقول: وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق والحمد أعم من الشكر، وقيل: الحمد الثناء عليه تعالى بأوصافه، والشكر الثناء عليه بأفعاله، فالحامد قسمان: شاكر ومُثْنٍ بالصفات الجميلة. ثم ذكر بعد ذلك قول الراغب في التفريق بينهما»[2].

٤ـ كلمتي: خسف وكسف.

عند قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[3] قال: «وقد اشتهر أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس. وقال بعضهم: يكونان فيهما، يقال: خسفت الشمس وكسفت، وخسف القمر وكسف وتأيد بعضهم بالحديث: «**وإن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد**»[4]. فاستعمل الخسوف فيهما.

قال السمين ـ مستدركاً على هذا القول ـ: وعندي أن فيه نظر؛ لاحتمال التغليب وهل هما بمعنى واحد أو لا؟ فقال أبوعبيد وجماعة: هما بمعنى واحد. وقال ابن أبي أويس[5]: الخسوف ذهاب كل ضوئهما، والكسوف ذهاب

---

(١) سبق في ص (٧٦) من هذه الرسالة.

(٢) الدر المصون ١/ ٣٦ـ ٣٧.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٨.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع، منها في: كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس (الصحيح مع الفتح ٥/ ٥٢٦)، وباب: لاتنكسف الشمس لموت أحد ولالحياته (الصحيح مع الفتح ٢/ ٥٤٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف حديث رقم (١، ٢، ٣).

(٥) إسماعيل بن أُويس، ابن أخت مالك بن أنس، قرأ على نافع وله عنه نسخة، روى القراءة عنه أحمد بن صالح وأبوحاتم وغيرهما. توفي سنة ٢٢٧هـ (طبقات القراء ١/ ١٦٢).

بعضه»[1].

ويتعرض السمين لاختلاف لَفْظَي الكلمة من حيث هل يظهر فرق أو لا؟

ومن أمثلة ذلك: لفظ: كسب واكتسب في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2] قال السمين: «وهل يظهر بين اختلاف لفظي فعل الكسب معنى أم لا؟ فقال بعضهم: نعم، وفرّق بأن الكسب أعم، إذ يقال: كسب لنفسه ولغيره، و«اكتسب» أخص، إذ لا يقال: اكتسب لغيره وأنشد قول الحطيئة[3]:

ألْقيتَ كاسبَهم في قَعْرِ مُظْلمةٍ ... ...

ويقال: هو كاسب أهله، ولا يقال: مكتسب أهله. وقال الزمخشري: «فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، ولما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وآجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال»[4]. وقال ابن عطية: «وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حُسْناً لنمط الكلام كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[5] هذا وجه، والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادّة أمر الله ورسم شرعٍ، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة، إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهيِ الله تعالى، ويتجاوز إليها فحسُن في الآية مجيء التصريفين إحرازاً لهذا المعنى»[6].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٥٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) انظر: ديوانه (١٩٢). والحطيئة هو: جرول بن أوس العبسي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجَّاءً عنيفًا. توفي نحو سنة ٤٥هـ. (الأعلام ٢/ ١١٨).

(٤) الكشاف ١/ ١٧٢.

(٥) سورة الطارق، الآية: ١٧.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٣٩١.

وقال بعضهم[1]: «لا فرق، وقد جاء القرآن بالكسب والاكتساب في موردٍ واحد. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[3] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾[4] وقال تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[5] فقد استعمل الكسب والاكتساب في الشر».

وقال أبو البقاء: «وقال قوم: «لا فرق بينهما، وذكر نحواً مما تقدم». وقال آخرون: «افتعل يدل على شدة الكلفة. وفعل الكسب شديد لما يؤول إليه». وقال الواحدي: «الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد لا فرق بينهما. قال ذو الرمة[6]:

... ... ألفَى أباه بذاك الكسبِ يَكْتَسِبُ

قلت: وإنما أتى في الكسب باللام وفي الاكتساب بـ «على»؛ لأن اللام تقتضي المِلْك، والخير يُحَبُّ ويُسر به، فجيء معه بما يقتضي الملك، ولما كان الشر يحذر وهو ثقل ووزر على صاحبه جيء معه بـ «على» المقتضية لاستعلائه عليه وقال بعضهم: «فيه إيذان أن أدنى فعل من أفعال الخير يكون للإنسان تكرماً من الله على عبده حتى يصل إليه ما يفعله معه ابنه من غير علمه به، لأنه من كسبه في الجملة، بخلاف العقوبة فإنه لا يؤاخذ بها إلا من جدّ فيها واجتهد» قال السمين: وهذا مبني على القول بالفرق بين البناءين وهو الأظهر»[7].

---

(١) وهو أبوحيان (انظر: البحر ٢/ ٣٨١).
(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨١.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٦) ديوانه (١/ ٩٩). وصدر البيت: ومُطْعِمُ الصيدِ هبَّالٌ لبُغْيته. والهبَّال: الكاسب المحتال.
(٧) الدر المصون ٢/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠.

المطلب الرابع
عنايته بحروف المعاني

اهتم السمين ببيان حروف المعاني، واعتنى أيضاً ببيان أثرها في التفسير.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ حروف الجر:

* معنى «على» وما تؤديه من معنى ودلالة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[١].

قال: «وعُدّي ـ أي الفعل نزلنا ـ بـ «على» لإفادتها الاستعلاء، كأن المُنزَّل تمكن من المنزول عليه ولبسه، ولهذا جاء أكثر القرآن بالتعدي بها، دون «إلى» فإنها تفيد الانتهاء والوصول فقط»[٢].

* «في وعلىٰ» عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٣].

قال السمين مبيناً سر إتيان الحرف «على» هنا دون «في» اخْتير لفظ «على» هنا على لفظ «في» كقوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ﴾[٤] لمناسبة قوله «وعليها كذا أجابوا، ويظهر أن «في» هناك أليق؛ لأن سفينة نوح ـ عليه السلام ـ على ما يقال كانت مطبقة عليهم، وهي محيطة بهم كالوعاء، وأما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لأن الناس على ظهرها»[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٢) الدر المصون ١/ ١٩٩.
(٣) سورة غافر، الآية: ٨٠.
(٤) سورة هود، الآية: ٤٠.
(٥) الدر المصون ٩/ ٥٠١.

٢ ـ حروف العطف:

يختلف العطف حسب المعنى ولكل حرف من حروف العطف معنى خاص به ولقد استعمل القرآن حروف العطف في أخص مواضعها، فلم توجد في مكان إلا ولها معنى خاص، ولم تحذف منه إلا وفي حذفها غرض مقصود، وهدف مراد.

وقد ركز السمين على إبراز سر القرآن في استعمال حروف العطف.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[١].

قال السمين: «وقد عطف في هذه الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة. أما ما عطف بـ«ثم» فلأن بين الأفعال مهلة، وثانياً لأن بين النظر والعبوس وبين العبوس والإدبار تراخياً قال الزمخشري: «و ﴿ثم نظر﴾ عطف على ﴿فكر وقدر﴾ والدعاء اعتراض بينهما» قلت: يعني بالدعاء قوله: ﴿فقتل﴾. ثم قال: «فإن قلت ما معنى ﴿ثم﴾ الداخلة على تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى... فإن قلت: فما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ قلت: للدلالة على أنه يتأنّى في التأمُّل، وتَمهَّل، وكان بين الأفعال المتناسقة تراخٍ وبُعْدٌ. فإن قلت: فلم قال: «فقال» بالفاء بعد عطف ما قبله بـ ثم؟ قلت: لأنّ الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تثبت. فإن قلت: فلِمَ لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد»[٢].

٢ ـ عند بيان سر العطف بـ«ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾[٣] قال: «وعطف بـ«ثم» لأحد معنيين: إما لأنه يؤخر ما يظنونه يرويهم من

---

(١) سورة المدثر، الآيات من ١٨ ـ ٢٤.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٦٧.

عطشهم زيادة في عذابهم، فلذلك أتى بـ «ثم» المقتضية للتراخي. وإما لأن العادة تقتضي بتراخي الشرب عن الأكل، فعمل على ذلك المنوال»[1].

ويبين السمين أثر اختلاف معنى الحرف في معنى الآية.

ومثال ذلك «من» في قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2] قال: «قوله: ﴿من شيء﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن «مِنْ» زائدة في المفعول به والتقدير: ما فرطنا شيئاً، وتضّمن «فرطنا» معنى تركنا وأغفلنا، والمعنى: ما أغفلنا ولا تركنا شيئاً... والثاني: أن «مِنْ» تبعيض أي: ما تركنا ولا أغفلنا في الكتاب بعض شيء يحتاج إليه المكلف...»[3].

ومثال آخر: عند بيان معنى «مِنْ» في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[4] قال السمين: «قوله «من الرسل» يجوز أن تكون تبعيضية، وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير أولي عزم. ويجوز أن تكون للبيان، فكلهم على هذا أولو عزم»[5].

---

(١) الدر المصون ٩/ ٣١٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٣) الدر المصون ٤/ ٦١٢.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٥) الدر المصون ٩/ ٦٨١.

ويستطرد السمين ـ أحياناً ـ عند بيانه لمعنى حرف فيذكر كل المعاني التي يأتي لها هذا الحرف.

ومن أمثلة ذلك: ذكره لمعاني «في» عند قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]. قال السمين: «و«في» معناها الظرفية حقيقة أو مجازاً، نحو: زيد في الدار ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[2] ولها معانٍ أُخر: المصاحبة نحو ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾[3]، والتعليل: «إنّ امرأة دخلت النار في هرة»[4]. وموافقة «على»: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[5] والباء في ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[6] أي بسببه، والمقايسة: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[7]»[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.
(٤) هذا جزء من حديث، أخرجه مسلم في: كتاب البر والصلة والآداب برقم ٢٦١٩.
(٥) سورة طه، الآية: ٧١.
(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٣٨.
(٨) الدر المصون ١/ ٨٧ـ٨٨.
وانظر أمثلة أخرى:
١ ـ ذكره لمعاني اللام عند قوله تعالى: «الحمد لله» ١/ ٤٢.
٢ ـ ذكره لمعاني «من» عند قوله «ومما رزقناهم ينفقون» ١/ ٩٤.

اهتمامه بالترجيح في بيان حروف المعاني:

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند بيان معنى الباء في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[١]. قال: «فيها وجهان. أظهرهما: أنها للسببية متعلقة بـ «أشربوا» أي أُشربوا بسبب كفرهم السابق. والثاني: أنها بمعنى «مع»»[٢].

٢ ـ عند بيان معنى «من» في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٣] قال: «فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها تبعيضية وهذا هو الظاهر. الثاني: أنها بمعنى «في». الثالث: أنها زائدة على قول الأخفش وليسا بشيء»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٢) الدر المصون ٢/ ٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٤) الدر المصون ٢/ ١٠٦.

المبحث الثاني

منهج السمين في تفسير تركيب ألفاظ القرآن

وفيــه عشــرة مطالــب:

المطلب الأول: **الالتزام بالظاهر في الإعراب**

المطلب الثانـــي: **اعتماد السماع**

المطلب الثالــث: **اعتماد القياس**

المطلب الرابـــع: **حمل القرآن على الوجه الشائع**

المطلب الخامس: **عدم حمل القرآن على الأوجه الضعيفة**

المطلب السادس: **التقيد في الإعراب والترجيح بنظم القرآن**

المطلب السابع: **التفريق بين تفسير المعنى والإعراب**

المطلب الثامن: **عنايته بالترجيح**

المطلب التاسع: **اهتمامه بمناقشة المعربين والرد عليهم**

المطلب العاشر: **الإعراب والمعنى بين التاثر والتأثير**

المبحث الثاني
منهج السمين في تفسير تركيب ألفاظ القرآن

والمقصود بهذا المبحث: منهج السمين في إعراب القرآن.

من يتتبع أسلوب القرآن دون النظر في النحو العربي وقواعده، سيجد صعوبة بالغة في فهم كثير من معاني الآيات، بل سينقطع دون فهم جملة من آيات القرآن، وذلك راجع إلى طبيعة النظم القرآني المعجز، وترابط جمله وتراكيبه من جهة، وإلى الضعف اللغوي الذي نعاني منه من جهة أخرى.

وقد أكد العلماء منذ وقت مبكر على ألا يُقرىء القرآن إلا عالم بالعربية، وجعلوا من أهم شروط المفسر: علمه بالعربية والنحو.

يقول مكي بن أبي طالب: «إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد»[1]. ويؤكد الإمام الزركشي ومن بعده السيوطي على بيان أثر الإعراب وأهميته فيقول الزركشي: «والإعراب يبين المعنى، وهو الذي يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين»[2]. ويقول السيوطي: «بأن المعنى يتغير باختلاف الإعراب، فلابد من اعتباره»[3].

ولذا فإن السمين قد أولى الإعراب اهتماماً بالغاً، وأكد على عنايته به في مقدمته وجعله أحد العلوم الخمسة التي سيركز عليها في كتابه، وكتابه شاهد على ذلك.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٦٣.

(٢) البرهان ١/ ٣٠٣.

(٣) الإتقان ( ).

وقد أكد على أهمية الإعراب وأثره في المعنى والتفسير أثناء إعرابه لبعض الآيات.

ومن ذلك: عند إعراب «كل» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[2] بعد أن ذكر أن «كل» في الآية الأولى: يجب فيها النصب، لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، وذلك أنه إذا رفع «كل» كان إعرابه مبتدأ، و«خلقناه» صفة لـ «كل» أو لشيء. و«بقدر» خبر المبتدأ. وحينئذٍ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله...[3].

ثم بين بعد ذلك أن «كل» في الآية الثانية يجب فيها الرفع؛ لأن نصبه يؤدي إلى فساد المعنى لأن الواقع خلافه، وذلك أنك لو نصبته لكان التقدير: فعلوا كل شيء في الزبر، وهو خلاف الواقع؛ إذ في الزبر أشياء كثيرة جداً لم يفعلوها...

ثم قال: وهذان الموضعان من نكت المسائل العربية التي اتفق مجيئها في سورة واحدة في مكانين متقاربين ومما يدل على جلالة علم الإعراب وإفهامه المعاني الغامضة، والجاهلون لأهل العلم أعداء»[4].

ويشيد السمين بعلم الإعراب عند إعرابه لقوله: «لقوم» وبيان متعلقها وذلك في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5] فيقول: «في ذلك ثلاثة أوجه، الثالث: أن يتعلق بـ «تنزيل» وهذا إذا لم يُجعل «من الرحمن» صفة له؛ لأنك إن جعلت «من الرحمن» صفة له فقد أعملت المصدر الموصوف، وإذا لم يكن «كتاب» خبراً عنه ولا بدلاً منه، لئلا يلزم الإخبار عن الموصول أو البدل منه قبل تمام صلته. ومن يتسع في الظرف وعديله لم يبال بشيء من ذلك.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٢) سورة القمر، الآية: ٥٢.
(٣) انظر: تفصيل ذلك المفهوم في الدر ١٠/ ١٤٩.
(٤) الدر المصون ١٠/ ١٤٦ـ١٤٩.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٣.

وأما إذا جعلت «من الرحمن» متعلقاً به و«كتاب» فاعلاً به فلا يضر ذلك؛ لأنه من تتماته وليس بأجنبي، وهذا الموضع مما يظهر حسن علم الإعراب، ويدربك في كثير من أبوابه»[1].

وقد قمت بتركيز دراستي للإعراب عند السمين فيما يخص القرآن الكريم، لأن الكتاب فيه خلاصة لكثير من الكتب التي أُلفت في إعراب القرآن، وكثير من الدراسات النحوية المتقدمة.

ثم قسمت حديث السمين عن إعراب القرآن إلى عشرة مطالب هذه المطالب تمثل منهجه في تفسير تركيب ألفاظ القرآن.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٥٠٦.

المطلب الأول
الالتزام بالظاهر في الإعراب

من أعظم مميزات منهج السمين في الإعراب التزامه بالظاهر، فهو إذ يعرب آيات القرآن الكريم لا يُبْعد ولا يُغرق في التمحلات والتقديرات الإعرابية، بل يلتزم بالظاهر ويؤيد الإعراب الغير متكلف، ويمقت الأعاريب المتكلفة والمخالفة للظاهر من تقديم وتأخير أو قلب، أو حذف، أو إضمار، أو تكرار، أو زيادة.

ولذا نجده ينتقد النحويين في تمحلهم بعض الأعاريب وإغراقهم في تقدير الأعاريب البعيدة والمتكلفة.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾[1] ذكر الإعراب الظاهر وهو الذي اختاره ثم ذكر بعض الأعاريب المتكلفة وانتقدها. فقال: «والعلم هنا يحتمل أن يكون على بابه فتسد «أن» مسد مفعولين عند سيبويه، ومسد أحدهما والآخر محذوف عند الأخفش، وأن يكون بمعنى العرفان فتسد «أن» مسد مفعول. و«مَنْ» شرطية و«فأن له نار» جوابها وفتحت «أن» بعد الفاء لما عرف في الأنعام والجملة الشرطية في محل رفع خبر «أن» الأولىٰ.

قال السمين: وهذا تخريج واضح وقد عدل عن هذا الواضح جماعة إلى وجوهٍ أُخر. فقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «فأن له» معطوفاً على «أنه» على أن جواب «مَنْ» محذوف تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له». وقال الجرمي[2] والمبرد: «أن» الثانية مكررة للتوكيد كأن التقدير: فله نار جهنم،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

(٢) صالح بن إسحاق أبوعمر الجرمي البصري. كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة، ديناً وَرِعاً أخذ النحو=

وكررت «أن» توكيداً. وشبهه أبو البقاء بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ قال: «والفاء على هذا جواب الشرط».

وقد ردّ الشيخ على الزمخشري قوله بأنهم نصوا على أنه إذا حذف جواب الشرط لزم أن يكون فعل الشرط ماضياً أو مضارعاً مقروناً بـ«لم»، والجواب على قوله محذوف، وفعل الشرط مضارع غير مقترنٍ بـ«لم» وأيضاً فإنا نجد الكلام تاماً بدون هذا الذي قدره».

وقد نُقِل عن سيبويه أنه قال: «الثانية بدل من الأولى»، وهذا لا يصح عن سيبويه فإنه ضعيف أو ممتنع وقد ضعفه أبو البقاء بوجهين، أحدهما: أن الفاء تمنع من ذلك، والحكم بزيادتها ضعيف. والثاني: أن جعلها بدلاً يوجب سقوط جواب «مَنْ» من الكلام». وقال ابن عطية: «وهذا يُعترض بأن الشيء لا يُبدل منه حتى يستوفى، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد، إذ لم يأت جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر، وأيضاً فإن الفاء تمانع البدل، وأيضاً فهي في معنى آخر غير البدل فيقلق البدل».

وقال بعضهم: فيجب على تقدير اللام أي: فلأن له نار جهنم وعلى هذا فلابد من إضمار شيء يتم به جواب الشرط تقديره: فمحادَّتُه لأن له نار جهنم».

ويرفض السمين كل تلك الأعاريب المتكلفة فيقول: «وهذه كلها تكلفات لا يحتاج إليها، فالأولى ما تقدم ذكره: وهو أن يكون «أن له نار جهنم» في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف...»[1].

ولعله اتضح من هذا المثال التزام السمين بالظاهر ورفضه للتكلفات البعيدة. ومن مظاهر التزام السمين بالظاهر:

= عن الأخفش ويونس. من تصانيفه: التنبيه، ومختصر في النحو، وغيرهما. توفي سنة ٢٢٥هـ (بغية الوعاة ٢/ ٨).

(١) الدر المصون ٦/ ٧٦ـ٧٨.

أولاً: رفضه لكل ما يخالف الظاهر من (ادعاءات):

١ ـ التقديم والتأخير.

٢ ـ القلب.

٣ ـ الحذف.

٤ ـ الإضمار.

٥ ـ التكرار.

٦ ـ الزيادة.

ثانياً: عدم حمل القرآن على الأوجه المتكلف.

ثالثاً: اختيار الوجه السهل الواضح.

وسأبين الآن رفض السمين لما يخالف الظاهر من الادعاءات المذكورة سابقاً مقرونة بأمثلتها.

أولاً: رفضه لكل ما يخالف الظاهر من ادعاءات:

١ ـ رفضه لادعاء التقديم والتأخير عند عدم الحاجة إليه.

لا يرى السمين اللجوء إلى ادعاء التقديم والتأخير في إعراب الآية إلا عندما يحتاج الأمر إلى تقدير تقديم أو تأخير. ويرفض السمين ادعاء التقديم والتأخير لعدة أمور أبرزها:

أ ـ لأن التقديم والتأخير خلاف الأصل:

ومثال ذلك:

١ ـ عند بيان متعلق اللام في «لما قالوا» في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾[1]. قال: «في ذلك وجهان، **أحدهما**: أنها متعلقة بـ «يعودون».

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٣.

الثاني: أن اللام تتعلق بـ «تحرير». وفي الكلام تقديم وتأخير. والتقدير: والذين يظاهرون من نسائهم فعليهم تحرير رقبة؛ لما نطقوا به من الظهار ثم يعودون للوطء بعد ذلك. وهذا ما نقله مكي وغيره عن أبي الحسن الأخفش.

قال الشيخ: «وليس بشيء لأنه يفسد نظم الآية». وفيه نظر. لا نسلّم فساد النظم مع دلالة المعنى على التقديم والتأخير، ولكن نُسلّم أن ادعاء التقديم والتأخير لا حاجة إليه؛ لأنه خلاف الأصل»[1].

٢ـ عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[2] قال السمين: «وقال الحسين بن الفضل[3]: فيه تقديم وتأخير. أي: العزى الأخرى ومناة الثالثة، ولا حاجة إلى ذلك لأن الأصل عدمه»[4].

ب ـ ولأن المعنى قد يستقيم بدون ادعاء التقديم والتأخير.

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[5] قال: «قيل في الآية تقديم وتأخير ليكون كل واحد ما يلائمه. والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه، لأن حرف العطف قد يقوم مقام الجار.

قال السمين: والأحسن أن يجعل على حاله والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله، ولاسيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة»[6].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٢٦٥ـ٢٦٦.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩ و٢٠.

(٣) الحسين بن الفضل البجلي الكوفي، المفسر الأديب، إمام عصره في معاني القرآن، كان من العلماء الكبار العابدين، يركع كل يوم ستمائة ركعة. توفي ٢٨٢هـ (طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٥٩).

(٤) الدر المصون ١٠/ ٩٤.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢٣.

(٦) الدر المصون ٩/ ٣٧ـ٣٨.

وعند قوله تعالى: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] قال: «قوله: ثم تول عنهم» زعم أبوعلي وغيره أن في الكلام تقديماً. وأن الأصل: فانظر ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم. ولا حاجة إلى هذا لأن المعنى بدونه صحيح أي: قف قريباً منهم لتنظر ماذا يكون»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾[3] قال السمين: «ولا حاجة في هذه الآية إلى تقديم وتأخير كما زعمه بعضهم قال: تقديره: ولما رأوا أنهم قد ضلوا وسُقِط في أيديهم» قال: لأن الندم والتحسر إنما يقعان بعد المعرفة»[4].

جـ ـ ولأن التقديم والتأخير قد يكون فيه تعسف.

ومثال ذلك: عند إعراب: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[5] قال: «... وزعم بعضهم أن «التي باركنا فيها» صفة للريح، وفي الآية تقديم وتأخير. والتقدير: الريح التي باركنا فيها إلى الأرض. وهو تعسف»[6].

د ـ ولأن التقديم والتأخير قد يُفسد نظم القرآن وفصاحة تركيبه.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[7]. قال: ونظم هذه الآيات على ما هي عليه من أبلغ ما يكون وأفصحه، وليس فيها تقديم ولا تأخير كما زعم بعضهم فقال: أصل تركيب الآية الأولى: غير محلي الصيد وأنتم حرم، فإذا حللتم فاصطادوا، وأصل تركيب

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٨.
(٢) الدر المصون ٨/ ٦٠٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.
(٤) الدر المصون ٥/ ٤٦٤ وانظر أمثلة أخرى في: (٤/ ٤٤٢، ٧/ ٥٣٧، ١٠/ ٥٩٤).
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨١.
(٦) الدر المصون ٨/ ١٨٨.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

الثانية: ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ولا يجرمنكم. ونظَّره بآية البقرة يعني: «إن الله يأمركم»، وهذا لا حاجة إليه مع أن التقديم والتأخير عند الجمهور من ضرائر الشعر فيجب تنزيه القرآن عنه»[1].

هـ ـ ويرى السمين أن ادعاء التقديم والتأخير عند عدم الحاجة إليه تحكّمٌ وحمل للكلام على غير وجهه.

ومثال ذلك: عند إعراب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[2]. قال: والظاهر أن جملة «متى نصر الله» من قول المؤمنين، وجملة «ألا إن نصر الله قريب» من قول الرسول فنسب القول إلى الجميع إجمالاً ودلالة الحال مبينة للتفصيل المذكور.

ثم قال: وهذا أولى من قول من زعم أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا «متى نصر الله» فيقول الرسول «ألا إن نصر...» فقُدُّم الرسول لمكانته، وقُدّم المؤمنون لتقدمهم في الزمان. ثم أيّد كلامه هذا بقول ابن عطية عن ادعاء التقديم والتأخير: «هذا تحكّم وحمل الكلام على غير وجهه» ثم قال السمين: وهو كما قال»[3].

٢ ـ رفضه لادعاء القلب:

ولا يرتضي السمين ادعاء القلب في الإعراب عند عدم الحاجة إليه.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[4] قال: «وقيل هذا من باب القلب والأصل: ولما سكت موسى عن الغضب نحو: أدخلت القلنسوة في رأسي. وهذا ينبغي أن لا يجوز لعدم الاحتياج إليه. مع ما في القلب من الخلاف الذي ذكرته لكل غير مرة»[5].

---

(١) الدر المصون ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٣) الدر المصون ٢/ ٤٨٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.
(٥) الدر المصون ٥/ ٤٧٢.

ويتأكد عدم الحاجة إلى القلب عند استقامة الكلام بدونه.

فعند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] قال السمين: «وقوله «عدو لي» على أصله من غير تقدير مضافٍ ولا قلب. وقيل: الأصنام لا تعادي لأنها جماد، فالتقدير: فإن عُبّادهم عدوٌ لي. وقيل: بل في الكلام قلب تقديره: فإني عدوّ لهم. وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما»[2].

ويؤكد السمين أكثر من مرة على أن القلب لا يقع إلا في ضرورة وبشكل قليل. فعند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[3] قال: ولا حاجة إلى ادعاء القلب وأن الأصل: ذرأنا جهنم لكثير؛ لأنه ضرورة أو قليل»[4].

ويقول في موضع آخر: «... إلا أن القلب لا يقع على الصحيح إلا في ضرورة أو ندور»[5]. ولذا فإن السمين يرى تنزيه القرآن عنه.

٣ـ رفضه لادعاء الحذف.

عند قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[6] قال: «الظاهر أنه جواب لقوله: «أدخل» أي: إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة. وقيل: في الكلام حذف تقديره: وأدخل يدك تدخل، وأخرجها تخرج فحذف من الثاني ما أثبته في الأول، ومن الأول ما أثبته في الثاني. ثم علّق على هذا الرأي الذي فيه حذف وتقدير فقال: وهذا تقدير ما لا حاجة إليه»[7].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.
(٢) الدر المصون ٨/ ٥٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٤) الدر المصون ٥/ ٥٢١.
(٥) الدر المصون ٢/ ٢٣١.
(٦) سورة النمل، الآية: ١٢.
(٧) الدر المصون ٨/ ٥٧٨.

وعند قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾[1] ذكر أن في إعراب «أخرى» خمسة أوجه، منها: أن الخبر جملة حذف مبتدؤها تقديره: هي نصر، والجملة خبر «أخرى» قاله أبو البقاء وفيه بُعدٌ كثير؛ لأنه تقديرٌ لا حاجة إليه»[2].

وإن اضطر إلى تقدير حذف، فإنه يرجح أقل التقادير حذفاً. فعند قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾[3]. قال: «قرأ الحرميان: نافع وابن كثير بتخفيف الميم، والباقون بتشديدها، فأما الأولى ففيهما وجهان، أحدهما: أنها همزة الاستفهام دخلت على «مَنْ» بمعنى الذي، والاستفهام للتقرير، ومقابله محذوف، تقديره: أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً، أو أمن هو قانت كغيره. أو التقدير: أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله: «قل تمتع بكفرك قليلاً» ويدل عليه قوله: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» فحذف خبر المبتدأ أو ما يعادل المستفهم عنه. والتقديران الأوّلان أولى لقلة الحذف»[4].

٤ ـ رفضه للإضمار:

ومن مظاهر التزام السمين بالظاهر رفضه للإضمار لأن الأصل عدمه.

فعند إعراب «أسباب السموات في قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾[5]. قال: «فيه وجهان، أحدهما: أنه تابع للأسباب قبله بدلاً أو عطف بيان، والثاني: أنه منصوب بإضمار أعني، والأول أولى؛ إذ الأصل عدم الإضمار»[6].

وإذا استقام الكلام بدون الإضمار فلا حاجة إليه. فعند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) سورة الصف، الآية: ١٣.
(٢) الدر المصون ١٠/ ٣٢١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٤) الدر المصون ٩/ ٤١٤.
(٥) سورة غافر، الآيتان، ٣٦، ٣٧.
(٦) الدر المصون ٩/ ٤٨١.

لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[1] قال: «فيه أوجه، أحدها: أن يكون مبتدأ، و«في آذانهم» خبره و«وقر» فاعل أو «في آذانهم» خبر مقدم و«وقر» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر الأول. والثاني: أن وقراً خبر مبتدأ مضمر. والجملة خبر الأول. والتقدير: والذين لا يؤمنون هو وقر في آذانهم لما أخبر عنه بأنه هدى لأولئك، أخبر عنه أنه وقر في آذان هؤلاء وعمىً عليهم. قال معناه الزمخشري. ولا حاجة إلى الإضمار مع تمام الكلام بدونه»[2].

٥ ـ رفضه للتكرار:

ويرى السمين التزاماً بالظاهر أن لكل جملة فائدة ومعنى جديداً، ويرفض إدعاء التكرار.

فعند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[3] قال: «وزعم بعضهم أن في قوله: «والله يريد أن يتوب عليكم» تكريراً لقوله: «ويتوب عليكم» المعطوف على «ليبين» قال ابن عطية: وتكرار إرادة الله للتوبة على عباده تقوية للإخبار الأول وليس القصد في الآية إلا الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشهوات، فقدمت إرادة الله توطئة مظهرة لفساد إرادة متبعي الشهوات».

ولا يرتضي السمين هذا الادعاء فيقول: «وهذا الذي قاله إنما يتمشى على أن المجرور باللام في قوله: «ليبين» مفعول به للإرادة لا على كونه علة، وقد تقدم أن ذلك قول الكوفيين وهو ضعيف وقد ضعفه هو أيضاً. وإذا تقرر هذا فنقول: لا تكرار في الآية؛ لأن تعلق الإرادة بالتوبة في الأول على جهة العليّة، وفي الثاني على جهة المفعولية، فقد اختلف المتعلقان»[4].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.
(٢) الدر المصون ٩/ ٥٣٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٧.
(٤) الدر المصون ٣/ ٦٦١.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1] قال: «زعم بعضهم أن هذه الجملة تكرار للتي قبلها[2]، وليس كذلك فإن التي قبلها تضمنت ولاية بعضهم لبعض، وتقسيم المؤمنين إلى ثلاثة أقسام، وبيان حكمهم في ولايتهم وتناصرهم، وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم»[3].

٦ ـ رفضه لتقدير الزيادة:

ومثال ذلك: عند إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4] قال: «وقوله: «ألا نقاتل» فيه ثلاثة أوجه، منها: مذهب الأخفش أنّ «أنْ» زائدة، ولا يضر عملها مع زيادتها، كما لا يضر ذلك في حرف الجر الزائدة، وعلى هذا فالجملة المنفية بعدها في محل نصب على الحال، كأنه قيل: مالنا غير مقاتلين، كقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[5] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾[6] وقول العرب: «مالك قائماً»، وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[7] وقد ردّ السمين إعراب الأخفش السابق لأن فيه ادعاء زيادة مما لا حاجة إليه فقال: «وهذا المذهب ـ أي مذهب الزيادة ـ ضعيف؛ لأن الأصل عدم الزيادة، فلا يصار إليها دون ضرورة»[8].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الآية ٧٢ من سورة الأنفال.

(٣) الدر المصون ٥/ ٦٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٥) سورة نوح، الآية: ١٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٨٤.

(٧) سورة المدثر، الآية: ٤٩.

(٨) الدر المصون ٢/ ٥١٧ ـ ٥١٨.

ثانياً: عدم حمل القرآن على الأوجه المتكلفة:

ومن مظاهر التزام السمين بالظاهر: عدم حمل القرآن على الأوجه المتكلفة والبعيدة والتي يبعد عنها نظم القرآن وتركيبه الفصيح.

مثال ذلك: عند توجيه قراءة الجر في «والمسجد الحرام» في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1] وهي قراءة الجمهور ذكر أن في ذلك أربعة أوجه، أحدها: أن يكون معطوفاً على «الشهر الحرام» أي يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام...

ثم قال عن هذا التخريج: وفي الجملة فعطفه على الشهر الحرام متكلف جداً يَبْعُد عنه نظم القرآن والتركيب الفصيح»[2].

ثالثاً: اختيار الوجه السهل الواضح:

ومن مظاهر التزام السمين بالظاهر: عدم التعنت في اختياراته بل يميل إلى أسهل الأوجه وأوضحها. فعند إعراب «إذ» في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]. قال: «فيه تسعة أوجه، أحسنها: أنه منصوب بـ «قالوا أتجعل فيها». أي: قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم: إني جاعل في الأرض خليفة. وهذا أسهل الأوجه»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٢) الدر المصون ٢/ ٣٩٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٤) الدر المصون ١/ ٢٤٨.

المطلب الثاني
اعتمـاده الســماع

يُعدّ السماع المصدر الأول لدى النحاة في اعتمادهم لقواعد النحو، وهو يضم عدة أنواع، ونبدأ أولاً بتعريفه. فقد عرّفه السيوطي بقوله: «ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن، وكلام نبيه ﷺ وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لابد في كل منها من الثبوت»[(١)].

وقد اعتمد السمين هذه الأنواع الثلاثة (القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب) في إعرابه للقرآن الكريم.

١ ـ القــرآن الكريــم:

يأتي القرآن الكريم في المرتبة الأولى؛ لأنه كلام رب العالمين نزل بأفصح اللغات وأصحها، وأجمعت الأمة على الاحتجاج به في النحو: «فكل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً»[(٢)].

وقد اعتمد السمين القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة في إعرابه وفي اختياراته، واستدل بذلك أيضاً على جواز بعض الأوجه الإعرابية، وقف ممن يضعفون بعض القراءات المتواترة أو الشاذة بحجة عدم جوازها في النحو الكوفي أو البصري موقفاً حازماً ـ وقد سبق بيان ذلك ـ[(٣)].

---

(١) الاقتراح ص ٣٦، وقد سماه أبوالبركات بن الأنباري «النقل» وعرّفه بقوله: «النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، فخرج عنه إذا ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، وما شذ عن كلامه» (انظر الإغراب في جدل الإعراب ص ٤٥).

(٢) الاقتراح ص ٣٦.

(٣) انظر: دفاعه عن القراءات المتواترة ص (٤٢٠)، والشاذة ص (٤٤٢) من هذه الرسالة.

٢ ـ الحديث النبوي :

يأتي الحديث النبوي في المرتبة الثانية من مراتب السماع، لأن قائله هو رسول الله ﷺ أفصح من تكلم بالعربية. وقد تلقى الرواة أقواله ﷺ بكل دقة وضبط، لذا متى صح الحديث فإنه من أعلى درجات السماع. وقضية الاستشهاد بالحديث من القضايا التي طال الخلاف فيها بين العلماء[١]، وليس هذا المجال مجال تفصيل فيها، والذي يهمنا هنا هو رأي السمين فيها، فقد ظهر لي من خلال كثير من الأمثلة احتجاج السمين بالحديث في تقريراته واختياراته النحوية. واعتماده في إعرابه للقرآن الكريم.

٣ ـ كلام العرب :

وذلك بقسميه :

أ ـ الشـــعر ب ـ والنـــثر.

أ ـ الشـــعر :

يُعدّ الشعر من أهم المصادر التي اعتمد عليها النحاة في وضع قواعدهم النحوية، وفي تخريجاتهم الإعرابية. ولكن استشهادهم بالشعر مضبوط بزمن وهو زمن الاحتجاج، والذي انتهى في منتصف القرن الثاني للهجرة وقد نقل ثعلب عن الأصمعي قوله : خُتم الشعر بإبراهيم بن خرمة[٢] وهو آخر الحجج»[٣]. وقد توفى إبراهيم هذا سنة ١٧٦هـ، وعلى ذلك فلا يُعتد في الاستشهاد والتقعيد في أصول النحو بشعر الشعراء المولدين.

---

(١) فهناك من اعتمد الاستشهاد بالحديث النبوي كابن حزم وابن خرّوف الأندلسي والسهيلي وابن مالك وابن هشام وابن عقيل وغيرهم. وبعض العلماء منعوا ذلك كابن الضائع وأبي حيان بحجة أن أغلب الأحاديث مروية بالمعنى وعامة رواة الأحاديث من الأعاجم. (انظر الاقتراح ٤٠ ـ ٤٤، وفي أصول النحو لسعيد الأفغاني ٤٦ ـ ٤٩ ومجلة مجمع اللغة العربية ٣/ ١٩٧ ـ ٢١٠).

(٢) إبراهيم بن علي الكناني القرشي، شاعر غزل، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة ١٧٦هـ (الأعلام ١/ ٥٠).

(٣) الاقتراح ص٥٥.

وقد اعتمد السمين الشعر في إعرابه للقرآن، واحتج به على جواز بعض الأوجه الإعرابية، واعتماده لذلك واضح، بل قد أكثر منه حتى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الدر إلا وفيها شاهد من الشعر.

ب ـ كلام العرب المنثور:

ومما اعتمد عليه النحاة وأهل اللغة في وضع قواعد النحو واستنباط أسسه ما رُوى عن العرب الفصحاء من أقوال وأمثال. فقد قام بعض العلماء بالرحلة إلى البادية لجمع أقوال فصحائها. وقد احتج السمين بأقوال العرب في إعرابه للآيات القرآنية، وفي تخريج بعض الأوجه الإعرابية التي تذكر في إعراب القرآن. والتي تَرِدُ في بعض القراءات.

واعتماد السمين على أنواع السماع المذكورة في إعرابه كثير مستفيض اكتفي هنا بذكر مثال اعتمد فيه السمين على أنواع السماع المذكورة ـ ماعدا الحديث ـ، وذلك عند إعرابه «والمسجد الحرام» في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] قال: «في ذلك أربعة أوجه، منها: أنه عطفٌ على الهاء في «به» أي: وكفر به وبالمسجد، وهذا يتخرج على قول الكوفيين، وأما البصريون فيشترطون في العطف على الضمير المجرور إعادة الخافض إلا في ضرورة فهذا التخريج عندهم فاسد. ولابد من التعرض لهذه المسألة وما هو الصحيح فيها. فأقول وبالله العون: اختلف النحاة في العطف على الضمير المجرور على ثلاثة مذاهب: أحدها ـ وهو مذهب الجمهور من البصريين ـ وجوب إعادة الجار إلا في ضرورة. الثاني: أنه يجوز ذلك في السَّعة مطلقاً، وهو مذهب الكوفيين... والثالث: التفصيل، وهو إن أُكد الضمير جاز العطف من غير إعادة الخافض نحو: «مررت بك نفسِك وزيدٍ»، وإلا فلا يجوز إلا ضرورة، وهو قول الجرمي.

ثم قال: والذي ينبغي أنه يجوز مطلقاً لكثرة السماع الوارد به، وضعف دليل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

المانعين واعتضاده بالقياس».

وشاهدنا هنا في كلامه هو قوله: «لكثرة السماع الوارد به». ثم أورد أنواع السماع الوارد به من القرآن الكريم. ومن أقوال العرب وأشعارها. وكل ذلك ليدلل على جواز الوجه السابق ذكره في إعراب «المسجد الحرام».

قال: أما السماع: ففي النثر كقولهم: «ما فيها غيرُه وفرسِه» بجر «فرسه» عطفاً على الهاء في «غيره».

وقوله: ﴿تساءلون به والأرحام﴾[1] في قراءة جماعة كثيرة، منهم حمزة، ومنه: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2] فـ «مَنْ» عطف على «لكم» في قوله تعالى: ﴿ولكم فيها معايش﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3] عطف على «فيهن» وفيما يتلى عليكم.

وفي النظم وهو كثير جداً. ثم أورد تسعة شواهد[4] منها: قول العباس بن مرداس[5]:

أكرُّ على الكتيبةِ لا أُبالي أفيها كانَ حَتْفي أمْ سِواها

فـ «سواها» عطف على «فيها»»[6].

وهذا مثال اعتمد فيه السمين الحديث. وذلك عند حديثه عن كلمة «وراء» في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾[7] قال: «.. وحكمه حكم «قبل وبعد»

---

(١) سورة النساء، الآية: ١. وانظر: السبعة ٢٢٦، والكشف ١/ ٣٧٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٧ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾.

(٤) انظر: ٢/ ٣٩٥ـ٣٩٦.

(٥) ديوانه ص ١١٠. والعباس هو: ابن مرداس السلمي. أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم. توفي سنة ١٨هـ. (الأعلام ٣/ ٢٦٧).

(٦) الدر المصون ٢/ ٣٩٣ـ٣٩٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٩١.

في كونه إذا أضيف أُعرب، وإذا قطع بُني على الضم. . وفي الحديث عن إبراهيم ﷺ: «كنت خليلاً من وراءُ وراءُ»[1]»[2].

وفي هذا المثال والذي قبله نلحظ أن السمين قد صرح باعتماده السماع.

وقد لا يصرح باعتماده للسماع، وإنما يذكر المسألة ويعقبها بذكر الأدلة من القرآن أو السنة أو الشعر أو أقوال العرب. ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «باطلاً» على قراءة أُبيّ وابن مسعود[3] في قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4] قال: «فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب بـ «يعملون» و«ما» مزيدة، وإلى هذا ذهب مكي وأبو البقاء وصاحب اللوامح، وفيه تقديم معمول خبر «كان» على «كان» هي مسألة خلاف، والصحيح جوازها كقوله تعالى: «أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون» فالظاهر أن «إياكم» منصوب بـ «يعبدون» فالظاهر أن «إياكم» منصوب بـ «يعبدون»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٩٥. ولكن بالنصب في: «وراء». ولم أجد في ما اطلعت عليه من كتب السنة رواية الرفع.

(٢) الدر المصون ١/ ٥١٥.

(٣) انظر: المحتسب ١/ ٣٢٠.

(٤) سورة هود، الآية: ١٦.

(٥) الدر المصون ٦/ ٢٩٧ـ٢٩٨.

المطلب الثالث
اعتماده للقياس

يُعد القياس ذا أهمية بالغة في علم النحو «وهو معظم أدلة النحو، والمعول عليه في غالب مسائله عليه»[1] كما قيل:

إنما النحو قياسٌ يُتَّبع[2].

وقد عُرف بأنه: «علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء العرب»[3]. وقد اعتمد السمين على القياس في إعرابه للقرآن، وذلك في إثبات صحة بعض الأوجه الإعرابية، وفي الرد على بعض الأعاريب الخاطئة.

ومن أمثلة اعتماده للقياس في إثبات صحة وجه إعرابي في آية، عند إعراب «والمسجد الحرام» في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[4] فقد ذكر أن في ذلك أربعة أوجه، منها قول الكوفيين: أنه عطف على الهاء في «به» أي وكفر به وبالمسجد.

فالكوفيون يجيزون العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الخافض، وقد ردّ ذلك الجمهور من البصريين، ولكن السمين يثبت صحة قول الكوفيين بعدة أدلة منها: القياس. فيقول: وأما القياس: فلأنه تابع من التوابع الخمسة فكما يُؤكَّد الضمير المجرور ويُبدل منه فكذلك يُعطف عليه»[5].

---

(١) الاقتراح للسيوطي ٧٠.

(٢) هذا صدر بيت للكسائي في وصفه للنحو (إنباه الرواة ٢/ ٢٦٧).

(٣) الاقتراح ٧٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٥) الدر المصون ٢/ ٣٩٦.

ويعتمد السمين القياس في ردّ بعض الأعاريب.

ومثال ذلك: عند إعراب «ترى» في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾[1] على قراءة النخعي وابن وثاب[2] «يرى» بالياء. قال: فيها تأويلان: الثاني منهما: أنه الفاعل نفس الموصول والمفعول هو الجملة من قوله «يسارعون» وذلك على تأويل حذف «أنْ» المصدرية، والتقدير: ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا، فلما حذفت «أن» رفع الفعل... أجاز ذلك ابن عطية.

ثم قال السمين رادّاً لهذا الإعراب: إلا أن هذا غير مقيس، إذ لا تحذف «أنْ» عند البصريين إلا في مواضع محفوظة»[3].

وعند بيان سبب نصب «نفسه» في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[4] ذكر أن في ذلك سبعة أوجه، منها: النصب على التضمين أي أنه مفعول به ولكن على تضمين «سفه» معنى فعل يتعدى، تقديره: جهل أو أهلك، ومنها: أنه منصوب على إسقاط حرف الجر تقديره: سفه في نفسه وقد ردّ هذين الإعرابين مرجحاً قولاً آخر فقال: «... والمختار الأول لأن التضمين لا ينقاس وكذلك حرف الجر»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٢.
(٢) الشواذ ص ٣٩.
(٣) الدر المصون ٤/ ٣٠٠.
(٤) سورة البقرة، الاية: ١٣٠.
(٥) الدر المصون ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢.

ومن المسلَّم به أن القياس لا يجوز على القليل والنادر، وإنما يقاس على المطَّرد الكثير وقد اعتمد السمين ذلك في إعرابه فلا يقيس إلا على المطرد والكثير لذا فإنه قد يرد الأعاريب التي تعتمد على قياس نادر.

ومثال ذلك عند إعراب الباء في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1] ذكر عدة أقوال منها: أنها زائدة في المفعول به لأن «ألقى» يتعدى بنفسه... وهذا قول أبي عبيدة وإليه مال الزمخشري.

وقد ردّ السمين هذا القول فقال: «إلا أنه مردود بأن زيادة الباء في المفعول لا تنقاس، وإنما جاءت في الضرورة»[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) الدر المصون ٢/ ٣١٠-٣١١.

المطلب الرابع
حمل القرآن في الإعراب على الوجه الشائع

ومن منهج السمين في إعرابه للقرآن حمله على الوجه الشائع، فلا يرتضي حمل القرآن على الضرورة أو القليل عند العرب.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[1] قال: يجوز في هذه اللام ـ يعني في قوله «لجهنم» ـ وجهان، الثاني منها: أنها للعلة... ثم قال: واللام على هذا متعلق بـ «ذرأنا» ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنه حال من «كثيراً» لأنه في الأصل صفة له لو تأخر. ولا حاجة إلى ادعاء قلب وأن الأصل: ذرأنا جهنم لكثير لأنه ضرورة أو قليل...»[2].

وفي هذا المثال رأينا كيف ردّ السمين ادعاء القلب لأنه غير مطرد ولهذا فهو يرى أنه ينبغي حمل إعراب القرآن على الأوجه المطَّردة والشائعة في النحو العربي.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) الدر المصون ٥/ ٥٢١.

المطلب الخامس
عدم حمل إعراب القرآن على الأوجه الضعيفة

وينزه السمين القرآن الكريم أن يُخَرّج على أوجه ضعيفة، ولا يرتضي ذلك ويراه قادحاً في احترام القرآن الكريم وقدسيته.

ومثال ذلك: عند تخريج قراءة «وأرجلكم» بالجر وهي قراءة السبعة غير نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم. في قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[1] قال: «وأما قراءة الجر ففيها أربعة تخاريج، أحدها: أنه منصوب في المعنى عطفاً على الأيدي المغسولة، وإنما خُفِض على الجوار، كقولهم: «هذا جُحْرُ ضبٍ خَرِبٍ» بجر «خرب» وكان من حقه الرفع لأنه صفة في المعنى للجحر لصحة اتصافه به، والضب لا يوصف به، وإنما جره على الجوار..

ثم قال عن هذا التخريج: إلا أن التخريج عليه ضعيف لضعف الجوار من حيث الجملة، وأيضاً فإن الخفض على الجوار إنما ورد في النعت لا في العطف وقد ورد في التوكيد قليلاً من ضرورة الشعر... وإذا لم يرد إلا في النعت أو ما شذ من غيره فلا ينبغي أن يخرج عليه كتاب الله تعالى»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) الدر المصون ٤/ ٢١٠ـ٢١٢.

ومثال آخر: عند إعراب «فأما الذين كفروا» في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1] قال: «في محل هذا الموصول قولان، أحدهما: أنه منصوب بفعل مقدر على أن المسألة من باب الاشتغال، إذ الفعل بعده قد عمل في ضميره، وهذا وجه ضعيف؛ لأن «أما» لا يليها إلا المبتدأ، وإذا لم يلها إلا المبتدأ امتنع حمل الاسم بعدها على إضمار فعل. ومن جوّز ذلك تمحَّل بأنه يضمر الفعل متأخراً عن الاسم، ولا يضمره قبله، قال: لئلا يلي «أما» فعل وهي لا يليها الأفعال البتة فيقدر في قولك: أما زيداً فضربته: أما زيداً ضربت فضربته، وكذا هنا يقدر: فأما الذين كفروا أعذب فأعذبهم، فيقدر العامل بعد الصلة، ولا يقدره قبل الموصول لما ذكرت.

ثم قال عن هذا الوجه: «**وهذا ينبغي ألا يجوز لعدم الحاجة إليه مع ارتكاب وجه ضعيف جداً في أفصح كلام**»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٦.

(٢) الدر المصون ٣/ ٢١٥.

المطلب السادس
التقيد في إعراب القرآن بنظمه

ولذا فإن السمين يرفض ويمقت الأعاريب التي لا تتقيد بنظم القرآن فعند إعراب ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[1].

قال: «الوزن» مبتدأ، وفي الخبر وجهان، أحدهما: هو الظرف وفي «الحق» على هذا الوجه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه نعت للوزن، والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، والثالث: أنه بدل من الضمير المستكن في الظرف.

والثاني من وجهي الخبر: أن يكون الخبر «الحق»، و«يومئذٍ» على هذا فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الظرف ناصبه «الوزن»... والثاني: أنه مفعول به على السعة. وهذا الثاني ضعيف جداً لا حاجة إليه.. ثم قال: وقد طوَّل مكي بذكر تقدير تقديم «الحق» على «يومئذٍ» وتأخيره عنه باعتبار الإعرابات المتقدمة، وهذا لا حاجة إليه لأنا مقيدون في القرآن بالإتيان بنظمه»[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٢) الدر المصون ٥/ ٢٥٥ـ٢٥٦.

المطلب السابع
التفريق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب

يبين الإمام الزركشي الفرق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب فيقول: «والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لابد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك»[1].

وقد اهتم السمين في إعرابه للقرآن بالتفريق بين تفسير الإعراب وتفسير المعنى ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «معهم» في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]. قال: «فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الكتاب، وتكون حالاً مقدرة أي: وأنزل مقدراً مصاحبته إياهم. وقدّره أبوالبقاء بقوله: «شاهداً لهم ومؤيداً». وهذا منه تفسير معنى لا إعراب»[3].

وعند بيان العامل في «كيف» في قوله تعالى: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[4] قال: «والعامل فيه «تحيي» وقدره مكي: بأي حالٍ تحيي الموتى، وهو تفسير معنى لا إعراب»[5].

---

(١) البرهان للزركشي ١/ ٣٠٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
(٣) الدر المصون ٢/ ٣٧٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٥) الدر المصون ٢/ ٥٧٣.

المطلب الثامن
عنايتــه بالترجيــح

اعتنى السمين عناية بالغة بالترجيح بين الأعاريب، فتراه يذكر في إعراب الآية وجوهاً كثيرة قد تصل إلى العشرين وجهاً[1]، ولكنه يدلي برأيه فيختار رأياً ويرجحه ويُدّعم موقفه بعدة أدلة، وبذلك ظهرت شخصيته في هذا الجانب ظهوراً واضحاً وكان كثيراً ما يبين سبب ترجيحه للرأي الذي يختاره. ومن الأسباب التي اعتمد عليها في الترجيح:

١ ـ المعنى.
٢ ـ قواعد النحو والصناعة النحوية.
٣ ـ موافقة الظاهر وعدم الحاجة إلى تقدير أو تأويل.
٤ ـ القراءات القرآنية.
٥ ـ موافقة اللغة التي نزل بها القرآن.

١ ـ المعنـــى:

احتل المعنى عند السمين مكانة بارزة، وجعله من أعظم الأسباب التي يعتمد عليها في الترجيح.

فكان يرجح أحد الأعاريب لقوة المعنى المترتب عليه.

مثال ذلك: عند بيان متعلق قوله «من كل شيء» في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[2] قال: «يجوز أن يتعلق بـ «خلقنا» أي: خلقنا من كل شيء زوجين، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «زوجين»؛ لأنه في الأصل صفة له،

---

(١) انظر مثال ذلك: عند إعرابه للكاف في قوله: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» الأنفال: ٥. قال: «فيه عشرون وجهاً...». الدر المصون ٥/ ٥٥٩ ـ ٥٦٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

إذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شيء. والأول أقوى في المعنى»[1].

ـ وعند بيان إعراب«لك» في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[2] قال: «فيه وجهان: أحدهما: أن يتعلق بمسلمين؛ لأنه بمعنى نُخْلص لك أوجهنا نحو «أسلمت وجهي لله» فيكون المفعول محذوفاً لفهم المعنى. والثاني: أنه نعت للمسلمين، أي: مسلمين مستقرين لك أي: مستسلمين والأول أقوى معنىٰ»[3].

وقد يختار السمين أحد الأعاريب للمعنى الجديد الذي يفيده.

ومثال ذلك: عند إعراب «كذباً» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾[4]. قال: فيه أربعة أوجه، أحدها: أنه مفعول «افترى» أي: اختلق كذباً وافتعله. الثاني: أنه مصدر له على المعنى أي: افترى افتراءً... ثم قال مرجحاً: والأول أولى؛ لأن فيه فائدة جديدة بخلاف الثاني فإن معنى المصدر مفهوم من الفعل قبله»[5].

وعند إعراب «وتخونوا أماناتكم» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

قال: «يجوز فيه أن يكون منصوباً بإضمار «أن» على جواب النهي أي: لا تجمعوا بين الجنايتين كقوله[7]:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ عظيمُ

والثاني: أن يكون مجزوماً نسقاً على الأول.

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٣) الدر المصون ٢/ ١١٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٥) الدر المصون ٥/ ٤٠.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.
(٧) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ملحق ديوانه ص ١٣٠، وفي الكتاب ١/ ٤٢٤.

ثم رجح الوجه الثاني لأنه يؤدي معنى جديداً عن الأول فقال: وهذا الثاني أولى؛ لأن فيه النهي عن كل واحدٍ على حدته بخلاف ما قبله فإنه نهي عن الجمع بينهما ولا يلزم من النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته. وقد تقدم تحرير[1] هذا في قوله ﴿وتكتموا الحق﴾ في أول البقرة»[2].

وقد يرجح أحد الأعاريب لأن المعنى المترتب عليه أبلغ.

ومثال ذلك: عند إعراب قوله: «من الله» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[3]. قال: «في «مِنْ» أربعة أوجه، أحدها: أنها متعلقة بـ«كتم» وذلك على حذف مضاف أي: كتم من عباد الله شهادة عنده.

الثاني: أن تتعلق بمحذوف على أنها صفة لشهادة بعد صفة، لأن عنده صفة لشهادة. الثالث: أنها في محل نصب على الحال من المضمر في «عنده» يعني من الضمير المرفوع بالظرف لوقوعه صفة. الرابع: أن يتعلّق بذلك المحذوف الذي تعلق به الظرف وهو «عنده» لوقوعه صفة، والفرق بينه وبين الوجه الثاني أن ذاك له عامل مستقل غير العامل في الظرف...

ثم قال مرجحاً: والأحسن من هذه الوجوه أن تكون «من الله» صفة لشهادة أو متعلقة بعامل الظرف لا متعلقة بكتم، وذلك أن كتمان الشهادة مع كونها مستودعة من الله عنده أبلغ في الأظلمية من كتمان شهادة مطلقة من عباد الله»[4].

وعند إعراب «وأنتم تعلمون» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5] قال: «جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، وعاملها: إما تلبسوا أو تكتموا، ثم رجح أن العامل هو «تكتموا» لوجهين،

---

(١) انظر: الدر ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ وقرره أيضاً عند إعراب «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» في سورة ص ٩/ ٣٧٣.

(٢) الدر المصون ٥/ ٥٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٤) الدر المصون ٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

أحدهما: أن كتمان الحق مع العلم به أبلغ ذمًّا، وفيه نوع مقابلة»[1].

٢ ـ قواعد النحو:

ومن أعظم الأسباب التي يعتمد عليها السمين في الترجيح: موافقة قواعد النحو والصناعة النحوية. وأمثلة هذا النوع كثيرة مستفيضة منها: عند إعراب «حسن الثواب» في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[2] قال: «الأحسن أن يرتفع «حسن الثواب» على الفاعلية بالظرف قبله؛ لاعتماده على المبتدأ قبله، والتقدير: والله استقر عنده حسن الثواب ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره، والجملة خبر الأول. وإنما كان الوجه الأول أحسن؛ لأن فيه الإخبار بمفرد وهو الأصل، بخلاف الثاني فإن الإخبار فيه بجملة»[3].

٣ ـ موافقة الظاهر وعدم الحاجة إلى تقدير أو تأويل:

ومما يعتمد عليه في الترجيح موافقة الظاهر وعدم الحاجة إلى تقدير أو تأويل.

ومثال ذلك: عند إعراب «فيضاعفه» في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾[4] على قراءة الرفع[5]. قال: في ذلك وجهان، أحدهما: أنه عطف على «يقرض» الصلة. والثاني: أنه رفع على الاستئناف أي: فهو يضاعف. والأول أحسن لعدم الإضمار»[6].

وعند بيان المشار إليه لقوله: «مثل ذلك» في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ

---

(١) الدر المصون ٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٣) الدر المصون ٣/ ٥٤٤.
(٤) وهي قراءة السبعة ماعدا عاصماً وابن عامر (السبعة ١٨٤، والكشف ١/ ٣٠٠).
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
(٦) الدر المصون ٢/ ٥٠٩.

ذَٰلِكَ﴾[1] قال: والمشار إليه بقوله: «مثل ذلك» إلى الواجب من الرزق والكسوة. وهذا أحسن من قول من يقول: أُشير به إلى الرزق والكسوة، وأشير بما للواحد للاثنين كقوله: «عوان بين ذلك» وإنما كان أحسن؛ لأنه لا يُحْوِج إلى تأويل»[2].

وعند بيان نوع «ما» في قوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[3] قال: «يجوز أن تكون موصولة اسمية. والعائد محذوف لاستكمال الشروط، أي: كسبتموه، وأن تكون مصدرية أي: من طيبات كسبكم، وحينئذٍ لابد من تأويل هذا المصدر باسم المفعول أي: مكسوبكم، ولهذا كان الوجه الأول أولىٰ»[4].

فقد رجح الوجه الأول لأنه لا يُحْوِج إلى تأويل.

٤ ـ القراءات القرآنية:

ومما يعتمد عليه في الترجيح القراءات القرآنية.

ومن أمثلة ذلك: «عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[5] قال: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معطوفاً على «من الذين قالوا» بياناً وتقسيماً. الثاني: أن يكون خبراً مقدماً و«سمَّاعون» مبتدأ والتقدير: ومن الذين هادوا قوم سماعون. فتكون جملة مستأنفة، إلا أن الوجه الأول مُرَجّح بقراءة الضحاك[6] «سماعين» على الذم بفعل محذوف، فهذا يدل على أن الكلام ليس جملة مستقلة، بل قوله: «ومن الذين هادوا» عطف على «من الذين قالوا»[7].

عند إعراب قوله: «إسماعيل» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٢) الدر المصون ٢/ ٤٧١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٤) الدر المصون ٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤١.
(٦) انظر: البحر ٣/ ٤٩٩.
(٧) الدر المصون ٤/ ٢٦٧.

ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[1] قال: «فيه قولان، أحدهما: ـ وهو الظاهر ـ أنه عطف على إبراهيم فيكون فاعلاً مشاركاً في الرفع، ويكون قول «ربنا تقبل منا» في محل نصب بإضمار القول. ذلك القول في محل نصب على الحال منهما أي: يرفعان يقولان: ربنا تقبل. ويؤيد هذا قراءة عبدالله[2] بإظهار فعل القول قرأ «يقولان ربنا تقبل»[3].

٥ ـ موافقة اللغة التي نزل بها القرآن:

ومثال ذلك: عند إعراب قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[4] قال: «في هذا الضمير خمسة أقوال، أحدها: أنه عائد على «أحد» وفيه حينئذٍ وجهان، أحدهما: أنه اسم «ما» الحجازية، و«بمزحزحه» خبر «ما»، فهو في محل نصب والباء زائدة، و«أن يعمَّر» فاعل بقوله «بمزحزحه» والتقدير: وما أحدهم مزحزحه تعميره. الثاني من الوجهين في «هو» أن يكون مبتدأ، وبمزحزحه خبر، و«أن يعمر» فاعل به كما تقدم، وهذا على كون «ما» تميمة.

والوجه الأول أحسن لنزول القرآن بلغة الحجاز وظهور النصب في قوله: «ما هذا بشراً»[5] «ما هن أمهاتهم»[6]»[7].

٦ ـ موافقة المذهب البصري:

يتضح من خلال تتبع كثير من اختيارات السمين النحوية وترجيحاته ميله للمذهب البصري، فكان في كثير من المواضع يرجح بعض الأعاريب لموافقتها للمدرسة البصرية وعلى رأسها سيبويه، مع أنه متحرر من قيود التبعية العمياء في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٢) انظر: البحر ١/ ٥٥٩.
(٣) الدر المصون ٢/ ١١٤ وانظر لمزيد من الأمثلة (٢/ ١٢٦، ٣٦٤، ٣٧٥) (٥/ ٩٦٢٣ (٦/ ٩١، ٤٩٤) (٧/ ١٠٢).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٦.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢.
(٧) الدر المصون ٢/ ١٤.

ميله ـ كما سيأتي بيانه ـ.

ومن أمثلة ترجيحه لإعراب موافق للمذهب البصري:

عند بيان الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1] ذكر في ذلك قولين ورجح أن الفاعل هو لفظ الجلالة «الله» والباء زائدة، وردّ القول الثاني لأنه لا يقع إلا في الضرورة عند البصريين قال: «وفي الفاعل قولان: أحدهما ـ وهو الصحيح ـ أنه المجرور بالباء، والباء زائدة... والثاني: أنه مضمر، والتقدير: كفى الاكتفاء، و«بالله» على هذا في موضع نصب لأنه مفعول به في المعنى، وهذا رأي ابن السراج، ورُدَّ هذا بأن إعمال المصدر المحذوف لا يجوز عند البصريين إلا ضرورة..»[2].

وقد يختار الإعراب الموافق لمذهب البصريين، ولا يصرح بذكرهم.

ومثال ذلك: عند إعرابه لـ «من سفه» في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ﴾[3] ذكر في ذلك وجهين فقال: «في «من» وجهان، أحدهما: أنها في محل رفع على البدل من الضمير في «يرغب» وهو المختار؛ لأن الكلام غير موجب، والكوفيون يجعلون هذا من باب العطف، فإذا قلت: ما قام القوم إلا زيد، فـ «إلا» عندهم حرف عطف، و«زيد» معطوف على القوم»[4].

فهو هنا قد اختار في إعراب «من سفه» مذهب البصريين في إعراب المستثنى المتصل غير الموجب ولم يصرح بذكرهم، وإنما صرح بذكر الكوفيين ولم يرجح مذهبهم.

ومع ميل السمين للمذهب البصري في كثير من ترجيحاته النحوية، إلا أن ذلك الميل والتقليد للمذهب البصري لم يكن تقليداً أعمى في كل صغيرة وكبيرة،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.
(٢) الدر المصون ٣/ ٥٨٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.
(٤) الدر المصون ٢/ ١٢٠.

فنجده قد يرجح الرأي الكوفي إذا كان الدليل معه، مما يؤكد شخصية السمين العلمية واستقلاله في آرائه وترجيحاته في النحو عموماً وفي إعرابه للقرآن على وجه الخصوص.

ومن أمثلة ذلك: عند إعرابه لقوله «والمسجد الحرام» في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1] ذكر أن في ذلك أربعة أوجه منها: أنه عطف على الهاء في «به» أي: وكفر به وبالمسجد، وهذا يتخرج على قول الكوفيين. وأما البصريون فيشترطون في العطف على الضمير المجرور إعادة الخافض إلا في ضرورة فهذا التخريج عندهم فاسد.

ثم تعرض لدراسة هذه المسألة وهي: «العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار» نحوياً فذكر آراء النحاة فيها، ورجح رأي الكوفيين فيها فقال: «والذي ينبغي أنه يجوز مطلقاً لكثرة السماع الوارد به، وضعف دليل المانعين واعتقاده بالقياس»[2]. وبالتالي فهو يرجح أن «والمسجد الحرام» معطوف على الهاء في «به» وهذا هو رأي الكوفيين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) الدر المصون ٢/ ٣٩٤.

المطلب التاسع
اهتمامه بمناقشة المعربين والرد عليهم

تحتل مناقشات السمين لعلماء النحو والمعربين حيزاً ضخماً من الدر فالكتاب يُعد موسوعة في إعراب القرآن لكثرة ما يذكر من الوجوه والآراء وكان كثيراً ما يناقش تلك الآراء ويرد على بعضها، ويرجح ما يراه صواباً ولقد أشار في مقدمة كتابه إشارة تدل على أن المناقشات ستحتل مكاناً كبيراً في كتابه فقال: «وذكرت كثيراً من المناقشات الواردة على أبي القاسم الزمخشري وأبي محمد بن عطية ومحب الدين أبي البقاء. . . ». (١)

وقد ذكرت طرفاً من ذلك أثناء حديثي عن مصادره.

وسأذكر الحديث هنا عن أسباب رده لبعض أقوال المعربين والنحاة. وسأقتصر على أهم تلك الأسباب والتي تمس إعراب القرآن بشكل مباشر.

ومن أهم الأسباب التي ردّ بها بعض الأعاريب.

١ ـ فساد المعنى أو ضعفه أو بعده.

٢ ـ مخالفة الصناعة النحوية.

٣ ـ الجمع بين مخالفة الصناعة وفساد المعنى.

٤ ـ مخالفة الظاهر.

١ ـ فساد المعنى أو بعده:

من أهم الأسباب التي يعتمد عليها السمين في ردّه على بعض الأوجه الإعرابية فساد المعنى المترتب عليها أو بعد المعنى أو ضعفه.

ومن أمثلة رده أعاريب لفساد المعنى المترتب عليها:

---

(١) الدر المصون ١/ ٥.

١ـ عند إعراب قوله: «أربعين» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ﴾[١].
قال: «وأربعين مفعول ثانٍ، ولابد من حذف مضاف أي تمام أربعين ولا يجوز أن ينتصب على الظرف لفساد المعنى»[٢].

٢ـ عند بيان المستثنى منه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾[٣].
ذكر وجهين، ردّ على أحدهما وهو قول أبي البقاء: أن المستثنى منه: الجملة الثانية قال السمين: وهذا غير سديد؛ لأنه يؤدي إلى أن المعنى: ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف بيده فإنه ليس مني لأن الاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي، كما هو الصحيح، ولكنّ هذا فاسد في المعنى، لأنهم مفسوح لهم في الاغتراف غرفة واحدة»[٤].

ويرد السمين بعض الأعاريب لأن المعنى يأباها.

ومثال ذلك: عند بيان العامل في قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾[٥] ذكر وجهين، وقد ردّ أحدهما لأن المعنى يأباه فقال: أحدهما: ـ وبه بدأ أبوالبقاء ـ أنه «قالوا» أي: قالوا كذا في حال دخولهم كفرة وخروجهم كفرة. وفيه نظر؛ إذ المعنى يأباه»[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧].
قال: «وقد منع أبوالبقاء أن يكون «في طغيانهم» و«يعمهون» حالين من الضمير في «يمدهم» معللاً ذلك بأن العامل الواحد لا يعمل في حالين، وهذا على رأي من منع من ذلك، وأما من يجيز تعدد الحال مع عدم تعدد صاحبها فيجيز

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥١.
(٢) الدر المصون ١/ ٣٥٣. وانظر مثالاً آخر في: (٨/ ١٤٢).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٤) الدر المصون ٢/ ٥٢٧. وانظر أمثلة آخر في: (١/ ٢٧١) (٢/ ٣٧٤).
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦١.
(٦) الدر المصون ٤/ ٣٣٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥.

ذلك؛ إلا أنه في هذه الآية ينبغي أن يُمنع ذلك لا لما ذكره أبو البقاء، بل لأن المعنى يأبى جعل هذا الجار والمجرور حالاً، إذ المعنى مُنْصَبٌ على أنه متعلق بأحد الفعلين، أعني يمدّهم أو يعمهون، لا بمحذوف على أنه حال»[1].

وعند إعراب «تنفقون» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[2] ذكر أن في ذلك ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مستأنف ابتداء إخبار بذلك، وتم الكلام عند قوله: «ولا تيمموا الخبيث» ثم ابتدأ خبراً آخر، فقال: تنفقون منه وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، كأن هذا عتاب للناس وتقريع، وهذا يردّه المعنى»[3].

وقد يرد بعض الأعاريب لأنه لا يترتب عليها معنى أو «لعدم المعنى» كما يسميه السمين.

ومثال ذلك: عند إعراب «طولاً» في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[4] قال: «يجوز أن يكون حالاً من فاعل «تبلغ» أو من مفعوله، أو مصدراً من معنى «تبلغ»، أو تمييزاً أو مفعولاً به. وهذان ضعيفان جداً لعدم المعنى»[5].

وقد يرد السمين الإعراب لبعد المعنى المترتب عليه.

ومثال ذلك: عند إعراب «غصباً» في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[6] ذكر أن في ذلك ثلاثة أوجه، ردّ أحدها لبعده في المعنى.

فقال: «فيه أوجه، منها: أنه منصوب على المفعول له، وهو بعيد في المعنى»[7].

وعند بيان موقع جملة «وجوههم مسودة» من الإعراب في قوله تعالى:

---

(١) الدر المصون ١/ ١٤٨. وانظر مثالاً آخر في: (١/ ٢٠٠).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٣) الدر المصون ٢/ ٦٠١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.
(٥) الدر المصون ٧/ ٣٥٥.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٧٩.
(٧) الدر المصون ٧/ ٥٣٧.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[1].

قال: «في محلها وجهان، أحدهما: النصب على الحال من الموصولات؛ لأن الرؤية بصرية. . ، والثاني: أنها في محل نصب مفعولاً ثانياً؛ لأن الرؤية قلبية. وهو بعيد؛ لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بها»[2].

وعند بيان مرجع الضمير في قوله «على حبه» في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[3] ذكر فيه عدة أقوال، منها: أنه يعود على الإيتاء المفهوم من قوله: «آتى» أي حب الإيتاء. ثم ردّ هذا القول فقال: وهو بعيد من حيث المعنى، فإن المدح لا يحسن على فعل شيء يحبه الإنسان لأن هواه يساعده على ذلك»[4].

٢ ـ مخالفة الصناعة النحوية:

السمين متشدد في التمسك بالصناعة النحوية، ولذا فقد رَدَّ كل قول خالف قواعد النحو.

ومن أمثلة ذلك: رده لقول من قال: إن قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[5] حال من قوله تعالى: «والله يريد أن يتوب عليكم»[6]. والعامل فيها «يريد» أي: والله يريد أن يتوب عليكم يريد أن يخفف عنكم».

حيث ردَّ هذا القول من وجهين هما: الأول: أنه يؤدي إلى الفصل بين الحال وبين عاملها بجملة معطوفة على جملة العامل في الحال ضمن تلك الجملة المعطوف عليها، والجملة المعطوفة وهي «يريد الذين يتبعون» جملة أجنبية من الحال وعاملها. والثاني: أن الفعل الذي وقع حالاً رفع الاسم الظاهر فوق الربط

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.
(٢) الدر المصون ٩/ ٤٣٨. وانظر أيضاً أمثلة أخرى: (٢/ ٢٨، ٥٥١) (٣/ ٦٧٧).
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٤) الدر المصون ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ٢٨.
(٦) سورة النساء، الآية: ٢٧.

بالظاهر، لأن «يريد» رفع اسم الله وكان من حقه أن يرفع ضميره، والربط بالظاهر إنما وقع في الجملة الواقعة خبراً أو صلة، وأما الواقعة حالاً وصفة فلا، إلا أن يرد به سماع، ويصير هذا الإعراب نظير: بكر يخرج يضربُ بكر خالداً»[1].

وانظر: رده على الكسائي إعرابه لقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[2] أنه بدل من قوله «الصيام» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾[3].

قال السمين: «وهذا الوجه ـ وإن كان ذهب إليه الكسائي ـ بعيد جداً لوجهين، أحدهما: كثرة الفصل بين البدل والمبدل منه».

والثاني: أنه لا يكون إذ ذاك إلا من بدل الإشمال وهو عكس بدل الاشتمال، لأن بدل الاشتمال غالباً بالمصادر كقوله: «عن الشهر الحرام قتال فيه»[4]... وهذا أُبدل فيه الظرف من المصدر»[5].

وانظر: رده على الأخفش إعرابه لقوله «نصفه أو انقص» في قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾[6] حيث قال الأخفش: «إن الأصل: قم الليل إلا قليلاً أو نصفه» قال: كقولك: أعْطِه درهماً درهمين ثلاثة» أي: أو درهمين أو ثلاثة قال السمين: وهذا ضعيف جداً؛ لأن فيه حذف حرف العطف، وهو ممنوع لم يرد منه إلا شيء يمكن تأويله كقولهم: أكلت لحماً سمكاً تمراً... أي: لحماً وسمكاً وتمراً...»[7].

٣ـ مخالفة الصناعة وفساد المعنى معاً:

وقد يردّ السمين الإعراب لمخالفته للصناعة النحوية وفساد المعنى المترتب

---

(١) الدر المصون ٣/ ٦٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٥) الدر المصون ٢/ ٢٧٧.
(٦) سورة المزمل، الآيتان: ٢، ٣.
(٧) الدر المصون ١٠/ ٥١٦.

عليه وأمثلة هذا النوع كثيرة كثيرة. منها:

عند إعراب جملة «ويُشهد الله» في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾[1] قال: «فيها وجهان، الثاني منهما: أن تكون حالية.

وقد ردّ هذا الوجه من جهة الصناعة والمعنى، فقال: «وفي جعلها حالاً نظرٌ من وجهين: أحدهما: من جهة المعنى، والثاني: من جهة الصناعة. أما الأول: فلأنه يلزم منه أن يكون الإعجاب والقول مقيدين بحالٍ والظاهر خلافه. وأما الثاني: فلأنه مضارع مُثْبت فلا يقع حالاً إلا في شذوذ»[2].

وانظر أيضاً: ردّه لإعراب أبي البقاء قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[3] حيث قال أبوالبقاء: إن «وجوه» مبتدأ، و«يومئذٍ» خبره. قال السمين: «وهذا غلط محض من حيث المعنى، ومن حيث الصناعة؛ أما المعنى فلا فائدة في الإخبار عنها بذلك. وأما الصناعة فلأنه لا يُخْبر بالزمان عن الجثث، وإن ورد ما ظاهره ذلك تُؤُوِّل نحو: «الليلةَ الهلالُ»[4].

٤ ـ مخالفة الظاهر:

سبق الحديث عن اهتمام السمين بالظاهر، وهنا أتحدث عنه من حيث اعتماد السمين له في ردّ بعض الأعاريب التي تخالفه.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب قوله: «ومن الذين أشركوا» في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[5] قال: «فيها أقوال، منها: أن في الكلام حذفاً وتقديماً وتأخيراً، والتقدير: ولتجدنهم وطائفة من الذين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.
(٢) الدر المصون ٢/ ٣٤٨.
(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢.
(٤) الدر المصون ١٠/ ٥٧٥. وانظر أمثلة أخرى في: (١/ ٢٤٥) (٢/ ٥١٤) (٣/ ٥٥) (٤/ ١٧٩) (٥/ ٥٦٢) (٨/ ٦٥٠) (١٠/ ٤٥).
(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

أشركوا أحرص الناس، فيكون «من الذين أشركوا» صفة لمحذوف، ذلك المحذوف معطوف على الضمير في «لتجدنهم» ثم قال: وهذا وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، ولكنه ينبو عنه التركيب لاسيما على قول من يخص التقديم والتأخير بالضرورة»[1].

وعند إعراب قوله: «جميعاً» في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[2] قال: «وقال بعضهم: التقدير: قلنا اهبطوا مجتمعين فهبطوا جميعاً فحذف الحال من الأول لدلالة الثاني عليه، وحذف العامل من الثاني لدلالة الأول عليه. ويرد السمين هذا الإعراب لمخالفته للظاهر فيقول: «وهذا تكلف لم تدع إليه ضرورة»[3].

---

(١) الدر المصون ٢/ ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٣) الدر المصون ١/ ٢٩٨.

المطلب العاشر
الإعراب والمعنى بين التأثر والتأثير

وسأتحدث في هذا المطلب عن اهتمام السمين ببيان:

١ ـ أثر الإعراب في المعنى.

٢ ـ وتأثر الإعراب بالمعنى.

وذلك أن كلاً من الإعراب والمعنى يتأثر بالآخر، فقد يختلف المعنى تبعاً للخلاف في الإعراب، وكذلك قد يتوقف بيان الإعراب على بيان المعنى.

١ ـ أثر اختلاف الإعراب في معنى الآية وتفسيرها وأحكامها الفقهية والعقدية:

أ ـ أثر الإعراب في معنى الآية وتفسيرها:

للإعراب دور بارز في اختلاف المعاني، يقول العكبري[١]: «والإعراب دخل الكلام ليفرق بين المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة ونحو ذلك» وقد ركز السمين على إظهار اختلاف الإعراب في المعاني. ومن ذلك:

عند إعراب قوله: «بغير عمد» في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٢] قال: هذا الجار في محل نصب على الحال من «السموات» أي: رفعها خالية من عمد. ثم في هذا الكلام وجهان: أحدهما: انتفاء العمد والرؤية جميعاً، أي: لا عمد فلا رؤية، يعني لا عمد لها فلا تُرى. وإليه ذهب الجمهور. والثاني: أن لها عمداً ولكن غير مرئية. وعن ابن عباس: «وما يدريك أنهما بعمدٍ لا تُرى؟» وإليه ذهب مجاهد... هذا إذا قلنا: إن «ترونها» صفة.

أما إذا قلنا: إنها مستأنفة ـ كما سيأتي ـ فيتعين أن لا عمد لها

---

(١) في كتابه: مسائل خلافية في النحو. المسألة رقم (٩) ص(٩٣).

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

البتة[1].

ثم قال عند قوله «ترونها»: في الضمير المنصوب وجهان، أحدهما: أنه عائد على «عمد» وهو أقرب مذكور، وحينئذٍ تكون الجملة في محل جر صفة لـ «عمد» ويجيء فيه الاحتمالان المتقدمان: من كون العمد موجود، لكنها لا تُرى، أو غير موجود البتة.

والثاني: أن الضمير عائد على «السموات» ثم في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها، أي: استشهد برؤيتهم لها كذلك، ولم يذكر الزمخشري غيره. والثاني: أنها في محل نصب على الحال من «السموات» وتكون حالاً مقدرة؛ لأنها حين رَفْعِها لم تكن مخلوقين، والتقدير: رفعها مرئية لكم»[2].

* ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[3].

فقد بين أن متعلق الجار والمجرور في قوله: «في التوراة» فيه وجهان وعلى كل وجه معنى مختلف.

فقال: «قوله: «في التوراة» فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بـ «اشترى» وعلى هذا فتكون كل أمة قد أُمرت بالجهاد ووُعِدت عليه الجنة. والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة للوعد، أي: وعداً مذكوراً في كتب الله المنزَّلة»[4].

* ويبين السمين اختلاف معنى قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[5] تبعاً لاختلاف نوع الاستثناء في قوله: «إلا ابتغاء رضوان الله» فيقول: قوله: «إلا ابتغاء رضوان الله» فيه أوجه، أحدها: أنه استثناء

---

(١) الدر المصون ٧/ ٨.
(٢) الدر المصون ٧/ ١٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٤) الدر المصون ٦/ ١٢٨.
(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

متصل مما هو مفعول من أجله. والمعنى: ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله، ويكون «كتب» بمعنى قضىٰ، فصار: كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله، وهذا قول مجاهد. والثاني: أنه منقطع. قال الزمخشري: ـ ولم يذكر غيره ـ، أي: ولكنهم ابتدعوها. وإلى هذا ذهب قتادة وجماعة، قالوا: معناه لم يُفْرِضها عليهم ولكنهم ابتدعوها»[1].

* ويختلف القائل لقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[2] حسب اختلاف إعراب الجملة.

قال السمين: «وهاتان الجملتان لا محل لهما لأنهما كالبيان للجملتين المصدرتين بـ «أما»[3] وهما من كلام الله. وقيل: في محل نصب، لأنهما صفتان لمثلاً، أي مثلاً يفرق الناس به إلى ضلال ومهتدين وهما على هذا من كلام الكفار»[4].

ب ـ أثر اختلاف الإعراب في الحكم الفقهي:

يؤثر اختلاف الإعراب على الحكم الفقهي، ويشير السمين إلى ذلك إشارات يسيرة، لعدم عنايته بالأحكام الفقهية في الدر، بل يصرح أنه لم يذكر الحكم الفقهي إلا لارتباط الإعراب به.

ومن تلك الإشارات التي أوردها:

عند قوله تعالى: «إلا الذين تابوا» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾[5].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٢٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

(٤) الدر المصون ١/ ٢٣٢.

(٥) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

قال السمين: «قوله: «إلا الذين تابوا» في هذا الاستثناء خلاف: هل يعود لما تقدمه من الجمل أم إلى الجملة الأخيرة فقط؟ وتكلم عليها من النحاة ابن مالك[1] والمهاباذي[2]. فاختار ابن مالك عوده إلى الجملة المتقدمة والمهاباذي إلى الأخيرة. وقال الزمخشري: «ردّ شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة[3] رحمه الله باستيفاء الحد. فإذا شهد به قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته. فإذا استوفى لم تقبل شهادته ابداً، وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعي[4] رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف. فإذا تاب عن القذف بأن يرجع عنه عاد مقبول الشهادة. وكلاهما متمسك بالآية: فأبوحنيفة ـ رحمه الله ـ جعل جزاء الشرط ـ الذي هو الرمي ـ الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد، وكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم.

وجعل قوله: «وأولئك هم الفاسقون» كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية. و«إلا الذين تابوا» استثناء من «الفاسقين». ويدل عليه قوله: «فإن الله غفور رحيم».

والشافعي ـ رحمه الله ـ جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً، غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف، وجعل الاستثناء بالجملة الثانية متعلقاً» انتهى. وإنما ذكرت الحكم؛ لأن الإعراب متوقف عليه»[5].

---

(١) محمد بن عبدالله بن مالك. إمام النحاة، وحافظ اللغة. من تصانيفه: الألفية في النحو وشرح التسهيل وغيرها. توفي سنة ٦٧٢هـ. (البغية ١/ ١٣٠).

(٢) أحمد عبدالله المهاباذي النحوي. من تلاميذ الجرجاني له «شرح اللُمع» (البغية ١/ ٣٢٠).

(٣) الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي. كان عالماً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقيًا. وكان إماماً في القياس. توفي سنة ١٥٠هـ. (وفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥).

(٤) الإمام محمد بن إدريس الشافعي ولد سنة ١٥٠هـ. لازم الإمام مالكاً مدة، وكان أول من صنف في أبواب كثيرة من الفقه معروفة. وهو فقيه، أصولي، مشهور. توفي سنة ٢٠٤هـ (طبقات الشافعية للأسنوي ١/ ١١).

(٥) الدر المصون ٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

ويتضح من هذا المثال أن همَّ السمين في كتابه «الدر» هو الإعراب ولذا فهو لا يتعرض لغيره من العلوم إلا ما يخدمه. ورأينا هنا كيف فصّل في هذه المسألة الفقهية وذلك لتعلق الإعراب بها.

جـ ـ أثر اختلاف الإعراب في المسائل العقدية:

ويؤثر الاختلاف في الإعراب في المعنى العقدي، فعند إعراب كلمة «كل» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] يختلف المعنى اختلافاً كلياً. فبرفع «كل» يكون المعنى: أن يكون الشيء الذي ليس مخلوقاً لله تعالى لا بقدر وهذا مذهب المعتزلة.

ولذا فيجب نصب «كل» ليكون المعنى كما هو مذهب أهل السنة أن كل شيء خلقه الله هو بقدره.

قال السمين: «العامة على نصب «كل» على الاشتغال، وأبوالسمّال[2] بالرفع. وقد رجح الناس، بل بعضهم أوجب النصب قال: لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة. وذلك أنه إذا رفع «كل شيء» كان مبتدأ و«خلقناه» صفة لكل أو لشيء. و«بقدر» خبره. وحينئذٍ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله فيلزم أن يكون الشيء الذي ليس مخلوقاً لله تعالى لا بقدر، كذا قدره بعضهم.

ثم قال بعد ذلك: وقد تنازع أهل السنة والقدرية الاستدلال بهذه الآية: فأهل السنة يقولون: كل شيء مخلوق لله تعالى بقدر، ودليلهم قراءة النصب لأنه لا يفسر في هذا التركيب إلا ما يصح أن يكون خبراً لو رفع الأول على الابتداء.

وقال القدرية: القراءة برفع «كل» و«خلقناه» في موضع الصفة لـ «كل» أي: إن أمرنا أو شأننا: كل شيء خلقناه فهو بقدر أو بمقدار وعلى حد ما في هيئته

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٠٠.

وزمنه»[1].

أثر الإعراب في الوقف:

يتأثر الوقف تأثراً كبيراً بالإعراب، فقد يُمنع الوقف على الكلمة بسبب الإعراب. وقد يكون بالوقف تارة تاماً، وتارة حسناً، وتارة قبيحاً، تبعاً للإعراب. وقد اهتم السمين بإظهار أثر الإعراب في الوقف.

ومن أمثلة ذلك: عند بيان متعلق قوله «يوم القيامة» في قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾[2].

قال: «قوله: «يوم القيامة» يجوز فيه وجهان: أحدهما: أن يتعلق بما قبله. أي: لن تنفعكم يوم القيامة. فيوقف عليه ويبتدأ «يفصل بينكم». والثاني: أن يتعلق بما بعده. أي: يفصل بينكم يوم القيامة. ويوقف على «أولادكم» ويبتدأ «يوم القيامة»»[3].

وعند قوله تعالى: «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل» في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾[4].

قال: «قوله: «ومثلهم في الإنجيل» يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ وخبره «كزرع» فيوقف على قوله: «في التوراة» فهما مثلان. وإليه ذهب ابن عباس. والثاني: أنه معطوف على «مثلهم» الأول، فيكون مثلاً واحداً في الكتابين ويوقف حينئذٍ على «الإنجيل». وإليه نحا مجاهد والفراء»[5].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ١٤٦ـ١٤٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٣.

(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٠٢ ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١١١، ٤/ ٥٥٠، ٦/ ٥٥٥، ٨/ ٦٩١، ٩/ ٦٠٢، ١٠/ ٣٦٧، ٦٨٦).

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٥) الدر المصون ٩/ ٧٢٢.

ويؤثر الإعراب على نوع الوقف. من حيث هل هو تام أوغير تام؟.

ومثال ذلك: عند بيان إعراب قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[1] قال: «في نصب «فريقاً» وجهان، أحدهما: أنه منصوب بهدى بعده، وفريقاً الثاني منصوب بإضمار فعل يفسره قوله: «حق عليهم الضلالة» من حيث المعنى والتقدير: وأضل فريقاً حق عليهم. والجملتان الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل «بدأكم» أي: بدأكم حال كونه هادياً فريقاً ومضلاً آخر. ويجوز على هذا الوجه ـ أيضاً ـ أن تكون الجملتان الفعليتان مستأنفتين. فالوقف على «يعودون» على هذا الإعراب تام بخلاف ما إذا جعلهما حالين. فالوقف على قول «الضلالة»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[3] قال: قوله: «هذا ما وعد الرحمن» في «هذا» وجهان: أظهرهما: «أنه مبتدأ وما بعده خبره. ويكون الوقف تاماً على قوله: «من مرقدنا». والثاني: «هذا» صفة لمرقدنا، و«ما وعد» منقطع عما قبله»[4].

وعند قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5] قال: «الظاهر أن هاتين الجملتين ـ يعني قوله: «أبى واستكبر» ـ استئنافيتان جواباً لمن قال: فما فعل؟ والوقف على قوله «إلا إبليس» تام. وقال أبوالبقاء: «في موضع نصب على الحال من إبليس تقديره: ترك السجود كارهاً ومستكبراً عنه. فالوقف عنده على «واستكبر»[6].

وعند قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.
(٢) الدر المصون ٥/ ٢٩٩.
(٣) سورة يس، الآية: ٥٢.
(٤) الدر المصون ٩/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٦) الدر المصون ١/ ٢٧٦.

ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1].

بيّن أنَّ في إعراب قوله «يوم تقوم» ثلاثة أوجه، يكون الوقف تاماً على وجهين فقال: «فيه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه معمول لقول مضمر، وذلك القول المضمر محكيّ به الجملة الأمرية من قوله «أدخلوا» والتقدير: ويقال له يوم تقوم الساعة: ادْخِلوا. الثاني: أنه منصوب بأدْخِلوا أي: أدخلوا يوم تقوم.

وعلى هذين الوجهين: فالوقف تام على قوله «وعشياً». والثالث: أنه معطوف على الظرفين قبله، فيكون معمولاً لـ «يعرضون» فالوقف على هذا على قوله «الساعة». و«أدخلوا» معمول لقول مضمر أي: يقال لهم كذا وكذا»[2].

يتضح مما سبق أن الوقف اختلف حسب اختلاف الإعراب وبالتالي اختلف المعنى أيضاً. فيكون الوقف تاماً على «عشياً» إذا أعربنا «يوم تقوم» معمولاً لقول مضمر تقديره «أدخلوا» أو منصوباً بأدْخلوا. ويكون المعنى كالتالي: أن آل فرعون يعرضون على النار بالغداة والعشي. ويبدأ بعده جملة جديدة من قوله «يوم تقوم الساعة»[3].

ويكون الوقف تاماً على «الساعة» إذا أعربنا «يوم تقوم» معمولاً لـ «يعرضون» فيكون المعنى: آل فرعون يعرضون على النار بالغداة والعشي ويوم القيامة أيضاً.

وقد يردُّ السمين بعض الأوجه الإعرابية، ويمنع ـ بناء على ذلك ـ الوقف على موضع ما لارتباط الوقف بالإعراب.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[4]. قال: «قوله «كذلك» فيه وجهان: أظهرهما: أنه متعلق بما قبله. أي: مختلف اختلافاً مثل الاختلاف في

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) الدر المصون ٩/ ٤٨٥.

(٣) والآية بهذا الإعراب يُستدل بها على إثبات عذاب القبر.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

الثمرات والجدد. والوقف على ذلك. والثاني: أنه متعلق بما بعده. والمعنى: مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله تعالى واختلاف ألوانها يخشى الله العلماء. وإلى هذا نحا ابن عطية وهو فاسد من حيث إن ما بعد «إنما» مانع من العمل فيها قبلها. ـ فكأن السمين هنا لفساد هذا الوجه يمنع الوقف على «ألوانه» ـ.

قال: وقد نص أبوعمرو الداني على أن الوقف على «لذلك» تام، ولم يحك فيه خلافاً»[1].

وقد يمنع السمين الوقف على كلمة لما في ذلك من مخالفة للصناعة النحوية.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] فقد رُسِمَت «يؤت» دون ياء وهو مضارع مرفوع فحق يائه أن تثبت خطاً ولفظاً إلا أنها حذفت لفظاً في الوصل لالتقاء الساكنين فجاء الرسم تابعاً للفظ. فيحصل الإشكال إذا وقفنا بالياء؛ لمخالفته للرسم، وإذا وقفنا بغير هاء السكت لمخالفته للصناعة النحوية، إذ أن النحاة يقولون: إذا حذف من الفعل شيء حتى إذا لم يبق منه إلا حرف واحد ووقف عليه وجب الإتيان بهاء السكت في آخره.

قال السمين: إذا تقرر هذا فنقول: ينبغي ألا يوقف عليه؛ لأنه إن وقف بغير هاء السكت خالف الصناعة النحوية...»[3].

وقد يكتفي السمين بالإشارة إلى أحكام الوقف المترتبة على اختلاف الإعراب من غير تفصيل لوضوح ذلك.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4] بيّن أن الناصب لـ «أربعين سنة» فيه وجهان، إما أن يكون: محرمة وعليه فإن دخلوهم كان محرماً هذه المدة فقط. أو يكون الناصب «يتيهون» وعليه

---

(١) الدر المصون ٩/ ٢٣١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٣) الدر المصون ٤/ ١٣٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

فإن دخولها محرم عليه. والمدة المذكورة هي للتيه.

ثم قال: وجواز الوقف والابتداء بقوله: «عليهم» و «يتيهون». مفهومان مما تقدم من الإعراب»[1].

وتوضيح ذلك: أنه على الإعراب الأول يكون الوقف على «أربعين سنة» ويبتدأ بقوله: «يتيهون»، وعلى الإعراب الثاني يكون الوقف على «عليهم» ويبتدأ بقوله: «اربعين سنة».

٢ ـ أثر المعنى في الإعراب:

ويتأثر الإعراب باختلاف المعنى تأثراً كبيراً حتى إنك قد لا تفهم الإعراب إلا بعد فهم المعنى يقول السمين مؤكداً على أهمية المعنى وأثره في الإعراب «لأنه بفهم المعنى يفهم الإعراب»[2] وقد أكد ذلك أيضاً في عدة مواطن من كتابه منها:

عند قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾[3].

قال: «اختلف الناس في هذه الآية اختلافاً كثيراً واضطربوا اضطراباً شديداً وأنا بعون الله قد لخصت أقوالهم مهذبة، ولا سبيل إلى معرفة الإعراب إلا بعد معرفة المعنى المذكور في هذه الآية.

وقد اختلفوا في ذلك: فمنهم من قال: معناها أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق. ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به. ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به. فهذه أربعة أقوال.

ثم ذكر بعد ذلك الإعراب على كل قولٍ فقال: فعلى القول الأول: يكون

---

(١) الدر المصون ٤/ ٢٣٦.

وانظر مثالاً آخر: عند إعراب «طاعة» في قوله تعالى في سورة محمد آية: ٢١: ﴿طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم» (٩/ ٧٠٠).

(٢) الدر المصون ٦/ ٣٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

التقدير: ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم كمثل الرعاة يُكلِّمون البُهْم، والبهم لا تعقل شيئاً».

وعلى القول الثاني قيل معناه: ومثل الذين كفروا في دعائهم إلى الله تعالى وعدم سماعهم إياه كمثل بهائم الذي ينعق، فهو على حذف قيد في الأول، وحذف مضاف في الثاني.

وأما على القول الثالث فتقديره: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الناعق بغنمه، في كون الكافر لا يفهم مما يخاطب به داعيه إلا دويّ الصوت دون إلقاء فكر وذهن، كما أن البهيمة كذلك. فالكلام على حذف مضاف من الأول. وأما على القول الرابع ـ وهو اختيار سيبويه في هذه الآية ـ وتقديره عنده: مثلك يامحمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به» واختلف الناس في فهم كلام سيبويه، فقائل هو تفسير معنى، وقيل: تفسير إعراب فيكون في الكلام حذفان: حذف من الأول وهو حذف «داعيهم» وقد أثبت نظيره في الثاني، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق. . . »[1].

ومثال آخر: يظهر فيه ترتب الإعراب على المعنى:

عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2] قال: «هل هو من كلام إبراهيم أو من كلام قومه أو من كلام الله تعالى؟ ثلاثة أقوال للعلماء وعليها يترتب الإعراب، فإن قلنا: إنها من كلام إبراهيم جواباً عن السؤال في قوله: «فأي الفريقين» وكذا إن قلنا: إنها من كلام قومه وأنهم أجابوا بما هو حجة عليهم، كأن الموصول خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين آمنوا وإن جعلناه من كلام الله تعالى وأنه أمر نبيه بأن يجيب به السؤال المتقدم فكذلك أيضاً، وإن جعلناه لمجرد الإخبار من الباري تعالى كان الموصول مبتدأ وفي خبره أوجه أحدها: أنه الجملة بعده فإن «أولئك» مبتدأ ثان، و«الأمن» مبتدأ ثالث، و«لهم» خبره، والجملة خبر «أولئك»

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

و«أولئك» وخبره خبر الأول»[1].

ومثال آخر يبين أن الإعراب متوقف على المعنى:

عند إعرابه لقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]. قال السمين: «الكلام على هذه الآية فيه صعوبة وإشكال فيحتاج من أجل ذلك إلى بسط في العبارة، ولنبدأ أولاً بضبط قراءاتها وتفسير معناها فإن الإعراب متوقف على ذلك».

ثم ذكر القراءات الواردة في الآية وتفسير معناها ثم شرع في بيان إعرابها بناء على ذلك فقال: «إذا عرفت جميع ما تقدم ففي إعراب هذه الآية أوجه...» ثم ذكرها[3].

وترى السمين يبين أثر المعنى في الإعراب دون أن يشير إلى ذلك إشارة واضحة ـ أحياناً ـ.

ومن أمثلة ذلك: عند إعراب «ماذا يرجعون» في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[4] قال: «قوله «ماذا يرجعون» إن جعلنا «انظر» بمعنى تأمل وتفكر كانت «ما» استفهامية. وفيها حينئذٍ وجهان، أحدهما: أن تجعل مع «ذا» بمنزلة اسم واحد، وتكون مفعولة بـ «يرجعون» تقديره: أي شيء يرجعون. والثاني: أن تجعل «ما» مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي و«يرجعون» صلتها، وعائدها محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه وهذا الموصول هو خبر «ما» الاستفهامية، وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لـ «انظر» فمحلها النصب على إسقاط الخافض أي: انظر في كذا وفكّر فيه، وإن

---

(١) الدر المصون ٥/ ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٣) راجع تلك الأوجه في الدر المصون ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
وانظر: مثالاً آخر عند إعرابه لقوله ﴿وإن كان رجلاً يورث كلالة﴾ فقد بيَّن أن الإعراب متوقف على بيان المعنى والاشتقاق ٣/ ٦٠٦.

(٤) سورة النمل، الآية: ٢٨.

جعلنا «بمعنى انتظر من قوله: «انظرونا نقتبس من نوركم» كانت «ماذا» بمعنى الذي، ويرجعون» صلة، والعائد مقدر كما مرّ تقريره. وهذا الموصول مفعول به أي: انتظر الذي يرجعونه»[1].

فذكر السمين في هذا المثال أن إعراب «فانظر ماذا يرجعون» يختلف باختلاف معنى كلمة «انظر» هل هو من التأمل والتفكر، أو من الانتظار.

(١) الدر المصون ٨/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

المبحث الثالث

منهجه في بيان الأسلوب القرآني

وفيه: تمهيد وستة مطالب هي:

المطلب الأول: **عنايته بعلم البيان.**

المطلب الثاني: **عنايته بعلم المعاني.**

المطلب الثالث: **عنايته بعلم البديع.**

المطلب الرابع: **إبرازه بلاغة الأسلوب القرآني في الترتيب.**

المطلب الخامس: **اهتمامه ببيان دقة القرآن في التعبير واختيار الألفاظ والجُمل.**

المطلب السادس: **إبرازه بلاغة المتشابه القرآني.**

تمهيد

طريقته في عرض المباحث والإشارات البلاغية:

تميز السمين في عرضه للمباحث والإشارات البلاغية بعدة مميزات إذ كان يهتم بعد ذكره الإشارة البلاغية بتعريفها، وبيان النوع الذي تندرج تحته، والاستشهاد عليها بشواهد أخرى من القرآن والشعر.

وسوف أذكر هنا طريقته في عرض المباحث البلاغية مع أمثلتها:

١ ـ التعريف الموجز للإشارة البلاغية:

من عادة السمين أنه إذا ذكر الإشارة البلاغية فإنه يُعرف بها ـ غالباً ـ ويذكر المقصود بها في اصطلاح البلاغيين ـ بإجمال ـ. ويبين في بعض الأحيان من أيّ أنواع البلاغة.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند بيان الطباق في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣﴾[(١)].

قال: «قوله: ﴿أضحك وأبكى﴾ وما بعده، هذا ما يسميه البيانيون: الطباق والتضاد، وهو نوع من البديع وهو: أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه»[(٢)].

٢ ـ عند بيان التتميم في قوله تعالى: ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾[(٣)].

قال: «وفي هذه الآية: التتميم وهو نوع من علم البديع وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى لرفع اللبس وتقربها من الفهم. وذلك أن العزة تكون

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٣.

(٢) الدر المصون ١٠/ ١٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

مذمومة ومحمودة. فمن مجيئها محمودة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]»[3].

ويزيد السمين في بيان الإشارة البلاغية وتوضيحها بذكر شواهد من القرآن والشعر.

فعند بيانه للتجنيس الذي في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]. يقول: «يُسمى في البديع «تجنيس التصحيف» وتجنيس الخط، وهذا من أحسنه. وقال البحتري[5]:

ولم يكُنِ المغترُّ باللهِ إذْ شَرَى ليُعجَز «والمُعتزُّ باللهِ» طالِبُه

فالأول من الغرور، والثاني من العزّ.

ومن أحسن ما جاء في تجنيس التصحيف قوله[6]:

سَقَيْنَنـــي رِيِّـــي وغنَّيننـــي بحْتُ بحُبِّي حين بِنَّ الخُرُدْ

يُصحف بنحو:

شَقَيْتنـــي ربـــي وعَنَّيتِنـــيْ بحُبِّ يحيى خَتَنِ ابن الجُرُدْ[7]

وعند قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم

---

(١) سورة المنافقين، الآية: ٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) الدر المصون ٢/ ٣٥٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٥) وهو: الوليد بن عبيد الطائي. أبوعبادة البحتري. شاعر كبير، يقال لشعره: سلاسل الذهب. توفي سنة ٢٨٤هـ. (الأعلام/ ١٢١).
والبيت في ديوانه (١/ ٢١٥). وشرى: أي: بالغ ولجّ.

(٦) لم أهتد إلى قائله وهو في البحر ٦/ ١٥٨. ومعنى غنيتني: أي صار غنياً. والخرد: المرأة الحيية. والختن: زوج الأخت.

(٧) الدر المصون ٧/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

بِخَلَٰقِهِمْ﴾[1].

قال: «وفي قوله: ﴿كما استمتع الذين﴾ إيقاع للظاهر موقع المضمر لنكتة: وهو أن الأصل: فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم، فأبرزهم بصورة الظاهر تحقيراً لهم كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾، وكقوله قبل ذلك: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وهذا كما يدل بإيقاع الظاهر موقع المضمر على التفخيم والتعظيم يدل على عكسه وهو التحقير»[2].

٢ ـ ذكر القاعدة التي يندرج تحتها ذلك النوع البلاغي:

ويتعرض السمين لبيان النوع البلاغي وأقسامه وقاعدته ـ أحياناً ـ ومن ذلك:

أ ـ عند بيانه للتشبيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

قال: «هذه الجملة سيقت لتشبيه الدنيا بنبات الأرض، وقد شرح الله تعالى وجه التشبيه بما ذكر. قال الزمخشري: «هذا من التشبيه المركب...» ثم بين السمين أنواع التشبيه المركب. فقال: التشبيه المركب في اصطلاح البيانين: إما أن يكون طرفاه مركبين. أي: تشبيه مركب بمركب كقول بشار بن برد[4]:

كأن مُثارَ النَّقعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكِبُهْ

وذلك أنه يشبه الهيئة الحاصلة من هويّ أجرام مشرقة ومستطيلة متناسبة المقدار في جوانب شيء مظلم بليل سقطت كواكبه. وإما أن يكون طرفاه

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٩.
(٢) الدر المصون ٦/ ٥٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.
(٤) سبق تخريجه ص٩١.

مختلفين بالإفراد والتركيب. وإلى هنا ويُحِسّ السمين بأنه استطرد استطراداً مكانه غير هذا المكان فيقول: «وتقسيماته في غير هذا الموضع»[1].

ب ـ وعند بيان المقابلة في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ﴾[2].

قال: «. . . وإنما قدم المؤمنين لمجاورتهم قوله: ﴿والبصير﴾ وأعلم أن التقابل يجيء على ثلاث طرق، أحدها: أن يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾[3]. والثالثة: أن يقدم مقابل الأول، ويؤخر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾[4] وكل ذلك تفنن في البلاغة. . .»[5].

جـ ـ وعند بيان نوع الخبر في قوله: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[6] ذكر أضرب الخبر فقال: «قال أهل البيان: الأخبار ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري، فالأول يقال لمن لم يتردد في نسبه أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زيد عارف، والثاني لمن هو متردد في ذلك، طالب له منكر له بعض إنكار، فيقال له: إن زيداً عارف، والثالث لمن يبالغ في إنكاره، فيقال له: إن زيداً لعارف»[7].

٣ ـ الاكتفاء بالإشارة على سبيل الإيجاز لبعض المعاني البلاغية أحياناً.

وقد يكتفي السمين بالإشارة الموجزة إلى بعض المعاني البلاغية لما يرى من وضوحها لمن تأملها.

---

(١) الدر المصون ٦/ ١٧٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٥٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٢٤.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١٩.
(٥) الدر المصون ٩/ ٤٩٣.
(٦) سورة يس، الآية: ١٦.
(٧) الدر المصون ٩/ ٢٥١.

ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[1]. قال: «قوله: ﴿كذلك النشور﴾... والتشبيه واضح بليغ»[2].

ولم يفصل في ذكر نوع التشبيه ولا طرفاه ولا أداته لوضوحه كما يقول.

وقد يشير إشارة إلى عدة أنواع من البلاغة من غير ذكرها.

ومثال ذلك أنه بعد أن فسّر قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[3] قال: «وقد اشتملت هذه الآيات من أول السورة إلى ههنا أنواعاً من علم المعاني والبيان من البديع لا تخفي على متأملها»[4]. واكتفى بهذا الرمز إلى عدة إشارات بلاغية في اثنتي عشرة آية.

٤ ـ تدعيم قوله بالنقل عن أئمة البلاغة والمفسرين المعتنين بالبلاغة:

ينقل السمين عن البلاغيين في بيان بعض الإشارات البلاغية ولكنه لا يذكر أسماءهم ولا كتبهم ونقتبس ذلك من قوله: «قال أهل البيان» أو «قال البيانيون» ولا شك أنه اطلع على كتب البلاغة التي سبقته وأفاد منها في هذا الجانب.

وينقل كذلك عن فارس المضمار «الزمخشري»، وكان كثيراً ما يشيد برسوخ قدمه في الجانب البلاغي، ويُعْلي من شأنه فيه. ومن أمثلة ذلك:

عند بيان فائدة التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[5]. قال السمين: «... وتنكير النفس والغد: قال الزمخشري: أما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة، كأنه قيل: فلتنظر نفس واحدة، وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٩.
(٢) الدر المصون ٩/ ٢١٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١.
(٤) الدر المصون ٣/ ٤١.
(٥) سورة الحشر، الآية: ١٨.

لعظمه»[1].

وعند بيان التشبيه الذي في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾[2].

قال: «قال الزمخشري: ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: «من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك: بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختفطته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المتخطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة».

قال السمين: وهذه العبارة من أبي القاسم مما ينشطك إلى تعلم علم البيان فإنها في غاية البلاغة»[3].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٢٩٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٣) الدر المصون ٨/ ٢٧١.

المطلب الأول
عنايته بعلم البيان

تعريف علم البيان:

يقول القزويني[1]: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[2].

وقد تعرض السمين لعدة أنواع من علم البيان أبرزها:

١ ـ التشبيه.

٢ ـ الاستعارة.

٣ ـ الكناية. ويدخلان تحت المجاز.

١ ـ التشـــبيه:

تعريفه: لغة: مصدر شبهته بكذا إذا جمعت بينهما بوصف جامع.

واصطلاحاً: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوها لاعلى وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد[3].

صور التشبيه:

أ ـ باعتبار الطرفين:

١ ـ من حيث الإفراد والتركيب.

ذكر السمين تشبيه المفرد بالمفرد، والمتعدد والمركب.

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن عمر أبوالمعالي قاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي. ولد سنة ٦٦٦هـ، اشتغل بالفقه، واتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان. من تصانيفه: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وإيضاح التلخيص. توفي سنة ٧٣٩هـ (بغية الوعاة ١/ ١٥٦).

(٢) التلخيص لعلوم البلاغة ص٢٣٥.

(٣) انظر: بغية الإيضاح لعبدالمتعال الصعيدي ٣/ ٧.

ومن أمثلة التشبيه المركب:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾[1].

يقول السمين في بيان هذا التشبيه: «هذه الجملة سيقت لتشبيه الدنيا بنبات الأرض، وقد شرح الله تعالى وجه التشبيه بما ذكر. قال الزمخشري: «هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاتف وزين الأرض بخضرته ورفيفه»[2].

ومن التشبيه المفرد:

عند قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[3].

ذكر أقوال العلماء في هذا التشبيه فقال: «فمنهم من قال: معناها أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق. ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به»[4].

ومن التشبيه المتعدد:

قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾[5]. قال السمين: «وقوله: مثل الفريقين كالأعمى، يجوز أن يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين فقابل العمى بالبصر، والصم بالسمع، وهو من الطباق، وأن يكون من تشبيه شيء واحد بوصفيه بشيء واحد بوصفيه وحينئذٍ يكون قوله:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.
(٢) الدر المصون ٦/ ١٧٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.
(٤) الدر المصون ٢/ ٢٢٩.
(٥) سورة هود، الآية: ٢٤.

كالأعمى والأصم، وقوله: «والبصير والسميع» من باب عطف الصفات»[1].

ومن أنواع التشبيه التي ذكرها: التشبيه المقلوب.

عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[2]. قال: وقد جعلوا الربا أصلاً والبيع فرعاً حتى شبهوه به.

قال الزمخشري: «فإن قلت: هلاّ قيل: إنما الربا مثل البيع، لأن الكلام في الربا لا في البيع. قلت: جيء به على طريقة المبالغة، وهو أنهم قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل، حتى شبهوا به البيع».

قال السمين عن هذا التشبيه المقلوب: وهو باب في البلاغة مشهور، وهو أعلى رتب التشبيه، ومنه قوله[3]:

ورَمْلٍ كأوراكِ العذارىٰ قَطَعْتُهُ[4]

ب ـ وتعرض السمين لصور التشبيه باعتبار الوجه.

أ ـ تمثيلي وغير تمثيلي:

فمن التمثيلي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[5].

قال السمين: «.. والسراب: ما يتراءى للإنسان في القفر في شدة الحر مما يشبه الماء. وقيل: ما يتكاثف في قعور القيعان.. يضرب به المثل لمن يظن بشيء خيراً فيخلف. وقيل: هو الشعاع الذي يرمي به نصف النهار في شدة الحر، يخيل

---

(١) الدر المصون ٢/ ٦٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٣) البيت لذي الرّمة، وعجزه: «إذا جلّلتهُ المظلمات الحنادس» وهو في ديوانه (٢/ ١١٣١). ومعنى: «كأوراك العذارىٰ» قال الأصمعي: له حِقْفٌ أي: منعطف، وقيل: شُبه به في بياضه ولينه. والحنادس: الشديدة السواد.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦٣٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٩.

للناظر أنه الماء السارب أي الجاري»[1].

ومن غير التمثيلي:

١ ـ المفرد.

٢ ـ المتعدد.

١ ـ فمن المفرد: قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[2].

قال السمين: «فهي مثل الحجارة أو أشد، على رفع أشد. وعلى النصب: فهي كالحجارة أو أشد منها»[3].

٢ ـ ومن المتعدد: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ﴾[4]. قال: «... «وأمثالكم» صفة لأُمم، يعني أمثالهم في الأرزاق والآجال والموت والحياة والحشر والاقتصاص لمظلومها من ظالمها، وقيل: في معرفة الله وعبادته»[5].

ب ـ حسّي وغير حسّي:

١ ـ محسوس بمحسوس: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[6].

قال السمين: «... والبيض جمع بيضة وهو معروف. والمراد به هنا بيض النعام. والمكنون المصون... والعرب تشبه المرأة بها في لونها، وهو بياض مُشْرَبٌ بعض صفرة. والعرب تحبّه...

وقال بعضهم: «إنما شبهت المرأة بها في بعض أجزائها، فإن البيضة من أي جهة أتيتها كانت في رأي العين مشبهة للأخرى وهو في غاية

---

(١) الدر المصون ٨/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٣) الدر المصون ١/ ٤٣٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٥) الدر المصون ٤/ ٦١٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٤٩.

المدح»[1].

٢ ـ **محسوس بمعقول**: ومثال ذلك: قراءة ابن وثاب «سناءُ بُرَقِه» بالمد في «سناء» وذلك في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[2] حيث قال: «فأما قراءة المدّ فإنه شبّه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهواء بغير المحسوس من الإنسان»[3].

٣ ـ **معقول بمحسوس**: قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ﴾[4]. قال السمين: «.. فإن قلت: لم قدم تشبيه الكافر على المؤمن؟ أُجيب بأن المتقدم ذكر الكفار فلذلك قدم تمثيلهم. فإن قيل: ما الحكمة في العدول عن هذا التركيب لو قيل: كالأعمى والبصير والأصم والسميع لتتقابل كل لفظة مع ضدها، ويظهر بذلك التضاد؟ أُجيب: بأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد الأذن، ولما ذكر انفتاح العين أتبعه بانفتاح الأذن، وهذا التشبيه أحد الأقسام وهو تشبيه أمر معقول بأمر محسوس: وذلك أنه شبه عمى البصيرة وصممها بعمى البصر وصمم السمع، ذاك متردد في ظلم الضلالات، كما أن هذا متحير في الطرقات. وهذه فوائد علم البيان»[5].

٤ ـ **معقول بمعقول**: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[6].

قال السمين: «والإشارة بـ«ذلك» إلى التفصيل السابق، تقديره: مثل ذلك في

---

(١) الدر المصون ٩/ ٣٠٧ـ٣٠٨.
(٢) سورة النور، الآية: ٤٣.
(٣) الدر المصون ٨/ ٤٢٣ـ٤٢٤.
(٤) سورة هود، الآية: ٢٤.
(٥) الدر المصون ٦/ ٣٠٧ـ٣٠٨.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

التفصيل البين، وهو ما سبق من أحوال الأُمم نفصل آيات القرآن[1].

حديث السمين عن بلاغة التشبيه:

تحدث السمين عن بلاغة التشبيه وأثره في أداء المعنى وتوضيحه، وقارن بينه وبين الاستعارة وتوصل إلى أن التشبيه أبلغ من الاستعارة. وقد أكد ذلك عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[2] فقال: «وهذا من أحسن التشبيهات حيث شبه بياض النهار بخيط أبيض، وسواد الليل بخيط أسود. . وهذا النوع من باب التشبيه[3] لا من الاستعارة، لأن الاستعارة هي أن يطوي فيها ذكر المشبه، وهنا قد ذكر وهو قوله «من الفجر» ونظيره قولك: رأيت أسداً من زيد. لو لم تذكر: «من زيد» لكان استعارة. ولكن التشبيه هنا أبلغ، لأن الاستعارة لابد فيها من دلالة حالية، وهنا ليس ثم دلالة، ولذلك مكث بعض الصحابة يحمل ذلك على الحقيقة مدة، حتى نزل «من الفجر» فتركت الاستعارة وإن كانت أبلغ لما ذكرت لك»[4].

ويتبين لنا بعد هذا العرض الموجز لصور التشبيه باعتبار الطرفين والوجه وذكر بعض أمثلتها التي وردت عند السمين سعة علمه بهذا النوع البلاغي الهام وكثرة وقفاته مع التشبيه في «الدر المصون» مما يجعله مصدراً هاماً في هذا الباب في البلاغة القرآنية.

---

(١) الدر المصون ٤/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) سقط هنا من المطبوع كلمة «لا» وقد أثبتُّها من نسخة الدكتور الخراط المعدّلة والتي يُعدها الآن للطباعة.

(٤) الدر المصون ٢/ ٢٩٧.

المجـــاز

تمهيد: حول آراء العلماء في وقوع المجاز في القرآن الكريم.

مسألة وجود المجاز في القرآن من المسائل الهامة التي خاض الناس فيها قديماً وحديثاً ما بين مثبت ومنكر[1]. وكان الخلاف فيها على ثلاث فئات:

١ ـ الفريق الأول قالوا: بوقوعه في اللغة والقرآن وفي الأحاديث. وهذا هو مذهب الجمهور، والعامة، ومن أشهر من قال به: الآمدي[2] صاحب «الإحكام في أصول الأحكام»، والزمخشري، والفخر الرازي، وابن حجر العسقلاني وذلك في كتابه «غراس الأساس» حيث جمع فيه المجازات الواردة في «أساس البلاغة» مع إسقاطه لبعضها، وزيادة مجازات أخرى.

ومن المتأخرين: الشوكاني[3] فقد قال في كتابه «إرشاد الفحول»: «المجاز واقع في لغة العرب عند جمهور أهل العلم، وخالف في ذلك أبوإسحاق الاسفرائيني[4]، وهذا يدل على عدم اطلاعه على لغة العرب، وينادى بأعلى

---

(١) نالت هذه المسألة اهتمام العلماء قديماً وألفوا فيها مؤلفات مستقلة سأذكرها بعد قليل، وكذلك في العصر الحديث اهتم بها الدارسون والباحثون فألفوا فيها مؤلفات مستقلة منها: ١ ـ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز من تأليف العلامة محمد الأمين الشنقيطي. ٢ ـ وكتاب المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع للدكتور/ عبدالعظيم المطعني. ٣ ـ وكتاب بطلان المجاز وأثره في إفساد التصور وتعطيل نصوص الكتاب والسنة لمصطفى عيد الصياصنة.

(٢) سيف الدين أبوالحسن علي بن أبي علي الآمدي. ولد سنة ٥٥١هـ بآمد، وقرأ القرآن بها، تصدر للإقراء بمصر مدة، وتولى التدريس بالعزيزية في الشام. من تصانيفه: الإحكام في أصول الأحكام. توفي سنة ٦٣١هـ. (طبقات الشافعية للأسنوي ١/ ١٣٧).

(٣) محمد بن علي الشوكاني. الفقيه الأصولي، المفسر، تولى قضاء صنعاء، نبذ التقليد ودعى للاجتهاد. من تصانيفه: إرشاد الفحول، ونيل الأوطار. توفى سنة ١٢٥٠هـ. حدائق الزهر في معرفة أعيان أشياخ الدهر للحسن أحمد عاكش ص ( ) والأعلام ٦/ ٢٩٨.

(٤) أبوحامد أحمد بن محمد الإسْفراييني. ولد سنة ٣٤٤هـ. أقام ببغداد مشغولاً بالعلم حتى فاق أقرانه. وكان يحضر درسه سبعمائة فقيه. توفي سنة ٤٠٦هـ (طبقات الشافعية للأسنوي ١/ ٥٧).

صوت، بأن سبب هذا الخلاف تفريط في الاطلاع عليه من هذه اللغة الشريفة، وما اشتملت عليه من الحقائق والمجازات، التي لا تخفى على من له أدنى معرفة بها، فإن وقوع المجاز وكثرته في اللغة العربية أشهر من نار على علم، وأوضح من شمس النهار.

وكما أن المجاز واقع في لغة العرب فهو أيضاً واقع في الكتاب العزيز عند الجماهير وقوعاً كثيراً، بحيث لا يخفى إلا على من لا يفرق بين الحقيقة والمجاز...»[1].

٢ ـ وفريق ثانٍ أنكر وجود المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم. وعلى رأس هؤلاء أبوإسحاق الإسفراييني وأبوعلي الفارسي. وجاء الإمام ابن تيمية ودرس القضية بعمق، وأثبت عدم وجود المجاز في اللغة «وأن ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً إنما هو أسلوب من أساليب اللغة العربية فمن أساليبها إطلاق الأسد مثلاً على الحيوان المفترس المعروف، وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق، وعدم التقيد بما يدل على أن المراد غيره. ومن أساليبها إطلاقه على الرجل الشاع إذا اقترن بما يدل على ذلك. ولا مانع من كون أحد الإطلاقين لا يحتاج إلى قيد والثاني يحتاج إليه؛ لأن بعض الأساليب يتضح فيها المقصود فلا يحتاج إلى قيد وبعضها لا يتعين المراد فيه إلا بقيد يدل عليه، وكل منهما حقيقة في محله. وقِسْ على هذا جميع أنواع المجازات وعلى هذا، فلا يمكن إثبات مجاز في اللغة العربية أصلاً»[2].

وجاء بعده تلميذه ابن القيم فسمى المجاز بـ «الطاغوت» وعقد له فصلاً في كتابه «الصواعق المرسلة» بعنوان: «فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز»[3]

---

(١) إرشاد الفحول ـ للشوكاني ١/ ١١٥، ١١٦.

(٢) انظر: منع المجاز ـ للشنقيطي ص٣٥.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص (٢٧١).

وقد أبطل وجود المجاز من أكثر من خمسين وجهاً.

٣ ـ وفريق ثالث توسطوا فقالوا بوقوع المجاز في اللغة، ونفيه عن القرآن ومن هؤلاء ابن خويز منداد[١] من المالكية وابن القاص[٢] من الشافعية، وينسب ـ أيضاً ـ هذا المذهب إلى الظاهرية.

هذه لمحة موجزة عن آراء العلماء وموقفهم من قضية المجاز ووقوعها في اللغة والقرآن.

---

(١) محمد بن أحمد بن عبدالله المشهور بابن خويز منداد. له كتاب كبير في الخلاف. وفي أصول الفقه وفي أحكام القرآن. وعنده شواذ عن مالك. (الديباج المذهب ـ ابن فرحون المالكي ٢/ ٢٢٩).

(٢) أحمد بن أبي أحمد الطبري أبوالعباس بن القاص. إمام عصره. صاحب التصانيف المشهورة «التلخيص» و«المفتاح» و«أدب القاضي» كان من أخشع الناس قلباً إذا قصّ. ولذلك سمي القاص. توفي سنة ٣٣٥هـ (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٥٩).

موقف السمين الحلبي من المجاز:

السمين الحلبي من القائلين بوجود المجاز ووقوعه في القرآن، وقد طبق هذا عملياً في كثير من وقفاته البلاغية. وتحدث كثيراً من خلال التطبيق عن المجاز بأنواعه: المجاز المرسل، والاستعارة، والمجاز العقلي. بل عدَّه باباً عظيماً من أبواب البلاغة القرآنية.

ويرى أن عدم القول بالمجاز بالقرآن يُوقع في تعسف في تخريج بعض الآيات قال عند قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾[1] «ونسبة الإرادة إلى الجدار مجاز وهو شائع في القرآن. ومن أنكر المجاز مطلقاً أو في القرآن خاصة تأوّل ذلك على أنه خُلِقَ للجدار حياة وإرادة كالحيوانات. أو أن الإرادة صدرت من الخضر ليحصل له ولموسى من العجب وهو تعسف كبير»[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢) الدر المصون ٧/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

تعريف المجاز وأقسامه:

المجاز في اللغة: على وزن مفعل واشتقاقه من الجواز وهو التعدي من قولهم: جزت موضع كذا إذا تعديته. قال القزويني: وفيه نظر. والظاهر أنه من قولهم: جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي، أي: طريقاً له[1].

قال القزويني: المجاز: مفرد، ومركب.

أما المفرد فهو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته»[2][3].

وينقسم المجاز قسمين: مرسل، واستعارة. وسوف أتحدث عن هذين النوعين وتطبيقات السمين لهما.

المجاز المرسل:

تعريفه:

قال القزويني: هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه[4].

علاقاته:

تحدث السمين عن علاقات كثيرة للمجاز المرسل، منها:

١ ـ السببية:

وقد وردت هذه العلاقة بكثرة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ

---

(١) الإيضاح ـ بشرح عبدالمنعم خفاجي ص٣٩٦.

(٢) المرجع السابق ص٣٩٤.

(٣) قال العلوي: «قد أكثر العلماء فيه الخوض، وأحسن ما قيل فيه: ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقته بين الأول والثاني. (انظر: الطراز ١/ ٦٤).

(٤) الإيضاح ـ بشرح خفاجي ص٣٩٧.

فِرْعَوْنَ﴾[1].

قال السمين: «وهذا خطاب للموجودين في زمن الرسول ﷺ، ولابد من حذف مضاف أي: أنجينا آباءكم، نحو: «حملناكم في الجارية» أو لأن إنجاء الآباء سبب في وجود الأبناء، وأصل الإنجاء والنجاة: الإلقاء على نجوة من الأرض وهي المرتفع منها ليسلم من الآفات، ثم أُطلق الإنجاء على كل فائز وخارج من ضيق إلى سعة وإن لم يلق على نجوة»[2].

٢ ـ المسببية:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[3].

قال: «والخوف هنا بمعنى الخشية، وهو الأصل. وقيل: بمعنى العلم وهو مجاز والعلاقة بينهما: أن الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنه مما يخاف منه، فهو من باب التعبير عن السبب بالمسبب»[4].

٣ ـ الجزئية:

في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[5].

قال السمين: «وقوله: ﴿إنها كلمة﴾ من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل كقوله[6]: أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد يعني قوله[7]:

ألاَ كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ»[8]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

(٢) الدر المصون ١/ ٣٤١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٤) الدر المصون ٢/ ٢٦٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٦) هذا حديث أخرجه مسلم في كتاب الشعر. حديث رقم ٢٢٥٦.

(٧) هذا صدر البيت، وعجزه: وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ، وهو في ديوانه ص٢٥٦.

(٨) الدر المصون ٨/ ٣٦٧.

٤ ـ المحليَّـة :

في قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾[١] . قال : «والنهر دون البحر وفوق الجدول، وهل هو مجرى الماء، أو الماء الجاري نفسه، والأول أظهر. لأنه مشتق من نهرت أي وسعت. . . ، ومنه : النهار لاتساع ضوئه، وإنما أُطلق على الماء مجازاً إطلاقاً للمحل على الحال»[٢] .

٥ ـ الآليـة :

في قوله تعالى : ﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم ﴾[٣] . قال السمين : «ويُعبّر باللسان عن الكلام ؛ لأنه ينشأ منه وفيه»[٤] .

٦ ـ اعتبار ما كان :

في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾[٥] . قال السمين : «أزواجهن مجاز؛ لأنه إن أريد المطلقون فتسميتهم بذلك اعتباراً بما كانوا عليه»[٦] .

٧ ـ اعتبار ما سيكون .

في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾[٧] . قال السمين : «والمراد بالنساء الأطفال، وإنما عبّر عنه بالنساء لمآلهن إلى ذلك»[٨] .

وقد ذكر السمين كثيراً من أنواع هذه العلاقات . . أكتفي بما ذكرته هنا .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥ .
(٢) الدر المصون ١/ ٢١٤ .
(٣) سورة آل عمران، الآية : ٧٨ .
(٤) الدر المصون ٣/ ٢٧١ .
(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٣٢ .
(٦) الدر المصون ٢/ ٤٦٠ .
(٧) سورة البقرة، الآية : ٤٩ .
(٨) الدر المصون ١/ ٣٤٧ .

٢ ـ الاســتعارة:

تعريفها: اختلف العلماء[١] في تعريفها وأنا أذكر هنا تعريف الخطيب القزويني حيث قال: «فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له»[٢].

وقد وردت إشارة عند السمين إلى تعريف الاستعارة حيث قال عند التفريق بين التشبيه والاستعارة: «الاستعارة هي أن يطوي فيها ذكر المُشبّه»[٣]. وهذا التعريف فيه نقص؛ لأنه ينطبق فقط على الاستعارة التصريحية.

وقد تعرض السمين لعدة أنواع من الاستعارة، أذكر طرفاً منها:

أولاً: أقسام الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها:

١ ـ الاستعارة التصريحية:

تعريفها: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

ومن الأمثلة التي ذكرها السمين: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٤].

قال السمين: «وهذه الأشياء جيء بها على سبيل الاستعارة والتمثيل، فالأعمى والبصير، الكافر والمؤمن، والظلمات والنور، الكفر والإيمان، والظل والحرور، الحق والباطل، والأحياء والأموات، لمن دخل في الإسلام ومن لم يدخل فيه»[٥].

---

(١) ذكر د/ بدوي طبانة في «معجم البلاغة العربية» عشرة تعاريف عُرفت بها الاستعارة ص٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٢) انظر: بغية الإيضاح ٣/ ١٠٧.

(٣) انظر: الدر المصون ٢/ ٢٩٧.

(٤) سورة فاطر، الآيات ١٩ ـ ٢٢.

(٥) الدر المصون ٩/ ٢٢٤.

٢ ـ الاستعارة المكنية:

وهي: ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه. ومن الأمثلة التي ذكرها السمين:

عند قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[١].

قال: «هذه استعارة بليغة، قيل: وذلك أن الطائر إذا اراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، وإذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين. قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى جناح الذل؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. . ، والثاني: أن تجعل لذلّة. أو لذلّه جناحا خفيضاً. . . » . . . يعني أنه عبّر عن اللين بالذل ثم استعار له جناحاً، ثم رشح هذه الاستعارة بأن أمره بخفض الجناح. . ومن طريف ما يحيى: أن أبا تمام لما نظم قوله[٣]:

لا تَسْقِني ماءَ المَلام فإنني صبٌّ قد اسْتَعْذَبتَ ماء بكائي

جاءه رجل بقصعة وقال له: أعطني شيئاً من ماء الملام، فقال: حتى تأتيني بريشة من جناح الذل «يريد أن هذا مجازُ استعارة كذاك. . . »[٤].

ثانياً: وتنقسم الاستعارة باعتبار لفظها قسمين:

١ ـ الاستعارة الأصلية: تطلق الاستعارة الأصلية إذا كان المستعار اسم جنس غير مشتق سواء أكان اسم ذات كأسد، أم اسم معنى كالقتل للإذلال. وسواء أكان اسم جنس حقيقة، أم تأويلاً في الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف كحاتم في

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٣) البيت في ديوانه. انظر: ديوانه بشرح الخطيب التبريزي (١/ ٢٢).

(٤) الدر المصون ٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

قولك: رأيت اليوم حاتماً. تريد رجلاً كامل الجود[1].

ومن أمثلتها: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[2].
قال السمين: «والأيمان: جمع يمين، وأصلها العضو، واستُعملت في الحلف مجازاً لما جرت عادة المتعاقدين بتصافح أيمانهم. واشتقاقها من اليُمْن»[3].

٢ ـ الاستعارة التبعية: وهي: التي لا يكون المستعار فيها اسم جنس مشتق فيكون فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً[4].

ومن أمثلتها: عند قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[5] قال: «فذوقوا: من باب الاستعارة، جعل العذاب شيئاً يدرك بحاسة الأكل والذوق تصويراً له بصورة ما يُذاق»[6].

ثالثاً: وتنقسم الاستعارة باعتبار ملاءمتها إلى:

١ ـ الاستعارة المرشحة.

وهي: التي قُرِنت بما يلائم المستعار منه[7] ـ أي المشبه به ـ.
ومن أمثلتها التي ذكرها السمين: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[8].

قال السمين: «الشراء هنا مجاز عن الاستبدال بمعنى أنهم لما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة جعلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثم رشح هذا المجاز بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ فأسند الربح إلى التجارة. والمعنى: فما ربحوا في

---

(١) معجم البلاغة العربية / بدوي طبانة ص٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.
(٣) الدر المصون ٢/ ٤٢٩.
(٤) معجم البلاغة لبدوي طبانة ص١٠٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.
(٦) الدر المصون ٣/ ٣٤٦.
(٧) الإيضاح ـ للخطيب القزويني شرح وتعليق/ محمد عبدالمنعم خفاجي ص٤٣٣ ومعجم البلاغة لطبانة ص٢٥٣ وقد سماها العلوي في الطراز بالموشحة (بالواو) ١/ ٢٣٦.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٦.

تجارتهم . . . »[1] .

٢ ـ الاستعارة المجردة :

وهي : التي قُرنت بما يلائم المستعار له[2] أي المشبه .

ومن أمثلتها : قوله تعالى : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾[3] قال : «وهو استعارة بليغة . . ووجه الاستعارة ما قاله الزمخشري فإنه قال : «فإن قلت : الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت : الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا بالشدائد وما يمس الناس منها، فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب شبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع، وأما اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عمايغشى منهما ويلابس . فكأنه قيل : فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف . ولهم في هذا طريقان، أحدهما : أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه هنا . . والثاني : أن ينظروا فيه إلى المستعار . . ومثله قوله ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[4][5] .

رابعاً : وتنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام منها :

١ ـ استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي .

ومن أمثلتها التي ذكرها السمين : قوله تعالى : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[6] .

قال : «قال الزمخشري : شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر

---

(١) الدر المصون ١/ ١٥٣ .

(٢) الإيضاح للقزويني بشرح خفاجي ص٤٣٢ ومعجم البلاغة لطبانة ص١٢٦ .

(٣) سورة النحل، الآية : ١١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١٨٧ .

(٥) الدر المصون ٧/ ٢٩٤ .

(٦) سورة مريم، الآية : ٤ .

وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مُخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً ولم يُضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشُهد لها بالبلاغة» انتهى.

قال السمين: وهذا من استعارة محسوس لمحسوس، ووجه الجمع: الانبساط والانتشار»[1].

٢ ـ استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[2].

قال السمين: «و﴿نسلخ﴾ استعارة بديعة شبّه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة»[3].

أقول: فالجامع بينهما: ما يعقل من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته، وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل. وهذا الترتب أمر عقلي.

٣ ـ استعارة معقول لمعقول:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[4].

قال السمين: «السكوت والسكات: قطع الكلام، وهو هنا استعارة بديعة. قال الزمخشري: هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا... وقيل: شبه جمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم.. فهذا أيضاً استعارة[5].

---

(١) الدر المصون ٧/ ٥٦٥.
(٢) سورة يس، الآية: ٣٧.
(٣) الدر المصون ٩/ ٢٦٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.
(٥) الدر المصون ٥/ ٤٧١.

٤ ـ استعارة محسوس لمعقول :

كقوله تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[١] . قال السمين : «وهذا مثل لإهمالهم التوراة . تقول العرب : جعل هذا الأمر وراء ظهره ودَبْر أذنه» أي : أهمله»[٢] .

٥ ـ استعارة معقول لمحسوس :

كقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾[٣] .

قال السمين بعد أن ذكر القراءات في «تميز» وهي [تميّز[٤]، وتمايز[٥]، وتَميْزُ[٦]] وهذا كله استعارة من قولهم : تميّز فلان من الغيظ أي : انفصل بعضه من بعض من الغيظ . . »[٧] .

خامساً : وتنقسم الاستعارة بحسب اللفظ المفرد والمركب قسمين :

١ ـ استعارة في اللفظ المفرد . وكل الأمثلة التي ذكرتها قبل تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع تدخل في هذا .

٢ ـ الاستعارة التمثيلية «في المركب» .

كقوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٨] . قال السمين : الحبل في الأصل هو السبب ، وكل ما وصلك إلى شيء فهو حبل وأصله في الأجرام واستعماله في المعاني من باب المجاز ، ويجوز أن يكون حينئذٍ من باب الاستعارة ، ويجوز أن يكون من باب التمثيل . ومن كلام الأنصار ـ رضي

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠١ .
(٢) الدر المصون ٢/ ٢٧ .
(٣) سورة الملك ، الآية : ٨ .
(٤) وهي قراءة العامة . انظر : النشر ٢/ ٢٣٢ .
(٥) وهي قراءة الضحاك . انظر : البحر ٨/ ٢٩٤ .
(٦) وهي قراءة زيد بن علي . انظر : البحر ٨/ ٢٩٤ .
(٧) الدر المصون ١٠/ ٣٨٢ .
(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

الله عنهم ـ: «يارسول الله إن بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها» يعنون العهود والحِلْف»[1].

بلاغة الاستعارة:

قال عبدالقاهر الجرجاني[2]: «اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً، وأشد افتتاناً وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وابعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها..

ومن الفضيلة الجامعة فيها: أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحدة من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها: أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر...»[3].

وقد أشاد السمين ببلاغة الاستعارة في حديثه عن بعض الآيات.

عند قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[4].

قال: «قوله ﴿مناكبها﴾ استعارة حسنة جداً...»[5].

وعند قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾[6].

قال: «هذه استعارة بليغة، حيث شبه الملك ببيت الشعر، وبيت الشعر لا

---

(١) الدر المصون ٣/ ٣٣٢.

(٢) أبوبكر عبدالقاهر الجرجاني من كبار أئمة العربية والبيان، صنف: المغني في شرح الإيضاح، والمقتصد في شرحه، وإعجاز القرآن الكبير والصغير. توفي سنة ٤٧١هـ (البغية ٢/ ١٠٦).

(٣) أسرار البلاغة ٣٢ـ٣٣.

(٤) سورة تبارك، الآية: ١٥.

(٥) الدر المصون ١٠/ ٣٨٨.

(٦) سورة ص، الآية: ١٢.

يثبت إلا بالأوتاد. . .»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

قال: «. . وهذا الكلام استعارة بليغة جُعِل ذلك عبارة عن عدم وصول الحق إليها»[3].

ويتضح لنا مما سبق بعد عرض هذه المباحث البيانة وتقسيماتها مع بعض أمثلتها أن السمين بيّن كثيراً من الإشارات البلاغية في الآيات وأنه كان دقيقاً في ذكر نوع الإشارة البلاغية والنوع الذي تندرج تحته مما يشير إلى قوة السمين في النواحي البلاغية، وعلى ذلك فالدّر المصون يُعدّ مرجعاً هاماً في البلاغة القرآنية في علم البيان.

الكنايـة:

تعريفهـا:

للكناية تعريفات كثيبرة منها:

١ ـ قول الخطيب القزويني: «الكناية: لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ»[4].

٢ ـ وذكر العلوي[5] في «الطراز» بأنها عُرّفت بأنها: «ترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللزوم، لينتقل إلى الملزوم»[6].

وقد تحدث السمين عن الكناية من خلال ذكره لكثير من أمثلتها.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٣٦١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) الدر المصون ٩/ ٧٠٢.

(٤) الإيضاح بشرح خفاجي ص٤٥٦.

(٥) يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي، من أكابر علماء الزيدية وعلمائهم باليمن. من تصانيفه: عناية الوصول إلى علم الأصول، والحاوي، والطراز وغيرها الكثير. توفى سنة ٧٤٥هـ (الأعلام ٨/ ١٤٣).

(٦) الطراز ١/ ٣٦٧. وقد نقل هذا التعريف عن ابن سراج المالكي في كتابه «المصباح».

أقسامها:

١ـ كناية عن صفة:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾[١].

قال السمين: «وذلك كناية عن احتضار الموتى، وهو لا يختص بليل ولا نهار»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾[٣].

قال السمين: «وحضر الموت كناية عن حضور أسبابه ومقدماته»[٤].

٢ـ كناية عن موصوف:

ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٥]. قال: «الغائط.. هو المكان المطمئن من الأرض، ثم عُبّر به عن نفس الحدث كناية للاستحياء من ذكره»[٦].

٣ـ كناية عن نسبة[٧]:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[٨].

قال: «ومعنى ضربت: أي أُلزموها وقضي بها، من ضرب القباب قال الفرزدق

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٩.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٤) الدر المصون ٢/ ١٢٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٦) الدر المصون ٣/ ٦٩١.

(٧) المقصود بالنسبة هنا: أي إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه (انظر شرح البرقوقي على التلخيص ص٣٤٢).
وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: «ضابطها: أن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكناية عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كناية الصفة فإنه لا يصرح فيها بالصفة المرادة». انظر كتابه (علوم البلاغة) ص٣٠٤.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٦١.

لجرير[1]:

ضَرَبتْ عليك العنكبوتُ بِنَسْجِها وقَضَى عليكَ به الكتابُ المُنزْلُ[2]

بلاغة الكناية:

الكناية فن من فنون التعبير توخاه العرب استكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني، ويُجمع علماء البيان على أن الكناية أبلغ من الإفصاح بذلك المعنى المكنّي به عنه، وأعظم مبالغة في ثبوته[3].

ولقد أشار السمين في أكثر من موضع إلى بلاغة الكناية. فقال عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[4]: «وما أحسن ما أتى هنا بالغيبة لأنه كناية عما يُستحيا منه فلم يخاطبهم به. وهذا من محاسن الكلام»[5].

وقال عند قوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[6]: «قال الزمخشري: «وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذبون، لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار». قلت ـ أي السمين ـ: فجعله من باب الكناية لأنه دلالة على الشيء بلازمه نحو «هو طويل النجاد»[7] كنيت به عن طول قامته، لأن طول نجاده لازم لطول قامته وهو باب بليغ»[8].

---

(١) ديوانه: ص ٤٩٠، شرح فاعور.
والفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي. ويقال: لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب. توفي سنة ١١٠هـ. (الأعلام ٨/ ٩٣).
(٢) الدر المصون ١/ ٣٩٦.
(٣) انظر: الطراز ـ للعلوي ١/ ٤٢٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٥) الدر المصون ٣/ ٦٩٢.
(٦) سورة يونس، الآية: ٥١.
(٧) النجاد: حمائل السيف.
(٨) الدر المصون ٦/ ٢١٨.

وقد أكّد السمين أكثر من مرة على أن الكناية أبلغ من التصريح. من ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[1] قال: «كناية عن شرة اللزوم. ومثله: حرق نابه... وهذه الكناية بلغ من تصريح المكني عنه»[2].

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٢) الدر المصون ٨/ ٤٧٩.

المطلب الثاني
علم المعاني

تعريفه: هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1].

شرح التعريف: المقصود بـ «أحوال اللفظ»: الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك.

علم المعاني من العلوم الهامة في البلاغة العربية عموماً، وفي البلاغة القرآنية على وجه الخصوص إذ به تظهر بلاغة القرآن من حيث التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير والجمع والإفراد، والالتفات...

ولقد عُني السمين بإبراز هذه المعاني والحديث عنها فجاء كتابه حاوياً لكثير من الإشارات البلاغية في علم المعاني.. سوف أكتفي[2] هنا بإشارة موجزة تدل على تمكن السمين من هذا العلم وتبين أثر استخدام القرآن لهذه المعاني البلاغية في جمال الأسلوب وقوةالمعنى الذي تؤديه.

وسوف أتحدث عن بعض أنواع علم المعاني[3] التي وردت في الدر المصون وهي:

أ ـ أحوال الكلمة المفردة: وسأتحدث فيه عن:

١ ـ التعريف والتنكير.

---

(١) انظر: بغية الإيضاح/ لعبدالمتعال الصعيدي ١/ ٣٥ وهذا التعريف للخطيب القزويني.

(٢) كنت قمت بجمع كثير من البطاقات في علم المعاني عند السمين ولكني آثرت الإشارة إلى بعض ما ورد عند السمين من ذلك لأن مقصودي ليس الحصر وإنما هدفي هو بيان منهج السمين وذلك يحصل بما ذكرته هنا. ولأن الموضوع وهو «علم المعاني في الدر المصون» مُسجّل في رسالة في قسم البلاغة بجامعة الإمام.

(٣) قمت بتقسيم هذه الأنواع ـ حسب مصطلح علماء البلاغة ـ وأفدت في ذلك من مخطط رسالة «مسائل علم المعاني في الدر» والتي أشرت إليها سابقاً.

٢ ـ التذكير والتأنيث.
ب ـ التقديم والتأخير وأغراضهما البلاغية.
جـ ـ الذكر والحذف وأغراضهما البلاغية.
د ـ الفصل والوصل وأغراضهما البلاغية.
هـ ـ بعض صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وأسرارها البلاغية.
وسأتحدث فيه عن:
١ ـ الالتفات.
٢ ـ وضع الظاهر موضع المضمر.
٣ ـ الأسلوب الحكيم.

أ ـ أحوال الكلمة المفردة: وسأتحدث فيه عن نوعين هما:
الأول: التعريف والتنكير.
الثاني: التذكير والتأنيث.

النوع الأول: التنكير والتعريف:

أورد السمين كثيراً من أغراض التعريف والتنكير من خلال تطبيقاته على مواضعهما في آيات القرآن. وسأذكر بعض هذه الأغراض في الآيات التي جمعت بينهما في موضع واحد، فمن ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1].

قال: «ونكّر» «غاسقاً» و«حاسداً»؛ لأنه قد يتخلف الضرر فيهما فالتنكير يفيد التبعيض. وعرّف «النفاثات» إما للعهد كما يُروىٰ في التفسير، وإما للمبالغة في الشر»[2].

---

(١) الآيتان (٤، ٥) من الفلق.
(٢) الدر المصون ١١/ ١٦٠ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٥/ ٤٢٨، ٧/ ٣٩).

وترد بعض الكلمات في القرآن منكرة لأهداف كثيرة منها ـ مما ذكره السمين ـ:

١ ـ التفخيم والتعظيم. ومثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] قال: «ونكّر «هدى» ليفيد إبهامه التعظيم»[٢].

٢ ـ التكثير. ومثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾[٣]. قال: «وإنما نكّر «نفساً» لأنه أراد التكثير...»[٤].

وقد تحتمل بعض الكلمات أكثر من غرض من تنكيرها فيبين ذلك السمين. ومثاله عند قوله تعالى: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[٥]. قال: «وتنكير «أحياء وأمواتاً»: إما للتفخيم أي: تجمع أحياء لا يقدرون وأمواتاً لا يحصون. وإما للتبعيض، لأن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء ولا الأموات.. وكذلك التنكير في «ماء فراتاً»[٦][٧].

النوع الثاني: التذكير والتأنيث:

تأتي بعض الكلمات في القرآن مُذَكَّرة، وبعضها مؤنثة، وكل ذلك لأغراض بلاغية لهاأثر في المعنى وروعة في الأسلوب. وقد اهتم السمين ببيان ذلك، ووردت عنده أمثلة كثيرة أُشير إلى بعضها في هذا المقام.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) الدر المصون ١/ ١٠٢ ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٢٠، ٢/ ٦٠٦، ٧/ ٢٨٢، ٨/ ٥٦٩، ٥٨١).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٣٤.

(٥) سورة المرسلات، الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٦) الدر المصون ١٠/ ٦٣٧.

(٧) وهناك أغراض أخرى بينها السمين منها: الإشاعة والإبهام ٩/ ٢١١، والتخصيص (٢/ ١١) والتنويع (٣/ ٥٨٤) والتفصيل (٩/ ٢١٣، ٨/ ٢١٣)، والتبعيض (٨/ ٥٨١).

فمن ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[1]. قال: «السلطان يُذكّر ويؤنث، فتذكيره باعتبار البرهان، وتأنيثه باعتبار الحجة، إلا أن التأنيث أكثر عند الفصحاء، كذا قاله الفراء، وحكى: «قَضَتْ عليك السلطان» و: «أخَذَتْ فلاناً السلطان» وعلى هذا فكيف ذُكِّرت صفته فقيل: مبيناً دون مبينة؟ والجواب أن الصفة هنا رأس فاصلة فلذلك عَدَل إلى التذكير دون التأنيث. وقال ابن عطية ما يخالف ما حكاه الفراء فإنه قال: «والتذكير أشهر، وهي لغة القرآن حيث وقع» و«عليكم» يجوز تعلقه بالجعل، أو بمحذوف على أنه حال من «سلطاناً»؛ لأنه صفة له في الأصل»[2].

ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[3]. قال: «إنما ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث لأحد وجوه: إما ذهاباً بها مذهب الكواكب، وإما ذهاباً بها مذهب الضوء والنور، وإما بتأويل الطالع أو الشخص أو الشيء، أو لأنه لما أخبر عنها بمذكر أُعطيتْ حكمه...، أو لأن فيها لغتين التذكير والتأنيث، وإن كان الأكثرُ التأنيث فقد جمع بينهما في الآية الكريمة فأنث في قوله: «بازغة» وذكّر في قوله: «هذا».

وقال الزمخشري: «جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومَنْ كانت أمك، و«لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا»[4] وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله: علاّم، ولم يقولوا علاّمة، وإن كان أبلغ، احترازاً من علامة التأنيث»اهـ. قال السمين: «قلت: هذا قريب مما تقدم في قولي: إن المؤنث إذا أُخبر عنه بمذكر عومل معاملة المذكر نحو: «هند ذاك الإنسان»...»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٤.

(٢) الدر المصون ٤/ ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٥) الدر المصون ٥/ ١٤ ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١١، ٦٥، ٨٧، ٣٣٩، ٢/ ٦٦، ١٣٧، =

ب ـ التقديم والتأخير وأغراضهما البلاغية :

عُني السمين بالتقديم والتأخير وإظهار أغراضهما البلاغية وبيان أثرهما في المعنى. ومن أهم أغراض التقديم والتأخير التي ذكرها :

١ ـ الاهتمـــام :

ومن أمثلة ذلك : عند قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[١].

قال السمين : «وإنما قدم المعمول اهتماماً به وتنبيهاً على أنه أولى بالإحسان إليه ممن ذُكر معه»[٢].

وعند قوله تعالى : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾[٣].

قال : «﴿أئفكاً﴾ مفعول من أجله، و﴿آلهة﴾ مفعول به. وقُدمت معمولات الفعل اهتماماً بها، وحسّنه كون العامل رأس فاصلة. وقدم المفعول من أجله على المفعول به اهتماماً به؛ لأنه مكافح لهم بأنهم على إفكٍ وباطل»[٤].

وعند قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾[٥]. قال : «قال ابن عطية : «وقدم المفعول للاهتمام عن وقع الابتداء به إذ معلوم أن الله هو المبتلي. . . »[٦].

٢ ـ الاختصـــاص :

ومن أمثلته عند قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧].

قال : قوله : ﴿له الملك﴾ مبتدأ وخبر. وقُدم الخبر ليفيد اختصاص الملك

= ٤١٩، ٣/ ٥٨، ١٤٩، ٤/ ٨٤، ١٣٠، ٢٢٣، ٧/ ١٢٢، ١٩٦، ٩/ ٢٨٦، ٥٣٩. . .).

(١) سورة البقرة، الآية : ٨٣.

(٢) الدر المصون ١/ ٤٦٣.

(٣) سورة الصافات، الآية : ٨٦.

(٤) الدر المصون ٩/ ٣١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٢٤.

(٦) الدر المصون ٢/ ٩٧ ولمزيد من الأمثلة انظر : (١/ ١٠٠، ٣٧١، ٣/ ١٢٩ ٢/ ١٤٠، ٤٧١، ٥/ ٣٦٥، ٦/ ٣٠).

(٧) سورة التغابن، الآية : ١.

والحمد بالله، إذ الملك والحمد لله حقيقة»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[2].

قال: تقدّمَ: لم أخر متعلق بالإيمان، وقُدِّم متعلق التوكل؟ وأن التقديم يفيد الاختصاص..»[3].

ويبين السمين سر التقديم للفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ﴾[4] فيقول: «قدمت الجلالة عند قوم لإفادة الاختصاص. قال الزمخشري: «ودلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة هنا، وأخره في الأول فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده. وثانياً: فيمن يفعلُ الفعل من أجله، فلذلك رتب عليه قوله: «فاعبدوا ما شئتم من دونه»[5].

وقد يجتمع في آية أكثر من غرض من التقديم، ومن ذلك: ما ذكره السمين في بيان غرض تقديم «بما أُرسل» في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[6] حيث قال: «بما أُرسل» متعلق بـ «مؤمنون» قُدّم للاختصاص والاهتمام والفاصلة»[7].

جـ ـ الحذف والذكر:

الذكر والحذف أسلوبان مستعملان في لغة العرب كثيراً، وكل ذلك لأغراض وأهداف بلاغية، وقد ورد هذان الأسلوبان في القرآن وعنى السمين ببيانهما وإظهار آثارهما البلاغية.

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٣٤٧.
(٢) سورة تبارك، الآية: ٢٩.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٩٥.
(٤) سورة الزمر، الآية: ١٤.
(٥) الدر المصون ١٠/ ١٥٤، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣٧١، ٢/ ٢٣٥، ٣٦٥، ٣/ ٣٦١).
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٧٥.
(٧) الدر المصون ٥/ ٣٦٥.

ومن أمثلة ذلك:

أ ـ أمثلة جمعت بين الذكر والحذف معاً في موطن واحد.

عند قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾[1].

قال: «أثبت في الشرط الأول قيداً وهو: الصبر. وحُذِف من الثاني. وأثبت في الثاني قيداً وهو كونهم من الكفرة، وحُذِف من الأول، والتقدير: «مئتين من الذين كفروا ومئة صابرة، فحذف من كلٍ منهما ما أثبت في الآخر وهو غاية في الفصاحة»[2].

وهذا مثال آخر أشاد فيه السمين ببلاغة الحذف والذكر. وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[3].

قال: «وأنذر يتعدى لاثنين: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[4].. ومفعوله الأول محذوف. فقدره الزمخشري: لينذر الذين كفروا، وغيره: لينذر العباد، أو: لينذركم. وتقديره ـ أي الزمخشري ـ أحسن لأنه مقابل لقوله: «ويبشر المؤمنين» وهم ضدهم.

وكما حذف المُنذَر وأتى بالمُنْذَر به هنا، حذفَ المُنذَر به واتى بالمُنذَر في قوله: «وينذر الذين قالوا» فحذف الأول من الأول لدلالة ما في الثاني عليه، وحذف الثاني من الثاني لدلالة ما في الأول عليه، وهو غاية في البلاغة»[5].

ب ـ أمثلة تحدث فيها عن الحذف وبلاغته:

١ ـ مثال على حذف الفاعل:

عند قوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[6].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٢) الدر المصون ٥/ ٦٣٥، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣٠٧، ٣٣١، ٥١٧، ٦/ ٢٣٧، ٨/ ٦٤٤).

(٣) سور الكهف، الآية: ٤.

(٤) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٥) الدر المصون ٧/ ٤٣٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

قال: «الجمهور على «أُجبتم» مبنياً للمفعول، وفي حذف الفاعل هنا ما لا يبلغ كنهه من الفصاحة حيث اقتصر على خطاب رسله غير مذكور معهم غيرهم، رفعاً من شأنهم وتشريفاً واختصاصاً»[1].

٢ ـ مثال على حذف الموصوف:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2] قال: «أي للحالة أو للملة أو للطريقة. ثم نقل عن الزمخشري ما يبين بلاغة هذا الحذف وأثره في المعنى فقال: قال الزمخشري: «وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه»[3].

وتعرض السمين لحذف الاقتصار وحذف الاختصار وبين المراد بهما، ووضح أثرهما في المعنى، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[4]. قال: «ومفعول «يشعرون» محذوف للعلم به تقديره: وما يشعرون وبال خداعهم راجع على أنفسهم، أو اطلاع الله عليهم.

والأحسن ألا يقدر له مفعول؛ لأن الغرض نفي الشعور عنهم البتة من غير نظر إلى متعلقه. والأول يسمى حذف الاختصار ومعناه: حذف الشيء لدليل والثاني يسمى حذف الاقتصار، وهو: حذف الشيء لا دليل له»[5].

ونلحظ في المثال السابق أنه قد رجح حذف الاقتصار لقوة المعنى البلاغي الذي يؤديه.

ويؤكد السمين أن حذف جواب «لو» أبلغ من ذكره، لما يؤديه من معنى

---

(١) الدر المصون ٤/ ٤٨٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) الدر المصون ٧/ ٣٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٥) الدر المصون ١/ ١٢٨. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٤١، ٢/ ٥١، ٢١٤، ٢٧٦، ٧/ ٣٧٢).

بلاغي وقد قرر ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾[1] فقال: «لو ترى» جوابها محذوف لفهم المعنى، التقدير: لرأيت شيئاً عظيماً وهولاً فظيعاً. وحذف الجواب كثير في التنزيل وفي النظم كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾[2]. . وحذف لجواب أبلغ؛ قالوا: لأن السامع تذهب نفسه كل مذهب، فلو صُرح بالجواب وَطَّن نفسه عليه فلم يخش منه كثيراً. . .»[3].

د ـ الفصل والوصل:

الفصل والوصل من أعظم مقامات البلاغة، وقد أشار السمين إلى كثير من مواضعها. . من ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾[4].

قال: «ولا يخفى ما في هذه الجملة من علم البيان فمنه: الفصل والوصل. أما الفصل وهو: عدم العطف بين قوله: «لا تكلف نفس إلا وسعها» وبين قوله: «لا تضار» لأن قوله: «لا تضار» كالشرح للجملة قبلها لأنه إذا لم تكلف النفس إلا طاقتها لم يقع ضرر لا للوالدة ولا المولود له، وكذلك لم يعطف «لا تكلف نفس» على ما قبلها؛ لأنها مع ما بعدها تفسير لقوله: «بالمعروف».

وأما الوصل وهو العطف بين قوله: «والوالدات. .» وبين قوله: «وعلى المولود له» فلأنهما جملتان متغايرتان في كل منهما حكم ليس في الأخرى»[5].

هـ ـ صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وأسرارها البلاغية وسأتحدث فيه عن:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.
(٣) الدر المصون ٤/ ٥٨٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٥) الدر المصون ٢/ ٤٧٠، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٠٣، ١٤٧، ٢/ ٢٤، ٢٦، ٦٤، ٣/ ٧١، ١٨٤، ٢٧٥).

١ ـ الالتفـــات.
٢ ـ وضع الظاهر موضع المضمر.
٣ ـ الأسلوب الحكيم.

١ ـ الالتفـــات:

يُعدّ أسلوب الالتفات من الأساليب البلاغية الهامة والتي تؤثر في المخاطب. وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب كثيراً، لذا فقد اعتنى السمين بإبراز كثير من صور الالتفات وإظهار أثرها البلاغي والمعنى الهام الذي تؤديه. وقبل أن أتحدث عن ذلك، أعرّف بالالتفات عند علماء البلاغة إذ هو: العدول من أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول[١].

ومن أنواع الالتفات التي بينها السمين وأظهر أثرها في المعنى:

١ ـ من الغيبة إلى الخطاب. ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

قال: «وفي قوله: ﴿إلا أن تتقوا﴾ التفات من غيبة إلى خطاب، ولو جرى على سنن الكلام الأول لجاء الكلام غيبة، ثم بين فائدة الالتفات وأثره فقال: وأبدوا للالتفات هنا معنى حسناً: وذلك أن موالاة الكفار لما كانت مستقبحة لم يواجه الله عباده بخطاب النهي، بل جاء به في كلام أُسند الفعل المنهي عنه لغيب، ولما كانت المجاملة في الظاهر والمحاسنة جائزة لعذر وهو اتقاء شرهم حسن الإقبال إليهم وخطابهم برفع الحرج عنهم في ذلك»[٣].

٢ ـ من الغيبة إلى التكلم. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا

---

(١) انظر: الطراز ٢/ ١٣٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٣) الدر المصون ٣/ ١٠٩، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٣٢٨، ٤١٣، ٥٩٥، ٣/ ٢١٥، ٣٤٤، ٦/ ١٢٩).

﴿يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[1].

قال: «وفيه التفات من ضمير الغيبة إلى التكلم، إذ قبله «بآيات الله» فلو جاء على ذلك لقيل: نصره. وفائدة الالتفات: إسناد النصر إلى ضمير المتكلم المشعر بالعظمة»[2].

٣ ـ من الخطاب إلى الغيبة. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[3] والالتفات هنا بناءً على أن الضمير في «لهم» يعود على الناس في قوله: ﴿ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً. . .﴾ وفائدته وحكمته كما يقول السمين: «أنهم أُبرزوا في صورة الغائب الذي يُتعجب من فعله حيث دعي إلى شريعة الله والنور والهدى فأجاب باتباع شريعة أبيه. . .»[4].

٤ ـ من التكلم إلى الغيبة: ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5] قال: «في الآية التفاتان، الثاني منها: خروج من ضمير المتكلم المعظم نفسه إلى الغيبة بالاسم الظاهر، فلم يقل: ألم تعلموا أننا، وذلك لما لا يخفى من التعظيم والتفخيم»[6].

ويبين السمين الالتفات حتى على القراءات الشاذة ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[7] قال: «وقرأ الحسن «يرجعون» بياء الغيبة على الالتفات. ثم نقل عن ابن جني ما يظهر بلاغة هذا الالتفات فقال: قال

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٢) الدر المصون ٤/ ٦٠٦ ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٩٩، ٢٧١، ٢/ ٦١، ٤٥٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٤) الدر المصون ٢/ ٢٢٦، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٤٩٠، ٢/ ١٢٣، ٦/ ١٧١، ٨/ ١٩٧، ٤٣٣، ٩/ ١٣٤، ١٠/ ٩٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٦) الدر المصون (٢/ ٦٣) ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٤٦١، ٢/ ١٩٣، ٢٣٥، ٥/ ٥٢٤، ٨/ ١٩٧).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

ابن جني: «كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين عن أن يواجههم بذكر الرجعة إذ هي مما تتفطر لها القلوب فقال لهم: «واتقوا» ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة فقال: «يرجعون»[1].

٢ ـ وضع الظاهر موضع المضمر وبلاغته:

ومن أمثلته: عند قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[2].

قال: «وفي قوله: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ﴾ إيقاع للظاهر موقع المضمر لنكتة: وهو أن الأصل: فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم، فأبرز هم بصورة الظاهر تحقيراً لهم كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[3] وكقوله قبل ذلك: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[4] ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وهذا كمايدل بإيقاع الظاهر موقع المضمر على التفخيم والتعظيم يدل على عكسه وهو التحقير»[5].

٣ ـ الأسلوب الحكيم:

والمقصود به: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير مايتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له[6].

ومن أمثلته التي وردت عند السمين: عند قوله تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) الدر المصون ٢/ ٦٤٩. وانظر: المحتسب ١/ ١٤٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٩.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٥) الدر المصون ٦/ ٨٥، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣٨١، ٢/ ١٢، ٢٢، ١٧٠، ٣٥٨، ٣/ ٨٦، ١٠٥، ٢١٣، ٦٣٤، ٤/ ٣١٥، ٣٢٧، ٣٧٦، ٣٨٠، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٧٢، ٦٠٥، ٦٥٩، ٥/ ٢٠٩، ٣٧٧، ٦/ ٢٠٧، ٥٢٩، ٧/ ٥٣٢، ٦٠٤...).

(٦) هذا تعريف القزويني ـ انظر: بغية الإيضاح ١/ ١٦٠.

﴿ٱلْأَهِلَّةِ﴾[1].

قال: «وقدّر بعضهم مضافاً قبل «الأهلة» أي: عن حكم اختلاف الأهلة لأن السؤال عن ذاتها غير مفيد، ولذلك أُجيبوا بقوله: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ﴾ وقيل: إنهم لما سألوا عن شيء قليل الجدوى أُجيبوا بما فيه فائدة، وعَدَل عن سؤالهم إذ لا فائدة فيه، وعلى هذا فلا يحتاج إلى تقدير مضاف»[2].

. . . وبعدُ فهذه جملة من علوم المعاني التي تعرض لها السمين جعلتها إشارة موجزة إلى تمكن الرجل في هذا العلم وعلامة على وقفاته البلاغية في علم المعاني، لم أقصد منها الحصر، لأن مجالها في الدر واسع وكثير.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٢) الدر المصون ٢/ ٣٠٤.

المطلب الثالث
عنايته بعلم البديع

والمراد بالبديع:

هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[1].

وتنقسم المحسنات إلى معنوية ولفظية:

قال القزويني: «وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ»[2].

القسم الأول: المحسنات المعنوية:

ومن أنواع المحسنات المعنوية التي تعرض لها السمين:

١ ـ الطباق:

وهو: الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة[3].

وقد ذكر السمين تعريفه في عدة مواطن منها:

عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[4].

قال: «قوله: ﴿أضحك وأبكى﴾ وما بعده، هذا يسميه البيانيون: الطباق والتضاد وهو نوع من البديع، وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه»[5].

ولم يكن السمين في تعرضه للطباق يهتم بذكر أنواع الطباق وتقسيماته

---

(١) انظر: التلخيص للقزويني ص٣٤٧ بشرح البرقوقي.

(٢) المرجع السابق.

(٣) هذا تعريف الخطيب القزويني. انظر: بغية الإيضاح ٤/ ٢.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤٣.

(٥) الدر المصون ١٠/ ١٠٥.

المشهورة عند علماء البلاغة، بل كان منهجه: أن يذكر الطباق الموجود في الآية ويذكر اللفظين الذين فيهما الطباق ويكتفي بذلك، وقد يزيد في بعض المواطن على هذا فيذكر حسن الطباق وجماله.

وقد قسم السمين الطباق إلى قسمين: لفظي ومعنوي.

وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾[1]. قال: «وفي قوله: «إن تبدوا، وإن تخفوها» نوع من البديع وهو الطباق اللفظي. وفي قوله: «وتؤتوها الفقراء» طباق معنوي، لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء فكأنه قيل: إن يبد الأغنياء الصدقات، وإن يُخف الأغنياء الصدقات ويؤتوها الفقراء. فقابل الإبداء بالإخفاء لفظاً، والأغنياء بالفقراء معنىً»[2].

ومن الأمثلة التي ذكرها:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ﴾[3].

قال: «اشتملت هذه الآية على أنواع من البديع منها: . . الطباق وهو الجمع بين متضادين أو شبههما، وذلك في قوله: «تؤتي الملك وتنزع» وفي «تعز وتذل» وفي قوله: «بيدك الخير»، أي والشر عند بعضهم، وفي قوله: ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[4] وفي قوله: «الحي والميت»[5].

٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[6]. قال: ـ نقلاً عن الزمخشري ـ: «وفيه طباق حسن، لأن المعنى: أحكمها حكيم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.
(٢) الدر المصون ٢/ ٦١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.
(٥) الدر المصون ٣/ ١٠٦.
(٦) سورة هود، الآية: ١.

وفصلها، أي: شرحها وبينها خبير بكيفيات الأمور»[1]

٣ ـ عند قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾[2].

قال: «وفي هذه الآيات من علم البديع: الطباق وهو ذكر الشيء وضده في «تعجل وتأخر» وهذا طباق غريب من حيث جعل ضده «تعجل»: «تأخر» وإنما ضد تعجل: تأنى، وضد تأخر: «تقدم» ولكنه في تعجل عبر بالملزوم عن اللازم، وفي تأخر عبر باللازم عن الملزوم»[3].

٢ ـ اللف والنشر:

قال العلوي في الطراز: وهو في لسان علماء البيان: عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد ثم يوفّى بما يليق بكل واحد منهما اتكالاً على أن السامع لوضوح الحال يردّ إلى كل واحد منهما ما يليق به[4].

ومن الأمثلة التي ذكرها السمين:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾[5]. قال: «قوله: ﴿لتسكنوا فيه ولتبتغوا﴾ من باب اللف والنشر. ومنه[6]:

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً لدى وَكْرِهاالعُنَّابُ والحَشَفُ البالي[7]

٢ ـ وقال عند قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾[8]

---

(١) الدر المصون، ٦/ ٢٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

(٣) الدر المصون ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٦١٤، ٦٢٢، ٦٣٦، ٦٧٨، ٣/ ٤٦٩، ٩/ ١٩٢).

(٤) الطراز ٢/ ٤٠٤.

(٥) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٦) البيت لامريء القيس وهو في ديوانه (ص٣٨). والحشف البالي: هو التمر الرديء.

(٧) الدر المصون ٨/ ٦٩٢.

(٨) سورة هود، الآية: ٢٤.

ـ نقلاً عن الزمخشري ـ: «شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريقين تشبيهين اثنين، كما شبَّه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعُنّاب...

قال السمين شارحاً كلام الزمخشري في اللف والنشر: «قلت: يريد بقوله «اللّف» أنه لفّ المؤمنين والكافرين اللذين هما مشبهان بقوله: «الفريقين»، ولو فسرهما لقال: مثل الفريق المؤمن كالبصير والسميع، ومثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم، وهي عبارة مشهورة في علم البيان: لفظتان متقابلتان في اللف والنشر، وأشار لقول امريء القيس:

كأن قلوب الطير...»[1].

القسم الثاني: المحسنات اللفظية. منها:

١ ـ الجنـاس:

تعريفه: ذكر الدكتور/ بدوي طبانه في «معجم البلاغة العربية» عدة تعاريف منها: أنَّ الجناس هو: أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها[2].

وقيل التجنيس: أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها[3].

فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى.

ثم قال: وحقيقة التجنيس في مصطلح علماء البيان هو: أن تتفق اللفظتان في

---

(١) الدر المصون ٦/ ٣٠٦ـ٣٠٧.

(٢) هذا هو تعريف ابن المعتز. (نقلاً عن معجم البلاغة ص١٣٨).

(٣) وهذا تعريف أبي هلال العسكري (انظر: المرجع السابق).

وجه من الوجوه ويختلف معناهما[1].

والجناس أنواع كثيرة، ومما ذكره السمين منها:

أ ـ التجنيس المماثل:

في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[2].

قال السمين: «اشتملت هذه الآية على أنواع من البديع منها: التجنيس المماثل في قوله «مالك الملك» وفي «تؤتي الملك، وتنزع الملك»[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4].

قال: «واشتملت هذه الآية على التجنيس المماثل في قوله: «يغلل» و«بما غلّ»[5].

ب ـ التجنيس المغاير:

في قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[6] قال: «وفي قوله: «ولكن الله يهدي» مع قوله: «هداهم» جناس مغاير؛ لأن إحدى الكلمتين اسم والأخرى فعل»[7].

وفي قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[8].

قال: نوعين من البديع... الثاني منهما: تجنيس التغاير في قوله: «الربا ويربي» إذ أحدهما اسم والآخر فعل»[9].

---

(١) انظر: (معجم البلاغة العربية) ص١٣٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٣) الدر المصون ٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.
(٥) الدر المصون ٣/ ٤٦٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٧) الدر المصون ٢/ ٦١٤.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٩) الدر المصون ٢/ ٦٣٦.

ونلحظ في هذين المثالين أنه عرّف تجنيس التغاير بأن يكون إحدى الكلمتين اسم والآخر فعل.

جـ ـ التجنيس المحرّف:

وقد عرفه السمين فقال: «وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بحرف»[1] وقد ذكره السمين بعدة أسماء منها:

تجنيس التصحيف[2]، وتجنيس الخط[3]، وتجنيس التصريف[4]. ومن الأمثلة التي ذكرها:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[5].

قال: «وفي قوله: «ينهون، وينأون» تجنيس التصريف، وهو عبارة عن انفراد كل كلمة عن الأخرى بحرف، فينهون انفردت بالهاء، وينأون بالهمزة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾[6] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[7] وقوله عليه السلام: «**الخيل معقود في نواصيها الخير**»[8]. وبعضهم يُسميه «تجنيس التحريف» وهو الفرق بين كلمتين بحرف... وذكر غيره أن تجنيس التحريف هو أن يكون الشكل فرقاً بين كلمتين، وجعل منه «اللُّهى تفتح اللَّهى»[9]..»[10].

---

(١) انظر: الدر المصون ٩/ ٤٩٩. وانظر: ٦/ ٥٤٥.

(٢) انظر: الدر المصون ٧/ ٥٥٣.

(٣) انظر: الدر المصون ٧/ ٥٥٣.

(٤) انظر: الدر ٤/ ٥٨١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧٥.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، الحديث ذو الرقم ١٨٧٣.

(٩) اللّهاة: هي اللحمة التي في الحلق، وبالضم هي العَطِيّة.

(١٠) الدر المصون ٤/ ٥٨١.

٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

قال: «يسمى في البديع «تجنيس التصحيف» وتجنيس الخط، وهذا من أحسنه. . ومن أحسن ما جاء في تجنيس التصحيف قوله[٢]:

سقينـــني ريـــي وغنينـــني بُحت بحبي حين بنَّ الخرد

يُصحّف بنحو:

شقيتنـــي ربـــي وعنيتـــني بحب يحيى ختنِ ابن الجُرُدْ

وفي رسائل الفصحاء:

قبّل قَبلَ يداك ثراك، عبدٌ عند رخاك رجاك، آمِلٌ آمَّك»[٣].

د ـ تجنيس التشكيل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[٤].

وقد عرفه فقال ـ بعد أن ذكر أن في الآية ست قراءات ـ: «وفي بعضها ـ أي بعض القراءات ـ وهي تخَالُفُ الفعلين ـ من صناعة البديع تجنيس التشكيل وهو: أن يكون الشكل فارقاً بين الكلمتين. وسماه أسامة بن منقذ[٥] تجنيس التحريف وهو تسمية فظيعة فتسميته تجنيس التشكيل أولىٰ»[٦].

٢ ـ ردّ العجز على الصدر.

وهو: أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٢) سبق تخريجه في ص (٥٦٩) من هذه الرسالة.

(٣) الدر المصون ٧/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٥) أُسامة بن منقذ الكناني مؤيد الدولة، أمير، من أكابر بني منقذ ومن العلماء الشجعان. له: البديع في نقد الشعر ولباب الآداب، وكتب أخرى في التاريخ والأدب. توفي سنة ٥٨٤هـ. (الأعلام ١/ ٢٩١).

(٦) الدر المصون ٤/ ٥٥٨.

أول الفقرة، والآخر في آخرها[1].

ومن أمثلتها: عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[2].

قال: «اشتملت هذه الآية على أنواع من البديع.. منها: رد الأعجاز على الصدور، والصدور على الأعجاز في قوله: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾[3] وفي قوله: ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ ونحو: عادات السادات سادات العادات»[4].

٣ـ الترصيع: وقد عرّفه السمين فقال:

عند قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾[5]: «وقد وجد هنا نوع من أنواع البديع وهو الترصيع وهو: عبارة عن تسجيع الكلام وهو هنا في موضعين: أحدهما: «اتبعوا من الذين اتبعوا» ولذلك حذف عائد الموصول الأول فلم يقل: من الذين اتبعوهم لفوات ذلك. والثاني: ﴿ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ وهو كثير في القرآن ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾[6].. »[7].

---

(١) هذا تعريف الخطيب القزويني في «التلخيص» انظر: التلخيص بشرح البرقوقي ص٣٩٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٤) الدر المصون ٣/ ١٠٦. وانظر: مثالاً آخر في ٤/ ٦٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٧) الدر المصون ٢/ ٢١٨.

المطلب الرابع
إبرازه لبلاغة الأسلوب القرآني في الترتيب

عُني السمين بإبراز بلاغة الأسلوب القرآني في الترتيب ومن أمثلة ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[١]. قال: «وجاءت هذه الجمل الثلاث منفية على أحسن ترتيب. نفي أولاً تنزيل الشياطين به؛ لأن النفي في الغالب يكون في الممكن، وإن كان الإمكان هنا منتفياً. ثم نفى ثانياً انبغاء ذلك أي: ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له، ثم نفى ثالثاً الاستطاعة والقدرة، ثم ذكر علة ذلك، وهي انعزالهم عن السماع من الملأ الأعلى، لأنهم يرجمون بالشهب لو تسمّعوا»[٢].

٢ ـ ويبين سر الترتيب في الصفات التي ذُكرت للمؤمنين في سورة التوبة، ويبرز براعة هذا الترتيب. وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾[٣].

قال: «وأتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نَظْمٍ وهو ظاهر بالتأمل، فإنه قدم التوبة أولاً ثم ثنّى بالعبادة إلى آخره»[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٥].

قال: «وقوله «فاعف عنهم» إلى آخره، جاء على أحسن النسق، وذلك أنه أمر أولاً بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا انتهوا إلى هذا المقام أُمر أن

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان ٢١٠، ٢١١.
(٢) الدر المصون ٨/ ٥٦٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢.
(٤) الدر المصون ٦/ ١٣٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

يستغفر لهم ما بينهم وبين الله لتنزاح عنهم التَّبعتان، فلما صاروا إلى هذا أُمر بأن يشاورهم في الأمر إذا صاروا خالصين من التبعتين مُصَفّين منهما»[1].

ويبين السمين سر ترتيب هذه الزروع المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾[2].

فيقول: «ذكر أولاً ما يتلذذون به من الفواكه، وثانياً الشيء الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وثالثا ما يتغذى به فقط وهو أعظمها؛ لأنه قوت غالب الناس»[3].

---

(١) الدر المصون ٣/ ٤٦٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١١، ١٢.

(٣) الدر المصون ١٠/ ١٥٩.

المطلب الخامس
اهتمامه ببيان دقة القرآن في التعبير واختيار الألفاظ والجمل

ألفاظ القرآن الكريم وجمله وصيغه لها دلالتها الدقيقة على المعاني المختارة لها، فكل لفظة أو جملة قد وُضعت لأنها تدل على معنى أو تشير إلى هدف لا تدل عليه غيرها من الألفاظ وإن ساوتها أو قاربتها في تركيبها.

وقد اهتم السمين ببيان دقة القرآن في تعبيراته وفي اختياره الألفاظ والجمل التي تؤدي معنى معيناً لا يؤديه غيرها.

وقد قمت بتقسيم ذلك إلى:

أ ـ دقة التعبير بالجمل:

عُني السمين بإظهار دقة التعبير القرآني في مجال الجمل، وذلك:

١ ـ ببيان دقة التعبير بالجملة الفعلية دون الاسمية في بعض المواطن.

ومثال ذلك: بيانه لدقة التعبير بالجملة الفعلية «يقبض» دون الإسمية «قابضات» عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾[١]. فقد نقل عن الزمخشري ما يبين السر في ذلك فقال: «قال الزمخشري: . . . فإن قلت لم قال: ويقبضن ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض الطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارىء غير أصلٍ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السابح»[٢].

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٢) الدر المصون ١٠/ ٣٩١.

٢ ـ وأحياناً العكس فتجد القرآن يعبر بالجملة الإسمية دون الفعلية.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[١].

قال السمين: «وهذه جملة اسمية عطفت على الجملة الفعلية قبلها فهي صلة أيضاً، ولكنه جاء بالجملة هنا من مبتدأ وخبر بخلاف: «ومما رزقناهم ينفقون» لأن وصفهم بالإيقان بالآخرة أوقع من وصفهم بالإنفاق من الرزق فناسب التأكيدبمجيء الجملة الإسمية»[٢]

وقد يُعبّر القرآن بالجملة الفعلية تارة، وبالإسمية أخرى وذلك في آية واحدة وذلك لأن كلاً منهماتؤدي معنى دقيقاً ذا أثر لا تؤديه الأخرى.

عند قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[٣]. قال السمين مبيناً سر التعبير بالجملة الفعلية «تدعونني» وبالإسمية «أنا أدعوكم»: «وأتى في قوله «تدعونني» بجملة فعلية ليدل على أن دعوتهم باطلة لا ثبوت لها، وفي قوله: «وأنا أدعوكم» بجملة اسمية ليدل على ثبوت دعوته وتقويتها»[٤].

دقة التعبير بالجملة المنفية دون المثبتة. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[٥].

فقد نقل السمين ما يبين سر إتيان هذه الجمل منفية فقال: «وذكر الزمخشري هنا معنى حسناً في كونه تعالى ذكر هذه الأشياء بلفظ النفي دون أن يذكر أضدادها بلفظ الإثبات. فيقول: إن لك الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل فقال: «وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعُري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤.

(٢) الدر المصون ١/ ١٠٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٢.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٨٤، ولمزيد من الأمثلة انظر: ٤/ ٣١٠، ٧/ ٤٢٩.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١١٨ و١١٩.

كراهة لها»[1].

ب ـ دقة التعبير بالصيغ:

واعتنى السمين أيضاً ببيان دقة القرآن في اختياره صيغة دون أخرى، فترى القرآن يُعبّر في موضع بصيغة المضارع وذلك ليدل على معنى معين لا يُؤدّى لو عبر عنه بالماضي والعكس أيضاً، وقد يعبر بصيغة اسم الفاعل، وقد يُعبر في موطن بجملة منفية.. ولكل ذلك أثره ومغزاه.

وهذه نماذج لبعض المواطن التي أبرز فيها السمين دقة القرآن في تعبيره بصيغة دون أخرى:

١ ـ دقة التعبير بصيغة الفعل المضارع دون الفعل الماضي. في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[2].

قال: «وجيء بالمضارع تنبيهاً على أن المراودة صارت سجية لها وديدناً، دون الماضي فلم يقل راودت»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾[4].

قال السمين: «وجاء تكفرون مضارعاً لا ماضياً؛ لأن المنكر الدوام على الكفر، والمضارع هو المشعر بذلك، ولئلا يكون توبيخاً لمن آمن بعد كفر»[5].

٢ ـ دقة التعبير بصيغة الفعل المضارع دون اسم الفاعل:

---

(١) الدر المصون ٨/ ١١٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٠.

(٣) الدر المصون ٦/ ٤٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٥) الدر المصون ١/ ٢٣٨. ولمزيد من الأمثلة انظر:
١ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾. ١/ ٥٠٠.
٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ٣/ ٥٤٩.

في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[1].

قال السمين: «قوله: «يُسبّحن» جملة حالية من الجبال، وأتى بها فعلاً مضارعاً دون اسم فاعل فلم يقل مسبحات، دلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء»[2].

٣ ـ دقة التعبير بصيغة الفعل الماضي دون اسم الفاعل:

في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[3].

قال السمين: «وكون صلة «الذين» فعلاً ماضياً دون كونه اسم فاعل دليل على أنه يستحق التبشير بفضل الله من وقع منه الإيمان وتحقق به، وبالأعمال الصالحة»[4].

٤ ـ دقة التعبير بصيغة الفعل المضارع في كلمة، والماضي في كلمة أخرىٰ في موضع واحد.

في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[5]. قال السمين: «وجاء الأول ماضياً، والثاني مضارعاً، ولم يجيئا ماضيين ولا مضارعين، ولا جاء الأول مضارعاً والثاني ماضياً؛ لإفادة الماضي وجود الفعل وتحققه وهو بالاستكانة أليق بخلاف التضرع، فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال. وأما الاستكانة فقد توجد منهم. قال الزمخشري: فإن قلت: هلاّ قيل: وما تضرعوا فما يستكينون. قلت: لأن المعنى محنّاهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة، وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد»[6].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

(٢) الدر المصون ٩/ ٣٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٤) الدر المصون ١/ ٢١١.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

(٦) الدر المصون ٨/ ٣٦١ ـ ٣٦٢. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ١٠١، ٢/ ٣٧٢، ٤/ ٣٦٤).

٥ ـ دقة التعبير بصيغة فعيل دون فاعل:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[١].

قال السمين: «وأتى بصيغة فعيل في «ولي» و«نصير» لأنها أبلغ من فاعل، ولأن «وليًّا» أكثر استعمالاً من «والٍ» ولهذا لم يجيء في القرآن إلا في سورة الرعد، وأيضاً لتواخي الفواصل وأواخر الآي»[٢].

٦ ـ دقة التعبير بصيغة جمع صيغة المبالغة «فعيل».

في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٣].

قال السمين: «وأتى بـ «شهداء» جمع شهيد الذي يدل على المبالغة دون شاهدين وشهود جمعي شاهد»[٤].

٧ ـ دقة التعبير بصيغة الجمع دون المفرد. في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[٥].

قال السمين: «وجاء هنا «معدودات» بصيغة الجمع، وفي البقرة «معدودة» تفنناً في البلاغة... وخص الجمع بهذا الموضوع؛ لأنه مكان تشنيع عليهم بما فعلوا وقالوا، فأتى بلفظ الجمع مبالغة في زجرهم وزجر من يعمل بعملهم»[٦].

٨ ـ دقة التعبير بصيغة الجملة.

انظر: حديثه عن سر مجيء الحال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾[٧] جملة حيث قال: «وجيء بالحال هنا جملة:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٧.
(٢) الدر المصون ٢/ ٦٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٤) الدر المصون ٢/ ١٥٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.
(٦) الدر المصون ٣/ ٩٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

وهو قوله «وهو كافر»، مبالغة في التأكيد من حيث تكرر الضمير بخلاف ما لو جيء بها اسماً مفرداً»[1].

جـ ـ دقة القرآن في التعبير بكلمة:

١ ـ وأبرز السمين دقة القرآن في تعبيره باسم دون غيره، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾[2].

قال: «وأتى بـ «ما» دون «مِنْ» لأحد أربعة معانٍ: أحدها: أن «ما» للمبهم أمره، فإذا عُلِم فُرّق بـ «ما» و«مِنْ» قال الزمخشري: «وكفاك دليلاً قول العلماء «من لما يعقل» الثاني: أنها سؤال عن صفة المعبود. قال الزمخشري: «كما تقول ما زيد؟ تريد: أفقيه أم طبيب... الثالث: أن المعبودات ذلك الوقت كانت غير عاقلة كالأوثان والأصنام والشمس والقمر فاستفهم بـ «ما» التي لغير العاقل فعرف بنوه ما أراد فأجابوه بالحق. الرابع: أنه اختبرهم وامتحنهم فسألهم بـ «ما» دون «مِنْ» لئلا يطرق لهم الاهتداء فيكون كالتلقين لهم ومقصوده الاختبار»[3].

٢ ـ وبيَّن ـ أيضاً ـ سر تعبير القرآن بلفظ الإشراب دون لفظ الأكل في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[4].

فقال: «وعبّر بالشرب دون الأكل؛ لأن الشرب يتغلغل في باطن الشيء بخلاف الأكل، فإنه مجاوز»[5].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٠١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.
(٣) الدر المصون ٢/ ٦٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٣.
(٥) الدر المصون ٢/ ٥.

دقة التعبير بحرف دون غيره:

في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

حيث بيَّن السمين سر التعبير بـ «على» هنا دون غيرها من الحروف فقال: «وأتى بـ «على» تنبيهاً على أن اللعنة قد استعلت عليهم وشملتهم»[2].

وبيَّن أيضاً سر تعديته بالحرف «إلى» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟﴾[3].

حيث قال: «والأكثر في «خلا» أن يتعدى بالباء وقد يتعدى بإلى، وإنما تعدّى ـ في هذه الآية ـ بإلى لمعنى بديع، وهو أنه إذا تعدى بالباء احتمل معنيين أحدهما: الانفراد، والثاني: السخرية والاستهزاء، تقول: خلوت به، أي سخرت منه، وإذا تعدى بإلى كان نصاً في الانفراد فقط...»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) الدر المصون ١/ ٥٠٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤.

(٤) الدر المصون ١/ ٢٤٥.

المطلب السادس
إبرازه بلاغة المتشابه اللفظي

اهتم السمين بإبراز بلاغة المتشابه اللفظي[1]، فأورد كثيراً من اللطائف والإشارات البديعية في التفريق بين المتشابه في القرآن.

وهذا الفن له تعلق بعدة علوم هي: التفسير[2]، والبلاغة، ولكنه إلى علوم البلاغة أقرب؛ لأنه يظهر الإعجاز القرآني في التعبير عن القصة أو الحدث الواحد بعدة تعابير وفي أساليب وقوالب مختلفة مع اتحاد المعنىٰ. يقول الزركشي: «ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكرراً. . .»[3].

إذاً فالمقصود بالمتشابه اللفظي هو:

«أن يتكرر مجيء الآيات في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي»[4].

---

(١) اهتم العلماء بهذا الفن فضمَّن كثير من المفسرين تفاسيرهم إشارات إلى ذلك كالرازي وأبي حيان، والزمخشري.
بل إنه أُلفت فيه مؤلفات مستقلة يقول السيوطي في الإتقان (٢/ ١٤٦): «أفرده بالتصنيف خلق، أولهم فيما أحسب الكسائي، ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتابه «البرهان في متشابه القرآن»، وأحسن منه «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبدالله الرازي. وأحسن من هذا «ملاك التأويل» لأبي جعفر بن الزبير. . وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعاني من متشابه المثاني. .».

(٢) يقول ابن حجر: «وجمع ـ أي ابن الزبير ـ كتاباً في فن من فنون التفسير سماه: «ملاك التأويل. .». الدر الكامنة ١/ ٨٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ١١٢.

(٤) هذا التعريف ذكره د/ عبدالجواد خلف في مقدمة تحقيقه لكتاب: بدر الدين بن جماعة: كشف=

أنواع المتشابه التي تعرض لها السمين:

لقد ذكر السمين عدة أنواع من المتشابه، وبيَّن السر في اختلاف الألفاظ بين الآيات القرآنية المتشابهة في المعنى.

وإليك هذه الأنواع:

١ ـ ما يشتبه بالتقديم والتأخير:

وهذا النوع هو أكثر الأنواع التي تعرض لها السمين. ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[١].

قال: «وفي هذه الآية الكريمة ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فقدَّم المخاطبين، وفي الإسراء[٢] قَدَّمَ ضمير الأولاد عليهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فقيل: للتفنُّنن في البلاغة. وأحسن منه أن يقال: الظاهر من قوله: «من إملاق» حصول الإملاق للوالد لا توقُّعُه وخشيته فبُدِيء أولاً بالعِدَةِ برزق الآباء بشارةً لهم بزوال ما هم فيه من الإملاق، وأما في آية سبحان فظاهرها أنهم مُوْسرون وإنما يخشَوْن حصول الفقر ولذلك قال: خَشْيَةَ إملاقٍ، وإنما يُخْشى الأمور المتوقعة فبُدِيء فيها بضمان رزقهم فلا معنىٰ لقتلكم إياهم، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد وإن كانوا متلبِّسين بالفقر، والأخرىٰ عن قتلهم وإن كانوا مُوْسِرين، ولكن يخافون وقوع الفقر وإفادة معنى جديد أولى من ادَّعاء كون الآيتين بمعنى واحد للتأكيد»[٣].

ومثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ

= المعاني، وهومأخوذ من كلام الزركشي السابق ذكره. (انظر: مقدمة الكتاب ص٤٥).

(١) آية: ١٥١.

(٢) آية: ٣١.

(٣) الدر المصون ٥/ ٢١٩.

مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

قال: «قوله: «الروح» من عطف الخاص على العام، وأُخر هنا وقدم في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[2] لأن المقام هنا يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث إنه مقام تخويف وتهويل»[3].

٢ ـ ما يشتبه بالزيادة والنقصان:

ومن الأمثلة التي ذكرها السمين:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[4].

قال: «فإن قيل: لِمَ لمْ يؤت هنا بواو العطف كما أتى بها في سورة إبراهيم[5]؟ فالجواب أنه أُريد هنا التفسير كما تقدم، وفي سورة إبراهيم معناه: يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح، وقيل: يجوز أن تكون الواو زائدة فتكون كآية البقرة والجواب الأول هو الأصح»[6].

٣ ـ ما يشتبه بالتعريف والتنكير:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[7].

قال: «ونكّر «ماء» وعرّفه في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[8] لأن المقصود هنا التنويع»[9].

---

(١) سورة المعارج: الآية: ٤.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

(٣) الدر المصون ١٠/ ٤٥١. ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ١٨٤، ٤١٨، ٣/ ١١٤، ١٥٩، ٣٩٠، ٤/ ٤١٨، ٥/ ٣٧، ٩/ ١٩٧).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

(٥) يعني قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ آية: ٦.

(٦) الدر المصون ١/ ٣٤٦ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٤٢١، ٣/ ٣٩٠، ٤/ ٤٩٧، ٥/ ٣٥٤، ٧/ ٢٩٧، ٩/ ٢٤٢).

(٧) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٩) الدر المصون ٨/ ٤٢٥. وانظر مثالاً آخر في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ=

٤ ـ ما يشتبه بالجمع والإفراد:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[1]. قال: «وجاء هنا «معدودات» بصيغة الجمع، وفي البقرة ﴿مَّعْدُودَةً﴾[2] تفنناً في البلاغة وذلك أن جمع التكسير غير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة تارة، ومعاملة جمع الإناث أُخرىٰ، فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت «راسيات»، وجمال ماشية، وإن شئت ماشيات.

وخص الجمع بهذا الموضع لأنه مكان تشنيع عليهم بما فعلوا وقالوا، فأتى بلفظ الجمع مبالغة في زجرهم وزجر من يعمل بعملهم»[3].

٥ ـ ما يشتبه بالتذكير والتأنيث:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[4].

قال: «قوله: «التي كنتم بها» صفة للنار، وفي السجدة وصف العذاب[5].

قيل: لأن ثمَّ كانوا ملتبسين بالعذاب مترددين فيه فوصف لهم ما لابسوه، وهنا لم يلابسوه بعد، لأنه عقيب حشرهم»[6].

٦ ـ إبدال حرف بآخر:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾[7].

قال: ـ نقلاً عن الفارسي ـ في مجال المقارنة بين هذه الآية والتي قبلها في

= ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ﴾ ٣/ ٩٤.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(٢) آية: ٨٠.

(٣) الدر المصون ٣/ ٩٦.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٢.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ سورة السجدة، الآية: ٢٠

(٦) الدر المصون ٩/ ١٩٧.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٨٥.

السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾[1].

قال: «فههنا «ولا» بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله «ولا تُصلِّ، ولا تقم، ولا تعجبك» فناسب ذلك الواو، وهناك بالفاء لمناسبة تعقيب قوله: «ولا ينفقون إلا وهم كارهون» أي للإنفاق فهم معجبون بكثرة الأموال والأولاد فنهاه عن الإعجاب بفاء التعقيب...»[2].

٧ ـ إبدال لفظ بآخر:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾[3].

قال: «وقال هنا «فلا تقربوها» وفي مواضع أُخر ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ﴾[4] ومثله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[5] ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾[6] لأنه غلّب هنا جهة النهي إذ هو المعقب بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ وما كان منهياً عن فعله كان النهي عن قربانه أبلغ، وأما الآيات الأُخر فجاء ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ﴾ عقب بيان أحكام ذكرت قبلُ كالطلاق والعدة والإيلاء والحيض والمواريث فناسب أن ينهىٰ عن التعدي فيها وهو مجاوزة الحد الذي حده الله فيها»[7].

٨ ـ اختلاف الختم بين الآيتين:

ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾[8].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٢) الدر المصون ٦/ ٩٤ ولمزيد من الأمثلة انظر: (٢/ ٩، ٥/ ٣٠٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٧) الدر المصون ٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠. ولمزيد من الأمثلة انظر: (١/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٥/ ١٩٠).

(٨) سورة النساء، الآية: ١١٦.

قال: «وتقدم قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1]، وختمت تيك بقوله: «فقد افترى» وهذه بقوله: «فقد ضل»؛ لأن ذلك في غاية المناسبة. فإن الأولىٰ في شأن أهل الكتاب من أنهم عندهم علم بصحة ثبوته، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد كابروا في ذلك فافتروا على الله تعالى.

وهذه في شأن قوم مشركين غير أهل كتاب ولا علم فناسب وصفهم بالضلال، وأيضاً فقد تقدم ذكر الهدى وهو ضد الضلال»[2].

وقد يجتمع في آية أكثر من نوع من أنواع التشابه المذكورة سابقاً، فنجد السمين يقف معها ويوجّه التشابه المذكور في الآية: ومثال ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾[3] قال: «قيل: هذه تأكيد للآية السابقة[4]. وقال الفارسي: «ليست للتأكيد لأن تِيْكَ في قوم، وهذه في آخرين، وقد تغاير لفظا الاثنتين فههنا «ولا» بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله: «ولا تُصَلِّ، ولا تَقُمْ، ولا تُعْجبك»، فناسب ذلك الواو، وهناك بالفاءِ لمناسبة تعقيب قوله: ولا يُنْفِقون إلا وهم كارهون»، أي: للإنفاقِ فهم مُعْجَبون بكثرة الأموالِ والأولادِ فنهاه عن الإعجاب بفاء التعقيب. وهنا «وأولادهم» دون «لا» لأنه نهيٌ عن الإعجاب بهما مجتمعين، وهناك بزيادة «لا» لأنه نهيٌ عن كل واحد واحد فدَلَّ مجموعُ الاثنين على النهي بهما مجتمعين ومنفردين. وهنا «أنْ يُعَذِّبهم» وهناك «ليُعَذِّبهم»، فأتى باللام مُشْعرةً بالغلبة، ومفعولُ الإرادة محذوفٌ، أي: إنما يريد الله اختبارهم بالأموال والأولاد، وأتى بـ «أن» لأن مصبَّ الإرادة التعذيب، أي: إنما يريد الله تعذيبهم، فقد اختلف متعلَّقُ الإرادة في الآيتين. هذا هو الظاهر وإن كان يُحتمل أن تكون اللامُ زائدة، وأن تكن «أَنْ» على حذف لام

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الدر المصون ٤/ ٩١، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٤/ ٢٨٦، ٧/ ١١٠).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٥.

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في سورة التوبة، الآية: ٥٥.

علة. وهناك «في الحياة الدنيا» وهنا سقطت «الحياة» تنبيهاً على خِسِّيَّة الدنيا، وأنها لا تستحق أن تسمى حياة، لاسيما وقد ذكرت بعد ذكر موت المنافقين فناسب ألا تسمى حياة»[1].

وقد يشير السمين إشارة عابرة إلى السَّر في اختلاف الآيات المتشابهة ـ بأي نوع من أنواع التشابه ـ من غير تفصيل في ذلك.

ومثال ذلك: عند قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

قال السمين: «واختلاف الألفاظ في هاتين الآيتين ـ أعني آية البقرة[3] وآية المائدة ـ من نحو قوله هناك «اتبعوا» وهنا «تعالوا» وهناك «ألفينا» وهنا «وجدنا» من باب التفنن في البلاغة، فلا تطلب له مناسبة، وإن كنت قد تكلفت ذلك ونقلته عن الناس في كتاب «التفسير الكبير»[4].

أقول: وهذا الكلام الذي ذكره السمين هنا قد يُشكل مع ما ذكرته سابقاً من اهتمامه بالآيات المتشابهة كما توضحه الأمثلة السابقة.

ويمكن الإجابة عن هذا الإشكال: بأن السمين مقت ـ هنا ـ ورفض التكلف في توجيه الآيات المتشابهة، وهذا لا يمنع من البحث في أسرار اختلاف الآيات المتشابهة متى ما كان الأمر غير متكلف.

وينقل السمين في هذا المجال عن «البرهان»[5] للكرماني، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) الدر المصون ٦/ ٩٤، وانظر مثالاً آخر في: ٣/ ٣٩٠.

(٢) آية: ١٠٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ آية: ١٧٠.

(٤) الدر المصون ٤/ ٤٥٠.

(٥) الكتاب حققه د/ ناصر العمر في أطروحته لرسالة الماجستير في كلية أصول الدين بإشراف د/ أحمد حسن فرحات.

عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾[1] قال: «وجاء هنا وفي الروم[2] «يرسل» بلفظ المستقبل مناسبة لما قبله، فإن قبله «ادعوه خوفاً» وهو مستقبل، وفي الروم «ليجزي الذين» وهو مستقبل.

وأما في الفرقان[3] وفاطر[4] فجاء بلفظ الماضي «أرسل» لمناسبة ما قبله وما بعده في المضي، لأن قبله ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل﴾ وبعده ﴿مرج البحرين﴾ فناسب ذلك الماضي. ذكره الكرماني[5]»[6].

وعند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[7].

قال: «وقال هنا «لقد» من غير عاطف، وفي هود[8] والمؤمنين[9] «ولقد» بعاطف، وبعد أن طرح السمين هذا التساؤل، يلجأ إلى البرهان ليجد عنده الجواب فيقول: «وأجاب الكرماني[10] بأن في هود قد تقدم ذكر الرسول مرات، وفي المؤمنين ذُكر نوح ضمناً في قوله «وعلى الفلك» لأنه أول من صنعها فحسن أن يؤتى بالعاطف على ما تقدم»[11].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.
(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ الآية: ٤٦.
(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ الآية: ٤٨.
(٤) وهي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ الآية: ٩.
(٥) انظر: البرهان في متشابه القرآن ص١٨٧، وقد نَقَلَ السمين كلام الكرماني هنا باختصار.
(٦) الدر المصون ٥/ ٣٥١.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.
(٨) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ الآية: ٢٥.
(٩) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية: ٢٣.
(١٠) انظر: البرهان ص١٧٩، بلفظ قريب مما نقله السمين هنا.
(١١) الدر المصون ٥/ ٣٥٤. وانظر مثالاً آخر في الدر (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وهو في البرهان في ص١٨٩.

الفصل الثالث
التفسير العقدي والفقهي في الدر المصون

وفيه مبحثـــان

المبحث الأول: **التفسير العقدي**

المبحث الثاني: **التفسير الفقهي.**

المبحث الأول
التفسير العقدي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهبه العقدي وتأويله لبعض آيات الصفات

عقيدة أهل السنة في باب الأسماء والصفات وصف الله بما وصف به نفسه، والإيمان بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع، مع تحقيق أن صفاته لا يشبهها صفات، وذاته لا يشبهها ذات، وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فمن شبّه الله بخلقه فقد كفر، وأثبت لنفسه صفات فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه، كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، وفي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ دليل على أنه ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات[2].

وقد خالف السمين هذا المنهج الذي سلكه أهل السنة بتأويله لبعض آيات الصفات. وسوف أتحدث عن بعض تلك الصفات التي أوَّلها:

١ ـ صفة المجيء والإتيان:

قال السمين عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[3]: «والمعنى يأتيهم أمره أو قدرته أو عقابه أو نحو ذلك أو يكون كناية عن الانتقام، إذ الإتيان يمتنع إسناده إلى الله حقيقة»[4].

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ١١.

(٢) من كتاب الحجة في بيان المحجة لإسماعيل بن محمد الأصفهاني بتصرف ٢/ ١٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٤) الدر المصون ٢/ ٣٦٣.

فالسمين بكلامه هذا قد خالف نصوص القرآن المتظاهرة على إثبات هذه الصفة كهذه الآية التي أوّلها، وكقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] فهذه الآيات تدل على إثبات صفة المجيء والإتيان لله تعالى لفصل القضاء بين عباده.

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يامحمد وأملاكه صفوفاً صفاً بعد صف»[3].

وقال الحافظ ابن كثير: «وجاء ربك» يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ»[4].

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني[5] في كتابه «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: «وكذلك يثبتون ما أنزله الله ـ عز اسمه ـ في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عزوجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[6].

وقد لجأ السمين في تأويله لهذه الصفة ـ كما هو مذهب الأشاعرة ـ إلى الإضمار ليصرف اللفظ عن ظاهره، وهذا الإضمار لا دليل عليه من ألفاظ الآية وسياقها، وكل إضمار لا دليل عليه باطل، إذ الادعاء لا يُعْيي أحداً، وقد أبطل ادعاء الإضمار الإمام ابن القيم من عشرة أوجه، منها:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٣) جامع البيان ٣٠/ ١٨٥.
(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢١.
(٥) أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني. الإمام المفسر، المحدث. ولد سنة ٣٧٣هـ. من كبار الواعظين. قال عنه البيهقي: إمام المسلمين حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً. توفي سنة ٤٤٩هـ (السير ١٨/ ٤٠).
(٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث ص٢٣.

١ ـ إنه إضمار ما لا يدل عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويطرق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصح باطله.

٢ ـ إن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

٣ ـ إنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بلا علم، وإخباراً عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.

٤ ـ إن ما ادعوا من الحذف والإضمار إما أن يكون في اللفظ ما يقتضيه ويدل عليه أو لا، فإن كان الثاني لم يجز ادعاؤه، وإن كان الأول كان كالملفوظ به، وعلى التقديرين فلا يكون مجازاً، فإن المدلول عليه يمتنع تقديره. . .»[1].

٢ ـ صفة الغضب:

قال السمين عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[2]: «والغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام ومنه قوله عليه السلام: «**اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه**»[3] وإذا وصف به الباري تعالى فالمراد به الانتقام لا غيره»[4].

فالسمين هنا قد أوّل صفة الغضب بأنها الانتقام، وهذا تأويل غير جائز، إذ أن هذه الصفة قد أثبتها الله لنفسه في هذه الآية، وفي آيات أُخر كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) راجع بقية الأوجه في مختصر الصواعق المرسلة ٣٣٩ ـ ٣٤١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة. وهو جزء من حديث أبي سعيد (سنن الترمذي ٤/ ٤٨٤).

(٤) الدر المصون ١/ ٧٦.

وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

وأثبتها له رسول الله ﷺ فقال ﷺ في حديث الشفاعة: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**»[2] وهذه الصفة من صفات الأفعال التي أثبتها أهل السنة والجماعة، وخالفهم في ذلك أهل التأويل، كما فعل السمين في تأويله للآية السابقة.

قال ابن أبي العز الحنفي[3]: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى . . . ولا يقال إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة. . . ويقال لمن تأوَّل الغضب بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلابد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه هو الغضب. . .»[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من أوَّل صفة الغضب بالانتقام: «وأما قول القائل: «الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام» فليس بصحيح في حقنا، بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلاً. وأيضاً: فغليان دم القلب يقارنه الغضب، ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، منها: في كتاب الأنبياء. باب: قول الله عزوجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ سورة هود، الآية: ٢٥. (الصحيح مع الفتح ٦/ ٣٧١). وفي كتاب التفسير. باب تفسير سورة بني إسرائيل (الصحيح مع الفتح ٨/ ٣٩٥). ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان. حديث رقم (٣٢٧) وغيرهما.

(٣) علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي. درّس وأفتى، وولى قضاء دمشق ثم قضاء مصر. من تصانيفه: شرح العقيدة الطحاوية، والاتباع وغيرهما. توفي سنة ٧٩٢هـ (الدرر الكامنة ٣/ ١١٨).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٨٥ ـ ٦٨٦.

القلب، كما أن «الحياء» يقارن حمرة الوجه، و«الوجل» يقارن صفرة الوجه، لا أنه هو. وهذا لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذي فإن استشعرت القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب، وإن استشعرت العجز عاد الدم إلى داخل، فاصفرّ الوجه كما يصيب الحزين.

وأيضاً: فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا، كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلاً لنا: لا لذاتنا، ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته...»[1].

٣ـ صفة العجب:

قال السمين عند قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[2]: «والمراد بالتعجب هنا وفي سائر القرآن الإعلام بحالهم أنها ينبغي أن يتعجب منها، وإلا فالتعجب مستحيل في حقه تعالى»[3].

فقوله: «وإلا فالتعجب مستحيل في حقه تعالى»، يدل على تأويل صفة العجب وهذا مخالف لمذهب أهل السنة كما هي دلالة القرآن والسنة وعليه عامة السلف.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾[4] في قراءة الرفع[5]، فهذه القراءة المتواترة تدل على إثبات هذه الصفة لله كما نسبها سبحانه لنفسه.

ومن السنة: حديث أبي هريرة قال: عن النبي ﷺ قال: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**»[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.
(٣) الدر المصون ٢/ ٢٤٤.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٢.
(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر: التيسير لأبي عمرو الداني ص١٨٦).
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الأُسارى في السلاسل (الصحيح مع الفتح ٦/ ١٤٥).

وفي الصحيح قول الرسول ﷺ: «**لقد عجب الله عزوجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة . . .**»[1]،

فهذه النصوص متضافرة في إثبات صفة العجب لله عزوجل.

قال شيخ الإسلام في معرض ردّه على من ينكر أو يؤول صفة التعجب: «وأما قوله: التعجب استعظام للمتعجب منه» فيقال: نعم، وقد يكون مقروناً بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب. ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته. فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى: ﴿رب العرش العظيم﴾[2] وقال: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[3] ولهذا قال تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ على قراءة الضم، فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الدلالة. وقال النبي ﷺ للذي آثر هو وامرأته ضيفهما: «**لقد عجب الله**» . . .»[4].

٤ ـ صفة الساق:

عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[5] نقل السمين قول الزمخشري وأعجب به حيث قال: «وكشف الساق كناية عن الشدة، لا يمتري في ذلك من ذاق طعم الكلام، وسمع قول العرب في نظمها ونثرها. ثم ذكر عدة شواهد من الشعر منها قول حاتم الطائي[6]:

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب التفسير، في تفسير سورة الحشر، باب (ويؤثرون على أنفسهم) (الصحيح مع الفتح ٨/ ٦٣١).

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٦) وهو في ديوانه ص ٥٠.

أخو الحربِ إنْ عضَّتْ به الحربُ عضَّها
وإنْ شَمَّرَتْ عن سَاقِها الحــربُ شمّــرا

ثم قال: قال الزمخشري: «الكشف عن الساق والإبداء عن الخِدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب. وأصله في الرّوع والهزيمة وتشمير المُخدَّرات عن سوقهن في الحرب، وإبداء خِدامهن عن ذلك...».

ويبدي السمين إعجابه بهذا البيان من الزمخشري فيقول: «وما أحسن ما أبدى أبوالقاسم وجه علاقة هذا المجاز فلله درّه. وما أورده أهل التفسير فإنه مؤول وكذلك حديث ابن مسعود»[1].

وقول السمين: «أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، بل هي كناية عن شدة الأمر» قد ورد عن السلف. فقد روى ابن جرير أن ابن عباس قال في تفسير هذه الآية: «يكشف عن أمر عظيم...»[2] فلا إشكال في قوله هذا.

لكن الإشكال في قوله: «أن حديث ابن مسعود[3] مؤول» فكلامه هذا تأويل لصفة الساق الثابتة بحديث أبي سعيد الخدري. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»**[4].

---

(١) الدر المصون ١٠/ ٤١٦.

(٢) جامع البيان ٢٩/ ٣٨.

(٣) وقد رواه الطبري بإسناده عن سلمة بن كهيل، قال: حدثنا أبوالزهراء، عن عبدالله ـ أي ابن مسعود ـ قال: «يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمر المسلمون، قال: فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شيئاً، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلا خرّ لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد، كأنما فيها السفافيد، فيقولون: ربنا، فيقول: قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون» (تفسير الطبري ٢٩/ ٣٩). ورواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. في تفسير سورة القلم باب: «يوم يكشف عن ساق» (الصحيح مع الفتح ٨/ ٦٦٣)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٠٢).

قال الإمام ابن القيم ـ بعد أن ذكر مذهب من تأويل الآية ـ: «والذين أثبتوا ذلك ـ أي الساق ـ صفة كاليدين والإصبع، لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «فيكشف الرب عن ساقه، فيخرون له سجداً» اهـ[1].

٥ ـ صفة الحياء:

قال السمين عند قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2] قال: «واستعماله: ـ أي الحياء ـ هنا في حق الله مجاز عن الترك، وقيل: مجاز عن الخشية؛ لأنها أيضاً من ثمراته، وجعله الزمخشري من باب المقابلة يعني: أن الكفار لما قالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب المثل بالمحقرات»[3].

فكلامه هنا تأويل لصفة الحياء وهذا مخالف لظاهر نصوص الكتاب والسنة، أما الكتاب فمثل هذه الآية التي تثبت بنصها صفة الحياء لله ـ عزوجل ـ ومن السنة حديث أبي واقد الليثي قال: «بينما رسول الله ﷺ قاعد في أصحابه إذا جاءه ثلاثة نفر فأما رجل فوجد فرجة في الحلقة فجلس، وأما رجل فجلس ـ يعني خلفهم ـ وأما رجل فانطلق، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم عن هؤلاء النفر؟ أما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل أوى ـ يعني إلى الله ـ فآواه الله، وأما الرجل الذي جلس خلف الحلقة فاستحيىٰ، فاستحيىٰ الله منه، وأما الرجل الذي انطلق فرجل أعرض فأعرض الله عنه**»[4].

وبناءً على هذين النصين فيجب إثبات صفة الحياء لله عزوجل كما أثبتها

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٣) الدر المصون ١/ ٢٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس... (الصحيح مع الفتح ١/ ١٥٦). ومسلم في كتاب السلام برقم (٢١٧٦).

لنفسه وكما أثبتها له رسول الله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل.

قال الإمام ابن القيم في نونيته[1]:

وهُو الحييُّ فليس يفْضَحُ عبدَهُ عند التَّجاهُرِ منهُ بالعصيانِ
لكنّـهُ يُلْقِـي عليـهِ سترَهُ فهو السِّتِّيرُ وصاحبُ الغُفرانِ

٦ ـ صفة العلو:

قال السمين عند قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[2]: «قوله «من في السماء» مفعول «أمنتم» وفي الكلام حذف مضاف، أي: أمنتم خالق من في السموات. وقيل: «في» بمعنى «على» أي: على السماء، وإنما احتاج القائل بهذين إلى ذلك؛ لأنه اعتقد أن «من» واقعة على الباري تعالى وهو الظاهر، وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم»[3].

فقوله: «وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم» قول مجمل لم يرد في الكتاب والسنة نفيه أو إثباته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... لفظ «التحيز» و«الجهة» و«الجوهر» ونحو ذلك ألفاظ مجملة ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله. ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله لا نفياً ولا إثباتاً. وحينئذٍ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه «أهل الكلام» الخائضون في ذلك، فإذا تكلمنا معهم بالبحث العقلي استفصلناهم عما أرادوه بهذه الألفاظ»[4].

ولذا نقول إن أراد السمين بنفي التحيز والجسم معنى صحيحاً قُبل منه، وإن أراد به نفي العلو فقوله هذا مردود.

---

(١) النونية ٢/ ٨٠.
(٢) سورة الملك، الآية: ٦.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٨٩.
(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٠٥.

قال شيخ الإسلام: «وإن قال النّافي لذلك ـ أي للتحيز والجسم ـ: إن ما كان فوق العالم فهو في جهة، وهو متحيز وهو جسم وذلك محال. قيل له: نفيُ إنه مباين للعالم باطل، وملزوم الباطل باطل، فإذا كان نفي مسميات هذه الألفاظ ملزوماً لنفي المباينة كان نفيها باطلاً، والأدلة المذكورة على نفي مسماها بهذا الاعتبار باطلة»[1].

وهذه الآية التي نفى السمين عند تفسيره لها إثباتها للعلو يستدل بها أهل السنة إلى إثبات صفة العلو لله عزوجل، فهذا الإمام ابن أبي العز الحنفي قد جعل هذه الآية وأمثالها من الآيات التي تصرح بأن الله في السماء من الأدلة على علو الله عزوجل فقال في معرض ذكر أدلة العلو: «ومنها: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنى «على» وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره..»[2].

وهناك أدلة كثيرة تثبت صفة العلو لله عزوجل منها:

١ ـ أدلة استواء الله على عرشه، فهي تدل على علو الله بذاته على خلقه.

٢ ـ التصريح بالفوقية مقرونة بمن وبدونها كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[4].

٣ ـ التصريح بالعروج نحو ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾[5].

٤ ـ التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع المراتب، العلو ذاتاً وشرفاً وقدراً كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[6] ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[7].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٢٨٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨.
(٥) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٧) سورة الأعلى، الآية: ١.

٥ ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[١]

٦ ـ التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى كقوله ﷺ: «**إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً**»[٢] . . . إلخ[٣].

ومما يؤكد نفي السمين لصفة العلو: تأويله لصفة الفوقية عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ حيث قال: «والفوقية هنا عبارة عن الاستعلاء والغلبة»[٤].

وقوله هنا مردود عليه، قال ابن القيم في الرد على من أنكر صفة الفوقية بأنها مجاز: «إن هذا المجاز وإن احتمل في قوله ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض، فهي فوقية قهر وغلبة لم يلزم مثله في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة»[٥].

ومما يؤكد نفيه لصفة العلو ـ أيضاً ـ: تأويله لصفة العندية وقوله عنها إنها مجاز وذلك عندتفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٦] إذ قال: «والعندية مجاز لتعاليه عن الجهة»[٧].

وكلامه هذا مردود، فأهل السنة يستدلون بهذه الآية ـ والتي تدل على اختصاص بعض الأشياء بأنها عنده ـ وغيرها مما يماثلها على إثبات صفة العلو لله

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء. (٢/ ١٢٧١) رقم الحديث ٣٨٦٥ بنحوه.

(٣) للاستزادة من الأدلة راجع «الكواشف الجلية من معاني الواسطية» لعبدالعزيز السلمان ٣٤٦ ـ ٣٤٩.

(٤) الدر المصون ٤/ ٥٦٦.

(٥) مختصر الصواعق ص٤١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٧) الدر المصون ١/ ٤٠٥.

عزوجل. قال ابن أبي العز في معرض ذكر أدلة العلو: «الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[1] ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[2] ففرق بين «من له» عموماً وبين «من عنده» من مماليكه وعبيده خصوصاً. . .»[3].

وتأويله لصفة العندية يؤخذ من كلامه من موضعين: أولهما: ادعاؤه بأن ذلك مجاز، والثاني قوله: «لتعاليه عن الجهة» فهذه العبارة يطلقها نفاة العلو قال ابن أبي العز: ونفاة لفظ «الجهة» الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة. . .»[4].

وأما لفظ الجهة فهو لفظ مجمل ـ كما سبق التنبيه إليه ـ وطريقة أهل السنة التفصيل فلا ينفونه مطلقاً ولا يقبلونه مطلقاً.

قال ابن أبي العز: «وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أُريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك، وإن أُريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عالٍ عليه»[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٣٨٣.
(٤) المرجع السابق ١/ ٢٦٦.
(٥) المرجع السابق ١/ ٢٦٦.

المطلب الثاني
موقفه من المعتزلة

تميز السمين بموقفه الحازم من المعتزلة، شأنه في ذلك شأن الأشاعرة في موقفهم من المعتزلة. فقد عني بتتبع آراء الزمخشري الاعتزالية التي دسَّها من خلال تفسيره والتنبيه عليها.

وكان منهجه في ذلك:

١ ـ ذكره قول الزمخشري أو غيره كالفارسي وما يرمي إليه من هدف اعتزالي ويتعقب ذلك بالتخطئة، ويكتفي بذلك فلا يذكر الرد المفصل على تلك المقولة ويشير أحياناً إلى أن تفصيل الرد في كتابه «الأحكام»[١] أي أحكام القرآن.

٢ ـ تفصيل الرد على المعتزلة في بعض المواطن ـ وهو قليل ـ.

ومن أمثلة إشارته إلى رأي المعتزلة من غير تفصيل الرد:

إشارته إلى رأي الزمخشري ـ وهو رأي المعتزلة ـ في نفي الرؤية[٢]

---

(١) انظر: مثال ذلك في الدر ١٠/ ٢٥٥.

(٢) رؤية المؤمنين لله عزوجل في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف. أما القرآن فمنه قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ سورة يونس، الآية: ٢٦، والزيادة هي: رؤية الله. فعن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فقال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فما شيء أُعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة»** (أخرجه مسلم برقم ١٨١). وقد ذكر الإمام اللالكائي كثيراً من الأدلة السمعية من القرآن والسنة، وأقوال علماء الأمة من لدن الصحابة والتابعين ومن تبعهم (انظر: شرح أصول أهل السنة ٣/ ٥٠٣ ـ ٥٦٥).

قال الإمام الطحاوي: «والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: =

عند قوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[1] حيث قال السمين: «الاستدراك في قوله «ولكن انظر» واضح، وقال الزمخشري: «فإن قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله: «ولكن انظر» بما قبله؟ قلت: اتصل به على معنى أن النظر إليَّ محال فلا تطلبه، ولكن اطلب نظراً آخر وهو أن تنظر إلى الجبل».

قال السمين منبهاً إلى مقصد الزمخشري: «وهذا على رأيه من أن الرؤية محال مطلقاً في الدنيا والآخرة[2]»[3].

ومثال آخر: نبَّه فيه السمين على مسألة قول المعتزلة بخلق القرآن، وأبطل القول به وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]. قال: «والجعل هنا تصيير، ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه أن يكون بمعنى: خلقنا»[5].

= ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال ابن أبي العز شارحاً لكلام الطحاوي: «المخالف في الرؤية: الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة...» (شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) قد ردّ أهل السنة على المعتزلة استدلالهم بهذه الآية على نفي الرؤية من سبعة وجوه ـ كما يقول الإمام ابن أبي العز ـ منها:
١ ـ أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال.
٢ ـ أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه فأنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ سورة هود، الآية: ٤٦.
٣ ـ أن الله قال: ﴿لن تراني﴾ ولم يقل: إني لا أُرى ولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي... وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤية الله تعالى.
وانظر بقية هذه الردود في شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

(٣) الدر المصون ٥/ ٤٤٩.

(٤) سورة الزخرف، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) الدر المصون ٩/ ٥٧١.

٢ ـ ومن الأمثلة التي فصّل فيها الرد على المعتزلة:

عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[1].

= ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق. قال ابن تيمية: «فاستقر أهل السُّنَّة وجماهير الأمة وأهل الجماعة وأعلام الملة في شرقها وغربها على الإيمان الذي جاءت به الرسل عن الله وجاء به خاتم النبيين مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، وهو أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله، وأن كلام الله لا يكون مخلوقاً منفصلاً عنه، كما لا يكون كلام المتكلم منفصلاً عنه، فإن هذا جحود لكلامه الذي هو رسالته، ودفع لحقيقة ما أنبأت به الرسل وعلمته أممهم، وإلحاد في أسماء الله وآياته وتمثيل له بالمعدوم والموات، فإن الحياة والعلم والقدرة والكلام ونحو ذلك صفات كمال، والرب تعالى أحق بكل كمال، فيمتنع أن يثبت للمخلوق كمال إلا الخالق أحق به...» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٥٥ـ٣٥٦).

وقد حكى الإمام اللالكائي (المتوفي سنة ٤١٨هـ) إجماع الصحابة والتابعين وأتباعهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق وذكر عدة آثار بأسانيدها في ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود...

منها: قوله عن عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله يقولون: «من قال: القرآن مخلوق فهو كافر». (انظر هذه الآثار في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) ١/ ٢٥٣ ـ ٣٤٤.

وحكى هذه الآثار أيضاً الإمام أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني (المتوفَّى سنة ٥٣٥هـ). (انظر هذه الآثار في كتابه: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ١/ ٣٣٤ـ ٣٤٠).

وقد ردّ أهل السنة على المعتزلة استدلالهم بهذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا﴾ على خلق القرآن. قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية: «وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسده من استدلال! فإن «جعل» إذا كان بمعنى «خلق» يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ سورة الأنعام، الآية: ١، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ سورة الأنبياء، الآيتان ٣٠، ٣١، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى «خلق» قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ سورة النحل، الآية: ٩١، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٢٤... إلخ». (شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٨٢).

ولمزيد من الأمثلة التي نبّه فيها السمين على آراء المعتزلة وتعقبهم فيها انظر: (٢/ ٤٨، ٤/ ٤٨٥، ٦٢٦ـ٦٢٧، ٦٤٦، ٥/ ١٤٠، ٢٩٥، ٤٤٩، ٥٠٤، ٨/ ٢٣٢، ١٠/ ٢٥٥، ٥٤٩).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

قال: «وفي هذه الآية بحوث حسنة تتعلق بعلم العربية، وعليها تُبْنى مسائل من أصول الدين، وذلك أن المعتزلي يقول: مجرد الإيمان الصحيح لا يكفي بل لابد من انضمام عمل يقترن به ويصدقه، واستدل بظاهر هذه الآية، وذلك كما قال الزمخشري: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة لقوله: ﴿نَفْسًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ عطفت على ﴿ءَامَنَتْ﴾ والمعنى: أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملْجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذٍ نفسها غير مقدِّمة إيمانها قبل ظهور الآيات أو مقدّمة إيمانها غير كاسبة خيراً في إيمانها، فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعٌ بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأُخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك».

ثم ردّ السمين على الزمخشري قوله هذا ونقل أيضاً ردّ ابن المنيّر[1] عليه. فقال السمين: «وقد أجاب الناس عن هذا الظاهر بأن المعنى بالآية الكريمة: أنه إذا أتى بعض الآيات لا ينفع نفساً كافرة إيمانها الذي أوقعته إذ ذاك، ولا ينفع نفساً سبق إيمانها وما كسبت فيه خيراً، فقد علّق نفع نفي الإيمان بأحد وصفين: إما نفي سبق الإيمان فقط وإما سبقه مع نفي كسب الخير، ومفهومه أنه ينفع الإيمان السابق وحده أو السابق ومعه الخير، ومفهوم الصفة قوي فيُستدل بالآية لمذهب أهل السنة فقد قلبوا دليلهم دليلاً عليهم.

ثم قال السمين: «وقد أجاب القاضي ناصر الدين بن المنيّر عن قول الزمخشري فقال: «قال أحمد: هو يروم الاستدلال على أن الكافر والعاصي في الخلود سواء حيث سوّى في الآية بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات، ولا يتم ذلك، فإن هذا الكلام في البلاغة يُلقّب باللف وأصله: يوم يأتي

---

(١) العلاَّمة ناصرالدين، أحمد بن محمد الجَرْوي الإسكندراني المالكي، قاضي الإسكندرية. ولد سنة ٦٢٠هـ، وبرع في الفقه، والأصول، والعربية، والبلاغة. توفي سنة ٦٨٣هـ. (الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٢٤٣)، و(الشذرات ٧/ ٦٦٦).

بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعدُ ولا نفساً لم تكسب خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعدُ، فلف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبلاغة، ويظهر بذلك أنها لا تخالف مذهب الحق فلا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم من الخلود، فهي بالرد على مذهبه أولى من أن تدل له»[1].

(١) الدر المصون ٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

المبحث الثاني
التفسير الفقهي

السمين الحلبي شافعي المذهب. وقد سبق الحديث عن ذلك[1].

وفي هذا المبحث سأتعرض للتفسير الفقهي عنده فأقول: لم يكن للسمين عناية بالتعرض للأحكام الفقهية في الدر المصون؛ وذلك لطبيعة هذا الكتاب إذ أنه قد حدد هدفه من تأليفه والعلوم التي سيتناولها وذلك في مقدمة الكتاب، فقد ذكر علوماً خمسة لم يكن الفقه من بينها.

وهناك سبب آخر: هو أن السمين قد ألّف كتاباً آخر اعتنى فيه بالأحكام الفقهية هو كتاب: أحكام القرآن. وقد أشار إلى هذا الكتاب عند بعض الآيات في الدر حيث قال عند حديثه عن مسألة: مس المحدث المصحف عند قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2]: «وهذه المسألة يتعلق بها خلاف العلماء في مس المحدث المصحف وهو مبني على هذا، وسيأتي تحقيقه بأشبع من هذا في كتاب «أحكام القرآن» إن شاء الله إتمامه»[3].

لهذين السببين لم يتعرض للأحكام الفقهية إلا في مواضع قليلة بل إنه لم يذكر الحكم الفقهي إلا لتعلق الإعراب به. وقد صرح بهذا عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

قال: «في هذا الاستثناء خلاف: هل يعود لما تقدمه من الجمل أم إلى

---

(١) انظر: ص (٣٢) من هذه الرسالة في موضوع مذهبه الفقهي.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٢٢٦.
(٤) سورة النور، الآية: ٤، ٥.

الجملة الأخيرة فقط؟ وتكلم عليها من النحاة ابن مالك والمهاباذي. فاختار ابن مالك عوده إلى الجملة المتقدمة، والمهاباذي إلى الأخيرة. وقال الزمخشري: «رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ باستيفاء الحدّ. فإذا شهد به قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته. فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبداً، وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ يتعلق رد شهادته بنفس القذف. فإذا تاب عن القذف بأن يرجع عنه عاد مقبول الشهادة. وكلاهما متمسك بالآية: فأبوحنيفة ـ رحمه الله ـ جعل جزاء الشرط ـ الذي هو الرمي ـ الجلد وردّ الشهادة عقيب الجلْدِ على التأبيد، وكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم، وجعل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناء من الفاسقين. ويدل عليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ والشافعي ـ رحمه الله ـ جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً، غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف، وجعل الاستثناء بالجملة الثانية متعلقاً» انتهى.

ثم قال السمين: «وإنما ذكرت الحكم؛ لأن الإعراب متوقف عليه»[1].

---

(١) الدر المصون ٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

وقد يشير إلى المسألة الفقهية من غير الدخول في تفصيلاتها.

عند حديثه عن حكم الجمع بين الأُختين عند قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾[1]. قال: «وحرم عليكم الجمع بين الأختين. والمراد الجمع بينهما في النكاح، أما في المِلْك فجائز اتفاقاً. وأما الوطء بملك اليمين ففيه خلاف ليس هذا موضعه»[2].

وكذلك عند حديثه عن مسألة خلاف العلماء في التائب من قُطّاع الطريق هل تسقط عنه العقوبات كلها أو عقوبة قطع الطريق فقط؟

قال عند إعراب: ﴿إلا الذين تابوا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

قال: «فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الاستثناء من المحاربين، وللعلماء خلاف في التائب من قطاع الطريق هل تسقط عنه العقوبات كلها أو عقوبة قطع الطريق فقط؟ وأما ما يتعلق بالأموال وقتل الأنفس فلا تسقط، بل حكمه إلى صاحب المال وولي الدم؟ والظاهر الأول»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) الدر المصون ٣/ ٦٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) الدر المصون ٤/ ٢٥٢.

الفصل الرابع
قيمة الدّر العلمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **مكانته بين التفاسير اللغوية، وأثره فيمن بعده.**

المبحث الثاني: **المآخذ على الدر.**

المبحث الأول
مكانته بين التفاسير اللغوية، وأثره فيمن بعده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانته بين التفاسير اللغوية ومميزاته.

المطلب الثاني: أثره فيمن بعده:

أ ـ في كتب التفسير:

١ ـ حاشية الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

٢ ـ الفتوحات الإلهية للجمل، المتوفى سنة ١٢٠٤هـ.

٣ ـ روح المعاني للألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.

ب ـ في كتب اللغة والنحو:

١ ـ المنصف من الكلام على المغني، للشُّمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ.

٢ ـ شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، المتوفى سنة ٩٠٥هـ.

٣ ـ حاشية على بانت سعاد لابن هشام، لعبد القادر البغدادي، المتوفى سنة ١٠٩٣هـ.

المطلب الأول
مكانته بين التفاسير اللغوية

تكمن مكانة الدر المصون وقيمته العلمية بين كتب التفسير اللغوية في عدة أمور هي:

أولاً: نستطيع أن نُصنِّف الدر بأنه كتاب إعراب للقرآن، وقد تميز عن غيره من كتب أعاريب القرآن بما يلي:

١ ـ ربط الإعراب ببقية العلوم الخمسة الهامة التي اعتنى بها وهي الصرف واللغة والبيان والمعاني.

٢ ـ أنه جمع كثيراً من أقوال المعربين ممن تقدمه من المفسرين وأساطين النحو. مع مناقشتها مناقشة علمية واعية غير متعصبة، والخروج برأي علمي مُدّعم بالأدلة والبراهين.

٣ ـ انضباط منهج الإعراب لدى السمين، وتميزه في ذلك بعدم الإغراق والتَّمحل والتزامه بالظاهر في أعاريبه. وتقيده بنظم القرآن، وغيرها من المميزات الهامة التي سبق الحديث عنها.

٤ ـ اهتمام السمين بالمعنى اهتمام واضح، ولذا فقد كان المعنى هو الأصل والعمدة في قبول الإعراب أو رده. والإعرب خادم له.

ثانياً: أنه حوى كثيراً من القراءات المتواترة والشاذة، فيعد بذلك من المراجع الهامة في القراءات.

وقد تميز منهجه فيها: بتخريجها نحوياً ولغوياً. وبرز لديه جانب الالتزام بالدفاع عنها والرد على منتقديها. وهذا الأمر لم يتوفر لدى كثير ممن اهتموا بإعراب القرآن، بل إن كثيراً منهم قد يتنقص من القراءة أو يطعن فيها إذا خالفت المذاهب النحوية المشهورة. وهم بفعلهم هذا نصّبوا النحو حاكماً على القرآن.

بيد أن السمين تميز في هذه المسألة ـ بوضوح ـ فمتى صحت القراءة أو ثبتت فلا مجال للكلام فيها، بل هي الأصل وقواعد النحو المخالفة لها هي الشاذة والضعيفة. فالقرآن هو الحاكم على النحو عنده.

ثالثا: معالجة السمين لكثير من المواد اللغوية من مفردات القرآن، وهذا أمر بارز في الدر، فلو جمعنا المواد اللغوية منه لوجدناها مادة ضخمة ولا عجب في ذلك فللسمين كتاب مستقل في مفردات القرآن هو: «العمدة» صبّ كثيراً من مادته في الدّر.

رابعاً: إبرازه لبلاغة الأسلوب القرآني من حيث اهتمامه بعلوم البلاغة الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع، وأبدع السمين في إظهار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه. لذا فهو يُعدّ من كتب التفسير المعنية بالبلاغة.

خامساً: اللفتات التفسيرية الهامة فيما يتعلق بتفسير بالقرآن والاهتمام بخواتيم الآيات وغير ذلك.

ولعله اتضح مما سبق أن أعظم ميزة للدر المصون بين كتب التفسير اللغوية هي: جمعه للحديث عن تلك العلوم الخمسة، الإعراب، واللغة، والتصريف، والبيان، والمعاني، متصلة في وحدة واحدة لتساهم في فهم القرآن وبيان مقاصده.

المطلب الثاني
أثره فيمن بعده

أفاد بعض المفسرين واللغويين والنحاة من الدر المصون ونهلوا منه وتتلمذوا عليه، وذلك لتميزه في علوم النحو واللغة والتفسير والبلاغة.

وقد قمت بتقسيم هذا المطلب إلى قسمين:

القسم الأول: أثره في المفسرين.

القسم الثاني: أثره في اللغويين والنحاة.

القسم الأول: أثره في المفسرين:

١ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان ابن عمر العجيلي الشهير بالجمل.

التعريف بالمؤلف:

هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل، فاضل من أهل منية عجيل ـ إحدى قرى مصر ـ. له مؤلفات منها: الفتوحات الإلهية، وهو حاشية على تفسير الجلالين، والمواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية، وفتوحات الوهاب حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية. توفي سنة ١٢٠٤هـ[١].

التعريف بالكتاب:

هذا التفسير هو شرح لتفسير الجلالين[٢] الذي ألّفه جلال الدين

---

(١) انظر: الأعلام ٣/ ١٣١.

(٢) هذا التفسير فسر جلال الدين المحلي النصف الأخير من القرآن بدءاً من الكهف إلى سورة الناس، ثم شرع في النصف الأول من القرآن فتوفي بعد تفسيره للفاتحة، ثم جاء السيوطي وأتمه من البقرة إلى نهاية سورة الإسراء. فسمى تفسير الجلالين نسبة إليهما (الفتوحات الإلهية =

المحلي[1]، وجلال الدين السيوطي وهو عبارة عن نقولات من كتب التفسير المختلفة لبيان الكلمات المختصرة من تفسير الجلالين، وقد اعتمد الجمل فيه على عدة تفاسير أبرزها: الدر المصون. وينقل عن الكرخي[2]، وعن شيخه ـ أي شيخ الجمل ـ وهو عطية الأجهوري[3]، وينقل عن البيضاوي[4] والحواشي المؤلفة عليه، وعن أبي حيان وغيرهم[5].

نقل الجمل في الفتوحات الإلهية نقولاً كثيرة عن السمين، وافاد منه في جوانب متعددة، في الإعراب، والصرف، واللغة، وغلب عليه قبول أقواله وموافقة كثير من آرائه، وهذه طبيعة الجمل في كتابه هذا فهو في الغالب ينقل عن المفسرين وعن شيوخه من غير أن يتعقبهم أو يناقشهم.

ونَقْلُ الجمل عن السمين واضح ومنتشر بكثرة، إذ يُعدّ الدر المصون من المصادر الهامة التي اعتمد عليها الجمل في فتوحاته.

وكان يشير إلى نقله عن الدر مرة في بداية النقل، ومرة بعد أن ينتهي من النقل فيقول: «انتهى سمين».

= ٨/ ٤٤٦).

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. ولد سنة ٧٩١هـ. واشتغل وبرع في الفنون فقهاً، وأصولاً، وكلاماً، ونحواً وغيره. من مؤلفاته: شرح جمع الجوامع. توفي سنة ٨٦٤هـ. (طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٨٤).

(٢) محمد بن محمد الكرخي، بدر الدين، فقيه، عارف بالتفسير. اشتهر بمصر وتوفي بها. له: مجمع البحرين وهو حاشية على الجلالين والمنهج الأسنىٰ في آية الكرسي والأسماء الحسنىٰ. توفي سنة ١٠٠٦هـ. (الأعلام ٧/ ٦١).

(٣) عطية الله البرهاني الشافعي الشافعي، فقيه، فاضل. من تصانيفه: الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين حاشية على تفسير الجلالين [ولعل هذا هو الكتاب الذي نقل عنه الجمل] (الأعلام ٤/ ٢٣٨).

(٤) عبدالله بن عمر أبوالخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي. إمام عارف بالفقه والتفسير والعربية والمنطق. زاهد، شافعي المذهب. من تصانيفه: أنوار التنزيل، والمنهاج في الأصول. توفى سنة ٧٩١هـ. (طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٤٨).

(٥) كأبي السعود والخطيب.

وينقل عنه نص كلامه، وينص على ذلك. ومثال هذا: عند حديثه عن معنى «لعل» في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. قال الجمل: «وفي السمين ما نصه: وإذا ورد لعل في كلام الله تعالى فللناس فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن لعل على بابها من الترجي والاطماع ولكن بالنسبة إلى المخاطبين أي لعلكم تتقون على رجائكم وطمعكم وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾[2] أي اذهبا على رجائكما. والثاني: أنها للتعليل أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا وبه قال الطبري. والثالث: أنها للتعرض للشيء كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا، وهذه الجملة على كل قول متعلقه من جهة المعنى باعبدوا أي: اعبدوه على رجائكم التقوى أولتتقوا أو متعرضين للتقوى وإليه مال المهدوي وأبوالبقاء اهـ[3]

وهذا الذي نقله هنا الجمل هو نص كلام السمين[4] كما ذكر، ولم يتصرف فيه إلا بحذف بيتين استشهد بهما على المعنى الثاني للعل.

مثال ما نقله السمين في الإعراب:

عند إعراب قوله: «وادعوا شهداءكم» في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾[5].

قال الجمل: «هذه جملة أمر معطوفة على الأمر قبلها، فهي في محل جزم أيضاً.. اهـ سمين»[6].

ومثال آخر: عند إعراب قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾[7].
قال: «... قوله: «هذا الذي رزقنا» مبتدأ أو خبر في محل نصب بالقول وعائد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.
(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ٣٨.
(٤) الدر المصون ١/ ١٨٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٦) الفتوحات الإلهية ١/ ٤١، وانظر: الدر ١/ ٢٠١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

الموصول محذوف لاستكماله الشروط أي رزقناه، و«من قبل» متعلق به ومن لابتداء الغاية ولما قُطعت قبل بُنيت. إنما بنيت على الضمة لأنها حركة لم تكن لها حال إعرابها اهـ سمين»[1].

ومثال نقله عنه في الصرف:

عند حديثه عن كلمة «يقيمون» قال الجمل: «أصله يُؤَقْوِمُون حذفت همزة أَفْعَل لوقوعها بعد حرف المضارعة فصار يُقْوِمون بوزن يكرمون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف ثم قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. اهـ سمين»[2].

مثال نقله عنه في اللغة:

عند بيان معنى كلمة «تسرّ» في قوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[3].

قال الجمل: «والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه، ومنه السرير الذي يجلس عليه إذا كان لأولي النعمة، وسرير الميت له به في الصورة وتفاؤلاً بذلك. اهـ سمين»[4].

٢ ـ حاشية الشهاب الخفاجي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي.

التعريف بالمؤلف:

أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم. واتصل بالسلطان مراد الثاني فولاه قضاء سلانيك ثم قضاء مصر، ثم عزل فرحل إلى الشام وحلب، ثم نفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي. من تصانيفه: ريحانة الألبا في التراجم، وشفاء العليل فيما في

---

(١) الفتوحات الإلهية ١/ ٤٤ وانظر: الدر ١/ ٢١٦.

(٢) الفتوحات الإلهية ١/ ١٨ وانظر: الدر ١/ ٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٤) الفتوحات الإلهية ١/ ٩٥ وانظر: الدر ١/ ٤٢٦.

كلام العرب من الدخيل، وعناية القاضي وهو حاشية على البيضاوي. توفي سنة ١٠٦٩هـ[١].

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب حاشية على تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» إذ إن تفسير البيضاوي قد حظي بعناية كثير من العلماء فكتبوا عليه حواشٍ، وهذه الحاشية من أفضل الحواشي لما تميزت به من تحرير وشرح. وتتفوق هذه الحاشية باهتمامها بالمباحث البلاغية، والنحوية واللغوية. وينقل فيها الشهاب عن الزمخشري وأبي حيان والسمين الحلبي. وتميز الشهاب فيها بمناقشة أقوال العلماء والمفسرين الذين ينقل عنهم، وفي مقدمتهم البيضاوي.

*** نقل الشهاب عن الدر:**

أفاد الشهاب الخفاجي من الدر المصون، فنقل عنه كثيراً في مجال الإعراب ووافقه في كثير من المواضع التي نقل عنه فيها، واستدرك عليه في مواطن اخرى، ونقل عنه ـ أيضاً ـ في مجال الصرف، وفي توجيه القراءات، وفي اللغة، وفي البلاغة.

وهو ينقل عنه تارة باسم الكتاب، فيذكر «الدر المصون»[٢] وهذا هو الغالب، وتارة باسم السمين فيقول: «قال السمين»[٣] أو «قال الحلبي»[٤]

وكان ينقل عنه بالنص ـ أحياناً ـ ومثال ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾[٥].

قال الشهاب: «... وما روي من الوقف على قوله: «أم لم تنذر» والابتداء

---

(١) الأعلام ١/ ٢٣٨.

(٢) انظر: أمثلة ذلك في (١/ ٥٧، ١٤٠، ١٤١، ١٩٧، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢/ ٣٤، ٨٨، ٩٤، ١٠٢، ١٥٤، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٨٢، ٢٠٤، ٢١٧).

(٣) انظر: أمثلة ذلك في (٢/ ١٣٧، ١٩٤).

(٤) انظر: أمثلة ذلك في (٢/ ١٩٤، ٢١٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦.

بقوله: هم لا يؤمنون على أنه مبتدأ وخبر. مردود لا يلتفت إليه، وإن نقله الهذلي رحمه الله في كتاب الوقف والابتداء كما في الدر المصون»[1].

وفي غالب المواطن التي نقل فيها الشهاب لم يلتزم بنقل نص كلام السمين وإنما قد يختصر فيه أو يتصرف فيه حسب حاجة الموطن الذي ينقل فيه.

وقد ينقل الشهاب عن السمين ولا يشير إلى نسبة ذلك إليه.

ومثال ذلك: عند إعراب «يريد الله ليبين لكم» في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ﴾[2]. قال الشهاب: «وهذا التركيب وقع في كلام العرب قديماً كقوله[3]:

أريدُ لأنْسَى ذِكرَها

وخرجه النحاة على مذاهب فقيل: مفعول يريد محذوف أي: تحليل ما حلل وتحريم ما حرّم ونحوه. واللام لام التعليل أو العاقبة أي ذلك لأجل التبيين، ونسب هذا لسيبويه فتعلق الإرادة غير التبيين وإنما فعلوه لئلا يتعدى الفعل إلى مفعول المتأخر عنه باللام وهو ممتنع أو ضعيف، وقيل: إنه إذا قصد التأكيد جاز من غير ضعف. وسمى صاحب اللباب فيه لام التكملة وجعلها مقابلة للام التعدية، وأما جعل الفعل مؤولاً بالمصدر من غير سابك على أنه مبتدأ والجار والمجرور خبره أي إرادة الله كائنة للتبيين فتكلفٌ وإن ذهب إليه بعض البصريين فكان مذهبهم عدم اشتراط السابك. ومذهب الكوفيين أن اللام هي الناصبة من غير تقدير «أنْ» ولذا قيل على ما ذهب إليه المصنف[4] تبعاً للزمخشري من أنه مفعول. واللام زائدة إنه مخالف لمذهب البصريين والكوفيين معاً مع أنّ «أنْ» لا تضمر بعد اللام

---

(١) حاشية الشهاب ١/ ٢٥٧، وانظر: الدر المصون ١/ ١٠٩.

(٢) سور النساء، الآية: ٢٦.

(٣) البيت لـ: كثير، وهو في ديوانه ١/ ٢٤٨.
والبيت كاملاً كالتالي:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّل لي ليلى بكل طريق

(٤) يعني به: البيضاوي صاحب تفسير «أنوار التنزيل».

إلا وهي لام تعليل أو جحود. وقد جُوّز في الآية أن يكون يبين ويهدي تنازعاً في سنن وهو حسن. . . »[1].

وما ذكره الشهاب هنا هو تلخيص لما ذكره السمين من مذاهب النحاة في إعراب تلك الآية[2].

ومن أمثلة نقله في مجال الإعراب:

عند إعراب «ماذا» في قوله تعالى: ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾[3].

قال الشهاب: «في الدر المصون للنحاة في «ماذا» ستة أوجه، الأول: أن يكون «ما» اسم استفهام و«ذا» اسم إشارة خبر له. والثاني: أن يكون ذا اسماً موصولاً وهو وإن كان بحسب الأصل اسم إشارة لكنه يكون اسماً موصولاً في هذا المحل فقط والعائد محذوف تقديره: أراده. . . والثالث: أن يغلب ما فيركبا ويجعلا اسماً واحداً للاستفهام ومحله النصب على أنه مفعول مقدم. . . إلخ»[4].

ومثال آخر: عند إعراب «الموفون» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾[5]. قال الشهاب: «وفي الدّر المصون في رفع الموفون عطفه على فاعل آمن، أو على من آمن، أو جعله خبر مبتدأ محذوف أي وهم الموفون ونصب الصابرين على المدح وهو في المعنى عطف على من آمن. . . »[6].

---

(١) حاشية الشهاب ٣/ ١٢٧.

(٢) انظر: الدر المصون ٣/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠.
وانظر: مثالاً آخر في الحاشية ٣/ ١٣١، وقارنه بما ورد عند السمين في الدر ٣/ ٦٦٧ ـ ٦٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٤) حاشية الشهاب ٢/ ٤٩ وانظر: الدر المصون ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٦) حاشية الشهاب ٢/ ٢٧١، وانظر: الدر ٢/ ٢٤٩.
ولمزيد من الأمثلة انظر في حاشية الشهاب: (١/ ١٤١، ٢٧٣، ٢/ ٥٥، ٨٨، ١٨٢، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٦٢).

وينقل الشهاب عن السمين في تخريج القراءات.

ومن ذلك: عند تخريج قراءة الشجرة بكسر الشين[1]. في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

قال الشهاب: «قال السمين ـ رحمه الله ـ قُرِىء: «الشجرة» بكسر الشين والجيم[3] وإبدالها ياءً مع فتح الشين وكسرها لقربها منها مخرجاً»[4].

وينقل عنه في مجال الصرف.

ومن ذلك: عند بيان أصل كلمة لفظ الجلالة «الله» أي اشتقاقها قال الشهاب: «... وقيل أصله لَوَها أو لَوِها كما في الدر المصون فلا حاجة إلى القول بأن قلب ياء ليها الساكنة ألفاً على خلاف القياس»[5].

ونلحظ هنا أن الشهاب احتج بقول السمين في بيان أصل الكلمة، وهذا يدل على اعتماده لأقوال السمين في الصرف.

وينقل عنه في مجال اللغة.

ومن ذلك في بيان معاني الكلمات. ومثاله: عند حديثه عن معنى كلمة «الوالدين» وعلى من تطلق قال الشهاب: «والوالدان تثنية والد؛ لأنه يطلق على الأب والأم أو تغليب. وقال الحلبي: إنه لا يقال في الأُم والد فيتعين التغليب»[6].

ومن ذلك نقله عنه في بيان معاني الحروف. ومثاله: عند بيان معنى «مِنْ» في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[7] فقد ذكر الشهاب

---

(١) وقد حكى هذه القراءة هارون الأعور عن بعض القراء (الشواذ ص٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٣) نصُّ الشهاب هنا سقط منه جملة [وسكون الجيم] ولعله من الناسخ أو الطابع. انظر الدر المصون ١/ ٢٨٤.

(٤) حاشية الشهاب ٢/ ١٣٧.

(٥) حاشية الشهاب ١/ ٥٧، وانظر: الدر ١/ ٢٥.

(٦) حاشية الشهاب ٢/ ١٩٤، وانظر: الدر ١/ ٤٦٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩.

أن معناها هنا: التعليل ثم قال بعد ذلك: «وكذا في الدر المصون»[1].

ولكنّ نَقْله عنه في مجال الصرف واللغة قليل، والغالب في نقول الشهاب عن السمين هو في مجال الإعراب.

ومع أن الشهاب الخفاجي قد وافق السمين في كثير من آرائه وأقواله التي نقلها إلا أنه قد وقف من بعض أقواله وآرائه موقف المناقش والمستدرك ومن ذلك:

عند حديثه عن إضافة «آل» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[2]. قال الشهاب: «وفي الدر المصون هو من الأسماء اللازمة للإضافة معنى لا لفظاً. قال الشهاب: وفيه نظر»[3].

وقد يستدرك الشهاب على السمين تعقبه لبعض ائمة اللغة. ومن ذلك: استدراكه عليه في تعقب ابن الأنباري قال الشهاب: «وفي الدر المصون: زعم ابن الأنباري[4] أنه لم يُسْمع في كلام الجاهلية ولا في شعرها فاسق. وهذا عجيب منه وقد قال رؤبة.

يَذْهبنَ في نَجْدٍ وغوراً. . . إلخ

قال الشهاب: «أقول: الظاهر أنه يعترض على ما ذكر بأنه كيف ينكر هذا مع وروده في الأشعار القديمة كثيراً لاسيما وقد جاء في أفصح الكلام ولذا عدّه عجيباً.

ثم قال متعقباً السمين: والعجب ممن لم يقف على المراد. وحاد عن طريق السداد فإن هذا مما اتفق عليه أئمة اللغة. وقد عقد له ابن فارس في فقه اللغة باباً.

ثم قال: «قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ في معرفة الألفاظ الإسلامية: كانت

---

(١) حاشية الشهاب ١/ ٤٠٠. وانظر: الدر ١/ ١٧٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٣) حاشية الشهاب ٢/ ١٥٨. وانظر الدر ١/ ٣٤٣.
(٤) انظر الزاهر ١/ ١٢٠.

العرب في جاهليتها على إرث من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقوانينهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام. . . حتى قال: ولم يعرفوا الفسق إلاقولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، فجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى اهـ كلام ابن فارس.

ثم قال الشهاب: وهكذا قاله غيره من أهل اللغة من غير تردد فيه وحاصله أنه خروج الأجرام وبروز الأجسام من غير العقلاء من كون لآخر من حيز إلى حيز، فنقله الشرع في الإسلام إلى خروج العقلاء من الناس عن الطاعة وشاع بعد ذلك حتى صار حقيقة عرفية لغوية، ومنه بيت رؤبة فإنه ليس شاعراً جاهلياً مع أنه في خروج الإبل وهي لا تعقل أيضاً فلم يخرج عن الوضع، ومما أحدثوه منه الفويسقة للفأرة، والفاسقية لعمامة كانت معروفة في العهد الأول. . .»[1].

٣ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للألوسي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ:

التعريف بالمؤلف:

هو محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين، مفسر، محدث، أديب من المجددين، ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل فانقطع للعلم.

من تصانيفه: روح المعاني، ونشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، تحدث فيه عن رحلته إلى الأستانة، والأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية وغيرها. توفي سنة ١٢٧٠هـ[2].

التعريف بالكتاب ومنهجه:

يُعدّ الكتاب من التفاسير الموسوعية؛ إذ إن مؤلفه جمع فيه كثيراً من آراء المتقدمين والمتأخرين. فنقل عن كثير من كتب التفسير قبله كالمحرر الوجيز

---

(١) حاشية الشهاب ٢/ ١٠٢، وانظر الدر ١/ ٢٣٤.

(٢) الأعلام ٧/ ١٧٦.

والكشاف والبحر المحيط وتفسير الرازي والبيضاوي وأبي السعود. وكانت له شخصيته الواضحة فيما ينقله فكان يناقش ويتعقب وينتقد الأقوال الضعيفة. وكان له موقف قويّ من آراء المعتزلة والشيعة ـ بخاصة ـ وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة. وتعرض الألوسي للكلام في العلوم الكونية واستطرد في ذلك. وذكر كثيراً من المسائل النحوية وتوسع في مناقشتها. وتحدث أيضاً عن المسائل الفقهية وآراء الفقهاء وأدلتهم عند آيات الأحكام، وتميز بموقفه المحمود من الإسرائيليات فكان شديد النقد لها، وانتقد على المفسرين إيرادهم لتلك الإسرائيليات والأخبار المكذوبة. ولم يغفل الحديث عن القراءات متواترها وشاذها. واعتنى أيضاً بذكر المناسبات بين السور والآيات.

وقد كدّر الألوسي تفسيره هذا بالتفسير الإشاري، إذ كان بعد أن يفرغ من الكلام على ظاهر الآيات يذكر ما فيها من إشارات، وكان يتمحل في ذلك كثيراً، وينقل في ذلك عن الصوفية إشاراتهم الغريبة والبعيدة.

المجالات التي نقل فيها الألوسي عن الدر:

أفاد الألوسي من «الدر المصون» كثيراً، فنقل عنه في «تفسيره» في عدة مواطن وخاصة في مجال إعراب القرآن ووافقه في أغلب ذلك، وناقشه في بعض آرائه.

واختلفت عباراته في النقل عنه أو الإشارة إليه، فيقول: «قال السمين»[1]، «قال الحلبي»[2]، «وفي الدر المصون»[3].

---

(١) انظر أمثلة ذلك في «روح المعاني»: ٢/ ١٣٧، ٣/ ٢٨، ٣٥، ٩٥، ٢١٠، ٤/ ١١٧، ١٣٦، ٥/ ١٠٧، ١٢٧، ١٤٢، ١٦٣.

(٢) انظر أمثلة ذلك في روح المعاني ٣/ ١٧، ٦٦، ٢٠٩، ٤/ ٦، ١٢٢، ١٠٣، ١١٥، ٥/ ٤، ٤٦، ٦/ ١٣٠.

(٣) انظر أمثلة ذلك في «روح المعاني»: ١/ ١٨٩، ٣/ ٥٠، ٦١، ١٢٦، ٤/ ١٣٩، ٥/ ١٠٧، ١٦٥.

ومن أمثلة نقله عنه في الإعراب:

١ ـ عند بيان نوع الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾[(١)]. قال: «وفي الدر المصون يجوز أن يكون استثناءً متصلاً من الاستشهاد فيكون قد أمر بالاستشهاد في كل حال إلا في حال حضور التجارة»[(٢)].

٢ ـ عند إعراب «في المنافقين» و«فئتين» في قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾[(٣)].

قال: الألوسي: «وقوله سبحانه «في المنافقين» يحتمل ـ كما قال السمين ـ أن يكون متعلقاً بما يدل عليه قوله تعالى: «فئتين» أي: فمالكم تفترقون في المنافقين، وأن يكون «حالاً» من «فئتين»، أي فئتين مفترقتين في المنافقين، فلما قدم النصب على الحال، وأن يكون متعلقاً بما تعلق به الخبر أي: أيّ شيء كائن لكم في أمرهم وشأنهم، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه.

ثم نقل عن السمين ـ أيضاً ـ إعراب «فئتين» فقال: «وفي انتصاب «فئتين» وجهان ـ كما في الدر المصون ـ أحدهما: أنه حال من ضمير «لكم» المجرور، والعامل فيه الاستقرار، أو الظرف لنيابته عنه، وهذه الحال لازمة لا يتم الكلام بدونها، وهذا مذهب البصريين في هذا التركيب وما شابهه، وثانيهما: ـ وهو مذهب الكوفيين ـ أنه خبر كان مقدرة أي: ما لكم في شأنهم كنتم فئتين، ورُدَّ بالتزام تنكيره في كلامهم نحو: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[(٤)]...»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) روح المعاني ٣/ ٦١. وانظر الدر ٢/ ٦٧٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٩.

(٥) روح المعاني ٥/ ١٠٧، وانظر الدر ٤/ ٥٩ ـ ٦٠.

ولمزيد من الأمثلة انظر: روح المعاني: ١/ ١٨٩، ٣/ ١٧، ٥٠، ٦٦، ٩٥، ١٢٦، ٤/ ٦، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٩، ٥/ ٣٤، ٦٥، ١٢٧، ١٤٢، ١٦٣).

وينقل الألوسي قول السمين في التعليق على بعض الأعاريب:

ومن ذلك: عند بيان مرجع الضمير في قوله «وعلمه مما يشاء» في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[1] حيث قال: «والضمير المستتر راجع إلى الله تعالى، وعوده إلى داود ـ كما قال السمين ـ ضعيف؛ لأن معظم ما علمه تعالى له مما لا يكاد يخطر ببال، ولا يقع في أمنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته»[2].

وينقل الألوسي عن السمين بعض أقواله في معارضة أقوال أبي حيان. ومن ذلك: عند إعراب قوله: «وأُحل لكم» في قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾[3].

قال الألوسي: «قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول، والباقون على البناء للفاعل، وجعله الزمخشري على القراءة الأولى معطوفاً على «حُرّمت»، وعلى الثانية معطوفاً على «كُتب» المقدر، وتعقبه أبوحيان بأن ما اختاره من التفرقة غير مختار؛ لأن جملة «كتب» لتأكيد ما قبلها، وهذه غير مؤكدة فلا ينبغي عطفها على المؤكدة بل على الجملة المؤسسة خصوصاً مع تناسبهما بالتحليل والتحريم، ونظر فيه الحلبي، ولعل وجه النظر أن تحليل ماسوى ذلك مؤكد لتحريمه معنى، وما ذكره أمر استحساني رعاية لمناسبة ظاهرة»[4].

وفي هذا المثال وافق الألوسي السمين في استدراكه على أبي حيان، ثم بيّن عِلّة تعقب السمين لشيخه هنا.

وينقل عنه في الصرف:

ومثال ذلك: عند بيان معنى صيغة المفاعلة في «رئاء» في قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) روح المعاني، ٢/ ١٧٣، وانظر: الدر ٢/ ٥٣٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٤) روح المعاني ٥/ ٤ وانظر: الدر ٣/ ٦٥٠.

ولمزيد من الأمثلة انظر: في روح المعاني: ٣/ ٦٦، ١٠٣، ٤/ ١٢٤، ٥/ ٤٦.

﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]. قال الألوسي: «والمفاعلة في فعله ـ عند السمين ـ على بابها؛ لأن المرائي يرى الناس أعماله، والناس يرونه الثناء عليه والتعظيم له»[2].

ومع إفادة الألوسي من السمين في مجال الإعراب إلا أنه قد تعقبه في بعض أقواله وآرائه الإعرابية..

ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب «ليطمئن» في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ ﴾[3] قال: «واللام في «ليطمئن» لام «كي» والفعل منصوب بعدها بإضمار «أن»، وليس بمبني كمازلق السمين...»[4].

وعند إعراب «فبإذن الله» في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[5].

قال الألوسي: «ما» اسم موصول بمعنى الذي في محل رفع بالابتداء، وجملة «أصابكم» صلته، و«بإذن الله» خبره، والمراد «بإذن الله» يكون ويحصل، ودخول الفاء لتضمن معنى الشرط، ... وادّعى السمين أن في الكلام إضماراً أي: فهو بإذن الله، ودخول الفاء لما تقدم. ثم قال ـ أي السمين ـ: «وهذا مشكل على ما قرره الجمهور لأنه لا يجوز عندهم دخول هذه الفاء زائدة في الخبر إلا بشروط، منها: أن تكون الصلة مستقبلة في المعنى، وذلك لأن الفاء إنما دخلت للشبه بالشرط، والشرط إنما يكون في الاستقبال لا في الماضي، فلو قلت: «الذي أتاني أمس فله درهم» لم يصح، و«أصابكم» هنا ماضٍ معنىً كما أنه ماض لفظاً؛ لأن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.
(٢) روح المعاني ٣/ ٣٥. وانظر: الدر ٢/ ٥٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٤) روح المعاني ٣/ ٢٨ وانظر: الدر ٢/ ٥٧٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٦.

القصة ماضية فكيف جاز دخول هذه الفاء؟ وأجابوا عنه بأنه يحمل على التبيين أي: وما يتبين إصابته إياكم فهو بإذن الله كما تأولوا ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾[1] بذلك، ثم قال ـ أي السمين ـ: وإذا صح هذا التأويل فليجعل «ما» هنا شرطاً صريحاً، وتكون الفاء داخلة وجوباً لكونها واقعة جواباً للشرط. انتهى.

قال الألوسي متعقباً لقول السمين السابق: «ولا يخفى ما فيه»[2] ولم يبين وجهة نظره في الرد.

ب ـ أثره في اللغويين والنُحاة:

أفاد من «الدر المصون» بعض النحويين واللغويين وتأثروا به، ومن أولئك:

١ ـ الشُّمُنِّي[3]: في كتابه: المنصف من الكلام على المغني[4].

ومن أمثلة ذلك:

عند شرحه لكلام ابن هشام في إعراب نحو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

نقل أن ابن هشام قال: «يجوز في الموصول أن يكون تابعاً. وعلى التبعية فهو نعت لا بدل إلا إذا تعذر»[6]. قال الشُّمني: «وأقول: وجه تعيين النعت أن كل موصول فيه الألف واللام فهو موضوع للدلالة على معنى في متبوعه في جميع استعماله... فالموصول الذي فيه الألف واللام دائماً صفة لموصوف مذكور أو مقدر، فإذا وجد في اللفظ ما يصلح كونه نعتاً له تعين جعله نعتاً؛ لأن جعله غير

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٧.

(٢) روح المعاني ٤/ ١١٧. وانظر: الدر ٣/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.
ولمزيد من الأمثلة انظر: روح المعاني: (٣/ ٣٥، ٤/ ١١٥، ٥/ ٨٥).

(٣) أحمد بن محمد الشُّمُنِّي القسطنطيني الأصل. مُحَدِّث، مفسر، نحوي، ولد سنة ٨٠١هـ. من تصانيفه: شرح المغني لابن هشام، وكمال الدراية في شرح النقاية في فقه الحنفية، ومزيل الخفا عن ألفاظ الشفا. (الأعلام ١/ ٢٣٠).

(٤) وهذا الكتاب هو شرح لكتاب ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢، ٣.

(٦) مغني اللبيب ٢/ ٥٦٨.

ذلك لا يغني عن جعله نعتاً لاحتياجه دائماً إلى منعوت، وجعله نعتاً يغني عن جعله غير ذلك، ولذا لم يذكر الزمخشري ولا أبو البقاء كونه بدلاً، وإن كان ذكره السمين حيث قال: «يحتمل الجر من ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه نعت، والثاني بدل، والثالث عطف بيان»[1].

ونلحظ هنا أن الشمني نقل قول السمين ولم يرتضيه.

٢ ـ الشيخ خالد الأزهري[2] في كتابه: شرح التصريح على التوضيح[3]:

ومن أمثلة ذلك:

نقله عند حديثه عن مسألة: «إذا تعذر البدل على اللفظ أُبدل على الموضع» حيث قال: «قال ابن مالك في شرح التسهيل: رفعت البدل ـ يعني الجلالة ـ من اسم «لا»؛ لأنه في موضع رفع بالابتداء، ولم تحمله على اللفظ فتنصبه؛ لأن «لا» الجنسية لا تعمل في معرفة ولا في موجب، وتبعه على ذلك أبوحيان... والسمين، وهو مشكل فإن اعتبار محل اسم «لا» على أنه مبتدأ قبل دخول «لا» قد زال بدخول الناسخ[4].

٣ ـ عبدالقادر البغدادي[5] في كتابه: حاشية على بانت سعاد[6]:

وقد أفاد البغدادي من الدر المصون كثيراً في الإعراب، واللغة.

---

(١) المنصف من الكلام على المغني ٢/ ١٣٧. وانظر: الدر ١/ ٩١.

(٢) خالد بن عبدالله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري، نحوي من أهل مصر، ولد سنة ٨٣٨هـ بجرجا ونشأ وعاش بالقاهرة. من تصانيفه: المقدمة الأزهرية في علم العربية، والتصريح بمضمون التوضيح، وموصل الطلاب إلى قواعد العربية وغيرها. توفي سنة ٩٠٥هـ (الأعلام ٢/ ٢٩٧).

(٣) وكتابه هذا شرح لكتاب ابن هشام: التوضيح في شرح ألفية ابن مالك.

(٤) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٣٥١ وانظر: الدر ٢/ ١٩٧.

(٥) عبدالقادر بن عمر البغدادي علامة الأدب والتاريخ والأخبار ولد سنة (١٠٣٠هـ) ببغداد وأُولع بالأسفار. من تصانيفه: خزانة الأدب، وشرح شواهد المغني، وحاشية على بانت سعاد لابن هشام توفي سنة ١٠٩٣هـ في القاهرة. (الأعلام ٤/ ٤١).

(٦) وكتابه هذا حاشية على شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهر المعروفة بـ «بانت سعاد».

ومن أمثلة ذلك نقله عنه في الإعراب:

عند إعراب قوله تعالى: «عالم الغيب» على قراءة الجر[1] في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾[2].

قال البغدادي: «... قال السمين الحلبي: «الجر على البدل من الجلالة»[3].

وعند إعراب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[4] نقل البغدادي قول السمين فيها فقال: «قال السمين: «وجملة «وإن فريقاً» حالية، ومفعول «كارهون» محذوف. أي: كارهون الخروج»[5].

ومن أمثلة نقله عنه في اللغة؛ نقله عنه في بيان معاني بعض الكلمات مثل: كلمة «البين» حيث قال: «قال السمين: «أطلق هؤلاء ـ أي أبوعبيد وابن جني والمهدوي والزهري والزجاج والفراء ـ أن بينا بمعنى الوصل، والأصل في الإطلاق الحقيقة، إلا أن ابن عطية زعم أنه لم يُسمع من العرب البين بمعنى الوصل... وهذا منه غير مرضي؛ لأن أباعمرو وأبوعبيدة وابن جني والزهري والمهدوي والزجاج أئمة يقبل قولهم»[6].

ومن هذه الأمثلة يظهر لنا اعتداد البغدادي بأقوال السمين في الإعراب واللغة.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم (التيسير للداني ١٠٦).

(٢) الآيتان: ٩١، ٩٢ من سورة المؤمنون.

(٣) حاشية على بانت سعاد ١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥. وانظر: الدر ٨/ ٣٦٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥.

(٥) حاشية على بانت سعاد ١/ ٤٤٨. وانظر: الدر ٥/ ٦٣.
ولمزيد من الأمثلة انظر: حاشية على بانت سعاد (١/ ٥٥٩، ٦٤٦، ٦٦٦).

(٦) حاشية على بانت سعاد ١/ ٣٤٨، وانظر: الدر ٥/ ٥٤.

المبحث الثاني
المآخذ على الدّر المصون

ما من شكٍ أن الدّر المصون كتاب متميز وعظيم في المكتبة القرآنية ومؤلفه من العلماء الذين برّزوا في النحو والتفسير وغير ذلك، إلا أنه ما من إنسان إلا ويؤخذ من قوله ويُرَدّ. وقد حصلت من السمين في الدر بعض الأمور قد تؤخذ عليه وليس مثلي يصح منه أن ينتقد أو يتعقب هذا العالم. وما أنا معه إلا كما قال الشاعر:

وابن اللبون إذا ما لُزّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولكني سوف أذكر هنا بعض الملاحظات التي رأيت أنها تعكر صفو هذه الموسوعة في إعراب القرآن وتفسيره، وهي من باب وجهة النظر التي أُخالف فيها السمين.

وهذه المآخذ هي:

١ ـ مآخذ منهجية تتعلق بمنهجه في الدفاع عن القراءات.

٢ ـ ومآخذ تتعلق باستطرادات السمين في قواعد نحوية ومباحث صرفية.

٣ ـ ومآخذ تتعلق بموقف السمين القاسي في انتقاد شيخه أبي حيان واتهامه بعدم الأمانة في النقل.

١ ـ مآخذ تخرم منهجه في القراءات:

كان للسمين منهج متميز ظهر فيه جانب الالتزام في جانب القراءات ـ وقد سبق الحديث عن ذلك[1] ـ ولكنه وقعت منه بعض الهنات التي تقدح في ذلك المنهج، وذلك بوقوعه في الحكم على بعض القراءات بالضعف من خلال:

أ ـ تضعيفه لبعض القراءات المتواترة.

---

(١) انظر: ص (٤٢٠، ٤٤٢) من هذه الرسالة.

ب ـ الحكم على بعض القراءات الشاذة بالضعف.
جـ ـ موافقته لبعض الذين خطأوا بعض القراءات.

وإليك بيان ذلك مقروناً بالأمثلة:

أ ـ فقد يضعف السمين بعض القراءات المتواترة:

ومثال ذلك: حكمه على قراءة البزي وابن كثير بقصر: «شركائي» في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾[1].

قال السمين: «وقرأ البزي بخلاف عنه بقصره مفتوح الياء. وقد أنكر جماعة هذه القراءة وزعموا أنها غير مأخوذ بها، لأن قصر الممدود لا يجوز إلا في ضرورة. وتعجب أبوشامة من أبي عمرو الداني حيث ذكرها في كتابه مع ضعفها، وترك قراءات شهيرة واضحة.

ثم قال السمين: «وقد روى عن ابن كثير قصر التي في القصص، وروى عنه أيضاً: قصر «ورائي» في مريم، وروى عنه قنبل أيضاً قصر: «أن رآه استغنى» في العلق فقد روى عنه قصر بعض الممدودات فلا تبعد رواية ذلك عنه هنا. وبالجملة فقصر الممدود ضعيف، ذكره غير واحد لكن لا يصل به إلى حد الضرورة»[2].

ب ـ حكمه على بعض القراءات الشاذة بالضعف:

ومن ذلك: قوله عن قراءةالسلمي ﴿فشِدّوا الوثاق﴾[3] بكسر الشين أنها «ضعيفة جداً»[4]!!

وتضعيفه لقراءة أبي السمال «شجْر» بسكون الجيم في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[5] حيث قال: «وقرأ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٧.
(٢) الدر المصون ٧/ ٢١١.
(٣) سورة محمد، الآية: ٤. وهي قوله: ﴿فشدوا الوثاق﴾.
(٤) الدر المصون ٩/ ٦٨٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

أبو السمال: شجْر بسكون الجيم هرباً من توالي الحركات وهي ضعيفة؛ لأن الفتح أخو السكون»[1].

جـ ـ موافقته لبعض من خطأ قراءة:

ومن ذلك: موافقته لأبي حاتم في تضعيف قراءة[2] «الفواد» بواوٍ خالصة بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3] حيث قال السمين: «وأنكرها أبو حاتم وهو معذور»[4].

هذه الأمثلة وإن كانت قليلة إلا أنها تقدح في منهجه القوي والمحافظ في الدفاع عن القراءات والرد على منتقديها.

٢ ـ استطراده في بيان قواعد نحوية، ومباحث صرفية:

كان هدف السمين من تأليفه للدر المصون هو خدمة القرآن وتفسيره من خلال العلوم الخمسة التي حددها وهي: علم الإعراب، وعلم التصريف، وعلم اللغة، وعلم المعاني، وعلم البيان. إلا أنه ـ في وجهة نظري القاصرة ـ قد خرج عن هذا إلى استطرادات كثيرة لا تعلق لها بالهدف السابق.

وأمثلة ذلك كثيرة كثيرة، فتجده يبحث مسألة نحوية وينساق معها وينسى أنه يتكلم في التفسير فيقرر مذاهب النحاة فيها ويذكر أدلتهم والمناقشات الواردة عليهم حتى تظن أنك تقرأ في كتاب نحوي متخصص.

وهناك استطرادات صرفية، ولغوية.

من ذلك: حديثه عن «كأين» فقد تحدث عنها في سبع صفحات[5]، فبدأ

---

(١) الدر المصون ٤/ ٢٠.

(٢) وهي قراءة الجراح العقيلي (انظر: الدر ٧/ ٣٥٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) الدر المصون ٧/ ٣٥٢.

(٥) انظر: الدر المصون ٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٧.

بالحديث عن تركيبها، ثم ذكر اللغات التي وردت فيها فذكر خمس لغات، ثم تحدث عن نوعها والخلاف فيها هل هي مصدر أم لا؟ ثم تحدث عن الكاف الداخلة عليها، وبم تتعلق؟ ثم بين إعرابها . .

وهذا الاستطراد فيه خروج عن موضوع التفسير بما لا يخدم المعنى كثيراً.

ومثال آخر: حديثه المسهب عن كلمة ﴿أَشْيَآءَ﴾[1] فقد ذكر اختلاف النحاة فيها على خمسة مذاهب، وذهب يشرح كل مذهب وما يترتب عليه من إعلال وإبدال، ووزن الكلمة على كل مذهب، وينقل في ذلك عن أساطين النحو والصرف وسطّر في ذلك سبع صفحات[2] هي أقرب إلى كتب النحو والصرف منها إلى التفسير وإعراب القرآن.

استطراداته في بيان معاني الصيغ:

وأمثلة هذا النوع كثيرة حتى لا يكاد السمين يمرّ بصيغة إلا ويذكر معانيها ومن ذلك: بيانه لمعاني صيغة «أفْعَل» عند حديث عن كلمة ﴿أَنعَمتَ﴾[3] في سورة الفاتحة حيث قال: «ولأفعل أربعة وعشرون معنى، ثم سردها مع أمثلتها»[4].

وأظن هذا ـ أيضاً ـ من الخروج والاستطراد الذي يؤخذ على السمين، إذ

---

(١) في سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) انظر ذلك في: الدر ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٤٠.
ولمزيد من الأمثلة انظر:
١ ـ حديثه عن كلمة «لدن» ٣/ ٣٢ ـ ٣٤ تحدث عنها في ثلاث صفحات.
٢ ـ حديث عن كلمة «أرأيت» ٤/ ٦١٥ ـ ٦٢٣ كتب فيها ثمان صفحات!!
٣ ـ حديثه عن كلمة «ولات» كتب فيها تسع صفحات!!.

(٣) آية: ٧.

(٤) انظر: الدر المصون ١/ ٦٨.
ولمزيد من الأمثلة انظر: ١ ـ ذكره لمعاني صيغ «افتعل» ١/ ٩٠. ٢ ـ ومعاني صيغة «فاعل». ١/ ١٢٦.

مكان هذا كتب الصرف المتخصصة وليس كتب إعراب القرآن وتفسيره.

استطرادات في بيان قواعد وأحكام نحوية بحتة:

وهذه الاستطرادات أيضاً كثيرة، فترى السمين إذا أعرب آية يستطرد في ذكر بعض أحكام النحو مما لا يتعلق بالآية، وإنما على مقالة: الحديث يجر بعضه بعضاً.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ ذكره لحكم القطع بين الصفة والموصوف عند إعرابه لقوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. قال: «وإذا عُرِض ذكر القطع في التبعية فلنستطرد ذكره لعموم الفائدة في ذلك... ثم تحدث عن ذلك»[2].

٣ـ قسوته في مناقشة شيخه:

ومن المآخذ التي وقع فيها السمين: جرأته في نقد شيخه. وقسوة عباراته في انتقاده.

ومن المسلم به أن التلميذ مهما فاق وبزّ ينبغي له أن يوقر شيوخه وأن يكون لطيف المناقشة معهم حتى وإن كان الحق معه.

ولكن السمين قد خالف ذلك فتجرأ كثيراً على شيخه، واتهمه في مواضع بجهله بعلم البلاغة. وخاصة فيما يتعلق بالمناقشات مع الزمخشري.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٢) انظر: الدر المصون ١/ ٤٥.

ولمزيد من الأمثلة انظر:

١ ـ ذكره لأحكام البدل وأنواعه ١/ ٦٥.

٢ ـ ذكره لأحكام «قبل وبعد» من حيث البناء والإعراب ١/ ٩٩.

٣ ـ ذكره لأحكام الاستثناء وأنواعه ١/ ٢٧٤ و١/ ٤٤٦.

٤ ـ ذكره لأحكام «اثنتان» ١/ ٣٨٥.

وغير ذلك كثير.

ومن تلك المواضع:

عند بيان متعلق الكاف في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾[1] ذكر السمين وجهين الثاني نقله عن الزمخشري وهو: أن تتعلق بمضمر يفسره «نعيده». . . ثم ذكر أن أباحيان تعقب الزمخشري في هذا القول وتقديراته فيه، وقد استدرك السمين على شيخه ذلك ثم قال: كل ما قدره ـ أي الزمخشري ـ فهو جارٍ على القواعد المنضبطة، وقاده إلى ذلك المعنى الصحيح، فلا مؤاخذة عليه. يظهر ذلك بالتأمل لغير الفطن»[2]!!

انظر إلى هذه الكلمة القاسية والتي اتهم فيها السمين شيخه بعدم الفهم بل بالغباوة. وهذا مما لا يُوافق عليه ولا يتناسب من مقام تلميذ مع شيخه. والله أعلم.

اتهام شيخه بما وقع فيه السمين نفسه:

فقد اتهم شيخه بنقل أقوال العلماء من غير نسبة ذلك إليهم، وهذا الأمر قد وقع فيه السمين كثيراً، فلو أنه أنصف من نفسه لنسب كثيراً من تخريجاته للقراءات وأعاريبه إلى شيخه ـ أبي حيان ـ.

ومن أمثلة ذلك:

عند إعراب ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾[3] نقل كلام شيخه ثم قال عنه: «وهذا بعينه هو قول الزمخشري»[4].

فكأن السمين هنا يستنكر على أبي حيان أخذه لقول الزمخشري مع عدم نسبته إليه وهذا الأمر ـ كما ذكرت سابقاً ـ قد وقع من السمين كثيراً، فلم يتعقب

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) الدر المصون ٨/ ٢١٢، وانظر أمثلة أخرى اتهم السمين فيها شيخه بالجهل بعلم البلاغة ٦/ ٤٩٧، و٩/ ٤٥٧.
وأمثلة أخرى اتهم فيها شيخه بأنه مغرى بمخالفة الزمخشري ٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧٧.

(٤) الدر المصون ٩/ ٥٠٠.

غيره فيما وقع فيه هو؟!

وقال في موضع آخر: «. . . وقد نقل الشيخ هذا الكلام بعينه ولم يعزه لأبي علي»[1].

(١) سبق تفصيل هذا المثال في مسألة «اتهامه لشيخه بعدم نسبة الأقوال لأصحابها».
وانظر: أمثلة أخرى في هذا الباب هناك ص (١٠٦) من هذه الرسالة.

الخـاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:

فها أنذا تحط بي عصا التسيار في آخر محطة من محطات هذا البحث بعد أن عشت معه ثمانية وعشرين شهراً، أفدت منه الفوائد الكثيرة والمتنوعة، ولعلي أسجل هنا أهم النتائج التي توصلت إليها وهي:

١ـ ازدهار الحالة العلمية وقوتها في القرن الثامن ـ القرن الذي عاش فيه السمين ـ.

٢ـ تميز السمين الحلبي في علوم النحو واللغة، والقراءات، والفقه، والتفسير. بدليل مؤلفاته الموسوعية في تلك العلوم، وبدليل توليه المناصب العلمية والوظيفية في عصره، فقد تولى القضاء بالنيابة في القاهرة، وتصدر للإقراء في جامع ابن طولون، وأعاد بالشافعي.

٣ـ السمين أشعري العقيدة، شافعي المذهب.

٤ـ قوة الدر المصون في مصادره، وتعددها، وأصالتها في بابها.

٥ـ غلبة النقول وكثرة الأقوال في الدر المصون.

٦ـ استقلال السمين عن شيخه في مصادره ومنهجه، وتعقبه له في كثير من المواطن، وهذا لا يتنافىٰ مع كثرة اعتماد السمين على شيخه وإفادته منه.

٧ـ لم تكن للسمين عناية واضحة بالناحية الأثرية في الدر مع ورود إشارات ووقفات تفسيرية هامة في تفسير القرآن بالقرآن، وبيان سر خواتيم الآيات.

٨ـ عناية السمين بالقراءات المتواترة والشاذة من حيث ذكرها وتوجيهها، والدفاع عنها، والتزامه ومحافظته في هذا الجانب لذا فالدر يُعدُّ من المراجع الهامة في القراءات وتوجيهها.

٩ـ عناية السمين بتفسير اللفظة القرآنية المفردة من حيث صرفها، وبيان معناها اللغوي مما جعل كتابه مصدراً هاماً في باب المفردات القرآنية.

١٠ـ عنايته بالشواهد الشعرية في جميع المجالات، في الإعراب، واللغة، والاشتقاق، والصرف، والتفسير.

١١ـ أنّ الدر المصون يعد موسوعة ضخمة في جمع ما ورد في إعراب الآية من أقوال وآراء.

١٢ـ تميز منهج السمين في إعراب القرآن بميزات هامة، أهمها: عنايته بالمعنى في الإعراب، والتزام الظاهر، ونبذ الإغراق والتمحل، وحمل القرآن على الأوجه الصحيحة والمشهورة، وتنزيهه عن الأوجة الضعيفة.

١٣ـ اعتنى السمين بدراسة البلاغة القرآنية، من علوم البيان والمعاني والبديع، وأبرز بلاغة القرآن في الترتيب، وسر اختيار الألفاظ والجمل.

١٤ـ لم تكن للسمين عناية بالنواحي العقدية والفقهية في الدر؛ لأنه قد توسع فيها في كتابه الآخر: التفسير الكبير.

١٥ـ تأثر بالدر المصون وأفاد منه عدد من المفسرين واللغويين والنحاة، أبرزهم الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي، والجمل في الفتوحات الإلهية والألوسي في روح المعاني والشُّمَّني في المنصف في الكلام على المغني، والشيخ خالد الأزهري في شرح التصريح على التوضيح، وعبدالقادر البغدادي في حاشيته على بانت سعاد.

١٦ـ وقع السمين في بعض المآخذ، أبرزها: انتقاده لبعض القراءات مما يقدح في منهجه ـ المحافظ ـ فيها، واستطراداته الكثيرة في النحو واللغة، والصرف، مما ليس له أثر في التفسير أو المعنى، وقسوته في انتقاد شيخه.

. . . هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها، كتبتها لتكون علامة لقارئها على مضامين هذا البحث، وهي لا تغني عن الاطلاع على البحث كاملاً، ليقف القارىء على ما وقفت عليه من فوائد ونتائج.

وختاماً: أحمد الله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع، والحمد لله حمداً يليق بجلاله.

مكـــة المكـــرمـــة
في ٦/ ١٠/ ١٤١٧هـ

الفهـارس

١ـ فهرس الآيات.
٢ـ فهرس الأحاديث والآثار.
٣ـ فهرس الأعلام.
٤ـ فهرس الأمم والطوائف والقبائل والمذاهب.
٥ـ فهرس الأماكن والبلدان.
٦ـ فهرس الأشعار.
٧ـ فهرس المراجع والمصادر.
٨ـ فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات

رقم الآية رقم الصفحة

سورة الفاتحة:

٢ ٨١، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٨، ٧٠٢

٣ ٤٩٨.

٧ ٥٠٢، ٦٥٧، ٧٠١

سورة البقرة:

١ ١٥٩

٢ ١٥٦، ٤١٠، ٣٦٥، ٤٩٩، ٥١٤، ٥٢٢، ٦١٧، ٦٩٥

٣ ٦٩٥

٤ ٦٣٩

٦ ٨٠، ١٦٨، ٦٨٥

٧ ٢٣٥، ٤٧١

٩ ٥٠١، ٦٢٢

١٠ ٥٠٠

١١ ٣٣٤

١٢ ٩٥

١٤ ٦٤٤

١٥ ٨١، ٥٦٣

١٦ ٢٩١، ٦٠٦

١٧ ٣٦٤، ٥٠٧

١٨ ٣٣٣، ٤٥٦

١٩ ٦٨٨

٢٠ ٣٣٦، ٣٦٤

٢١ ٦٨٣

٢٢ ٣٣٥

٢٣ ٣٧٣، ٥١٩، ٦٨٣
٢٥ ٢٨٩، ٣٩٨، ٦٠٣، ٦٤١، ٦٨٣
٢٦ ٥٧١، ٦٦٢، ٦٨٧
٢٨ ٤٦٨، ٦٤٠
٢٩ ٢٩٤، ٣٩٧
٣٠ ١٧٦، ٢٠٤، ٣٨٩، ٥٠٢، ٥٤٠
٣١ ٣٧١
٣٣ ٢٦٧
٣٤ ٤٦٣، ٥٧٥
٣٥ ٦٨٨
٣٨ ٥٦٨
٤١ ٢٩١
٤٢ ٥٠٧، ٥٥٦
٤٦ ٢١٩، ٣٩٧
٤٩ ٣٢٦، ٣٨٩، ٤٥٥، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٤٧، ٦٨٩
٥١ ٢٤٢، ٥٦٣
٥٢ ١٧٧
٥٣ ٣٢٦
٥٤ ٣٧٤
٦٠ ٩٢، ٣٤٣، ٥١٥
٦١ ٢٠٧، ٢٨٩، ٣٤٢، ٦١٢
٦٢ ٢٣٥، ٦٩٥
٧٤ ١٥٧، ٤٥٥، ٥٩٤
٧٩ ٣٣٤، ٤٧٤
٨٠ ١٧٨
٨١ ٧١، ٥١٨
٨٣ ٦١٩

٨٥ ٣١٨
٨٩ ٣١٣، ٦٤٣
٩١ ٢٩٦، ٥٤٤
٩٣ ٥٢٣، ٦٤٣
٩٦ ١٥٨، ٥٥٩، ٥٦٧، ٦٨٤
٩٧ ٧٢
١٠١ ٦٠٩
١٠٢ ١١٥، ٤٦٩، ٤٧٠
١٠٣ ٨٤، ٣٧٠
١٠٤ ٤٥٧، ٤٧١
١٠٥ ٨٣، ١٦٠، ١٩٩، ٣٢٧
١٠٦ ٦٢٥
١٠٧ ٦٤٢
١١١ ٣٢٢
١١٩ ١١٠
١٢٠ ٢٩٣، ٥١٣
١٢٤ ٦١٩
١٢٥ ٢٠٥، ٥٢٣
١٢٦ ٢٩١
١٢٧ ٥٥٩
١٢٨ ٥٥٥
١٣٠ ٧٩، ٥٤٧، ٥٦٠
١٣٢ ١٤٢
١٣٣ ١١١، ٦١٢، ٦٤٣
١٣٥ ٤٥٧
١٣٨ ١٦٠، ١٩٠
١٤٠ ٥٥٦

١٤٣ ٢١٦، ٦٤٢
١٤٤ ٣٢٧
١٤٥ ٢٩٤
١٤٨ ١٩٢
١٥١ ٢١٦
١٦٦ ٦٣٥
١٧٠ ٦٢٥
١٧١ ٥٧٨، ٥٩٢
١٧٧ ١١١، ٥٦٥، ٦٨٧
١٧٩ ٤٠٨، ٥٦٦
١٨٢ ٦٠٢
١٨٣ ٤٠٨، ٥٢٢
١٨٤ ٣١٩، ٤٦٠
١٨٥ ٣٣٧، ٤٠٨، ٤٤٠، ٥٦٦
١٨٦ ٥٠١
١٨٧ ٣١١، ٥١٣، ٥٩٦، ٦٠٧، ٦٤٩
١٨٩ ٦٢٧
١٩١ ٤٣٧
١٩٥ ٥٤٨
١٩٦ ٣٢٠
٢٠٠ ٣٠٢
٢٠٣ ٦٣٠
٢٠٤ ٥٦٧
٢٠٦ ٥٨٥
٢١٠ ٦٥٥
٢١١ ٤٠٢
٢١٣ ٥٥٣

٢١٤ ٥٣٥
٢١٦ ٣١٣
٢١٧ ٤٥٩، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٦١، ٥٦٦، ٦٤٢
٢١٩ ١٩٠، ٤٣٨
٢٢٢ ١٦٠، ٣٧٩
٢٢٤ ٤٩٧، ٦٠٦
٢٢٧ ٣٣٧
٢٢٩ ٣٢٠، ٣٢٩، ٦٤٩
٢٣٢ ٦٠٣
٢٣٣ ٤٠٦، ٥٥٨، ٦٢٣
٢٣٦ ٥٠٠
٢٤٥ ٥٥٧
٢٤٦ ٢٣٥، ٥٣٩
٢٤٨ ٤٤٨
٢٤٩ ٥٦٣
٢٥١ ٦٩٣
٢٥٥ ٦٦٤
٢٦٠ ٢٣٤، ٥٥٣، ٦٩٤
٢٦٤ ٦٩٤
٢٦٥ ٤٢٢
٢٦٦ ٢٠٦
٢٦٧ ٥٥٨، ٥٦٤، ٦٣٥
٢٧١ ٢٠٥، ٦٢٩
٢٧٢ ٦٣٢
٢٧٣ ١٠١، ٤٩٨، ٥١٣
٢٧٥ ١٣٦، ٣٩٩، ٥٠٥، ٥٩٣
٢٧٦ ٧١، ٦٣٢

٢٧٨ ٢٦١
٢٧٩ ١٨٧
٢٨٠ ٧٢، ١٣٣، ٢٩٩، ٤٠٦، ٤٣٥
٢٨١ ٢٦٤، ٢٦٥
٢٨٢ ٨٢، ٣٠، ٣٠٤، ٣٩٩، ٤٦٧، ٦٩٢
٢٨٣ ٤٥٤
٢٨٥ ١٢١
٢٨٦ ٥١٥
سورة آل عمران:
٧ ٣٣٣
١١ ١٩٦، ١٩٨، ٥٨٩
١٢ ٢٤٤
١٣ ١٩٦، ٢٠٠
١٤ ٣٩٨
١٩ ١٤٤، ١٩٣، ٣٣٤
٢٤ ٦٤٢، ٦٤٨
٢٦ ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٥
٢٧ ٦٢٩، ٦٣٥
٢٨ ٦٢٤
٣٠ ٣٠٠
٣٥ ٣٥١
٣٦ ٤٥٣
٣٧ ٣٤٩، ٥١٠
٤١ ٣٤٣
٤٩ ٢٠٠، ٢٠١، ٣٣٥
٥٠ ٢٠٠
٥٦ ٥٥١

٥٧ ٤٤٧
٦٦ ١١٩، ٢٤٩، ٥٨٠
٧٢ ٦٠٣
٧٥ ٣١٥
٧٩ ٤٦٦
٨٠ ١٩٤، ٢٣٦، ٣٦٦
٨١ ٢٦٥
٩٧ ١٠٣
٩٩ ٩٠، ١٩٠
١٠٢ ٧
١٠٣ ٦٠٩
١٠٧ ٦٠٦
١٢١ ٢٠٥
١٢٤ ٢١٤
١٢٥ ٢١٤، ٤٧٢
١٢٦ ٢١٤
١٢٧ ٢٧٠
١٤٤ ٢٦١
١٤٦ ١١٩
١٥٤ ٢١٦
١٥٩ ٦٣٦
١٦١ ٢٣٦، ٦٣٢
١٦٦ ٦٩٤
١٧٠ ٣٦٧
١٧٢ ٣٠٥
١٧٦ ٤٤٨
١٧٨ ٨٢، ١٠٤، ٢٢٥، ٢٥١، ٣٢٥، ٤٤٠

١٧٩ ٢٣٧
١٨٧ ٢٣٤
١٨٨ ١١١، ٢٣٨
١٩٥ ٢٢٣، ٢٢٤، ٤١٦، ٥٠١، ٥٥٧
سورة النساء:
١ ٧،١٥٦، ٤٤٦، ٥٤٤
٢ ٤٣٨
٣ ٥١
٦ ٥٦٠
١٠ ٣٨٣
١٢ ٣٠١
١٤ ٦٤٩
٢٢ ١٤١، ٢٩٠
٢٣ ٦٧٤
٢٤ ١٣٧، ٦٩٣
٢٦ ٦٨٦
٢٧ ٥٣٨، ٥٦٥
٢٨ ٥٦٥
٢٩ ١٠٣
٣١ ٣٣٦
٣٨ ١٨٩
٤١ ٤٦٧
٤٣ ٢٦٢، ٤٠٥، ٦١٢، ٦١٣
٤٦ ٣٠٠
٤٧ ٤٠٣
٤٨ ٦٥٠
٥٠ ١٧٩

٦١ ١٧٨
٦٥ ١٨٨، ٦٩٩
٦٦ ٢١١
٦٧ ١٥٨
٦٩ ١٢٥
٧٣ ٨٧، ٢١٣
٨٣ ١٨٩
٨٥ ٣٢٧
٨٨ ٣٤٥، ٦٩٢
٩٠ ٣٦٩
٩١ ٢٦٣
٩٣ ٦٥٨
٩٤ ٢٥٤
١٠٢ ٣١٢
١١٤ ٢٢٤، ٣١٣
١١٦ ٦٤٩
١٢٥ ٢٩٥
١٢٧ ٥٤٤
١٣١ ١٣٧
١٣٥ ٢٥٥، ٤٤٣
١٤٤ ٦١٨
١٤٥ ٢٥٥
١٤٦ ٢٩٣، ٣٠٤، ٥٧٧
١٤٨ ٢٨٩
١٥٣ ١٧٧
١٦٢ ٤٥٠
١٧٦ ١٣٩

سورة المائدة:
٣ ٣١١
٦ ٣٧١، ٥٥٨
٢٠ ٥٣٤
٢٦ ٥٧٧
٢٨ ١٤٢
٣٨ ٢١٢، ٣٧٠
٤١ ٤٤٨، ٥٥٨
٤٥ ٢٣٦، ٤١٩
٤٦ ٤٠٤
٤٨ ٣١٤، ٣٧٣
٥٢ ٣٦٥، ٥٤٧
٥٣ ٢٣٩، ٣٢٨
٥٤ ٥٨٦
٥٥ ٤١٩
٥٧ ١٩٩
٦٠ ٥٢، ١١٠، ١٢٣، ١٩١، ٤٣٠
٦١ ٥٦٣
٦٩ ٩٩
٧٧ ١٩٧
٧٨ ١٩٦، ٤٧٦
٨٤ ٣٢٨، ٥٣٩
٨٧ ١١٤
٨٩ ١٤٧، ٢٤٠، ٤٤١
٩٥ ٥٢، ٢٠٢، ٣٠٧
١٠١ ٣٠٢، ٧٠١
١٠٤ ٦٥١

١٠٦ ١٢٢
١٠٩ ١٠٧، ١٤٤، ٦٢١
١١٢ ١٥٤، ٢٤٠، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٩٢
١١٣ ٣٤٤
سورة الأنعام:
١ ١٥٦
٣ ٤٩٦
١٠ ٣٧٨
١٤ ٦٣٤
١٦ ٢٣٧
١٨ ٦٦٤
٢٣ ٦١٨
٢٦ ٦٣٣
٢٧ ٦٢٣
٣١ ٢١٦
٣٤ ٦٢٥
٣٨ ٥٢١، ٥٩٤
٤٠ ٢٥٤
٥٢ ٤٤٥
٥٣ ١٧١
٥٤ ٢٥٢، ٤٦٢
٥٥ ٥٩٥
٧٠ ٤٠٤
٧٣ ٤١١
٧٨ ٦١٨
٨٢ ٣٩٣، ٥٧٩
٩٣ ٥٥٥

٩٥ ٥٠٩
٩٦ ٢٩٦
٩٧ ١٤٧، ٤٠٧
٩٩ ٣١٨
١٠٠ ١٣٢، ١٣٤، ٢٩٣
١٠٩ ٢٤٩
١١٢ ٩٤، ٣٥٠
١١٣ ٢٦٤، ٥٠٦
١١٧ ١٩٨
١٢١ ٢١١
١٢٥ ٢٣٩
١٣٥ ٥٠٣
١٣٧ ١١١، ١٢٢، ٢٣٨، ٤٤٦، ٤٥٠
١٣٩ ٢٦٣
١٤٦ ٢١٣، ٢٦٥
١٥١ ٦٤٦
١٥٣ ٢٩٥، ٣٢٠
١٥٨ ٦٦٩
١٦٢ ٢٤٩
١٦٤ ٧١، ٥١٨

سورة الأعراف:

٤ ١٦١، ٣٨٠
٥ ١٧٧
٨ ٥٥٢
١٠ ٣٣٥
٢٣ ١٠٧
٢٥ ٣٠١

٢٦ ١٩٧
٢٧ ٣٥٧، ٥٠٥
٣٨ ١٦٤، ٥٢٢
٥٤ ٤٥٦
٥٧ ٦٥٢
٥٩ ٦٥٢
٦٠ ٥١٥
٧٥ ٦٢٠
٧٧ ٣٥٤، ٣٧٩
٧٨ ٣٥٧
٨٤ ٣٥٧
٨٩ ٣٧٢
١١١ ٢٩٧، ٤٤٢
١٣٥ ١٠٧
١٣٧ ١٠٤، ٢٢٥
١٤٢ ٢٩٧
١٤٣ ٦٦٨
١٤٩ ٥١١، ٥٣٤
١٥٠ ٢٦٦
١٥١ ٦٥٦
١٥٤ ٥٣٥، ٦٠٨
١٥٥ ٢٩٤
١٦٠ ٤٢٤
١٦٩ ١٧١
١٧١ ٥١٠
١٧٢ ٤٢٢
١٧٩ ٥٣٦، ٥٤٩

٢٠٦ ٦٦٦
سورة الأنفـــال:
٥ ٦٩٧
٩ ١٠٤، ٤٧٢
١٢و١٣ ١٢٩
١٩ ٣٥٤، ٣٩٩
٢٥ ٢٦٦
٢٧ ٥٥٥
٣٤ ٣٢٨
٣٥ ٤٢٠
٤٢ ٤٥٨
٥٩ ٤٤٤
٦٥ ٣٨٤، ٦٢١
٧٤ ٥٣٩
٧٥ ٣٩٤
سورة التوبة:
١ ٢٠١
٣٨ ٥٢٢
٥٥ ٦٤٩
٦٠ ٢٢٤
٦٢ ٤٠٦
٦٣ ٥٣٠
٦٧ ٦٢٦
٦٩ ٥٨٧، ٦٢٦
٨٣ ٤٢٢
٨٥ ٦٤٨، ٦٥٠
٩٧ ٥١٣

٩٨ ٢٤٤
١٠٩ ٢٦٨
١١١ ٥٧٠
١١٢ ٦٣٦
سورة يونس:
٢٤ ١٠٨، ٥٨٧، ٥٩٢
٢٨ ٤٠٠
٣٠ ٣٠٦
٥١ ٦١٣
٥٦ ٢٥٣
٦١ ٢١٠
٧١ ١٨١
٨١ ١٠٦
٨٣ ١٨٨
٩٩ ٢٣٧
سورة هود:
١ ٦٢٩
١٦ ٥٤٧
١٧ ٦٠٤
٢٤ ١٧١، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦٣٠
٤٠ ٢٦٢، ٥١٩
٤١ ٤٢٤
٨١ ٢٥٠
٩٥ ٣٨٧
١٠٥ ٢٠٨
١١١ ٢٦٣

سورة يوسف:
١٨ ٤٥٨
٢٧ ٦٩٥
٣٠ ٦٤٠
٣١ ٣٨٣، ٤٦٣، ٥٥٩
٤٢ ٤٢٠
٥١ ٣٨٣
٧٧ ٤٢٤
٨٥ ٢٢١
١١٠ ٤٤٩
سورة الرعد:
٢ ٥٦٩
٥ ٤٣١
١٠ ١٧٠
١١ ٢٢١
١٧ ٣٨٧
١٩ ٤٠٦
٢٦ ٧٣
٣١ ١٦٥، ٦٢٣
٣٧ ١٣٠
٤٣ ١٠٢
سورة إبراهيم:
٩ ٣٥٥
١٨ ٣٩٩
٢٢ ٤٤٧، ٤٥١
٢٨ ٤٠٣
٤٣ ٣٥٣

سورة الحجر:
٢١ ٤٠٣
٤٧ ١٦٣
٥٤ ٢٤٥
٨٧ ٦٦٠
٨٨ ٦٠٥
سورة النحل:
١٠ ٤٠٩
٢٧ ٦٩٩
٤١ ٤١٩
٤٤ ٤١٣
٥٠ ٦٦٤
٦٢ ٥٠٠
٦٦ ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٧٩
٨٧ ٢١٤
١١٢ ٦٠٧
١١٦ ٣١٢
سورة الإسراء:
٧ ٣٦٥
٩ ٦٢٢
١٦ ٣٢٣، ٤٦١
٢٤ ٦٠٥
٣١ ٢٤٦
١٨ ٧٠٠
٣٧ ٥٦٤
٤٧ ٣٥٠، ٣٥٥
٤٩ ٤٣٢

٦١ ٣١٤
٧٥ ١٦٤
٧٨ ٣٣٢
٩٨ ٤٣٢
سورة الكهف:
١و٢ ٢٥٣
٤ ٦٢١
٦ ٥١٢
٦٩ ٣٥٤
٣٤ ٤١٨
٣٨ ٢٧٤
٤٨ ٤١٠، ٤١٥
٧٧ ٥٠٢، ٦٠٠
٧٩ ٥٦٤
٩٤ ٢٤٣
١٠٤ ٥٨٦، ٦٣٣، ٦٣٤
سورة مريم:
٤ ٦٠٧
٦ ٢٦٩
٢٦ ٢٧٥
٤٤ ٦٢٦
٥٢ ٤٠٢
٦٨ ٤٢١
٨١و٨٢ ١٩٠
سورة طه:
٤ ١٣٨
٢٩و٣٠ ١٣٣، ١٤٣

٤٤ ٦٨٣
٥٠ ٤٠١
٦٦ ٢٧٨، ٣٦٩
٧١ ٥٢٢
٨٠ ٤٠٢
١٠٧ ٩١
١١٢ ٢٢٠
١١٦ ٤٠٣
١١٨و١١٩ ١٥٥، ٦٣٩
سورة الأنبياء:
١٩ ٦٦٦
٣٠ ٦٤٧
٣١ ٤٠٢
٤٢ ٣٩٠
٧٩ ٦٤١
٨١ ٥٣٤
٩٥ ٢١٥، ٤٢٠
١٠٤ ٧٠٣
١٠٧ ٤١٤
سورة الحج:
٣١ ١٥٣، ٥٩٠
٤٦ ٢١، ١٧٢
٥٢ ١٢٧، ٤٦٧
سورة المؤمنون:
١ ١٨٠، ٤٦٢
٤٤ ١٢٤
٧٦ ٦٤١

٨٢ ٤٣٢
٩١، ٩٢ ٦٩٧
٩٩ ١١٤
١٠٠ ٦٠٢
١٠٤ ٤١٥
١١٠ ٢٤٥، ٣٨٤
١١٢ ٢٦٩
١١٣ ٢٧٣
سورة النور:
٤ ٤٦٧، ٥٧١، ٦٧٢
٥ ٥٧١، ٦٧٢
٤٣ ٤٠٥
٤٥ ٦٤٧
٤٨ ٤٠٦
سورة الفرقان:
١٤ ١٢١
٢٣ ٣٨٤
٢٤ ٣٨٠
٢٧ ٦١٤
٣٣ ٤٧٩
٣٩ ٥٩٣
٤٣ ٥٩٥
٥٤ ٣٨٢
٥٧ ١٢٧
سورة الشعراء:
٥ ٣٩٩
٧٧ ٥٣٦

٨٠ ٤٠٥
١٠٥ ١٠٤، ٢٢٥
٢١٠ ٢٠٨
٢١١ ٦٣٦
سورة النمل:
١٢ ٥٣٦
٢٢ ١٥٤
٢٦ ٦٦٠
٢٨ ٥٣٤، ٥٨٠
٦٧ ١٦٢، ٤٣٢
٩٠ ١٤٥
٩٤ ١٦٥
سورة القصص:
١٥ ٢٨٠
٣٤ ٢٧٥
٤٨ ٢٧٠، ٢٨٠
٦١ ١٣٠
٧٣ ٦٣٠
سورة العنكبوت:
٢٨و٢٩ ٤٣٢
سورة الروم:
٩ ٥٠٧
٢٣ ٥٣٣
٥٦ ٤٢٢
سورة لقمان:
١٣ ٣٩٣
١٨ ٣٤٩

٣٣ ٢٠٧
سورة السجدة:
١٠ ٤٣٢
سورة الأحزاب:
١٧ ١٦٤
٣٢ ١٢٤
٤٩ ١٨٠
٥٨ ٧١، ٥١٨
٧٠و٧١ ٧
سورة سبأ:
١٣ ٩٧، ٢٦٢، ٥١٥
١٥ ٣٢١
٣٣ ٢٧٠
٣٧ ٣٢١
٤٢ ٦٤٨
٤٤ ٤١٠
٤٥ ٢٢٠
٤٦ ١٦٦
سورة فاطر:
٨ ٤٠٦
٩ ٥٥٩
١٩ ٥٨٨، ٦٠٤
٢٢ ٦٠٤
٢٤ ٤١٠
٢٨ ١٠٦، ٥٧٦
سورة يسٓ:
١٤ ١٠٨، ١٢٩، ٥٠٨

١٦ ١٢٨، ٥٨٨
٢٣ ١٣١
٢٧ ٣٢٢
٣٠ ١٢٧
٣٧ ٦٠٨
٥٢ ٥٧٥
٦٦ ٤٠٣
سورة الصافات:
١٠ ٤٥٩
١٢ ٦٥٩
١٦ ٤٣٢
٤٩ ٥٩٤
٥٣ ٤٣٢
٦٧ ٥٢٠
٨٦ ٦١٩
سورة ص:
٣ ٣٢٧
١٢ ٦١٠
٢٣ ٥٠٨
٦٤ ٢٧١، ٣٠٣
سورة الزمر:
٩ ٥٣٧
١٤ ٦٢٠
٥٦ ٦١٧
٦٠ ٥٦٥
٦٣ ٢١٣
٦٤ ٢٤٦

٦٨ ٤٠٣
٧١ ٣٤٩
سورة غافر:
٦و٧ ٢٥٣
١٠ ١٤٠
١٦ ٤١٢
٢٩ ٢٨٢
٣٥ ٤٥٤
٣٦ ٥٣٧
٣٧ ٢٨١، ٥٣٧
٣٨ ٢٨٢
٤٢ ٦٣٩
٤٦ ٥٧٦
٥٨ ٥٨٨
٧٥ ٦٣٣
٧٧ ٧٠٣
٨٠ ٥١٩
سورة فصلت:
٢ ٦٦٥
٣ ٥٢٨
١٠ ٣٠٣، ٣٩٧
١٤ ١٢٦
١٦ ٤٥٢
٤٤ ٥٣٨
سورة الشورى:
١١ ٣٥٣، ٥٢٢، ٦٥٥
٢٠ ٨٧

٣٥ ٤٣٦
٣٧ ٤٣٨
سورة الزخرف:
١_٣ ٦٦٨
٢٢ ٣٩٠
٤٨ ١٦٩
٥٦ ٣٩٩، ٥٠٦
٨٤ ٤٩٦
سورة الدخان:
٢٨ ١٥٥
سورة الأحقاف:
٣٥ ٥٢١
سورة محمد:
٤ ٦٩٩
٢٤ ٦١١
٢٥ ١٦٧
سورة الفتح:
٢٥ ٤٠٠
٢٩ ٥٧٤
سورة ق:
٥ ١٣٥
١٤ ١٣٢
١٥ ١١٢
٤٥ ٤٠٤
سورة الذاريات:
٤٩ ٥٥٤

سورة الطور:
٢١ ١٦٣، ٣٩٨، ٤١٨
٢٨ ٤٥٢
سورة النجم:
١٩و٢٠ ٥٣٣
٤٣ ٥٨٥، ٦٢٨
سورة القمر:
١ ٤٧٤
٢٠ ٥٠٥
٢٦ ٢٤٣
٤٩ ٥٢٨، ٥٧٣
٥٢ ٥٢٨
سورة الرحمن:
١١و١٢ ٦٣٧
٧٠ ٤٧٠
٧٦ ٨٩
سورة الواقعة:
٢ ١٦٢
٤٧ ٤٣٢
٦٥ ٢٧٣
٧٥ ١٢٨
٧٩ ٦٧٢
٨٢ ٤٦١
سورة الحديد:
١٢ ٣٢١
٢٢ ٢٠٧
٢٤ ٤٥٣

٢٧ ٤٠٤، ٥٧٠
سورة المجادلة:
٢ ٥٥٩
٣ ٥٣٢
٧ ٣٠٧
سورة الحشر:
٧ ٤١٣
١٠ ٣٩٤
١٨ ٥٨٩
١٩ ١٥٨
سورة الممتحنة:
١ ١٧٣
٣ ٥٧٤
سورة الصف:
١٣ ٥٣٧
١٤ ١٠٦
سورة الجمعة:
٣ ٣٩٤
سورة المنافقون:
٨ ٥٨٦
١٠ ٢٤٠
سورة التغابن:
١ ٦١٩
سورة التحريم:
٤ ٤٦٩
٥ ٥٠٦
سورة الملك:
٦ ٦٦٣

٨ ٦٠٩
١٥ ١٥٣، ٦١٠
١٩ ٦٣٨
٢٢ ١٤٥
٢٩ ٦٢٠
سورة القلم:
٤ ٣٠
٢٥ ٣٥٣
٤٢ ٦٦٠
سورة الحاقة:
١٣ ٤٠٣
٢٠ ٣٧٩
٣٠_٣٢ ٤٧٣
سورة المعارج:
١ ١٣٤
٤ ٦٤٧، ٦٦٤
سورة نوح:
١٣ ٥٣٩
١٦ ٤٧٥
٢٠ ٤٠٢
٢٦ ٣٠٦
سورة الجن:
٢٣ ٤٦٢
سورة المزمل:
٢و٣ ٥٦٦
سورة المدثر:
١٨_٢٤ ٥٢٠

٣٠ ٢٠٦
٣٦ ٣٢٥
٣٨ ٧١، ٥١٨
٤٩ ٥٣٩، ٦٩٢
٥٢ ١٣١
سورة القيامة:
٢٢ ٥٦٧
٢٩ ٦١٢
سورة الإنسان:
٣ ٤٠١
٦ ٤٦٩
١٨ ٤٢١
٢٦ ١٠٩
سورة المرسلات:
٢٦ ٦١٧
٢٧ ٤٠٥، ٦١٧
٣٢ ٤٥٧
سورة النبأ:
١٤ ٥٠٩
٣٨ ٤١١
٤٠ ٦٢١
سورة النازعات:
١ ٥٠٥
١١ ٤٣٢
٣٤ ٥٠٨
سورة عبس:
٣ ٢٨١

٨ـ١٠ ١٢٤
٢٠ ٤٠١
سورة الانفطار:
١٩ ٤١٢
سورة الانشقاق:
١ ٢٧٣
سورة البروج:
١٦ ١٠٢
سورة الطارق:
١٧ ٥١٧
سورة الأعلى:
١ ٦٦٤
سورة الغاشية:
٢٣ ١٢٨
سورة الفجر:
٢٢ ٤١١، ٦٥٦
سورة البلد:
٢٠ ٤٠١
سورة العصر:
١ ٢٧٤
٣ ٢٧٨
سورة المسد:
٤ ٤٥٦
سورة الإخلاص:
١ ٤١٦
سورة الفلق:
٤، ٥ ٦١٦

٢ـ فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب بني آدم	٦٥٧
ـ «أصدق كلمة قالها شاعر. . .»	٦٠٢
ـ «اللهم ألحقني بالرفيق الأعلىٰ»	١٢٥
ـ «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله»	٦٥٨
ـ «أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف»	٤٦٥
ـ «انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ مرتين»	٤٧٤
ـ «إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله»	٥١٦
ـ «إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما. . .»	٦٦٥
ـ «إن امرأة دخلت النار في هرة. . .»	٥٢٢
ـ «إن رسول الله لم يدخل الكعبة حتىٰ أمر بالزخرف فنحي»	٣٥٠
ـ «أهل الجنة مائة وعشروة صفًّا»	٤١١
ـ «أينا لا يظلم نفسه. . .»	٣٩٣
ـ «بينما رسول الله قاعد في أصحابه. . .»	٦٦٢
ـ «تتقلص شفته العليا حتىٰ تبلغ وسط رأسه»	٤١٥
ـ «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. . .»	٤٢٥
ـ «الخيل معقود في نواصيها الخير. . .»	٦٣٣
ـ «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»	١٥٦، ٥١٥
ـ «رحمٰن الدنيا ورحيم الآخرة»	٤١٤
ـ «سألت النبي ﷺ عن شركة النساء مع الرجال. . .»	٤١٦
ـ «صف لنا ربك. . .»	٤١٧
ـ «عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل»	٦٥٩
ـ «فأصغىٰ لها الإناء»	٥٠٦
ـ «كنت خليلاً من وراء وراء»	٥٤٥
ـ «لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا. . .»	٢٧٠، ٢٨١

- «لا نبي بعدي» ١٢٦
- «لا وصية لوارث» ٤١٣
- «لا يأتي رجل مترف متكىء علىٰ أريكته...» ٤١٣
- «لقد عجب الله ـ عز وجل ـ أو ضحك...» ٦٦٠
- «مرَّ عمر برجل يقرأ: ﴿والسابقون الأولون...﴾...» ٦٩٣
- «من أراد العلم فليثور القرآن» ٥٠٧
- «منعت العراق درهمها وقفيزها» ١٢١
- «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» ٤١٤
- «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً» ٤١٤، ٤١٥
- «يكشف ربنا عن ساقه...» ٦٦٠
- «يكشف عن أمر عظيم...» ٦٦١

٣ ـ فهرس الأعلام[1]

(أ)

ـ أبان بن عثمان: **٤٥٠**.
ـ إبراهيم بن خرمة: **٥٤٢**.
ـ إبراهيم بن فارس: **٤٨**.
ـ أبوبكر بن الأنباري: ١٠٢، ١١٢، ١٢٢، ١٧٠، ٣٠٠، ٣٤٣، **٣٨٥**، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٥١، ٤٩٤، ٥١٠، ٦٨٩.
ـ أُبيّ بن كعب: **٢٧٥**، ٣٩٤، ٤٥٨، ٤٧٠، ٤٧١، ٥٤٥.
ـ إحسان مصطفى: **٦١**.
ـ أحمد جبريل: **٦١**.
ـ أحمد الخراط: ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٧٤، ٩٩.
ـ أحمد شاكر: **٤٢٦**.
ـ أحمد بن علي البغدادي (ابن السمين): **٤٤**.
ـ الأخفش: ١٣٥، ١٣٩، ١٨٨، ٢٦٦، ٢٦٧، ٣١٣، ٣٢٨، **٣٣١**، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٧٠، ٤٥٨، ٤٢٣، ٥٣٠، ٥٣٩، ٥٦٦.
ـ أرثر جفري: ٢٧٢.
ـ ابن أرقم: **٢٦٣**.
ـ الأزهري: ٧٩، ٨٦، ٣٤٣، **٣٧٧**، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٥١٠.
ـ أسامة بن منقذ: **٦٣٤**
ـ أبوإسحاق الإسفراييني: **٥٩٧**، ٥٩٨.
ـ إسماعيل (الصالح إسماعيل): **٣٤**.
ـ الأسنوي: **٤٥**، ٤٦، ٥١.
ـ أبوالأسود الدؤلي: **٤٤٥**.

---

(١) ميّزتُ الموضع الذي ترجمت فيه للعلم بتسويد الرقم.

- الأصمعي: ٣٤٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٤٢.
- ابن الأعرابي: ٥٠٩.
- الأعلم الشمنتري: ١٠٥.
- الأعمش: ١٥٧، ٢٠٨، ٢٦٩، ٤٢٤، ٤٥٥، ٤٧١.
- الألوسي: ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٦.
- الآمدي: ٥٩٧
- امرىء القيس: ٩٢، ٣٥٠، ٣٧٩، ٥١٠، ٦٣١.
- أنس بن مالك: ٢٠٦.
- ابن أبي أويس: ٥١٦.

(ب)

- البحتري: ٥٨٦.
- ابن بحر: ٧٨، ١٨٥، ٢١٥، ٢١٦.
- البخاري: ٤٤٦.
- بدوي طبانه: ٦٣١.
- أبو البركات بن الأنباري: ٣٢٥، ٤٨٦.
- بروكلمان: ٥٦.
- ابن بريدة: ١١٠.
- البزي: ١٨٠، ٢٩٧، ٤٤٣، ٦٩٩.
- بشار بن برد: ١٠٩، ٥٨٧.
- أبوالبقاء العكبري: ٥٨، ٧٩، ٨٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٥، ١٣٤، ٢٢٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٦٩، ٣٧٣، ٤٠١، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٨٥، ٥١٨، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٧، ٥٦٩، ٦٨٣، ٦٩٦.
- أبوبكر (شعبة بن عياش): ٢٣٧، ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٧.
- بكر بن النطاح: ٩٣.
- ابن بويه: ٢٣٣.
- بيبرس الجاشنكير: ٢٢، ٢٣، ٣٦.

- بيبرس (الظاهر ركن الدين): ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٥، ٣٦.
- البيضاوي: ٦٨٢، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٩١، ٧٠٦.

(ت)

- أبوتمام: ١٠٩.
- ابن تيمية: ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٦، ١٧٤، ١٨٧، ٣٩٣، ٤١٣، ٥٩٨، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٤

(ث)

- الثعالبي: ١٩٥.
- ثعلب: ٨٠، ٩٦، ٩٧، ٣٣٧، ٣٨٥، ٤٤٧، ٥٠١، ٥٤٢.

(ج)

- الجاحظ: ١٤٥، ٤٨٧.
- ابن جبير: ١٣١، ٢٦٣.
- الجحدري: ٢٦٩.
- الجرمي: ٥٣٠، ٥٤٣.
- جرير: ٣٤٧، ٦١٣.
- ابن الجزري: ٥٤، ٢٢٢.
- ابن جزي الكلبي: ٣٧٦.
- أبوجعفر (يزيد بن القعقاع): ١٣٢، ٢٥٤، ٣٢٣، ٤٤٤، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥.
- ابن جماعة: ٣٤، ٣٧.
- الجمل: ٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٤، ٧٠٦.
- ابن جني: ٧٨، ٨٢، ٨٥، ١١٢، ٢٣٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٨٤، ٤٨٦، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٩٧.
- أبوالجوزاء: ١٨١.
- الجوهري: ٧٩، ٨٦، ٨٩، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٥١٠.

(ح)

- أبوحاتم: **٢٤٥**، ٢٧٩، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٦١، ٧٠٠.
- حاتم الطائي: ٦٦٠.
- حاتم الضامن: ٢٩٨.
- حاجي خليفة: ٥٤، ٢١٥.
- ابن حجر: **٤٣**، ٥٢، ٧٤، ١٢٠، ٢١٠، ٥٩٧.
- الحسن البصري: ٨٩، ٢١٣، ٢٠٨، **٢٦٤**، ٢٦٥، ٢٩٦، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٦١، ٥٠٩، ٦٢٥.
- الحسين بن الفضل: **٥٣٣**.
- الحطيئة: **٥١٧**.
- حفص: ١٣٧، **٢٠٨**، ٢٥٣، ٤٣٣، ٤٤٤، ٥٥٠، ٦٩٣.
- أبوالحكم بن عذرة: ٨٨
- حمزة: **٨٢**، ١٠٤، ١٨٧، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٠٠، ٥٤٤، ٦٩٣.
- حميد بن قيس: **٤٥٦**.
- أبوحنيفة: **٥٧٢**، ٦٧٣.
- الحوفي: **١٣٤**، ١٩٧، ٤٤٢.
- أبوحيان (الشيخ): ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠، **٦٩**، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٧٥، ١٧٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣١، ٢٤٠، ٥٠٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٩٣، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧٠٥.

- أبوحيوة: ٢٧٠، ٢٨٠، ٤٥٧.

(خ)

- خالد الأزهري: ٦٩٦، ٧٠٦.
- ابن خالويه: ٨٧، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١.
- خديجة الحديثي: ٦٠.
- ابن خرَّوف: ١١٢.
- الخطابي: ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٨٢.
- ابن خلدون: ٢١، ٣٨، ١٧٤.
- الخليل بن أحمد: ٣٣١، ٣٣٥، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٥١٠.
- خليل (الأشرف خليل): ٢٢، ٢٥، ٣٦.
- الخنساء: ٥٠٧.
- ابن خويز منداد: ٥٩٩.

(د)

- الداوودي: ٥٥.
- أبوالدرداء: ٤٤٦.

(ذ)

- الذهبي: ٣٧، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦٨، ٣٧٧.
- ابن ذكوان: ٤٤١، ٤٤٢، ٤٥٤.

(ر)

- أبورجاء: ١٨١، ٤٤٤.
- الرازي: ٧٨، ٨٧، ١٣٤، ١٨٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٣٩٤، ٥٩٧، ٦٩١.
- الراغب الأصفهاني: ٧٩، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٨٧، ٤٨٣، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٦.

- الرماني: **٥٠١**.
- ذو الرمة: **٥١٢**، ٥١٨.
- رؤبة: **٣٨٧**، ٦٨٩.

(ز)

- الزجاج: ٩٠، ٩١، ١١٥، ١٢٢، ١٩٠، **٢٣٣**، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٦، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩٤، ٥٠٣، ٦٩٧.
- الزجاجي: **٥١١**.
- الزركشي: **٣٤١**، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٧، ٥٢٧.
- الزمخشري: ٥٨، ٦٠، ٧٠، ٨١، ٩١، ١٠٢، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، **١٥٩**، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ٢١٣، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣١١، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٦، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٨، ٥٤٨، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٧، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦١٨، ٦٢٢، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٣، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٣، ٦٩٦، ٧٠٢، ٧٠٣.
- ابن الزملكاني: **٣٤**.
- الزهراوي: **٢٥٢**.
- الزهري: **٤١٩**، ٦٩٧.
- زهير بن أبي سلمىٰ: **١٦٢**.
- أبوزيد: **٣٧٢**، ٤٦١.
- زيد بن علي: **٢٧٥**، ٤٥٨.

(س)

- السبكي: **٣٤**، ٣٧، ٢١٨.

- السخاوي: ٢٤٧.
- السدي: ٤٢٠، ٤٢٢.
- ابن السراج: ٢٣٣، ٥١١.
- ابن سراج اللغوي: ٤٩٣.
- سعيد بن جبير: ١٢٨، ٢٦٥، ٤١٩.
- أبوسعيد الخدري: ٦٦١.، ٦٦٢
- أبو السمال: ٢٧٩، ٥٧٣، ٦٩٩، ٧٠٠.
- أم سلمة: ٤١٦.
- ابن السميفع: ٢٠٨.
- السهيلي: ١٠٥.
- سيبويه: ٣٨، ٧٩، ٨٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٠، ٢١٢، ٢٨٠، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٤، ٥٥٩، ٥٧٩، ٦٨٣.
- السيوطي: ٨، ٤٣، ٥٢٧، ٥٤١، ٦٨٢.

(ش)

- الشافعي: ٥١، ٥٧٢، ٦٧٣.
- أبوشامة: ٧٨، ٨٢، ٨٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٤٣٩، ٤٦٦، ٦٩٩.
- ابن شجاع: ٤٨.
- الشاطبي: ٢٤٧.
- شمر: ٥٠٩.
- الشمني: ٦٩٥، ٧٠٦.
- الشنقيطي: ٣٩٥.
- الشهاب الخفاجي: ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٦.
- الشوكاني: ٥٩٧.
- الشيباني: ٣٢٠.
- شيبة بن نصاح: ١١٧.

(ص، ض)

- الصائغ (تقي الدين الصائغ): ٤٨، ٢٣١.
- الصابوني: ٦٥٦.
- الضحاك: **٤١٩**، ٥٠٩، ٥٥٨.

(ط)

- الطبري: ٨١، ١٠٤، ١٨٥، ١٨٦، **١٨٧**، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٢، ٣٤٧، ٣٩٣، ٣٩٥، ٦٥٦، ٦٨٣.
- طلحة السلماني: **١٣١**.
- طلحة بن مصرف: ١٣١، **١٣٢**، ١٨٠، ٤٤٤، ٤٦٢، ٤٧٠.

(ع)

- عائشة: **٢٥٥**، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥١٢.
- عاصم: ١٣٧، ٢٣٦، **٢٣٧**، ٢٥٥، ٢٥٦، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٥٠.
- أبوالعالية: **٤١٩**.
- ابن عامر: ١١١، **١٩٢**، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٥٠.
- عباد: **١٢٣**.
- العباس بن مرداس: **٥٤٤**.
- ابن عباس: ١١٥، ١٢٨، ١٦٣، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٥٦، ٢٦١، **٢٦٩**، ٣٢٣، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤٣، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٠٩، ٥٦٩.
- عبدالرحمن السعدي: **٤٢٥**، ٤٢٦.
- أبوعبدالرحمن السلمي: **٣١٣**، ٤٤٤، ٦٩٩.
- عبدالقادر البغدادي: **٦٩٦**، ٦٩٧، ٧٠٦.
- عبدالقاهر الجرجاني: ٤٧٨، **٦١٠**.

- عبدالله بن سلام: ٣٠٠.
- عبدالله بن مسعود: ٣٣، ١٣١، ١٣٢، **٢٦٦**، ٢٧٤، ٣٣٠، ٣٩٣، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٤٥، ٦٦١.
- ابن أبي عبلة: **١١٢**، ٢١٢، ٣٠٧، ٤٦٩.
- أبوعبيد: ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١١٢، ٣٣١، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، **٣٥٢**، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٨٣، ٥١٠، ٥٤٨، ٦٩٧.
- عثمان بن عفان: **٤٤٥**، ٤٤٦.
- العجاج: **٥٠٧**.
- ابن أبي العز الحنفي: **٦٥٨**، ٦٦٤، ٦٦٦.
- العز بن عبدالسلام: **٢٧**.
- العشاب: **٤٨**، ٢٣١.
- ابن عطية: ٥٨، ٧٠، ١١٢، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣١٤، ٤٤٠، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٥، ٥١٧، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٤٧، ٥٦٢، ٥٧٧، ٦١٩، ٦٩٧.
- عطية الأجهوري: **٦٨٢**.
- عظيمة (محمد عبد الخالق): **٣٦٨**.
- عكرمة: **٤٦١**.
- عمر ابن أبي ربيعة: **٢١٩**.
- عمر بن الخطاب: ٣٩٤، ٥١٢.
- أبوعمر الزاهد: **٨٠**.
- أبوعمروالبصري: ١٩٩، **٢٣٧**، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٧٤، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٦٦، ٦٩٧.
- أبوعمرو الداني: ١٧٠، **٢٣١**، ٢٦٤، ٢٧٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥٧٧، ٦٩٩.
- عمرو بن شبة: **٢٧٩**.
- عمرو بن معد يكرب: **١٤١**.

- العلوي: ٦١١، ٦٣٠.
- علي بن أبي طالب: ٢٦٩، ٤١٩، ٤٢١، ٤٧١، ٤٨٠.
- أبوعلي الفارسي: ٨٠، ٨٥، ١٠١، ١١٢، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٤، ١٤٧، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٠، ٣٧١، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٨٦، ٥٣٤، ٥٩٨، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٦٧، ٧٠٤.

(ف)

- ابن فارس: ٩٠، ٩٢، ٣٨٩، ٤٨٥، ٥١٠، ٦٨٩، ٦٩٠.
- أبوالفتح المطرزي: ٨٠.
- فخر الدين = الرازي.
- الفرزدق: ٣٤٧، ٦١٣..
- فضالة بن عبيد: ٤٤٦.
- أبوالفضل الرازي: ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٢٣، ٤٦١.
- الفراء: ١٠١، ١٤٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٢، ٢٦٧، ٣٧٨، ٤٥٨، ٥٠٠، ٥١٠، ٥٧٤، ٦٩٧.

(ق)

- القاسم بن عبدالله الوزير: ٣٠٩.
- ابن القاص: ٥٩٩.
- ابن قاضي شهبة: ٥١.
- قالون: ١٣٠.
- قتادة: ٢٦٩، ٣٨٩، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٥٠٩، ٥٧١.
- ابن قتيبة: ٣١٤، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٧٣، ٤٨٣، ٤٩٤، ٥١٠.
- القروي (عبدالوهَّاب القروي): ٤٩.
- القزويني: ٥٩١، ٦٠١، ٦١١، ٦٢٨.

- قطز (سيف الدين قطز): ٢٤.
- القفال: ١٠١.
- قلاوون (المنصور قلاوون): ٢٢، ٣٥.
- ابن القيم: ٢١، ٥٨٢، ٦٤٠، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٥٠.

(ك)

- كتبغا (العادل كتبغا): ٢٢، ٢٣، ٣٥.
- ابن كثير (القارىء): ٨١، ١٨٠، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٩٧، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٦٦، ٥٣٧، ٦٩١، ٦٩٩.
- ابن كثير (المفسر): ٣٩٥، ٦٥٦.
- الكرخي: ٦٨٢.
- الكرماني: ٧٨، ٧٩، ١٠٤، ١١٢، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٤٥١، ٦٥١، ٦٥٢.
- الكسائي: ١١٢، ١٣٠، ١٤٤، ١٩٩، ٢٣٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٢، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٥٨، ٥٠٠، ٥١٢، ٥٥٠، ٥٦٦، ٦٩٣.
- ابن كيسان: ٣٦٣.

(ل)

- لاجين (المنصور لاجين): ٢٢، ٢٣.
- لبيد: ٣٥٠، ٦٠٢.
- ابن اللبان (محمد بن أحمد): ٤٩.
- ابن أبي ليلىٰ: ٤٤٥.

(م)

- مالك: ٤٨٣.
- ابن مالك: ٥٧٢، ٦٧٣.
- الماوردي: ١٨٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١.

- المبرد: ٧٩، ٨٤، ٨٦، ٣١٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤.
- المتنبي: ٢٨٧.
- مجاهد: ١٩١، ٢٦٦، ٣٨٩، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٤٢، ٤٦٠، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٦٩، ٥٧٦١.
- ابن مجاهد: ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧٢، ٤٦٢.
- أبومجلز: ١٨١.
- جلال الدين المحلي: ٦٨٢.
- محمد التونجي: ٥٥.
- محمد الفاضل بن عاشور: ١٥١، ١٧٥.
- الناصر محمد قلاوون: ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٣٢، ٣٥.
- محمد بن كعب: ٣٩٣.
- ابن محيصن: ٨١، ٢٦٦، ٤٤٤.
- مروان بن الحكم: ١١١.
- المزي: ٣٧.
- معاذ بن جبل: ٢٨٢.
- معاوية بن أبي سفيان: ٤٤٦.
- المغيرة المخزومي: ٤٤٦.
- المفضل: ٢٦٩، ٢٧٩.
- ابن مقسم: ٢٨٠.
- المقريزي: ٣٣.
- مكي: ٥٨، ٧٨، ٨٥، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١١٢، ١٣٤، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٥، ٤٥١، ٤٥٨، ٤٨٥، ٥٨٦، ٥٢٧، ٥٤٥.
- ابن المنيِّر: ٦٧٠.
- المهاباذي: ٥٧٢، ٦٧٣.

- المهدوي: ٥٨، ٨٤، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٦٦، ٦٨٣، ٦٩٧.
- ابن موسىٰ: ٢٧٨.

(ن)

- النابغة: ٥٦.
- ابن ناشرة: ٤٨.
- نافع: ٨١، ١٣٠، ١٣٢، ١٧٠، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٣٧، ٥٥٠.
- نافع بن الأزرق: ٤٨٢، ٤٨٣.
- النحـــاس: ٥٨، ٧٨، ٨٣، ٨٥، ١١٢، ٢٥٩، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٤٠، ٤٥١.
- النخعي: ١١١، ٢٦٤، ٤٥٧.
- ابن النديم: ٣٥٢.
- نصر بن عاصم: ٤٤٥.
- ابن النقيب: ٣٤، ٧٠.
- أبونواس: ٥١٢.
- النووي: ١٨٦.
- أبونهيك: ١٩٠.

(هـ)

- ابن هشام: ٣٨، ٦٩٥.
- هشام بن عمار: ٢٩٧، ٤٤٢، ٤٤٦.
- هشام بن معاوية: ١٠٠.
- الهذلي (ابن جبارة): ٨٠، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٤٥٥، ٦٨٦.
- هارون: ٢٧٨.

(و)

- واثلة بن الأسقع: ٤٤٦.
- الواحدي: ٧٨، ٨٤، ٨٨، ١٠٠، ١٠٣، ١١٥، ١٢٢، ١٨٥، **١٩٥**، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٢، ٣٠٨، ٤٧٦، ٥١١، ٥١٨.
- ورش: **١٦٨**.
- ابن الوزير: **٤١٣**.

(ي)

- يحيىٰ الذماري: ٢٧٠، ٢٨٠، ٤٤٦.
- يحيىٰ بن وثاب: **٣٢٥**، ٥٤٧، ٥٩٥.
- يحيىٰ بن يعمر: **١٣٢**، ١٣٣، ٢٦٩، ٤٦١.
- يوسف بن معزوز: **١٤٦**.
- يونس الدبوسي: **٤٩**.
- اليزيدي: **٢٦٣**، ٢٧٠، ٢٨٠.

٤ ـ فهرس الأمم والطوائف والقبائل والمذاهب

ـ الأحمدية الصوفية: ٣٠، ٣١.
ـ أزد شنوءة: ٤٧١.
ـ الإسماعيلية الباطنية: ٣٠.
ـ الأشاعرة: ٣٠، ٣١، ١٧٥، ٢١٠، ٦٥٦.
ـ التتار: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.
ـ الباطنية: ٣٠.
ـ بنو الحارث: ١٠٠.
ـ الحنيفة: ٢١١.
ـ الشافعية: ٣٥، ٤٦، ٥١، ٢١١، ٥٩٩.
ـ الشيعة: ٦٩١.
ـ الصليبيون: ٢٤، ٢٥، ٢٨.
ـ الصوفية: ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٦٩١.
ـ الظاهرية: ٥٩٩.
ـ بنو عُقيل: ٣١٦.
ـ القدرية: ٥٧٣.
ـ بني كلاب: ٣١٦.
ـ المالكية: ٥٩٩.
ـ المعتزلة: ٣٠، ٥٢، ١٥٠، ١٥١، ١٧١، ١٧٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٩، ٣١٧، ٤٩٧، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٩١.
ـ المماليك: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٦.
ـ النصارىٰ: ٢٨.
ـ اليهود: ٢٨.

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

ـ أرواد: ٢٥.
ـ الأستانة: ٦٩٠.
ـ الإسكندرية: ٩، ٤٩، ٦٩.
ـ أصفهان: ٢١٥، ٣٤١.
ـ أفريقية: ٦٩.
ـ أنطاكية: ٢٥.
ـ الأندلس: ٢٦، ٦٩.

(ب)

ـ البصرة: ٣٦٣، ٤٩٢.
ـ بغداد: ٢٤، ٢٦، ١٨٦، ٣٥٢، ٣٦٨، ٣٨٥.
ـ بيروت: ١٠.

(ج)

ـ الجامع الأزهر: ٣٦.
ـ الجامع الأموي: ٣٤.
ـ جامع الحاكم: ٣٦.
ـ جامع الشافعي: ٤٦.
ـ جامع ابن طولون: ٣٦، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٧٠٥.
ـ جامع عمرو بن العاص: ٣٥.

(ح)

ـ الحجاز: ٤، ٦٩.
ـ حصن لورقة: ١٧٤.

- حلب: ٢٥، ٤٦، ٤٦، ٦٨٤.
- حماة: ٣٧.

(خ)

- الخانقاة البيبرسية: ٢٩.
- خانقاة سرياقوس: ٢٩.
- الخزانة التيمورية: ٦٠.

(د)

- دار الحديث الأشرفية: ٣٧.
- دار الكتب المصرية: ٥٣، ٥٤.
- الدنيور: ٣٥٢.

(ز ـ ش ـ ص)

- زمخشر: ١٥٠.
- الشام: ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٥٣، ٦٨٤.
- سلانيك: ٦٨٤.
- صور: ٢٥.
- صيدا: ٢٥.

(ع)

- عثليث: ٢٥.
- العراق: ٢٦، ١٢١، ٣٢٤.
- عكا: ٢٥.

(ف ـ ق ـ ك)

- فسا: ٢٣٣.
- القاهرة: ٣١، ٣٢، ٤٦، ٤٧، ٧٠٥.
- القدس: ٣٧.

- قلعة دمشق: ٢٧، ٣٢، ٣٦.
- القيروان: ٢٤١.
- قيسارية: ٢٥.
- الكرك: ٢٥.
- الكوفة: ٢٠٢، ٣٠٨.

(م)

- المدرسة الأمينية: ٣٤.
- المدرسة الركنية الجوانية: ٣٤.
- المدرسة الصالحية: ٣٤.
- المدرسة الطيبرسية: ٤٨.
- المدرسة الظاهرية: ٤٨.
- المدرسة المنصورية: ٣٥.
- المدرسة الناصرية الجوانية: ٣٥.
- المدينة: ١٣٠، ٢٥٤، ٤٥٣، ٤٦٤.
- مصر: ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٦، ٦٩، ٦٨١، ٦٨٤.
- المغرب: ٣٣، ٣٨، ٦٩.
- مكة: ١٥٠، ١٨٠، ٣١٧.
- مكتبة دامادزاده: ٥٦.
- منية عجيل: ٦٨١.
- المهدية: ١٨٩.
- نيسابور: ٣٨٨.

(هـ - ي)

- هراة: ٢٠٩.
- الهند: ٢٨.
- يافا: ٢٥.

٦ـ فهرس الأشعار[1]

أول البيت	آخره	الصفحة
(الألف)		
ملكت	وراءها	٤٩٨
لا تسقني	بكائي	٦٠٥
(الباء)		
كأن	كواكبُه	١٠٩، ٥٨٧
ولم يكن	طالبُه	٥٨٦
ومُطْعم	يكتسبُ	٥١٨
أفلح	الأريبُ	٩٤
ليس	الكذوبُ	٥١٤
فلست	يصوبُ	٤٩٥
أتهجر	تطيب	٣٧١
أفادتكم	المحجَّبا	٩٧، ٥١٦
رددت	تحلبًا	٣٧١
سالت	تُصب	١٦٧
أرانا	والشَرابِ	٣٥٠
(الحاء)		
فكان	السُّوح	٣٤٥
وقد	يفلحُ	٧٢

(١) اعتمدت في ترتيب القافية الترتيب التالي: القافية المضمومة ثم المفتوحة، ثم المكسورة، ثم الساكنة.

لا تبعثن ٩٣
لا يفلحُ ٩٣
ياليت ١٦٤
رمحا ١٦٤
لو أنَّ ٩٣
الرماح ٩٣

(الدال)

سقط ١٢٥
باليد ١٢٥
كريم ١٠٩
وحدي ١٠٩
... ٥١٢
يدي ٥١٢
سقيننى ٥٨٦، ٦٣٤
الخُرْد ٥٨٦، ٦٣٤

(الراء)

ألا ٥١٢
المقادرُ ٥١٢
ألقيت ٥١٧
يا عمرُ ٥١٧
فراحت ٤٩٣
المنفرُ ٤٩٣
يهوين ٣٨٧، ٦٨٩
جوائرا ٣٨٧، ٦٨٩
أخو ٦٦١
شمَّرا ٦٦١
فتذكرا ٩٢
كافر ٩٢
فإن ٣٥٠
المسحرِ ٣٥٠
نَحُلُّ ٩٣
حميرِ ٩٣
فوردت ٩٢
كفر ٩٢
ثم راحوا ٤٩٩
الأُزرْ ٤٩٩
فيها ٤٥٧
ونُمرْ ٤٥٧

(السين)

ترىٰ ٥٠٧
التبسا ٥٠٧
وابن اللبون ٣٧٤، ٤٤٧، ٦٩٨
القناعيسِ ٣٧٤، ٤٤٧، ٦٩٨
ورملِ ٥٩٣
الحنادس ٥٩٣

(العين)

مِنَّا سرعُ ٢٥١
تقولُ الوجعا ٥٠٧
لكل معَهْ ٩٤

(الفاء)

لَلُبْسُ الشفوفِ ٣٢٩

(القاف)

ليث صدقا ١٦٢
أريد طريقِ ٦٨٦

(الكاف)

والله إيثاركا ٩٨

(اللام)

ألا زائلُ ٦٠٢
ضربت المنزلُ ٦١٣
لقد المبسملُ ٢١٩
كناطح الوعلُ ١٠٦
ويوم المتحمِّلِ ٣٧٩
وقد فاشتعلا ٥٠٨
كأنَّ البالي ٦٣٠
وماذا أقيال ٥١٠

(الميم)

عوجا حذامُ ٩٢
تمرون حرامُ ٩١

لا تنه	عظيمُ	٥٥٥
كضرائر	لذميمُ	١٤١
حسدوا	وخصومُ	١٤١
وكم	السقيمُ	١٤٦
يعلو	غمامُها	٩٣
وعامنا	سُمُه	٩٨
ترىٰ	المحرَّما	٥٠٦
وقد	بالأباهمِ	١٧٧

(النون)

فَقَدّمتُ	ومينا	٣٢٦
يظل	ثخينا	٤٤٩
وهو	بالعصيان	٦٦٣
لما لبسن	منِّي	٥٠٨

(الهاء)

أكرُّ	سواها	٥٤٤

(الياء)

فإني	وعائيا	١٦٥

٧ ـ فهرس المراجع والمصادر

أولاً: المخطوطات والرسائل العلمية:

(أ)

ـ **طبقات النحاة واللغويين**. لابن قاضي شهبة. مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود. مصور علىٰ ميكروفلم برقم ٧١٧.

ـ **العقد النضيد في شرح القصيد**. للسمين الحلبي. مخطوط بدار الكتب المصرية مصورة علىٰ ميكروفلم برقم٧٣٥٤.

ـ **الكامل**. للهذلي. (مخطوط).

ـ **البسيط**. للواحدي. رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود عام١٤٠٩هـ. مقدمة من محمد بن صالح الفوزان، إشراف الشيخ/ محمد الراوي.

ـ **البسيط**. للواحدي. رسالة دكتوراه بجامعة الإمام. عام ١٤١٥هـ. مقدمة من أحمد محمد الحمادي. إشراف د/ السيد الدسوقي.

ـ **التحصيل لما في التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**. للمهدوي. رسالة ماجستير بجامعة الإمام كلية أصول الدين. عام ١٤٠٦هـ. مقدمة من علي محمد هرموش. إشراف د/ محمد صالح مصطفىٰ.

ـ **علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية**. رسالة ماجستير بجامعة الإمام، كلية أصول الدين عام ١٤١١هـ. مقدمة من نبيل آل إسماعيل. إشراف د/ إبراهيم سلامة.

ـ **قواعد الترجيح عند المفسرين**. رسالة ماجستير بجامعة الإمام، كلية أصول الدين عام ١٤١٥هـ. مقدمة من حسين بن علي الحربي. إشراف الشيخ/ مناع القطان.

ـ **لباب التفسير**. **للكرماني**. رسالة دكتوراة بجامعة الإمام، كلية أصول الدين عام ١٤٠٤هـ. مقدمة من ناصر العمر. إشراف د/ أحمد حسن فرحات.

ـ **مناهج المفسرين في توجيه القراءات**. رسالة دكتوراة بجامعة الإمام. مقدمة من: أحمد جبريل. إشراف د/ عبدالعزيز إسماعيل.

- **النكت والعيون**. للماوردي. رسالة دكتوراة بجامعة الإمام، كلية أصول الدين. مقدمة من محمد الشايع. إشراف د/ عبدالله الوهيبي.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- **إبراز المعاني من حرز المعاني**. لأبي شامة. ت: محمود عبدالخالق جادو. ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. عام ١٤١٣هـ.
- **أبوحيان النحوي**. للدكتورة خديجة الجديثي. مكتبة النهضة ببغداد. ط: الأولىٰ. عام ١٣٨٥هـ.
- **الإتقان في علوم القرآن**. للسيوطي. دار المعرفة.
- **إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول**. للشوكاني. ت: د/ شعبان محمد إسماعيل. دار الكتبي. ط: الأولىٰ ١٤١٣هـ.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. للشيخ الألباني. ط: المكتب الإسلامي.
- **أسرار البلاغة**. لعبدالقاهر الجرجاني. تصحيح وشرح: محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. ط/ ١٤٠١هـ.
- **أسرار العربية**. للأنباري. ت: البيطار. مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٧٧هـ.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**. لابن حجر العسقلاني. دار الكتب العلمية.
- **الأصمعيات**. اختيار الأصمعي. ت: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعرفة بمصر. ط: الرابعة ١٩٧٦م.
- **إعراب القرآن في تفسير أبي حيان**. د/ صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية بمصر. عام ١٤٠٩هـ.
- **إعراب القرآن**. للنحاس. ت: زهير غازي زاهد. مطبعة العاني ببغداد. عام ١٣٩٧هـ.
- **الإعراب وأثره في ضبط المعنىٰ**.للدكتورة/ منيرة العلولا. ط: دار المعرفة بالإسكندرية عام ١٤١٣هـ.
- **الاقتراح في علم أصول النحو**. للسيوطي. تحقيق وشرح د/ أحمد الحمصي، ود/ محمد قاسم. مطبعة: جروس برس. بيروت. ط: الأولى، ١٩٨٨م.
- **الأعلام**. للزركلي. دار العلم للملايين. ط: العاشرة، ١٩٩٢م.

- **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**. للطباخ الحلبي. ت: محمد كمال. منشورات دار القلم، حلب. ط: الثانية، ١٤٠٩هـ.
- **إنباه الرواة علىٰ أنباء النحاة**. للوزير القفطي. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة. ط: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.
- **إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلاف إلىٰ المذهب الحق من أصول التوحيد**، لمحمد ابن المرتضىٰ اليماني المشهور بابن الوزير. ط: الثانية ١٤٠٧هـ. دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الإيضاح في علل النحو**. للزجاجي.
- **الإيضاح في علوم البلاغة**. للخطيب القزويني. شرح وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني. ط: السادسة ١٤٠٥هـ.

(ب)

- **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**. للدكتور فهد الرومي. مكتبة التوبة، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١٣هـ.
- **البداية والنهاية**. لابن كثير. مكتبة المعارف، بيروت. ط: الثالثة ١٩٨٠م، وط: دار ابن كثير، الأولىٰ عام ١٤١٦هـ.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. للشوكاني. مكتبة ابن تيمية. القاهرة.
- **بديع القرآن**. لابن أبي الأصبع. ت: حفني محمد شرف. مكتبة نهضة مصر. ط: الأولىٰ ١٣٧٧هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**. للزركشي. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط: دار التراث. القاهرة.
- **بطلان المجاز وأثره في إفساد التصور**، وتعطيل نصوص الكتاب والسنة. لمصطفىٰ الصياصنة. دار المعراج، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١١هـ.
- **بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح في علوم البلاغة**. لعبدالمتعال الصعيدي. المطبعة النموذجية.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. للسيوطي. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، صيدا.

(ت)

- **التاريخ الإسلامي**. لمحمود شاكر. المكتب الإسلامي، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠٥هـ.
- **تاريخ التفسير**. **لقاسم القيسي**. مطبعة المجمع العلمي العراقي عام ١٣٨٥هـ.
- **تاريخ المماليك البحرية**. د/ علي إبراهيم حسن. مكتبة النهضة العربية بمصر. ط: الثالثة ١٩٦٧م.
- **التبصرة في أصول الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة**. لأبي المظفر الإسفراييني. ت: كمال الحوت. دار عالم الكتب. بيروت.
- **تذكرة الحفاظ وذيله**. للذهبي. دار إحياء التراث.
- **تفسير غريب القرآن**. لابن قتيبة. ت: السيد أحمد صقر. دار الكتب العلمية، بيروت عام١٣٩٨هـ.
- **التعبير الفني في القرآن**. لبكري أمين.
- **تفسير النصوص في الفقه الإسلامي**. للدكتور محمد أديب الصالح. المكتب الإسلامي، بيروت. ط: الثالثة ١٤٠٤هـ.
- **التفسير ورجاله**. لمحمد الفاضل بن عاشور. دار الكتب الشرقية. تونس. ط: الثانية عام ١٩٧٢م.
- **التلخيص في علوم البلاغة**. **للخطيب القزويني**. ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت. ط: ١٩٠٤م.
- **تهذيب التهذيب**. لابن حجر. مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند. ط: الأولىٰ ١٣٢٧هـ.
- **تهذيب اللغة**. للأزهري. ت: الدار المصرية للتأليف والنشر.
- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**. لابن ناصر الدين شمس الدين القيسي. ت: محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤١٤هـ.
- **التيسير في القراءات السبع**. لأبي عمرو الداني. تصحيح: أوتو برتزل. دار الكتاب العربي. ط: الثالثة ١٤٠٦هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. للشيخ عبدالرحمن السعدي. ط:

مركز صالح بن صالح الثقافي، بعنيزة. عام ١٤٠٧هـ.

(ج)

- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**. للإمام الترمذي. دار الحديث، القاهرة.
- **الجامع لأحكام القرآن**. للقرطبي.
- **حاشية الشهاب علىٰ البيضاوي**. **للشهاب الخفاجي**. دار صادر، بيروت.
- **حاشية علىٰ بانت سعاد**، لابن هشام. لعبدالقادر البغدادي. ت: نظيف محرم خواجه. دار النشر: فرانتس شتاينر، بڤيسبادن ١٤٠٠هـ.
- **الحجة في بيان المحجة شرح عقيدة أهل السنة**. للإمام إسماعيل الأصبهاني. تحقيق ودراسة محمد ربيع المدخلي. دار الراية، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١١هـ.
- **الحجة في علل القراءات السبع**. لأبي علي الفارسي. ت: علي النجدي. وعبدالحليم النجار، وعبدالفتاح شلبي. مراجعة علي النجار. ط: الهيئة المصرية للكتاب. نشر: مركز تحقيق التراث. عام ١٤٠٣هـ.
- **حدائق الزهر في ذكر أعيان أشياخ الدهر**. للحسن عاكش.

(ح - خ)

- **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. للسيوطي. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب، مصر. ط: الأولىٰ ١٣٨٧هـ.
- **الحماسة**. لأبي تمام. ت: عسيلان. مطابع دار الهلال، الرياض، جامعة الإمام.
- **الخصائص**. لابن جني. ت: محمد علي النجار. دارعالم الهدىٰ، بيروت. ط: الثانية
- **الخطط المقريزية**. للمقريزي. مطبعة النيل، مصر. عام ١٣٢٦هـ.
- **خطط الشام**. لمحمد كرد علي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. ط: الثالثة ١٤٠٣هـ.

(د)

- **دراسات في التفسير ورجاله**. لأبي اليقظان الجبوري. دار الندوة الجديدة، بيروت. ط: الثالثة.

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لابن حجر. ت: محمد سيد جادالحق. دار الكتب الحديثة.
- **درة الحجال في أسماء الرجال**. لأحمد المكناسي الشهير بابن القاضي. ت: د/ محمد الأحمدي أبوالنور. دار التراث، القاهرة. ط: الأولىٰ ١٣٩٠هـ.
- **دلائل النبوة**. للبيهقي، ت: د/ عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.
- **ديوان أبي تمام. بشرح الخطيب التبريزي**. ت: **محمد عزام. دار المعارف.**
- **ديوان أبي النجم العجلي**. صنعه وشرحه علاء الدين أغا. مطبوعات النادي الأدبي بالرياض. عام ١٤٠١هـ.
- **ديوان الأعشىٰ الكبير**. شرح وتعليق د/محمد محمد حسين. المكتب الشرقي. بيروت
- **ديوان امرىء القيس**. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار المعارف. ط: الرابعة.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**. لابن فرحون المالكي. ت: محمد الأحمدي أبوالنور. دار التراث، مصر.
- **ديوان البحتري**. ت: حسن الصيرفي. دار المعارف. ط: الثالثة.
- **ديوان بشار بن برد**. شرح وترتيب مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. ط: الأولىٰ ١٤١٣هـ.
- **ديوان الحطيئة**. برواية وشرح ابن السكيت. ت: نعمان طه. دار المدني، القاهرة. ط: الأولىٰ ١٤٠٧هـ.
- **ديوان الخنساء**. ت: د/ أنور أبوسويلم. الأردن عام ١٤٠٩هـ.
- **ديوان ذي الرمة**. شرح أبي نصر أحمد بن حاتم. رواية الإمام ثعلب. ت: د/ عبدالقدوس أبوصالح. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: الثالة ١٤١٢هـ.
- **ديوان طرفة بن العبد**. شرح الأعلم الشنتمري. ت: دريّة الخطيب ولطفي الصقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام١٣٩٥هـ.
- **ديوان العباس بن مرداس**. ت: د/ يحيىٰ الجبوري. المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد.

- **ديوان عبيد بن الأبرص**. دار صادر.
- **ديوان العجاج**، رواية الأصمعي. ت: د/ عبدالحفيظ السطلي. مكتبة أطلس، بغداد.
- **ديوان عدي بن زيد**. ت: محمد جبار المعيبد. شركة دار الجمهورية للنشر والتوزيع، بغداد عام١٩٦٥م.
- **ديوان الفرزدق**. شرح: علي فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠٧هـ
- **ديوان قيس بن الخطيم**. ت: د/ إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. مكتبة العاني، بغداد. ط: الأولىٰ ١٣٨١هـ.

(ر)

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. للألوسي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**. لأبي بكر بن الأنباري. ت: د/ حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.

(س)

- **السبعة**. لابن مجاهد. ت: د/ شوقي ضيف. دار المعارف، مصر. ط: الثالثة.
- **سنن أبي داود**. لأبي داود. دار الحديث، مصر.
- **سنن ابن ماجه**. لابن ماجه. تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء الكتاب العربي.
- **سنن الدارمي**. ت: فواز زمزلي، خالد العلمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠٧هـ.
- **سنن النسائي**. بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي. دار المعرفة، بيروت. ط: الثانية ١٤١٢هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: العاشرة ١٤١٤هـ.

(ش)

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. لابن العماد الحنبلي. المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت. وطبعة دار ابن كثير.
- **شرح أشعار الهذليين**. لأبي سعيد السكري. ت: عبدالستار أحمد فراج. مكتبة دار العروبة. مطبعة المدني.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**. للالكائي. ت: د/ أحمد الغامدي. دار طيبة، الرياض. ط: الرابعة ١٤١٦هـ.
- **شرح التصريح علىٰ التوضيح**. خالد الأزهري. دار الفكر، بيروت.
- **شرح ديوان جرير**. لمحمد إسماعيل الصاوي. منشورات دار مكتبة الحياة.
- **شرح ديوان حسان بن ثابت**. ضبط الديوان/ عبدالرحمن البرقوقي. دار الأندلس، بيروت. ط: عام ١٩٨٠م.
- **شرح ديوان الحماسة**. للمرزوقي. نشره: أحمد أمين وعبدالسلام هارون. مطبعة لجنة التأليف، القاهرة. ط: الثانية ١٣٨٧هـ.
- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمىٰ**، رواية ثعلب. الدار القومية للنشر، القاهرة عام ١٣٤٨هـ.
- **شرح العقيدة الطحاوية**. لابن أبي العز الحنفي. ت: د/ عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: الثامنة ١٤١٦هـ.
- **شرح العقيدة الواسطية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية. تأليف محمد خليل هراس. مراجعة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، تعليق إسماعيل الأنصاري. دار الثقافة، مكة. ط: الثانية ١٤١٢هـ.
- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**. ت: د/ إحسان عباس. وزارة الإرشاد، الكويت عام ١٩٦٢م.
- **شرح الهداية**. للمهدوي. ت: د/ حازم حيدر. مكتبة الرشد، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١٦هـ.
- **شعراء إسلاميون**. د/ نوري القيسي. عالم الكتب، بيروت. ط: الثانية ١٤٠٥هـ.
- **شعر عبدالله بن الزبعرىٰ**. د/ يحيىٰ الجبوري. مؤسسة الرسالة. ط: الثانية ١٤٠١هـ.

- **شعر زهير بن أبي سلمىٰ**. صنعه الأعلم الشمنتري. ت: د/ فخر الدين قباوة. دار القلم العربي، بحلب. ط: الثانية ١٣٩٣هـ.
- **شعر الأخطل**، صنعه: السُّكري. رواية أبي جعفر محمد بن حبيب. ت: د/ فخر الدين قباوة. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط: الثانية ١٣٩٩هـ.

(ص)

- **الصاحبي**. لأحمد بن فارس. ت: السيد أحمد صقر. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- **الصحاح**. للجوهري. ت: أحمد عبدالغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت. ط: الثالثة ١٤٠٤هـ.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**. للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت. ط: الثالثة ١٤٠٨هـ.
- **صحيح سنن ابن ماجه**. للألباني. مكتب التربية العربي لدول الخليج. ط: الثالثة ١٤٩٨هـ.
- **صحيح مسلم**. للإمام مسلم بن الحجاج. ت: محمد فؤاد عبدالباقي. دار الحديث، القاهرة. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.

(ط)

- **طبقات الشافعية**. لابن قاضي شهبة، اعتنىٰ بتصحيحه وعلق عليه د/ الحافظ عبدالعليم. عالم الكتب، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الشافعية**. للأسنوي. ت: عبدالله الجبوري. دار العلوم، الرياض ١٤٠١هـ.
- **طبقات الشافعية الكبرىٰ**. للسبكي. ت: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو. دار إحياء الكتب العربية.
- **طبقات المفسرين**. للداوودي. دار الكتب العلمية، بيروت.

(ع، غ)

- **العصر المملوكي في مصر والشام**. للدكتور سعيد عاشور. دار النهضة العربية. ط: الثانية ١٩٧٦م.

ـ **علماء نجد خلال ستة قرون**. لعبدالرحمن البسام. مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة. ط: الأولىٰ ١٣٩٨هـ.
ـ **علوم البلاغة**. لأحمد مصطفىٰ المراغي. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
ـ **عمدة التفسير**. لأحمد شاكر. دار المعارف، مصر.
ـ **العمدة في غريب القرآن**. لمكي بن أبي طالب. ت: يوسف المرعشلي. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠١هـ.
ـ العين. للخليل بن أحمد. ت: د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي. منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤٠٨هـ.
ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**. لابن الجزري. نشر: ج. برجستراسر. دار الكتب العلمية. ط: الثالثة ١٤٠٢هـ.
ـ **غريب الحديث**. لأبي عبيد القاسم بن سلام. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند. ط: الأولىٰ ١٣٨٤هـ.

(ف)

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. لابن حجر. المطبعة السلفية.
ـ **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**. للجمل. ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤١٦هـ.
ـ **الفَرْق بين الفِرَق**. لعبدالقادر البغدادي. ت: محيي الدين عبدالحميد. بيروت.
ـ **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن**. للدكتور محمد الشايع. مكتبة العبيكان، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١٤هـ.
ـ **فقه اللغة وخصائصها**. للدكتور إميل يعقوب. دار العلم للملايين. ط: الأولىٰ ١٩٨٢م
ـ **في أصول النحو**. لسعيد الأفغاني. مطبعة جامعة دمشق. ط: الثالثة ١٣٨٣هـ.

(ك)

ـ **الكامل**. للمبرد. ت: محمد الدالي. مؤسسة الرسالة. ط: الأولىٰ ١٤٠٦هـ.
ـ **كتاب سيبويه**. طبعة بولاق. ط: الأولىٰ ١٣١٦هـ.

- **وفهارس كتاب سيبويه**. لمحمد عبدالخالق عظيمه. مطبعة السعادة. ط: الأولىٰ ١٣٩٥هـ.
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لابن أبي شيبة. ت: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية. ط: الأولى ١٤٠١هـ.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. لحاجي خليفة. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**. لمكي بن أبي طالب. ت: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: الرابعة ١٤٠٧هـ.
- **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية**. لعبدالعزيز السلمان. ط: الثامنة عشر ١٤١٣هـ.

(ل، م)

- **لسان العرب**. لابن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤١٦هـ.
- **المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع**. للدكتور عبدالعظيم المطعني. مكتبة وهبة. ط: الثانية ١٤١٤هـ.
- **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. للدكتور سعيد عاشور. دار النهضة العربية، مصر. ط: الأولىٰ ١٩٦٢م.
- **مجمع الأمثال**. للميداني. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر، بيروت.
- **مجموع أشعار العرب**، وهو مشتمل علىٰ ديوان رؤبة بن العجاج. تصحيح وترتيب: وليم بن الورد، برلين ١٩٠٣م.
- **مجموع فتاوىٰ ابن تيمية**. لابن تيمية. دار عالم الكتب.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. لابن جني. ت: علي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي. لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر، القاهرة ١٣٨٦هـ.
- **المحرر الوجيز**. لابن عطية. طبعة المجلس العلمي بفاس، المغرب.
- **مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة**. لابن قيم الجوزية. ت: سيد إبراهيم. دار الحديث، القاهرة. ط: ١٤١٤هـ.

- **مختصر في شواذ القرآن**. لابن خالويه. مكتبة المتنبي، القاهرة.
- **مدرسة التفسير في الأندلس**. لمصطفىٰ المشيني.
- **المستقصي في أمثال العرب**. للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢ عام ١٤٠٨هـ.
- **مسائل خلافية في النحو. للعكبري**. ت: محمد الحلواني. دار الشرق. بيروت. ط: الأولى ١٤٠٦هـ.
- **مسند الإمام أحمد**. طبعة الدار الميمنية، القاهرة ١٣١٣هـ.
- **مشكل الآثار**. للإمام الطحاوي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، مصور عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ـ ١٣٣٣هـ.
- **المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها. لأحمد** الباتلي. دار الراية، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.
- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول في التوحيد**. للشيخ حافظ الحكمي. ت: عمر بن محمود أبوعمر. دار ابن القيم، الدمام. ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
- **معاني القرآن**. للأخفش. ت: عبدالأمير أمين الورد. دار عالم الكتب.
- **معاني القرآن**. للأخفش. ت: فائز أبوفارس. المطبعة العصرية، الكويت. ط: الأولىٰ ١٤٠٠هـ.
- **معاني القرآن**. للنحاس. ت: محمد الصابوني. مركز إحياء التراث بجامعة أم القرىٰ. ط: الأولىٰ ١٤٠٩هـ.
- **معرفة القراء الكبار**. للذهبي. ت: بشار معروف. شعيب الأرناؤوط، وصالح عباس. مؤسسة الرسالة. ط: الأولىٰ ١٤٠٤هـ.
- **معجم الأمثال العربية**. رياض عبدالحميد مراد. جامعة الإمام. ط: الأولىٰ ١٤٠٧هـ.
- **المعجم العربي، نشأته وتطوره**. د/ حسين نصار.
- **معجم القواعد العربية**. لعبدالغني الدقر. دار القلم، دمشق. ط: الثانية ١٤١٤هـ.
- **المعجم الكبير**. للطبراني. ت: حمدي السلفي. مطبعة الأمة ببغداد.

- **معجم المؤلفين**. لعمر كحالة. مؤسسة الرسالة. ط: الأولىٰ ١٤١٤هـ.
- **معيد النعم ومبيد النقم**. للسبكي. ت: محمد النجار وأبوزيد شلبي. دار الكتاب العربي بمصر.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. لابن هشام. ت: محمد محيي الدين عبدالحميد. دار الباز، مكة المكرمة.
- **مفردات القرآن**. للراغب. ت: صفوان داوودي. دار القلم، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.
- **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**. لمحمد عبدالرحمن المغراوي. دار طيبة، الرياض. ط: الأولىٰ ١٤٠٥هـ.
- **المفضليات**. للمفضل الضبي. ت: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعارف، مصر. ط: الخامسة.
- **المقاصد النحوية**. للعيني. حاشية علىٰ خزانة الأدب. لمحمود العيني. دار صادر، بيروت. ط: الأولىٰ.
- **المقتضب**. لأبي العباس المبرد. ت: محمد عبدالخالق عضيمة. المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، مصر. عام ١٣٩٩هـ.
- **مقدمة ابن خلدون**. لابن خلدون. مطبعة مصطفىٰ محمد. مصر.
- **الملل والنحل**. للشهرستاني. ت: محمد سيد كيلاني. شركة مصطفىٰ البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٦هـ.
- **مناهج في التفسير**. للدكتور مصطفىٰ الجويني. دار المعارف، مصر.
- **المنصف من الكلام علىٰ المغني**. للشمني.
- **منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز**. للشنقيطي. ت: أبوحفص سامي بن العربي. مكتبة السنة، القاهرة. ط: الأولىٰ ١٤١٤هـ.
- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**. للدكتور مصطفىٰ الجويني. دار المعارف. ط: الثالثة.
- **موسوعة التاريخ الإسلامي**. للدكتور أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ط: الثانية ١٩٧٢م.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. الندوة العالمية للشباب

الإسلامي بالرياض. ط: الثانية ١٤٠٩هـ.
- **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**. لابن تغري بردي. ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

(ن، و)

- **النشر في القراءات العشر**. لابن الجزري. دار الكتب العلمية، بيروت.
- **النكت والعيون**. للماوردي. ت: السيد بن عبدالمقصود. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.
- **النهج الأسمىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ**. لمحمد الحمود. مكتبة الإمام الذهبي. الكويت. ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.
- **وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان**. لابن خلكان. ت: إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

٨ ـ فهرس الموضوعات

تقديم عميد البحث العلمي ٥
المقدمة ٧
الباب الأول: عصره وحياته ..... ١٧ ـ ٦١
الفصل الأول: عصره ..... ١٩ ـ ٣٩
تمهيد ٢١
المبحث الأول: الحالة السياسية ٢٢
المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية ٢٦
المبحث الثالث: الحالة العلمية ٣٣
الفصل الثاني: حياته ..... ٣٩ ـ ٦١
المبحث الأول: اسمه وكنيته ونسبه ومولده ووفاته ٤١
المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ٤٣
المطلب الثاني: مولده ووفاته ٤٥
المبحث الثاني: نشأته ووظائفه ٤٦
المبحث الثالث: شيوخه ٤٨
المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه الفقهي ٥٠
المبحث الخامس: آثاره العلمية ٥٢
الباب الثاني: مصادره ..... ٦٣ ـ ٣٩٠
الفصل الأول: مصادره من كتب التفسير والقراءات ..... ٦٥ ـ ٢٨٢
المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير ..... ٦٧ ـ ٢٢٦
القسم الأول: المصادر الأساسية ..... ٦٧ ـ ١٨٢
المصدر الأول: البحر المحيط ٦٩
أولاً: التعريف بالكتاب ومؤلفه ٦٩
ثانيا: إفادة السمين من أبي حيان ٧٠
ثالثا: طرق نقله عنه ٧١
رابعاً: هل الدر المصون نسخة من البحر المحيط؟ ٧٣
الأمور التي ظهر من خلالها استقلال السمين عن شيخه ..... ٧٤ ـ ١٤٩

أولاً: الاختلاف في طريقة العرض ٧٦
ثانياً: استقلاله في جانب المصادر ٧٨
أ ـ تميزه بالنقل عن مصادر لم ينقل عنها شيخه ٧٩
ب ـ تميزه في المصادر التي اشترك مع شيخه في النقل عنها ٨١
ثالثاً: استقلال السمين في جانب المنهج ٨٩
١ ـ في الدلالة اللغوية ٨٩
٢ ـ في التأصيل اللغوي ٩٤
٣ ـ في الفروق اللغوية ٩٦
٤ ـ في اللهجات العربية ٩٧
٥ ـ في الشواهد ٩٨
٦ ـ في الإعراب ٩٩
٧ ـ في البلاغة ١٠٦
٨ ـ في مجال القراءات ١١٠
رابعاً: استقلاله في ترجيحاته واختياراته ومناقشاته ١١٤
ـ استقلاله في ترجيحاته ١١٤
ـ ترجيحه في مواطن لم يرجح فيها شيخه ١١٤
ـ اختلاف ترجيحه عن ترجيح شيخه ١١٤
ـ استقلال السمين في آرائه ومناقشاته ١١٥
خامساً: تفرد السمين ببعض المباحث المطولة ١١٧
سادساً: توسع السمين ببعض المسائل ١١٨
سابعاً: استدراكات السمين علىٰ شيخه ١٢٠
١ ـ استدراكه عليه في النقل عن المصادر ١٢١
٢ ـ استدراكه علىٰ شيخه في الاشتقاق والصرف ١٢٣
٣ ـ استدراكه علىٰ شيخه في اللغة ١٢٤
٤ ـ استدراكه علىٰ شيخه في الإعراب ١٢٥
٥ ـ استدراكه علىٰ شيخه في البلاغة ١٢٨
٦ ـ استدراكه عليه في القراءات ١٣٠

٧ ـ استدراكه عليه في التفسير ١٣٣
٨ ـ استدراكه عليه ذكره بعضَ الأقوال الضعيفة من غير تعقبها ١٣٣
٩ ـ اتهامه لشيخه بالتناقض ١٣٤
١٠ ـ استدراكه علىٰ شيخه إطلاق بعض الألفاظ التي لا تجوز ١٣٥
ثامناً: تعقب السمين لشيخه في استدراكاته علىٰ بعض العلماء والمعربين ١٣٦
١ ـ استدراكات السمين علىٰ شيخه في مناقشاته للزمخشري ١٣٦
٢ ـ استدراكات السمين علىٰ شيخه في مناقشاته لبعض المعربين والنحاة ١٤٧
المصدر الثاني: الكشاف للزمخشري ١٥٠
ـ التعريف بالمؤلف وبالكتاب ومنهجه ١٥٠
ـ المجالات التي ينقل عنه فيها ١٥٣
ـ طرق نقل السمين عن الزمخشري ١٥٨
ـ موقفه مما ينقله عنه ١٦١
المصدر الثالث: المحرر الوجيز لابن عطية ١٧٤
ـ التعريف بالمؤلف، وبالكتاب ١٧٤
ـ المجالات التي ينقل عنه فيها ١٧٤
ـ طريقته في النقل عنه ١٧٧
القسم الثاني من كتب التفسير: المصادر الثانوية ..... ١٨٣ ـ ٢٢٥
١ ـ جامع البيان للطبري ١٨٦
٢ ـ البسيط للواحدي ١٩٥
٣ ـ التحصيل لما في التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدوي ٢٠٣
٤ ـ مفاتيح الغيب للرازي ٢٠٩
٥ ـ جامع التأويل لابن بحر الأصبهاني ٢١٥
٦ ـ النكت والعيون للماوردي ٢١٨
٧ ـ لباب التفسير للكرماني ٢٢٢
المبحث الثاني: مصادره من كتب القراءات ..... ٢٢٧ ـ ٢٨٢
المطلب الأول: مصادره من كتب القراءات المتواترة ..... ٢٢٧ ـ ٢٥٦
١ ـ الحجة لأبي علي الفارسي ٢٣٣

٢ ـ الكشف لمكي ٢٤١
٣ ـ إبراز المعاني لأبي شامة ٢٤٧
٤ ـ كتاب أبي عبيد في القراءات ٢٥٤
المطلب الثاني: مصادره في القراءات الشاذة ..... ٢٥٧ ـ ٢٨٢
١ ـ المحتسب لابن جني ٢٦٠
٢ ـ اللوامح علىٰ شاذ القراءات ٢٦٨
٣ ـ الشواذ لابن خالويه ٢٧٢
٤ ـ الكامل للهذلي ٢٧٧
الفصل الثاني: مصادره من كتب إعراب القرآن والغريب ..... ٢٨٣ ـ ٣٥٨
المبحث الأول: مصادره من كتب إعراب القرآن ..... ٢٨٣ ـ ٣٣٨
١ ـ البيان للعكبري ٢٨٧
٢ ـ المشكل لمكي ٢٩٨
٣ ـ معاني القرآن للزجاج ٣٠٩
٤ ـ معاني القرآن للفراء ٣١٧
٥ ـ إعراب القرآن للنحاس ٣٢٤
٦ ـ معاني القرآن للأخفش ٣٣١
ـ نَقْل السمين عن الأخفش مما ليس في المعاني ٣٣٦
المبحث الثاني: مصادره من كتب الغريب ..... ٣٣٩ ـ ٣٥٨
أ ـ من غريب القرآن ..... ٣٤١ ـ ٣٥٥
١ ـ المفردات للراغب ٣٤١
٢ ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٧
٣ ـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٢
ب ـ من غريب الحديث: ..... ٣٥٦ ـ ٣٥٨
ـ غريب الحديث لأبي عبيد ٣٥٦
الفصل الثالث: مصادره من كتب النحو واللغة ..... ٣٥٩ ـ ٣٩٠
المبحث الأول: مصادره من كتب النحو ..... ٣٦١ ـ ٣٧٤
١ ـ الكتاب لسيبويه ٣٦٣

٢ ـ المقتضب للمبرد ٣٦٨
المبحث الثاني: مصادره من كتب اللغة ..... ٣٧٥ ـ ٣٩٠
١ ـ تهذيب اللغة للأزهري ٣٧٧
٢ ـ العين للخليل بن أحمد ٣٨١
٣ ـ الزاهر لابن الأنباري ٣٨٥
٤ ـ الصحاح للجوهري ٣٨٨
الباب الثالث: منهجه في التفسير، وقيمته العلمية ..... ٣٩١ ـ ٧٠٤
الفصل الأول منهجه في التفسير بالمأثور ..... ٣٩١ ـ ٤٧٦
المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن ..... ٣٩٣ ـ ٤٠٦
تمهيد: طرق ذكره للآية المفسرة ٣٩٧
المطلب الأول: تفسيره بالقرآن لبيان معنىٰ كلمة ٣٩٩
المطلب الثاني: تفسيره بالقرآن لبيان معنىٰ جملة ٤٠١
المطلب الثالث: تفسيره بالقرآن في مجال الإعراب ٤٠٢
المطلب الرابع: التأكيد علىٰ معنىٰ بلاغي ٤٠٥
المطلب الخامس: تشبيه تركيب بتركيب ٤٠٦
المبحث الثاني: بيان سر خواتيم الآيات ٤٠٧
المبحث الثالث: دفع توهُّم التعارض بين آيات القرآن ٤٠٩
المبحث الرابع: تفسيره القرآن بالسنة ٤١٣
المبحث الخامس: أسباب النزول ٤١٦
المبحث السادس: تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين ٤١٨
المبحث السابع: الإسرائيليات في الدر ٤٢٤
المبحث الثامن: عنايته بالقراءات ..... ٤٢٧ ـ ٤٧٢
المطلب الأول: ذكره للقراءات منسوبةً لأصحابها ٤٣٠
المطلب الثاني: اهتمامه بالقراءات المتواترة ٤٣٥
ـ العبارات التي استخدمها للتعبير عنها ٤٣٥
ـ توجيه القراءات المتواترة ٤٣٥
ـ رده علىٰ منتقدي القراءات المتواترة ٤٣٩

المطلب الثالث: اهتمامه بتوافق معاني القراءات ٤٥٢
المطلب الرابع: اهتمامه بالقراءات الشاذة ٤٥٥
ـ عنايته بذكرها ٤٥٥
ـ عنايته بتوجيهها ٤٥٦
ـ رده علىٰ منتقدي القراءات الشاذة ٤٥٩
المطلب الخامس: موقفه من الترجيح بين القراءات ٤٦٥
المطلب السادس: استعانته بالقراءات ٤٦٩
ملحق: مميزات منهج السمين في التفسير ٤٧٣
الفصل الثاني:التفسير اللغوي في الدر ..... ٤٧٧ ـ ٦٥٢
ـ تمهيد عن التفسير اللغوي ٤٧٩
المبحث الأول: منهجه في تفسير اللفظة القرآنية المفردة ..... ٤٨٩ ـ ٥٢٣
المطلب الأول: عنايته بالتأصيل اللغوي ٤٩١
ـ عنايته بالاشتقاق ٤٩١
ـ عنايته بالصرف ٤٩٩
المطلب الثاني: عنايته بتفسير المفردات ٥٠٤
المطلب الثالث: عنايته بالفروق اللغوية ٥١٤
المطلب الرابع: عنايته بحروف المعاني ٥١٩
المبحث الثاني: منهجه في تفسير تركيب ألفاظ القرآن ..... ٥٢٥ ـ ٥٨١
المطلب الأول: الالتزام بالظاهر في الإعراب ٥٣٠
المطلب الثاني: اعتماده السماع ٥٤١
المطلب الثالث: اعتماده للقياس ٥٤٦
المطلب الرابع: حمل القرآن في الإعراب علىٰ الوجه الشائع ٥٤٩
المطلب الخامس: عدم حمل إعراب القرآن علىٰ الأوجه الضعيفة ٥٥٠
المطلب السادس: التقيد في الإعراب والترجيح بنظم القرآن ٥٥٢
المطلب السابع: التفريق بين تفسير المعنىٰ وتفسير الإعراب ٥٥٣
المطلب الثامن: عنايته بالترجيح ٥٥٤
المطلب التاسع: اهتمامه بمناقشة المعربين والرد عليهم ٥٦٢

المطلب العاشر: الإعراب والمعنىٰ بين التأثر والتأثير ٥٦٩
١ ـ أثر الإعراب في المعنىٰ ٥٦٩
ـ أثر الإعراب في الوقف ٥٧٤
٢ ـ أثر المعنىٰ في الإعراب ٥٧٨
المبحث الثالث: منهجه في بيان الأسلوب القرآني ..... ٥٨٣ ـ ٦٥٢
ـ تمهيد: طريقته في عرض المباحث والإشارات البلاغية ٥٨٥
المطلب الأول: عنايته بعلم البيان ٥٩١
ـ التشبيه ٥٩١
ـ المجاز ٥٩٧
ـ المجاز المرسل ٦٠١
الاستعارة ٦٠٤
ـ الكناية ٦١١
المطلب الثاني: عنايته بعلم المعاني ٦١٥
أ ـ أحوال الكلمة المفردة ٦١٦
ب ـ التقديم والتأخير ٦١٩
جـ ـ الحذف والذكر ٦٢٠
د ـ الفصل والوصل ٦٢٣
هـ ـ صور إخراج الكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر ٦٢٣
المطلب الثالث: عنايته بعلم البديع ٦٢٨
ـ القسم الأول: المحسنات المعنوية ٦٢٨
ـ القسم الثاني: المحسنات اللفظية ٦٣١
المطلب الرابع: إبرازه لبلاغة الأسلوب القرآني في الترتيب ٦٣٦
المطلب الخامس: اهتمامه ببيان دقة القرآن في التعبير واختيار الألفاظ والجمل ٦٣٨
المطلب السادس: إبرازه بلاغة المتشابه اللفظي ٦٤٥
الفصل الثالث:التفسير العقدي والفقهي في الدر المصون .... ٦٥٣ ـ ٦٧٤
المبحث الأول: التفسير العقدي ..... ٦٥٥ ـ ٦٧١

المطلب الأول: مذهبه العقدي وتأويله لبعض آيات الصفات ٦٥٥
١ ـ صفة المجيء والإتيان ٦٥٥
٢ ـ صفة الغضب ٦٥٧
٣ ـ صفة العجب ٦٥٩
٤ ـ صفة الساق ٦٦٠
٥ ـ صفة الحياء ٦٦٢
٦ ـ صفة العلو ٦٦٣
المطلب الثاني: موقفه من المعتزلة ٦٦٧
المبحث الثاني: التفسير الفقهي ٦٧٢
الفصل الرابع: قيمة الدر العلمية ..... ٦٧٥ ـ ٧٠٤
المبحث الأول: مكانته بين التفاسير اللغوية، وأثره فيمن بعده ..... ٦٧٧ ـ ٦٩٧
المطلب الأول: مكانته بين التفاسير اللغوية ٦٧٩
المطلب الثاني: أثره فيمن بعده ٦٨١
القسم الأول: أثره في المفسرين ٦٨١
١ ـ الفتوحات الإلهية للجمل ٦٨١
٢ ـ حاشية الشهاب الخفاجي للشهاب خفاجي ٦٨٤
٣ ـ روح المعاني للألوسي ٦٩٠
ب ـ أثره في اللغويين والنحاة ٦٩٥
١ ـ الشمني في كتابه: المنصف من الكلام علىٰ المغني ٦٩٥
٢ ـ الشيخ خالد الأزهري في كتابه شرح التصريح على التوضيح ٦٩٦
٣ ـ عبدالقادر البغدادي في كتابه: حاشية علىٰ بانت سعاد ٦٩٦
المبحث الثاني: المآخذ علىٰ الدر المصون ..... ٦٩٨ ـ ٧٠٤
الخاتمة ٧٠٥
الفهارس ٧٠٧
١ ـ فهرس الآيات ٧٠٩
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار ٧٣٩
٣ ـ فهرس الأعلام ٧٤١

٤ ـ فهرس الأمم والطوائف والقبائل والمذاهب ٧٥٥
٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان ٧٥٦
٦ ـ فهرس الأشعار ٧٥٩
٧ ـ فهرس المراجع والمصادر ٧٦٣
٨ ـ فهرس الموضوعات ٧٧٧